BSB Bayerische StaatsBibliothek

MDZ Münchener DigitalisierungsZentrum Digitale Bibliothek

Ibn-aţ-Ţiqţaqā, Muḥammad Ibn-ʿAlī

Elfachri Geschichte der islamischen Reiche vom Anfang bis zum Ende des Chalifates ; arabisch

Gotha 1860

A.or. 1101
urn:nbn:de:bvb:12-bsb10249498-9

De la Haye.

De la Haye.

الفَخْرِيّ

في الآداب السلطانيّه والدُوَل الإِسْلاميّه

تاليف

محمد بن على بن طباطبا

المعروف

بابن الطِقْطَقَي

طبع

فى مدينة غَرَيْفِزْوَلْد المحروسه

بالات المدرسة الكلّية الملكيّه

سنه ١٨٥٨ المسيحيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسبّب الاسباب، ومفتّح الابواب، مقدّر الامور، ومدبّر الدهور، واجب الوجود، وخالق الاخلاق والجود، مفيض العقل، وواهب الكلّ، احمده على انه المالك الوجود مملوكًا لعظمته، واشهد انه الفاطر وانّ الغيب غير مستور لحكمته، واعوذ بجلال عزّه من ذلّ الحجاب، والوذ بفيض جوده من نقاش الحساب، وبخافي علمه ممّا في الكتاب النذير العقاب، واصلّي على النفوس العلويّة المطهّرة من الأدناس، وعلى الاجسام الارضية المنزّهة عن الأرجاس، واخصّ من بينهم اختصاصا بافضل الصلوات الزاكيات، واكمل التحيّات الناميات، مَن أهدى والألسن حداد، وأرشد والاكباد غلاظ والقلوب جلاد، محمّدا النبيّ الأمّيّ ذا التاييدات الالهيّة، والتاكيدات الجلاليه، وآله الطيّبين، واصحابه الصالحين، الذين كانوا صدّقوه وقد أرسل

ونصروه وقد خذل ما سمح جواد ووری زناده

وبعد فانّ افضل ما نظر فيه خواصّ الملوك وسلكوا اليه افضل السلوك بعد نظرهم فی أمر الأمّة وقيامهم فيما استودعوه بالحجّة هو النظر فی العلوم والاقبال على الكتب التى صدرت عن شرايف الفهوم فامّا فضيلة العلم فظاهرة ظهور الشمس عريّة من الشكّ واللبس فممّا جاء من ذلك فی التنزيل قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وممّا جاء فی الحديث صلوات الله وسلامه على من نسب اليه انّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وأمّا فضيلة الكتب فقد قالوا انّ الكتاب هو الجليس الذی لا ينافق ولا يملّ ولا يعاتبك اذا جفوته ولا يفشی سرّك وقال المهلّب لبنيه يا بنیّ اذا وقفتم فی الاسواق فلا تقفوا الا على من تبيع السلاح او يبيع الكتب وكان الفتح بن خاقان اذا كان جالسًا فی حضرة المتوكّل واراد أن يقوم الى المتوضّا اخرج من ساق موزته كتابًا لطيفًا فلا يزال يطالعه فی ممرّه وعوده فاذا وصل الى الحضرة الخليفيّة اعاده الى ساق موزته ارسل بعض الخلفاء فی طلب بعض العلماء ليسامره فلما جاء الخادم اليه وجده جالسًا

وحَوالَيْهِ كُتُبٌ وهو يطالعُ فيها فقال له انَّ اميرَ المومنين يَسْتدعيك قال قُل له عندى قومٌ من الحُكماء اُحادِثهُم فاذا فرغْتُ منهمْ حَضَرْتُ فلما عادَ الخادمُ الى الخليفة واخبرهُ بذلك قال له وَيْحَك من هَؤُلآء الحُكَماء الذين كانوا عندَهُ قال واللهِ يا اميرَ المومنين ما كان عنده اَحَدٌ قال فأحْضِرهُ الساعة كيف كان فلما حَضَرَ ذلك العالمُ قال له الخليفة من هولاء الحكماء الذين كانوا عندك قال يا امير المومنين الطويل

لنا جُلَسَآءِ ما نَمَلُّ حديثَهُمْ
أَمينون مَأْمُونونَ غَيْبًا ومَشْهَدا
يُفيدُونَنَا مِن علمِهم علمَ ما مَضَى
ورَأْيًا وتَأْديبًا ومَجْدًا وسُودَدا
فإنْ قُلْتَ اَمْواتٌ فلم تَعْدُ اَمْرَهُمْ
وانْ قُلْتَ احْياءٌ فلستَ مُفَنَّدا

فعَلِمَ الخليفةُ انه يُشيرُ بذلك الى الكُتُبِ ولم يُنْكِرْ عليه تأَخُّرَهُ ✿

وقال الجاحِظ دخلتُ على محمد بنِ اسحقَ اميرِ بغدادَ فى ايام وِلايتهِ وهو جالسٌ فى الديوان والناسُ مُثُلٌ

بين يديه كأنّ على رووسهم الطّير ثمّ دخلت اليه بَعْدَ مُدّةٍ وهو مَعْزولٌ وهوجالسٌ فى خزانة كُتُبِهِ وحواليْهِ الكتبُ والدّفاترُ والمحابرُ والمساطرُ فما رايتُه اَهْيَبَ منه فى تلك الحالِ۞ وقال المتنبى الطويل

اَعزُّ مكانٍ فى الدُّنا سَرْجُ سابحٍ

وخيرُ جليسٍ فى الزمانِ كِتابُ

والعلمُ يَزينُ الملوكَ اكثَرَ ممّا يَزينُ السُّوقَةَ واذا كانَ الملكُ عالمًا صارَ العالِمُ ملكًا۞ واَصْلَحُ ما نَظَرَ فيه الملوكُ مااشتَمَلَ على الآداب السلطانيّةِ والسِيَرِ التّاريخيّةِ المَطْويّةِ على طرايفِ الاخبارِ وعجايبِ الآثارِ على أنّ الوزراء كانُوا قديما يكرَهُون ان الملوكَ يَقِفُون على شىْء من السيَرِ والتوارِيخ خوفًا اَنْ يَتَفَطّنَ الملوكُ الى اشياء لا يُحِبُّ الوزراءُ ان يَتَفَطّنَ لها الملوكُ۞ طَلَبَ المُكْتفى من وزيرِهِ كُتُبًا يَلْهو بها ويَقْطَعُ بمطالعَتِها زمانَهُ فتَقدّمَ الوزيرُ الى النُوّابِ بتحصيلِ ذلك وعَرْضِهِ عليه قَبْلَ حَمْلِهِ الى الخليفةِ فحصّلوا شيا مِن كُتُبِ التارِيخ وفيها شىْءٌ ممّا جَرَى فى الايام السالفةِ من وقايع الملوك واخبارِ الوزراء ومعرفةِ التَحَيُّل فى استخراج الاموالِ فلمّا رَآهُ الوزيرُ قال لنُوّابهِ واللهِ انكُمْ

أشدُّ الناسِ عَداوَةً لى أنا قلتُ لكُمْ حَصِّلوا له كُتُبًا يَلْهو
بها ويَشْتَغِلُ بها عنّى وعن غَيْرِى فقد حَصَّلْتُم له ما يُعَرِّفُهُ
مَصارِعَ الوزراء ويُوجِدُهُ الطريقَ الى استخراج المالِ ويُعَرِّفُهُ
خرابَ البلادِ من عمارتها رُدُّوها وحَصِّلُوا له كُتُبًا فيها
حكاياتٌ تُلْهِيهِ وأشعارٌ تُطْرِبُهُ ۞ وكانوا يَكْرَهُونَ ايضا ان
يَكُونَ فى الخلفاء والملوكِ فَطانَةٌ ومعرِفةٌ بالامورِ ۞ لَمّا مات
المُكْتَفِى عَزَمَ وزيرُه على مُبايَعَةِ عبدِ الله بنِ المُعْتَزِّ وكان
عبدُ الله فاضِلاً لبيبا مُحَصِّلاً فخَلَا به بعضُ عُقلاء الكُتّابِ وقال
له أيُّهذا الوزيرُ هذا الرَّأْىُ الذى قد رأيْتَهُ فى مبايَعَةِ ابن
المعتزِّ ليس بصَواب قال الوزير كيف ذلك قال اىُّ حاجةٍ
لك أن تُجْلِسَ على سريرِ الخِلافةِ مَن يَعْرِفُ الذراعَ والمِيزانَ
والأسْعارَ ويَفْهَمُ الامورَ ويَعْرِفُ القبيحَ من الحَسَنِ ويَعرِفُ
دارَكَ وبُسْتانَكَ وضَيْعَتَكَ الرأْىُ أنْ تُجْلِسَ صَبِيًّا صغيرًا
فيكونُ اسْمُ الخليفةِ له ومَعْناها لكَ فتُرَبِّيهِ الى أنْ يَكبرَ
فاذا كَبِرَ عَرَفَ لَكَ حَقَّ التَرْبِيَةِ وتَكُونُ أنْتَ قد قَضَيْتَ
أوْطارَكَ مُدَّةَ صِغَرِه فشكَرَهُ الوزيرُ على ذلك وعدَلَ عن عبدِ
الله بنِ المُعْتَزِّ الى المُقْتَدِرِ وعُمْرُه يومئذ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ۞
وكان بدرُ الدينِ لُؤلُؤٌ صاحبُ المَوْصِلِ رحمه اللهُ اكثَرَ

ما يَجْرِى فى مجلسِ أُنْسِهِ اِيرادُ الاشعارِ المُطْرِبَةِ والحِكاياتِ المُلْهِيَةِ فاذا دَخَلَ شهرُ رمضانَ أُحْضِرَتْ له كُتُبُ التواريخِ والسِيَرِ وجَلَسَ الزَيْنُ الكاتِبُ وعزُّ الدينِ المحدِّثُ يَقْرآنِ عليه احوالَ العالَمِ ۞ وهذا التقريرُ يستَدْعِى شَرْحَ حالِ وذلك أَنّى حِينَ اَحَلَّنِى حُكْمُ القضاءِ بالمَوْصلِ الحَدْباءِ حَلَلْتُها غيرَ مُتَعَرِّضٍ لوَبْلِها او طَلِّها ودَخَلْتُها كما قال عزَّ مِن قائلٍ ودَخَلَ المدينَةَ على حينِ غَفْلَةٍ مِن اَهْلِها وكُنْتُ بَنَيْتُ عَزْمِى على المَقامِ فيها بقَدْرِ ما يَنْكَسِرُ البَرْدُ ويَنْقُلُ البُرْدُ ثم التَوَجُّهُ بعدَ ذلك الى تَبْرِيزَ فحينَ استَقْرَرْتُ بالمَوصِلِ بَلَغَنى من عِدَّةِ جهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ومن ذوى ازآءٍ غيرِ مُؤْتَلِفَةٍ غَزارةُ فَضْلِ صاحِبِها الأَعْظَمِ المولى المخدومِ الملكِ المعظَّمِ افضلِ الملوكِ واعظمِهِمْ واكرَمِ الحُكّامِ واحْلَمِهِم فَخْرِ المِلَّةِ والدينِ المَمْنوحِ بخصايصَ لوكانت للدهرِ لَمـا شكا صَرْفَهُ حُرٌّ ولَمـا مسَّ احَدًا مِنْهُ ضُرٌّ ولوكانت للبَحْرِ لَما كان ماءُه مِلْحًا أُجاجًا ولا خافَ راكِبُه منه امواجًا ولو ظَفِرَتْ بها الاقمارُ لما لَحِقَها السِرارُ عِيسى الذى اَحْيَى مَيْتَ الفضائِلِ ونَشَرَ طَىَّ الفواضِلِ واقامَ سُوقَ المكارِمِ فى عَصْرٍ كَسَدَتْ فيه سُوقُها وأَنْهَضَ مُقْعَداتِ المحاسِنِ بَعْدَ مـا عَجِزَتْ عن حَمْلِ اَجْسامِها سُوقُها وذَبَّ عَنِ الاحْرارِ فى

زمانٍ هم فيه أقلُّ مِنَ القليلِ وملأَ أيْدِيَهُمْ من عطايِهِ بأيادٍ واضحةِ الغُرّةِ والتحْجيلِ وأفآء عليهم ظلّ رأفةٍ لا يتنقّلُ وخفضَ لهم جَناحَ رحمةٍ فما ينِي يتفضّلُ عليْهِم ويتطوّلُ كُلّما ازدادَ دولةً وتمكينًا زادَ تواضعًا ولينًا وكلما بلَغَ مِن المُلْكِ غايةً رفعَ للكرَمِ رايةً ابنِ ابراهيمَ اعزّ اللهُ نصْرَهُ وانْفذَ نهْيَهُ وأمْرَهُ الذى أنْسَى ذِكْرَ الأجْوادِ ورزانةَ الاطوادِ وشجاعةَ الآسادِ

الكامل

لـلشمْسِ فيه ولـلـرِياحِ ولـلسَحَا
بِ ولـلبِحارِ وللأُسُودِ شمـائِـلُ

الـذى هـو فى جَبْهـةِ هذا الدهرِ غرّةٌ وفى قِلادَتِهِ دُرّةٌ لا تُدانيهـا فى الدُنْيا دُرّةٌ الذى صَدّقَ أخْبارَ الماضِينَ وحَقّقَ ما نُسِخَ من مآثرِ الاوّلِينَ ✿ وقد قال ابْنُ الرومى

الطويل

أظُنُّ بـأنّ الدَهْـرَ ما زالَ هٰكذا
وأنّ حديثَ الجُـودِ ليسَ له أصْلُ
وَهَبْ انه كان الكِرامُ كما حَكَوا
أمَا كان فيهم واحدٌ وله نَسْلُ

فـلـو شـاهَدَهُ لَصَدّقَ ما سَمِعَ مِن اخبارِ اهلِ الكَرَمِ ولَمّـا اخْتلجتْ بين جَنْبَيْهِ عَـوارِضُ التُهَمِ ✿ الحاكِمُ الذى اذا

سَلَّطَ ذِهْنَهُ الشَريفَ وفِكْرَهُ اللطيفَ على القَضايا الديوانية والأُمورِ السلطانيَّةِ ذَلَّتْ له الصعابُ ولانَتْ لَهُ الصُمُّ الصِلابُ وظَهَرَتْ له الخفايَا وتَعَذَّرَ أَنْ يُقالَ في الزَوايا خَبايَا أمَّا قُوَّةُ العَدْلِ عِنْدَهُ فسليمةٌ قواعِدُها لَدَيْهِ قَوِيمةٌ فلا يُجْزِعَنَّكَ هَيْبَتُهُ المَرْهُوبَةُ فإنَّ وَرآءها رَأْفَةً بالضعيفِ ورِقَّةً على الفَقيرِ وجَبْرًا للكَسيرِ الكامل

ولهُ مِن الصَفْحِ الجميلِ عَوايدٌ
اَسْرُ الطليقِ بها وفَكُّ العاني

ولقد حضَرْتُ يوما مجلسَهُ الرفيعَ وكانَ يومَ غَيْثٍ وقد تَقَدَّمَ بصِيانَةِ البابِ فلما كثرَ الغَيْثُ قال للحُجَّابِ مَن حَضَرَ البابَ وله حاجَةٌ فعَرِّفُونَا بها ثم قال إنَّ أحَدًا لا يَحْضُرُ في مثْلِ هذا الوَقْتِ إلَّا لِضَرورَةٍ ولا يَجُوزُ أَنْ يُرَدَّ خايِبًا فباللّه هَلْ يَأْتي في هذا الكتابِ الذي يُرِيدُ ان يَكُونَ مشتمِلًا على محاسِنِ الآثار الَّا ما هو من جِنْسِ هذه الحِكايةِ وأمَّا قُوَّةُ السياسةِ عندهُ فعظيمةٌ لم تَعْتَرِضْها هَضِيمَةٌ فلا تَغُرَّنَّكَ رِقَّتُهُ وابتسامُهُ فإنَّ وَرَآءَ ذلك صَرامَةً يَخْضَعُ لها الأُسودُ وشَهامَةً يَحْذَرُها السَيِّدُ والمَسُودُ الطويل

هو البَحْرُ غُصْ فيهِ إذا كانَ ساكِنًا

وإيّاكَ فاحْذَرْهُ اذا كان مُزْبِدا

وأمّا قُوّةُ الذَّكاء والتَيَقُّظ فهو فيها كما قال

المُتَنَبّى المنسرح

تَعْرِفُ فى عَيْنِه حقيقَتَهُ كانَّهُ بالذَكاء مُكْتَحِلُ

أُشْفِقُ عِنْدَ اتّقادِ فِكْرَتِهِ عليه منها اَخافُ يَشْتَعِلُ

وأمّا قُوّةُ العَقْلِ الغَرِيزِ والتمييزِ الصحيح فانّى لأَظُنُّ ان عُقَلاء الملوكِ الماضينَ لو عاشُوا وشاهَدُوه لَتعَلَّموا منه كيف يُساسُ الجمهورُ وكيف تُدبَّرُ الامورُ وأمّا قوّةُ الكَرَمِ الذى يجاوِزُ الحَدَّ وخرجَ فَحَدّثْ عن البَحْرِ ولا حَرَجَ فلو عاشَ الكِرامُ الذين ضُرِبَت بهم الامثالُ وعُدِمَت لهم النُظَراء والامثال لَتَعَلَّمُوا منه غوامِضَ الكَرَمِ ولَتَلَقَّفُوا منه محاسِنَ الشِيَمِ ولو أنْصَفْتُ لَتَرَكْتُ وَصْفَ هذه القوّةِ مِن قُواهُ عَجْزًا عن الاحاطةِ بكُنْهِ وَصْفِها وقصورًا عن القِيامِ بواجِب وَصْفِها ولكنّى اقولُ حَسْبَ الجُهْدِ والطاقة انّ احتقارَهُ للدنيا احتقارُ الاولياء واستصغارَه لها استصغارُ الزُهّادِ فلو جادَ بالدنيا وثَنّى بِضِعْفِها لظَنَّ من استصغارِه انه ضَنَّ يُعْطِى عَطاء مَن يَبْقى الذِكْرَ ويُحْيِيهِ ويُنْفِدُ المالَ ويُفْنِيه فيه الطويل

اعاذِلُ اِنّ الجُودَ لَيسَ بمُهْلِكى

ولا يُخْلِدُ النفْسَ الشحيحةَ لُومُهَا
وتُذْكَرُ أَخْلاقُ الفتَى وعِظامُهُ
مُغَيَّبَةٌ فى التُرْبِ بالٍ رَميمُها

بِهِمَّةٍ نالَتِ السَمَاء وجاوَزَتِ الجَوْزَآء ومن هُناك حَصَلَ لَه الأُنْسُ بِعِلْمِ النُجُومِ فانه أَخَذَ عِلْمَهَا بالارْتِقاء اليها والاقترابِ لا بالحسابِ والإِصْطِرْلاب بَلَغَ السَماء عُلُوًّا فشافَهَتْهُ بأَسْرارِها كواكِبُها وقَرَع الافْلاكَ سُمُوًّا فحدَّثَتْهُ بأَخْبارِها مَشارِقُهَا ومَغارِبُها

الطويل

له هِمَمٌ لا مُنْتَهى لكِبارِها وَهِمَّتُهُ الصُغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَهْرِ

لا تَسْتَقِرُّ فى خِزاينِهِ نَفَايِسُ أَمْوالِهِ ولَيْسَ لها بَيْتٌ يَحْفَظُها سِوَى بيُوتِ سُؤَّالِهِ

البسيط

إِنَّا اذا اجتمَعَتْ يومًا دَراهِمُنَا ظَلَّتْ الى طُرُقِ العَلْيَاء تَسْتَبِقُ
لا يَأْلَفُ الدِرْهَمُ المَنْقُوشُ صُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عليها ثم يَنْطَلِقُ

لايَفْعَلُ السُكْرُ فى كَرَمِهِ الاّ كما يفْعَلُ الصَحْوُ فى أَمْطارِ دِيَمِهِ

الطويل

يُعِيدُ عَطايا سُكْرِهِ عِنْدَ صَحْوِهِ
لِيُعْلَمَ أَنَّ الجُودَ منْهُ عَلَى عِلْمِ
ويَسْلَمَ فى الإِحْسانِ مِن قَوْلِ قايِلٍ

تكرّمَ لمّا خامَرتْه ابنَةُ الكَرمِ

ومن أسرارِ كرمِه أنّه مُنزَّهٌ عن التبذيرِ وان كان اكثَر من الكثيرِ لانه موضوعٌ فى أحَلّ مواضِعه وواقِعٌ فى افضلِ مواقعه فمتى تعرّض آملٌ او عَنّ سايلٌ بادَرَ الى اِرفادِه مُبادَرةَ السَيْلِ الى وِهادِه — الكامل

عَشِقَ المكارِمَ فاستهامَ بذِكرِها والمَكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ
واقامَ سُوقًا للثَناء ولم تكُنْ سُوقُ الثناء تُعَدُّ فى الاسْواقِ
فاذكُرْ صنايعَهُ فلَسْنَ صَنايعًا لكنهُنّ قلايدُ الاعناقِ
والثمْ انامِلَه فلَسْنَ انامِلًا لكنهنّ مفاتِحُ الارزاقِ

وكأنّى بك ايُّها الناظِرُ فى هذا الكتابِ قد استعظمتَ ما سَمِعْتَ فان عرضَ لكَ الشكُّ فانظُرْ اعيانَ هذا العَصْرِ تجِدْهم ينَاقِشونَ على الذَرّةِ وتجِدُهُ لا يَلْتَفِتُ الى الدُرّةِ وتجِدُهم يَحرِصون على اقتناء الذخايرِ وتجِدُهُ لا يَحْرِصُ اِلّا على الذكْرِ السايرِ والصيتِ الطايرِ وتجدهم قد شَغَفَتْهم مَحَبّةُ الاولاد وتجِدُه قد شَغَفَتْه مَحَبّةُ السُؤّالِ والقُصّادِ وتجِدُهم يَهْرُبُون من المغارِمِ وتجِدُه يَعُدُّها من أفْضَلِ المغانِمِ ثم أرْجِع البَصَرَ تجِدِ المدايحَ عندهم كاسدَةً وتجِدْها عنده نافِقَةً وتامَّلْ تُبْصِرِ المكارِمَ لديهم جامِدَةً وتُبْصِرُها

لَدَيْهِ دافقةً وانظُرْ بابَهُ تَجِدْهُ عامِرًا بوُفُودِ الثناء غاصًّا بالادباء والشعراء والفضلاء والفصحاء

الخفيف

يَسْقَطُ الطَيرُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الحَبَّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَماء

وتاللهِ ما الدنيا الا دنياه ولا العَيْشُ الا عَيْشُهُ الذى أعْطاهُ اللهُ

الكامل

ما العَيْشُ أنْ يُمْسِى الفَتَى مُتَشَبِّعًا نَخْمَ الجُزارَهْ
كَلِفًا بِشُرْبِ الراحِ مَشْغُوفًا بغِزْلانِ السِتارَهْ
العَيْشُ أنْ يُشْجِى الفَتَى أعْداءهُ ويَعِزَّ جارَهْ
حتى يُخافَ ويُرْتَجَى ويُرَى له نَشَبٌ وَشارَهْ
ويَرُوحَ إِمّا لِلكِتابَةِ سَعْيُهُ او لِلامارَهْ

رجعنا الى حِكايةِ الحالِ وإِتمامِ المقالِ فَلَفَّقَتِ المقاديرُ ان جَرَى ذِكرِى بين يديه وعُرِضَ شَىْءٌ من أَمْرِى عليه فلَمَحَ بذكاءِ قلبِهِ وصِحّةِ حَدْسِهِ من تِلْكَ الأنباءِ حقيقةَ حالى قبل اللِقاءِ وتقدَّمَ بالحُضورِ فى خِدْمَتِهِ فلما حَضَرْتُ راعَنِى ما شاهدتُ من كمالِ هَيْبَتِهِ وراقَنِى ما عايَنْتُ من جمالِ صُورتِهِ وشريفِ سِيرتِهِ فكان اوّلَ ما انشَدْتُهُ قول المتنبى

الطويل

وما زِلْتُ حتى قادَنِى الشوقُ نَحْوَهُ
يُسايِرُنِى فى كلِّ رَكْبٍ له ذِكْرُ

وأستعظمُ الاخبارَ قبل لقايه
فلما التقينا صغّر الخبرَ الخبرُ

ثم تابعَ من الطافه ما غرس به وُدًّا وجنى منه ثناءً وحمدًا فرايتُ أنْ أخدمَ حضرته بتاليف هذا الكتاب ليكونَ تذكرةً له وتذكرةً لى عنده يذكرنى به اذا غبتُ عن عالى جنابه وانفصلتُ عن فسيح رحابه وهذا كتابٌ تكلّمتُ فيه على أحوال الدُوَل وامور الملك وذكرتُ فيه ما استطرفتُهُ من احوال الملوك الفضلاء واستغربتُهُ من سِيَر الخلفاء والوزراء وبنيتُهُ على فصلَيْن فالفصل الاول تكلّمتُ فيه على الامور السلطانية والسياسات الملكيّة وخواصّ الملك التى يتميّزُ بها عن السُوقة والتى تجبُ أنْ تكونَ موجودةً او معدومةً فيه وما يجبُ له على رعيّته وما تجبُ لهم عليه ورصّعتُ الكلام فيه بالآيات القرانيّة والاحاديث النبويّة والحكايات المستطرَفة والاشعار المستحسَنة والفصل الثانى تكلمتُ فيه على دولة دولة من مشاهير الدُوَل التى كانتْ طاعتُها عامّةً ومحاسنُها تامّةً ابتدأتُ فيه بدولة الاربعة ابى بكرٍ وعُمَرَ وعثمانَ وعليٍّ عم على الترتيب الذى وقع ثم بالدولة التى تسلّمت الملك منها وهى الدولة الأمويّة ثم بالدولة التى تسلّمت

المُلْكَ منها وهي الدولةُ العَبّاسيّةُ ثم بالدُوَلِ التى وقعت
فى أثْناء الدوَلِ الكبارِ كدولة بنى بُوَيه وكدولة بنى
سَلْجُوق وكدولة الفاطِميّينَ بِمِصْرَ على وجه الإيجازِ فانها
دُوَلٌ وقعتْ فى اثناء دَوْلة بنى العبّاس ولكنها لم تكن
طاعتُها عامّةً فاتكلّمُ على دولةٍ دولةٍ بمجموع ما حصَل فى
ذِهْنِي مِن الهيْئةِ الاجتماعيّةِ التى أفادَتْنيها مُطالَعةُ السيرِ
والتوارِيخ فاذكرُ كيف كان ابتداؤها وانتهاءها وطَرْفًا
مُمْتِعًا من محاسِنِ مُلوكِها واخبار سَلاطينِها فانْ شَذّ شيءٌ من
أحْوالِها عن ذِهْنِي واحْتَجْتُ الى اثْباتِه من حِكايةٍ طريفةٍ
او بَيْتِ شِعْرٍ نادرٍ او آيةٍ او حديثٍ نبويّ اخَذْتُه مِن
مَظانّهِ ثم اذا ذكرتُ دولةً فدولةً تكلّمتُ عَلَى كُليّاتِ
امورِها ثم ذكرتُ واحدًا واحدًا من ملوكها وما جَرَى
فى ايامه من الوقايعِ المشهورةِ والحوادثِ المأثورة فاذا
انْقَضَت ايامُ ذلك الملِكِ ذَكَرْتُ وزراءَهُ واحدًا واحدًا
وطَرايفَ ما جَرَى لهم فاذا انقضَتْ ايامُ الملِكِ ووزرآيه
ابتدَأْتُ بالملِكِ الذى بَعْدَهُ وبماجَرَى فى ايامه وبِسِيَرِ وزرايه
كذلك الى آخرِ الدولةِ العباسيّةِ والْتَزَمْتُ فيه أمْرَيْنِ
احدهما أنْ لا أميلَ فيه الّا مَعَ الحقّ ولا أنْطِقَ فيه الا بالعَدْلِ

وأنْ أعزِلَ سُلطانَ الهوَى وأخْرُجَ مِن حُكْمِ المَنْشا والمَرْبَا وأفرِضَ نَفْسِى غَرِيبًا منهم وأجْنَبِيًّا بينَهُم وثانيهما ان أُعَبِّرَ عَن المعانِي بِعِبَارات واضِحَة تَقْرُبُ مِنَ الأفهامِ لِيَنْتَفِعَ به كُلّ أحَدٍ عادِلاً عَنِ العبارات المستَصْعَبَة التى يُقْصَدُ فيها اظْهارُ الفصاحة واثباتُ البَلاغَة فطالَمَا رأيْتُ مُصَنِّفِى الكُتُب قد اعْتَرَضَتْهم مَحَبَّةُ اظْهارِ الفصاحة والبَلاغَة فخَفِيَتْ أغْراضُهم واعْتاصَتْ مَعانيهم فقَلَّتِ الفايدةُ بِمُصَنَّفاتِهم۞ من ذلك كِتَابُ القانونِ فى الطِبّ لابى عليّ الحُسَيْن بْنِ سينا البُخارِيّ فانه حَشَاهُ بالعبارات الغامِضَة والتراكيبِ المستغلَقَة فبَطَلَ غَرَضُهُ من الانتفاعِ بكتابه ولذلك ترى عامّة الاطبّاء قد عَدَلوا عن كتابه الى الملكيّ لسَهْل العِبارة المُفْهِمِ الاشارة وهذا كتابٌ يحتاجُ اليه مَن يَسُوسُ الجمهورَ ويُدَبِّرُ الامورَ وانْ أنْصَفَهُ الناسُ أخذوا اولادَهم بتَحَفُّظه وتدبُّرِ معانيه بعْدَ ان يَتَدَبَّرُوه هم فما الصغيرِ بأحْوَجَ اليْهِ مِن الكبيرِ ولا المَلِكُ العامُّ الطاعة بأحْوَجَ اليه من مَلِك مدينة ولا ذَوُو المُلْك باحْوَجَ اليه من ذَوِى الادَب فانّ من يَنْصِبُ نفسه لِمُفاوَضَة الملوك ومُجالَسَتِهم ومُذاكَرَتِهم يَحْتاجُ الى اكثر ممّا فى هذا الكتاب فعلى أقلّ الأقسامِ لا يَسَعُه تَرْكُه۞ وهذا الكتابُ

إنْ نُظِرَ بعَيْنِ الإنصافِ رُئِيَ أنْفعَ مِن الحماسَةِ التي لهِجَ الناسُ بها وأخَذُوا اولادَهُمْ بحِفْظِها فإنّ الحماسَةَ لا يُسْتفادُ منها أكْثَرُ مِن التَرْغيبِ في الشجاعَةِ والضيافَةِ وَشَيْءٌ يَسيرٌ من الاخْلاقِ في الباب المُسَمَّى بباب الأدَبِ والتأنُّس بالمذاهِبِ الشِعْرِيَّةِ وهذا الكتاب يُسْتفادُ منه هذه الخِصالُ المذكورةُ ويُسْتفادُ منه قَواعِدُ السِياسَةِ وأدَواتُ الرِياسَةِ فهذا فيه ما في الحماسَةِ ولَيْسَ في الحماسَةِ ما فيه وانه لَيُفيدُ العَقْلَ قُوَّةً والذِهْنَ حِدَّةً والبَصيرَةَ نُورًا وهو للخاطِرِ الذَكِيّ بمنزلةِ المِسَنّ للفُلاذِ الجَيِّدِ وَهُوَ ايضا أنْفَعُ من المَقاماتِ التي الناسُ فيها مُعْتَقِدُونَ وفي تحَفُّظِها راغِبُونَ اذِ المَقاماتُ لا يُسْتفادُ مِنها سِوَى التَمَرُّنِ على الإنْشاءِ والوُقُوفِ على مَذاهِبِ النَظْمِ والنَثْرِ نَعَمْ وفيها حِكَمٌ وحِيَلٌ وتجارِبُ إلّا أنَّ ذلك مِمّا يُصَغِّرُ الهِمَّةَ اذ هو مَبْنِيٌّ على السُؤالِ والاسْتِجْداءِ والتحَيُّلِ القَبيحِ على تحصيلِ النَزْرِ الطَفيفِ فإن نفعَتْ مِن جانِبٍ ضَرَّتْ من جانبٍ وبَعْضُ الناسِ تَنَبَّهُوا على هذا مِن المَقاماتِ الحريريّةِ والبَديعِيَّةِ فعدَلَ ناسٌ الى نَهجِ البَلاغَةِ مِن كلامِ اميرِ المومنين علي بن ابي طالب عَم فانه الكتابُ الذي يُتَعَلَّمُ منه الحِكَمُ والمَواعِظُ والخُطَبُ والتوحيدُ والشجاعة والزُهْدُ وعُلُوُّ

الهمّةِ وأدْنَى فوايدِهِ الفصَاحَةُ والبلاغةُ، وعَدَلَ الناسُ الى اليمينى العُتْبىّ وهو كتابٌ صَنّفهُ مؤلّفهُ ليَمين الدولة محمود ابن سُبُكتكين يشتملُ على سِيَرِ جماعةٍ من الملوك بالبلاد الشرقيّة عبّرَ فيه بعبارات حَظُّها من الفصاحةِ وافرٌ وصاحبُها ان لم يَكن ساحرًا فهو كاتب ماهرٌ والعَجَمُ مَشْغُوفون به مُجِدّون في تَلَبه وهو لَعَمْرِى كتابٌ يشتمِلُ على طرايفِ حكَم وبدايعِ سِيَرٍ مع ما فيه من فُنُونِ البَلاغةِ وأنْواعِ الفصاحةِ ولَعَلَّ قايلًا أن يقولَ لقد بالغَ فى وَصْفِ كتابه وحَشَا ما شآ فى جِرَابِه والمَرْءُ مفتونٌ بابنِهِ وشِعْرِهِ فان اعْتَرَاه رَيْبٌ فَلْيَتَأَمَّل الكُتُبَ المُصَنَّفَةَ فى هذا الفنّ فلَعَلّهُ لا يرَى فيها كتابًا أجْمَعَ للمَعْنَى الذى قُصِدَ به مِن هذا الكتاب وهو أعزَّ اللهُ نَصْرَهُ وسَرّ بدَوامِ السعادةِ سِرّهُ قد أغْنَاهُ اللهُ بالذِهْنِ القاهِرِ والفَضْلِ الباهرِ عن هذا الكتابِ وعن أمْثالِهِ ولكنْ مهامُّهُ الشريفةُ رُبّمَا أضْجَرَتْهُ وأنْسَتْه فاذا رَوّحَ فِكْرَهُ الشريفَ بالنظرِ فيه دَفَعَ به المَلَالَ وتذَكّرَ به ما أنْسَتْهُ الأشْغالُ ومن ألْطافِ اللهِ تعالى أسْأَلُ ان لا يُخْلِى هذا الكتابَ مِن فايدتَيْنِ احداهما تَخُصُّنى وهى ان يَقعَ عندَه بموقعِ الاستِصْوابِ فابْرَأَ من عُهْدَةِ الخَجَلِ والأُخْرَى تَخُصُّهُ وهى أنْ لا يُعْدِمَهُ الانتفاعَ به فى القَوْلِ والعَمَلِ انّهُ وَلِىُّ كل نعمةٍ

ومُسْدِى كُلِّ عارِفةٍ ✿

الفصل الاول

فى الامور السلطانيّة والسياسات الملكيّة

امّا الكلامُ على اَصْلِ المُلْكِ وحقيقته وانقسامه الى رياسات دينيّةٍ ودُنْياوِيّةٍ من خلافةٍ وسلطَنَةٍ وامارةٍ وولايةٍ وما كان من ذلك على وجه الشرْع وما لم يكن ومَذاهِبِ اصحابِ الآرآء فى الاِمامةِ فليس هذا الكتابُ موضوعًا للبَحْثِ عنه وانما هو موضوعٌ للسياساتِ والآداب التى يُنْتَفَعُ بها فى الحوادث الواقِعَةِ والوقايع الحادثةِ وفى سياسةِ الرَعِيّةِ وتحصين المملكةِ وفى اصلاح الاخلاقِ والسِيرَةِ ✿ فاوّل ما يقالُ انّ المَلِكَ الفاضِلَ هو الذى اجتمعت فيه خِصالٌ وعدِمَتْ فيه خِصالٌ فامّا الخِصالُ التى يُسْتَحَبُّ اَنْ تُوجَدَ فيه فمنها العقل وهو اَصْلُها واَفْضَلُها وبه تُساسُ الدُوَلُ بل المِلَلُ وفى هذا الوَصْفِ كِفايَةٌ ومنها العدل وهو الذى تُسْتَغْزَرُ به الاموالُ وتُعْمَرُ به الأَعمالُ وتُسْتَصْلَحُ به الرِجالُ ولما فَتَحَ السلطانُ هُولاكُو بغدادَ فى سنةِ سِتٍّ وخمسينَ وسِتّمِيةٍ اَمَرَ اَنْ يُسْتَفْتَى العلماءُ اَيُّمَا اَفْضَلُ السلطانُ الكافِرُ العادِلُ او السلطانُ المُسْلِمُ الجايِرُ ثم جَمَعَ

العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب وكان رضيّ الدين على بن طاووس حاضرًا هذا المجلس وكان مقدمًا محترمًا فلما راى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر فوضع الناس خطوطهم بعده، ومنها العلم وهو ثمرة العقل وبه يستبصر الملك فيما ياتيه ويذره ويأمن الزلل فى قضاياه واحكامه وبه يتزيّن الملك فى عيون العامة والخاصة ويصير به معدودًا فى خواصّ الملوك، قال بعض الحكماء الملك اذا كان خلوًا من العلم كان كالفيل الهائج لا يمرّ بشىء الا خبطه ليس له زاجرٌ من عقل ولا رادعٌ من علم " واعلم انه ليس المراد بالعلم فى الملوك هو تصوّر المسائل المشكلة والتبحّر فى غوامض العلوم والاغراق فى طلبها، قال معوية ما اقبح بالملك ان يبالغ فى تحصيل علم من العلوم، وانما المراد من العلم فى الملك هو أنْ لا يكون له أنسٌ بها بحيث يمكنه أنْ يفاوض اربابها فيها مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر ولا ضرورة فى ذلك الى التدقيق، كان مؤيد الدين محمد بن العلقمى وزير المستعصم وهو آخر وزراء الدولة العباسية يفاوض كلّ من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب

مُحَصِّلٍ ولم يكن له بالعلوم مَلَكَةٌ ولا كان مُرتاضًا بها رِياضةً طايلةً ، وكان بدرُ الدين لُولُو صاحِبُ المَوْصِلِ لكَثْرةِ مُجالَسَةِ الافاضلِ وخَوْضِهِ فى الأَشْعَار والحكاياتِ يَسْتَنْبِطُ المعانِى الحسنةَ ويَتَنَبَّهُ على النُكَتِ اللَطِيفَة مع انه كان اُمّيًّا لا يَكْتُبُ ولا يَقْرأ ، وكان عِزُّ الدينِ عَبْدُ العزيزِ بن جَعْفَرٍ النيسابوريُّ رَحِمَهُ اللهُ لمجالَسَةِ اهلِ الفَضْلِ ولكَثْرةِ مُعاشَرتِهم له صار يَتَنَبَّهُ على مَعانٍ حسَنَةٍ ويَحُلُّ الأَلْغازَ المُشْكِلَةَ اسْرَعَ مِنهم ولم يَكُنْ لَهُ حَظٌّ مِن عِلْمٍ وما كان يظْهرُ للناسِ الا انه رجُلٌ فاضِلٌ وخَفِىَ ذلك حتى عَلَى الصاحبِ عَلاء الدين فإنَّ ابنَ الكَبُوشِ الشاعِرَ البصْرِىَّ عَمِلَ بيتَيْنِ فى الصاحب ونَسَبَهما الى عَبْدِ العزيز وهُمَا الوافر

عَطَا مَلِكٍ عَطاؤُكَ مِلْكَ مِصْرٍ وبَعْضُ عَبيدِ دَوْلَتِكَ العزيزُ
تُجازِى كُلَّ ذِى ذَنْبٍ بعَفْوٍ ومِثْلُكَ مَن يُجَازِى او يُجِيزُ

فانشَدَهما عَبْدُ العزيز بحَضْرةِ الصاحِبِ وادَّعَاهُمَا وخَفِىَ الأَمْرُ على الصاحب وما أَدْرِى مِن أَيِّهِما أَعْجَبُ أَمِنَ الصاحِبِ كيف خَفِىَ عنه حالُ عبدِ العزيز معَ انه السنينَ الطويلةَ يُعاشِرُهُ فى سفَرٍ وحَضَرٍ وجِدٍّ وهَزْلٍ او مِنْ عبد العزيز كيف رضىَ لنفسه هذه الرذيلةَ وأَقْدَمَ على مثلِ هذا مع الصاحِبِ وما خافَ من

تنبّه الصاحبِ واسترذالـه لفعله، وتختلف علومُ الملوكِ باختلاف ارايهم فأمّا ملوكُ الفُرْسِ فكانت علومُهم حِكَمًا ووصايًا وادابًا وتواريخ وهَنْدَسَةً وما أَشْبَهَ ذلك وأمّا علومُ ملوكِ الاسلام فكانت علومَ اللسانِ كالنَحْوِ واللُغةِ والشِعْرِ والتواريخ حتى انّ اللحْنَ كان عندهم من أَفْحَشِ عيوب المُلك وكانت منزلةُ الانسانِ تَعْلو عندهم بالحكايَةِ الواحِدة وبالبيت الواحِدِ من الشعرِ بل باللَفْظة الواحدَة من اللُغَة وأمّا في الدولة المغوليّة فرُفِضَتْ تلك العلومُ كلها ونفقت فيها علومٌ أُخَرُ وهي علمُ السياقةِ والحِساب لضَبْطِ المملكة وحَصْرِ الدَخْلِ والخَرْج والطِبّ لحفظ الابدانِ والأمْزِجة والنُجُومِ لاختيارِ الأوْقاتِ وما عَدَا ذلك من العُلُومِ والآدابِ فكاسِدٌ عندهم وما رايتُه نافقًا الّا بالمَوْصِلِ في ايام مَلِكِها المُشارِ اليه مَدَّ اللهُ ظِلّهُ ونَشَرَ فَضْلَهُ ومنها الخوف من اللهِ تعالى وهذه الخَصْلَةُ هي أَصْلُ كلِ خَيْرٍ ومِفْتاحُ كلِ بَرَكةٍ فانّ المِلكَ متى خافَ اللـهَ أَمِنَـهُ عِبادُ اللـه، رُوِيَ انّ عَلِيًّا اميرَ المومنين عم استَدْعى بصَوْتِه بعْضَ عَبيده فلم يُجِبْهُ فدَعاه مِرارًا فلم يُجِبْهُ فدخَلَ عليه رجلٌ وقال يا أَميرَ المومنين انه بالباب واقِفٌ وهو يَسْمَعُ صَوْتَكَ ولا يكلّمك فلما حَضَرَ العَبْدُ

عِنْدَهُ قال أمَا سَمِعْتَ صَوْتِي قال بلى قال فما منعك من اجابتي قال أمِنْتُ عُقُوبَتَكَ قال عمر الحمدُ لله الذى جَعَلَني مِمَّن يَأْمَنُهُ خَلْقُهُ، وما احْسَنَ قَوْلَ ابى نُوَّاسٍ لهرونَ الرَّشيدِ الكامل

قد كُنْتُ خِفْتُكَ ثم آمَنَني مِن أنْ اخافَكَ خَوْفُكَ اللَّهَ

ولم يكن الرشيدُ يَخافُ اللهَ وأفْعالُهُ بأعيان آلِ عليٍّ عمر وهم اولادُ بنتِ نَبيّهِ بغَيْرِ جُرْمٍ يَدُلُّ على عَدَمِ خوفه من الله تعالى ولكنَّ ابا نوَّاسٍ جَرَى فى قوله على عادة الشعراء ومنها العفو عن الذنوب وحُسْنُ الصَفْحِ عن الهفواتِ وهذه اكْبَرُ خصالِ الخَيْرِ وبها تُسْتمالُ القلوبُ وتَصْلُحُ النيّاتُ فمما جاء فى التنزيل من الحَثّ على ذلك قوله تعالى شانُهُ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا الاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لكم، وكان المامونُ حليمًا حسَنَ الصفح معروفا بذلك هجاه دِعْبِلٌ الشاعِرُ باشعارٍ كثيرة من جُمْلَتِها الكامل

إنِّي مِن القومِ الذين سيوفُهُمْ
قَتَلَتْ اباكَ وشَرَّفَتْكَ بمَقْعَدِ
شادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمُولِهِ
واستنقذوك من الحضيض الأوْهَدِ

فلما بلَغَهُ هذا القول لم يَزِدْ عَلَى ان قال قاتَلَهُ اللهُ ما أشَدَّ

بُهتانهُ متى كنتُ خاملاً وفى حَجْرِ الخلافة نَشأتُ وبدَرّها أُرْضِعتُ ولما بَلَغهُ انّ دعبِلاً قد هجاهُ قال مَنْ أَقْدَمَ على هجاء وزيرى ابى عبّادٍ كيف لا يُقدِمُ على هجاى وهذا الكلامُ ظاهِرُه غيرُ مستقيمٍ وهو يحتاجُ الى تاويلٍ فانّهُ عكسُ المعهودِ قد كانَ ينبغِى ان يَقولَ الوزيرُ مَن اَقْدَمَ على هجاء الخليفة كيف لا يُقدِمُ على هِجاى ومَعْنَى قول المامونِ أنّ من اَقْدَمَ على هجاء ابى عبّادٍ مَعَ حِدّتهِ وهَوجهِ وتسرُّعهِ وكان ابو عبّادٍ كذلك كيف لا يُقدِمُ علىّ فى حِلْمِى وصَفْحِى ولولا خَوْفُ الإطالةِ لَذَكَرْتُ جماعَةً مِن حُلماء الملوك فى هذا المَوْضِعِ ولكنْ لَيْسَ هذا الفصْلُ موضوعًا للسَمَرِ وسيَرِدُ مِن ذلك ما يُمْتِعُ إن شا اللهُ فى الفصلِ الثانى ومنهم مَن كان يَرى ان الحِقد خَصْلَةٌ محمودةٌ فى الملك قال بُزُرْ جُمهُورٍ يَجِبُ أن يَكونَ الملكُ أَحْقَدَ من جَمَلٍ وانا اُناقِشُهُ فى هذا القَوْلِ فاقول كيف يقالُ كذلك والملك متى كانَ حَقُودًا فَسَدَتْ نيّتُه لِرَعِيّتِهِ فَمَقَتْهُمْ وقلّ الالتفاتَ اليهم والشفقَةَ عليهم ومتى اَحَسُّوا بذلك تَغيّرتْ نِيّاتُهم له وفَسَدَتْ بَواطِنُهم وهل يتمكّنُ الملكُ مما يريده من مُهِمّاتِ مملكتهِ وبلوغ أَغراضه كما فى نفسه الاّ بصَفاء قلوب رَعِيّتهِ وأىُّ حِكْمَةٍ فى ذلك وهل فيه سِوَى تَنْغِيصِ

عيش الملكِ وتبغيض رعيّتهِ اليه وايحاشِهم منه قال شاعر العَرَبِ الطويل

ولا أَحمِلُ الحِقْدَ القديمَ عليهمِ
وليس رييسُ القومِ من يَحْمِلُ الحِقْدَا

خصوصا والناسُ مُرَكَّبُون على الخَطَأِ مَجْبُولُونَ على تشميمِ الطِباعِ فما اكثَرَ ما تَصْدُرُ منهم مُوجِباتُ الحِقْدِ فلا يَزالُ الملكُ طُولَ دَهْرِه يُعانِي من الغَيْظِ والحِقْدِ عليهم ما يُنَغِّصُ عليه لَذَّتَهُ ويَشْغَلهُ عن كثيرٍ مِن مَهَامِّ مملكتهِ وما اكثَرَ ما رايْنا الرَعِيَّةَ والجُنْدَ قد وَثَبُوا على مُلوكهِم فسَلَبُوهم رِداءَ المملكةِ بل رداءَ الحياة فابْتَدِئْ من عُمَرَ بنِ الخَطّاب وقد وثَبَ عليه ابو لُؤْلُؤَةَ عبدُ المُغيرَة بنِ شُعْبَةَ فقَتَلَهُ ، ثمّ ثَنِّ بعُثمانَ بنِ عَفّانَ رَضِيَ الله عنه وانظُرْ كيف اجتمَعَ عليه رعيّتُهُ من كل جانبٍ فحاصَرُوهُ في دارِه اياماً ثم دَخلُوا عليه فقتلوه والمُصْحَفُ في حَجْرِه حتى قَطَرَتْ قَطَراتٌ مِن دَمه على المُصْحَفِ ، ثمّ ثَلِّثْ بعليِّ بن ابي طالب عمّ وقد ضَرَبَهُ عَبْدُ الرحمنِ بن مُلْجَم لَعَنَهُ اللهُ بسَيْفِهِ على أُمِّ راسِهِ بالكوفةِ فقَتَلَهُ وكان ابنُ مُلْجَمٍ مِنَ الخوارِجِ ، هذا في الصَدْرِ الأَوَّلِ والناسُ ناسٌ والدِينُ دينٌ ثم تَنَقَّلْ دولةً وايّامًا فايامًا الى اواسط دَوْلَةِ بني العبّاسِ

فانظرْ منذ عَهْدِ المتوكل الى عهد المُقْتَفِى ما جَرَى على واحدٍ من الخلفاء مِنَ القَتْلِ والخَلْعِ والنَهْبِ بسَبَبِ تَغَيُّرِ نيّاتِ جُنْدِه ورَعِيَّتِهِ فهذا سُمِّلَ وذاك قُتِلَ والآخر عُزِلَ ثم اشْرَحْ طَرْفَكَ فى الدولتَيْنِ البُوَيهِيَّةِ والسلجوقيّةِ تَرَ مِن هذا البابِ تَجَبًّا ثم ارْجِعِ البَصَرَ الى أُونك خان ملك الترك كيف لما تنكّرت نيّتُه على جنكز خان وحَقَدَ عليه اشياء عَرَضَها عليه عنده حُسّادُه واراد الوقيعة به وَاَعْلَمَهُ بذلك الصِبْيان رَحَلَ مِن ليلتِهِ ثم حَشَدَ وجمع ووَثَبَ على اونك خان فقَتَلَه ومَلَكَ ممالكَهُ فتعلمُ انّ الحِقْدَ من اَضَرّ الاشياء للملك وانّ اوفق الاشياء له الصَفْحُ والعَفْوُ والغُفْرانُ والتَناسِى وما احسن قولَ القائِلِ المنسرح

اِقْبَلْ من الناسِ ما تَيَسَّرْ وَدَعْ من الناس ما تَعَسَّرْ
فانما الناسُ من زُجاجٍ ان لم تُرَفِّقْ به تَكَسَّرْ

وهذا قَوْلٌ لا يُعرَّجُ عليه وان عَرّجَ عليه اَحَدٌ فَلْيُعَرِّجْ عليه غيرُ المَلِكِ فانّ المَلِكَ اَحْوَجُ الخَلْقِ الى استِصْلاحِ النيّاتِ واستِصْفاء القلوبِ ومن الخِصالِ التى يُسْتَحَبُّ اَنْ تكُونَ فى المَلِكِ الكرمُ وهو الأَصْلُ فى استمالةِ القلوب وتحصيلِ النصائح من العالَمِ واستخدامِ الأَشْرافِ قال الشاعر المتقارب

اذا مَلِكٌ لم يكُنْ ذا هِبَةٌ فدَعْهُ فدولتُهُ ذاهِبَهْ

وممّا جاء فى الحديث النبوى صَلَوَاتُ اللهِ على صاحِبِه تَجاوَزُوا عن ذَنْبِ السَّخِيِّ فانّ اللهَ آخِذٌ بيدِه كلما عَثَر وفاتِحٌ عليه كلما افتَقَرَ وقال علىٌّ عَم الجُودُ حارِسُ الاعراضِ وَٱعْلَمْ انه لم يتضمّنْ سيرَةٌ من حكايات الجُودِ مِثْلَ ما نُقِلَ عن قان العادِل وهو أُوكتاى بن جَنْكِزخان فانه غَبَّرَ فى وُجُوه جميع كِرامِ الملوك الرجز

مَناقِبٌ تَسْقُتُ ما رَقَمْتُمْ مِن جُودِ كَعْبٍ وسَماحِ حاتِمِ

ومن الاتّفاقات الحسَنَة وُجُودُهُ فى عَصْرِ المستَنْصِرِ بالله وكان المستَنْصِرُ أَكْرَمَ مِن الرِيحِ ولَكِنْ أَيْنَ يَقَعُ جُودُهُ مِن جُودِ قان ومِن أَيْنِ للمُسْتَنْصِرِ مالٌ يَفِى بعطايا قان ومنها الهيبَة وبها يُحْفَظُ نِظامُ المملكةِ ويُحْرَسُ مِن أَطْماعِ الرَعِيَّةِ وقد كانَ الملوك يُبالِغونَ فى اقامَةِ الهَيْبَةِ والنَامُوسِ بارتباطِ الأُسُودِ والفِيَلَةِ والنُمُورِ وبضَرْبِ البُوقاتِ الكِبارِ كبُوقِ النَفِيرِ والدَبادِبِ والقِصَعِ لاِثْباتِ الهَيْبَةِ فى صدورِ الرعيّةِ ولاقامة نامُوسِ المملكةِ كان عضُدُ الدولةِ اذا جَلَسَ على سريرِه أُحْضِرَت الاسودُ والفَيْلَةُ والنمورُ فى السَلاسِلِ وجُعِلَت فى حَواشِى مجلسه تهويلًا بذلك على الناسِ وترويعًا لَهُمْ ومنها السِياسَةُ وهى راس مالِ

الملك وعليها التعويل فى حَقْنِ الدماء وحفْظ الاموالِ وتحصين الفُروج ومَنْعِ الشرور وَقْمعِ الذُعّارِ والمُفْسِدِينَ والمَنْعِ من التَظالمِ المُؤَدّى الى الفتْنَةِ والاضطرابِ ومنها الوفاء بالعهد قال تعالى سُلطانُه وأَوْفُوا بالعهدِ ان العهدَ كانَ مسؤولاً. وهو الاصل فى تسكين القلوبِ وطُمأْنينَةِ النفوسِ ووُثوقِ الرعيّةِ بالملِكِ اذا طلَبَ الامانَ منه خايفٌ أَوْ اراد المعاهَدةَ منه مُعاهِدٌ ومنها الاطّلاع على غَوامِضِ احوالِ المملكةِ ودقايقِ امور الرعيّةِ ومُجازاةُ المُحسِنِ على اِحْسانهِ والمُسِيءِ على اِساءته ✿ كان اَرْدَشيرُ الملِكُ يقول لمن شآء من اَشرافِ رعيّتهِ وأَوْضاعِهِمْ كانَ البارحةَ من حالِكَ كَيْتَ وكَيْتَ حتى صار يقالُ اِنّ اردشيرَ ياتِيهِ مَلَكٌ من السماء يُخْبِرُه بالامورِ وما ذاك اِلاَّ لِتَيَقُّظِه وتَصَفُّحِهِ ✿ فهذهِ عَشْرُ خِصالٍ من خصال الخَيْرِ مَنْ كُنَّ فيه استَحَقَّ الرياسةَ الكبْرَى ولو نظَرَ اصحابُ الارآء والمذاهبِ حَقَّ النَظَرِ وتركوا الهَوَى لكانت هذه الشَرايطُ هِيَ المعتبَرة فى استحقاقِ الامامةِ مع الاصلَيْنِ المعتبرَيْنِ فى ذلك وهُمَا الاسلام والعَرَشِيّة واَمّا من وقع النصّ عليه فخارج عن هذا الحالِ وما عَدَاها فغيرُ طايلٍ وقال بُزُرْجُمِهْرِ ينبغى ان يكونَ الملِكُ كالأَرْضِ فى كِتْمانِ سِرّهِ وصَبْرِهِ وكالنار على اهلِ الفسادِ

وكالمـاء فى لينهِ لمَنْ لايَنَهُ وينبغى ان يكون أسْمَعَ مِن فَرَسٍ وابْصَرَ من عُقابٍ وأهْدَى من قَطاةٍ وأشَدَّ حَذَرًا من غُرابٍ واعظَمَ اقداماً من الأسَدِ وأقْوَى وأسْرَعَ وُثوبًا من الفَهْدِ وينبغى للملِكِ ان لا يستَبِدَّ برايهِ وأن يُشاوِرَ فى المُلِمّاتِ خواصَّ الناسِ وعُقلاءهم ومن يَتَفَرَّسُ فيه الذَكاءَ والعَقْلَ وجَوْدَةَ الراىِ وصِحَّةَ التمييزِ ومعرفةَ الامورِ ولا ينبغى ان يَمْنَعَهُ عِزَّةُ المُلْكِ مِن ايناسِ المستشارِ وبَسْطِهِ واستمالةِ قَلْبِهِ حتى يَمْحَضَهُ النصيحةَ فانَّ أحَدًا لا يَنْصَحُ إلّا بالقَسْرِ ولا يُعْطِى نصيحتَهُ الا بالرَغْبةِ وما احْسَنَ قول الشاعر فى هذا المعنى الطويل

أُهانُ وأُقْصَى ثم يَسْتَنْصِحُونَنى
ومَنْ ذا الذى يُعْطِى نصيحتَهُ قَسْرًا

قال الله تعالى "وشاوِرْهم فى الأمْرِ" وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُشاوِرُ اصحابَهُ دايماً لما كانت وَقْعةُ بَدْرٍ خرج عليه السَلَمُ من المدينة فى جماعةِ المسلمين فلما وصلوا بَدْرًا نزلوا على غَيْرِ ماءٍ فقام اليه رَجُلٌ من اصحابه وقال يا رسولَ اللهِ نُزولُكَ هاهنا شىءٌ أمَرَكَ اللهُ به او هو من عندِ نَفْسِكَ قال بل هو من عندِ نَفْسى قال يا رسولَ اللهِ انَّ الصوابَ أنْ تَرْحَلَ وتَنْزِلَ على الماء فيكونُ الماءُ عندَنا فلا نَخافُ العَطَشَ واذا جاء

المُشْرِكُونَ لا يَجِدُونَ ماء فيكُونُ ذلك مُعينًا لنا عَلَيْهِم فقال رسولُ اللهِ صَدَقْتَ ثم امرَ بالرحيلِ ونزَلَ على الماء واختلَفَ المتكلّمون فى كَوْنِ الله تعالى امرَ رسولَهُ بالاستشارةِ مع انه أيَّدَه ووَفَّقَهُ وفى ذلك اربَعَةُ وُجُوهٍ أَحَدُها انه تعالى امرَهُ بمُشاوَرةِ الصَّحابَةِ استمالةً لقلوبهم وتطييبًا لنفوسِهم الثانى انه أُمِرَ بمُشاورتهم فى الحرب ليستَقِرَّ له الراىُ الصحيح فيَعْمَلُ عليه الثالث انه أُمِرَ بمشاورتهم لِمَا فيها مِن النَفْعِ والمَصْلَحَةِ الرابع انه انما أُمِرَ بمشاورتهم ليَقْتَدِىَ به الناسُ وهذا عندى أَحْسَنُ الوجوهِ وأَصْلَحُها قالوا الخَطَأُ مع المَشُورَةِ اصْلَحُ مِن الصَّوَابِ مع الانفرادِ والاستبدادِ وقال صاحِبُ كليلة ودِمْنَة لا بُدَّ للملِكِ مِن مستشارٍ مَأْمونٍ يُفْضِى اليه بِسِرِّه ويُعاوِنُهُ على رايهِ فانّ المستشيرَ وان كانَ افضَلَ من المستشار واكمَلَ عقلًا واصحَّ رايًا فقد يزْدادُ براىِ المُشيرِ رايًا كما تزدادُ النارُ بالدُهْنِ ضَوْءًا ونُورًا

الطويل

اذا أَعْوَزَ الراىُ المشورَةَ فاسْتَشِرْ براىِ نصيحٍ او مَشُورَةِ حازِمِ

واعلم انّ للملِكِ امورًا تَخُصُّهُ يتميّزُ بها عن السُوقَةِ فمنها انه اذا احَبَّ شيًا احَبَّهُ الناسُ واذا أَبْغَضَ شيا ابغضَهُ الناسُ واذا لَهِجَ بشىء لهِجَ به الناسُ امّا طَبْعًا او تطبُّعا ليتقربوا بذلك الى

قلبه ولذلك قيل الناسُ على دين ملوكهم فانْظُرْ كيف كان زِىُّ الناس فى زمن الخلفاء فلما ملكتْ هذه الدولة أسْبغَ اللهُ إحْسانَها وأعْلَى شانَها غيّرَ الناسُ زِيّهم فى جميع الاشياء ودخلوا فى زِىّ ملوكهم بالنُطْق واللباس والآلات والرُسوم والآداب من غير ان يُكلّفوهم ذلك او يامُروهم به او يَنْهَوْهم عنه ولكنهم علموا ان زِيّهم الاوّل مستهجَنٌ فى نَظَرِهم مُنافٍ لاختيارهم فتقرّبوا اليهم بزيهم وما زال الملوكُ فى كل زمانٍ يَخْتارون زِيًّا وفنًّا فيميل الناسُ عليه ويَلْهَجون به وهذا من خواصّ الدولة وأسْرارِ المُلْك ومن خواص الملِك انّ مُحبّتَه تُورِث التِيهَ والكِبْرَ وتُقوِى القلبَ وتُكبّرُ النفسَ وليست مُحْبةُ غيْرِ الملِك تفعل ذلك ومن خواصه انه اذا أعْرَضَ عن انسانٍ وَجَدَ ذلك الانسانُ فى نفسه ضَعْفًا وإن لم يَنَلْه بمكْروهٍ واذا اقْبَلَ على انسان وَجَدَ ذلك الانسانُ فى نفسه قوّةً وإنْ لم يُصِبْه منه خيرٌ بل مجرّدُ الاعْراضِ والاقْبالِ يفعل ذلك وليس أحدٌ من الناس بهذه المنزلة غيرُ السلطان ۞ واما الخصال التى يستحب ان تكون معدومة فيه فقد ذكرها ابن المُقفّع فى كلامٍ له قال ليس للملك ان يَغْضَبَ لان القُدْرةَ من وراء حاجته وليس له ان يَكْذِبَ لانه لا يَقْدِرُ احدٌ على إلْزامه بغيرِ ما يريدُ وليس

لـه أن يَبْخُلَ لانه اقلُّ الناس عُذْرًا فى خوف الفَقْرِ وليس له ان يكون حَقودًا لانّ قَدْرَه قد عَظُمَ عن المجازاة لاَحَدٍ على اساءة صدَرَتْ منه وليس له ان يَحْلِفَ اذا حَدَّثَ لانّ الذى يَحْمِـلُ الانسـانَ على اليمينِ فى حديثه خِلالٌ إمّا مَهـانـةٌ يَجِدُهـا فى نفسه واحتياجٌ الى ان يُصدِّقَه الناسُ وإمّا عِيٌّ وحَصَرٌ وعَجْزٌ عن الكلام فيريدُ ان يجعلَ اليمينَ تَتِمّةً لكلامه او حَشْوًا فيه واما ان يكونَ قد عرف انه مشهورٌ عند الناس بالكَذِبِ فهو يجعـلُ نـفسَه بمنزلةِ مَن لا يصدَّقُ ولا يُقْبَلُ قولُه إلا باليمين وحينئذٍ كلمـا ازدادَ أَيْمانًا ازدادَ الناسُ له تكذيبًا والمِلكُ بِمَعْزِلٍ عن هذه الدَنايا كلِّها وقَدْرُه اَكْبَرُ من ذلك" ومن الخصالِ التى يُسْتَحَبُّ ان تـكونَ معدومةً فى الملِكِ الحِدّة فانها رُبَّما أَصْدَرَتْ عنه فِعْلًا يَنْدَمُ عليـه حِينَ لا يَنْفَعُ النَدَمُ وأَكْثَرُ مـا ترى الحِداد من الرجال سريعِى الرجوع ولذلك قال عمر لا خَيْرُ أُمَّتِى حِدادُهـا ومن الخصال التى يستحب عَدَمُها فى الملك الضجر والسأم والملل فذلك من أضرِّ الامور وأَفْسَدِهـا لحاله ۞ وٱعْلَمْ انّ للمِلِكِ على رعيته حُقوقـا وانّ لهم عليه حقوقـا فامّـا الحقوق التى يجب للملك على رعيتهِ فمنها الطاعة وهى الأَصْلُ الذى يَنْتَظِمُ به صَلاحُ الجُمْهُور ويتمكّنُ به المَلِكُ من الانْصافِ الضعيف من القَوِىّ والقِسْمة بالحق

وممّا جاء فى التنزيلِ من الحثّ على ذلك وهى الآيةُ المشهورةُ فى هذا المعنى قوله تعالى يايُّها الذين آمنوا أَطيعُوا اللهَ واطيعوا الرسولَ وأُولى الامرِ منكم ومن امثالِهم لا اِمْرَةَ لمن لا يُطاع ولم يُنْقَلْ فى تاريخٍ و لا تَضَمَّنَتْ سِيرَةٌ من السِيَرِ ان دولةً من الدوَلِ رُزِقَتْ من طاعةِ جُنْدِها ورعاياها ما رُزِقَتْهُ هذه الدولةُ القاهِرةُ المغوليةُ فانّ طاعةَ جُنْدِها ورعاياها لها طاعةٌ لم تُرْزَقْها دولَةٌ من الدولِ فاما الدولةُ الكسرويةُ فانها على عِظَمِها وفَخامَتِها لم تَبْلُغْ ذلك وقد كان النُعْمَنُ بن المُنْذِرِ ملكُ الحِيرَةِ نايبًا لِكِسْرَى على العَرَبِ وبين الحِيرة والمداين التى كانَتْ سريرَ ملكِ الاكاسِرةِ فَراسخُ معدودةٌ والنعمانُ فى كل ايّامِ قد عَصَا على كِسْرَى واذا حَضَرَ مَجْلِسَهُ تَبَسَّطَ وتَجَرَّأَ على مُجاوَبَتِهِ وكان متى ارادَ خَلْعَ طاعتِهِ دخَلَ البَرِيَّةَ فـأَمِنَ شرّهُ واما الدول الاسلامية فلا نِسْبَةَ لها الى هذه الدولة حتى تُذْكَر معها فـأمّا خِلافةُ الاربعَةِ الأُوَلِ وهم ابو بكرٍ الصِدّيقُ وعُمَرُ بن الخَطّابِ وعثمان بنُ عَفّانَ رضى الله عنهم وعلىّ بن ابى طالبٍ عم فانها كانت أَشْبَهَ بالرُتَبِ الدِينيَّة من الرُتَبِ الدُنْيَويّة فى جميع الأَشياء كان احَدُهم يَلْبَسُ الثوْبَ مِن الكِرْباسِ الغَليظِ وفى رِجْلِهِ نَعْلانِ مِن لِيفٍ وحَمايِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ ويَمْشِى فى الاسواقِ كبَعْضِ الرعيةِ واذا كَلَّمَ أَدْنَى الرعيةِ

اَسْمَعَهُ اَغْلَظَ مِن كلامِهِ وكانوا يَعُدُّونَ هذا من الدِينِ الذى بُعِثَ به النبىّ صلواتُ الله عليه وسلامُهُ ۞ قيل ان عُمَرَ بنَ الخطّابِ جاءَتْهُ بُرُودٌ من اليَمَنِ ففَرَّقَهَا على المُسْلِمِينَ فحَصَلَ نَصِيبُ كُلِّ رَجُلٍ من المسلمين بُرْدٌ واحِدٌ ثُمَّ حصل نصيبُ عُمَرَ كنصيبِ واحِدٍ من المسلمين قيلَ ففَصَّلَهُ عمرُ ثم لَبِسَهُ وصَعِدَ المِنْبَرَ فامرَ الناسَ بالجهادِ فقام اليه رَجُلٌ من المسلمين وقال لا سَمْعًا ولا طاعَةً قال لِمَ ذلك قال لانك استَأْثَرْتَ عَلَيْنا قال عمرُ باىِّ شىء استاثرتُ قال اِنَّ الابرادَ اليَمْنِيَّةَ لمّا فرّقْتَها حَصَلَ لكُلِّ واحِدٍ من المسلمينَ بُرْدٌ منها وكذلك حصل لك والبُرْدُ الواحدُ لا يَكْفيك ثوبًا وقد اراك قد فَصَّلْتَهُ قَميصًا تامًّا وانْتَ رجلٌ طويلٌ فلو لم تَكُنْ قد اَخَذْتَ اكثَرَ منه لَمَا جاءك منه قميصٌ فالتفت عُمَرُ الى ابنهِ عبد اللهِ وقال يا عبدَ اللهِ اَجِبْهُ عن كلامه فقامَ عبدُ الله بن عمرَ وقال اِنَّ امير المومنين عُمَرَ لما اَرادَ تَفْصيلَ بُرْدِه لم تَكْفِه فناوَلْتُهُ من بُرْدى ما تَمَّمَهُ به فقال الرَجُلُ اَمّا الآنَ فالسمعُ والطاعَةُ وهذه السِيَرُ لَيْسَت مِن طَرْزِ ملوكِ الدُنْيا وَهِىَ بالنُبوات والاُمورِ الاُخْرَوِيَّةِ اَشْبَهُ وامّا خلافة بنى امية فكانت قد عَظُمَتْ وتَفَخَّمَ اَمْرُهَا وعَرُضَتْ مَمْلَكَتُها ولكن طاعتُهُم لم تَكُن كطاعةِ هاولاء كان بنو اُمَيَّةَ فى الشامِ وكانَ بَنُو هاشِمٍ بالمدينة لا يَلْتَفِتُونَ اليهم واذا دخَلَ

الرجُل الهاشِمِىُّ على الخليفة مِن بنى أُمَيَّةَ اسْمَعَهُ غَليظَ الكلامِ وقال له كلَّ قَوْلٍ، واما الدولة العباسية فلم تَبْلُغْ طاعةُ الناسِ لها ما بَلَغَتْ هذه الدولةُ مع أَنَّ مُدَّتَها طالت حتى تجَاوَزَتْ خمس مِيةِ سنةٍ ومملكتُها عَرُضَتْ حتى ان بَعْضَهم جَبَى مُعْظَمَ الدنيا وستَقَعُ الاشارةُ الى ذلك عند الكلامِ على دولةِ بنى العبّاسِ وحاصِلُ الدنيا فى ايام الرشيد فى حَسْبَةٍ جامعةٍ تَشْتَمِلُ عليها كتبُ التواريخ يَدُلُّ على ذلك فاما اوايلُهُم فجَبَوا شَطْرًا صالحًا من الدنيا وقويَتْ شوكَتُهم كالمنصورِ والمَهْدِىّ والرشيدِ والمامونِ والمُعْتَصِمِ والمعتضِدِ والمتوكِّلِ ومع ذلك فلم تكن دولتُهم تخلو من ضَعْفٍ ووَهْنٍ من عدّة جهاتٍ منها امتناعُ الرُومِ عليهم وقِيامُ الحَرْبِ بينهم وبين ملوكها النصارَى فى كل سَنَةٍ على ساقٍ ومع ذلك فكانت جِبايتُها تستَصْعبُ عليهم وملوكها لا يزالون على الامتناع مِنهم وقد كان من أَمْرِ المُعْتَصِمِ وعَمُّورِيَّةَ ما بَلَغَكَ ولَعَلَّ طَرَفًا منه يَبْلُغُكَ فى هذا الكتابِ عند الكلام فى الدولة العباسية ومن اسبابِ الوهن الواقعِ فى دولتهم خروج الخوارج فى كل وقتٍ، فاما المنصور فلم يَشْرَبْ رِيقًا حُلْوًا مِن ذلك خَرَجَ عليه النَفْسُ الزكيَّةُ محمدُ بن عبد الله ابن حسنِ بن الحسن بن علىّ بن ابى طالب عليهم السَلَمُ بالحجاز فجَرَتْ بينه وبينه حروبٌ أَفْضَت الى اِرْسالِ عيسَى بنِ موسَى

ابن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس الى الحجازِ لمحاربة النفسِ الزكيةِ فقتَلَهُ بموضعٍ قريبٍ مِن المدينة يقال له احْجارُ الزيْتِ وذلك فى سنة كذا ولذلك سمّى النفس الزكيّة قتيلَ احجار الزيْتِ وخَرَجَ عليه اخو النَفْسِ الزكيةِ وهو ابرهيمُ بنُ عبد اللهِ بالبَصْرة فقلقَ المنصورُ لذلك غايةَ القَلَقِ وقامَ وقعَدَ حتى توجّهَ اليه عيسَى بنُ مُوسَى فقتَلَهُ بقَرْيَةٍ قريبَةٍ من الكوفة يقال لها بَاخَمْرِى فهو يعْرَفُ بقتيلِ بَاخَمْرِى رَحِمَهُ اللهُ ومن هاهُنَا حَقَدَ المنصور على العَلَوِيِّينَ وفعَلَ بهم تلك الافاعيلَ ولَعَلَّ طَرَفًا منها يَبْلُغُكَ فى هذا الكتاب اذا انْتَهَيْتُ الى الكلامِ على الدولةِ العباسيّة وكذلك جرى أَمْرُ الخوارج مع خليفةٍ خليفةٍ حتىكانَ الرعيّةُ لا يَنامون فى بيوتهم آمنين ولا يزالون يَتوقّعون الفتنَةَ والحرْبَ كما كان حالُ اهلِ قَزْوِينَ فى مُجاوَرة قِلاعِ الملاحِدَة حدثنى الملِكُ امام الدين يحيى بن الافْتِخَارِىّ رحمه اللهُ قال أذكرُ ونحن بقزوينَ اذا جاء الليلُ جعلنا جميعَ ما لنا من أَثاثٍ وقُماشٍ ورَحْلٍ فى سراديب لنا فى دورِنا غامضةٍ خَفِيَّةٍ ولا نَتْرُكُ على وجه الارض شيا خوفًا من كَبْساتِ الملاحِدَة فاذا اصَبَحْنا اخرجنا اَقْمِشَتَنَا فاذا جاء الليلُ فعلْنا كذلك ولاجلِ ذلك كَثُرَ حَمْلُ القَزاوِنَة للسَكاكِينِ وكَثُرَ حَمْلُهم للسِلاح وما زالَ الملاحِدَةُ على ذلك حتى كان

مِن امرِ شمس الدين قاضى قزوينَ وتَوجُّهِهِ الى قان واحضار العسكرِ وتخريبِ قِلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضعُ موضِعَ استيفاء الكلامِ فى هذا فانه اعْتَرَضَ وليس بمَقْصودٍ، وكما جَرَى للمُوَفَّقِ بنِ المتوكّل فى مُرابَطةِ الزِنْجِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنةً ما زال يُصابِرُهم من البَصْرَةِ وواسِطَ طُولَ هذه المُدّةِ حتى أَفْنَاهم وكان لطُولِ المدةِ قد ابْتَنَى الزِنْجُ هُناك مَدايِنَ وابْتَنَى الموفَّقُ ايضا هناك مَدايِنَ ثم خَرِبَتْ وآثارها الآنَ باقيةٌ، واما اواخِرهم اعنى اواخِرَ خلفاء بنى العبّاسِ فضَعفوا غايةَ الضَعْفِ حتى عصَت تَكْرِيتُ عليهم وفى ذلك يقولُ شاعِرُهم الكامل

فى العَسْكَرِ المَنْصُورِ نَحْنُ عصابَةٌ مِن دولةٍ أَخْسِسْ بنا مِن مَعْشَرِ
خُذْ عَقْلَنا مِن عَقْدِنا فيما تَرَى مِن خِسَّةٍ ورَقاعةٍ وتَهَوُّرِ
تكريتُ تُعْجِزُنا ونَحْنُ بعَقْلِنا نَمْضِى لِناخُذَ تِرْمِذًا مِن سَنْجَرِ

وكانوا أَعْنِى المتاخِّرِينَ من خلفاء بنى العباسِ قد اقتصَروا فى اخِرِ الاَمْرِ على مملكةِ العِراقِ فحَسْب حتى انَّ أَرْبِلَ لم تَكُنْ فى حُكمِهم وما زالت خارجةً عن حكمهم الى ان مات مُظَفَّرُ الدين بنُ زَيْنِ الدين علىّ كُوجك صاحب أَرْبِل وذلك فى ايام المُسْتنصِرِ فعيّنَ على اِقبالِ الشرابى وكان مقدَّمَ الجُيوشِ ليتوجّهَ الى اربل لفَتْحِها وجَهّزَه بالعساكر فتوجّهَ الشرابى اليها واقامَ عليها ايّامًا

مُحاصِرًا ثم فَتَحَها فضُرِبَت البشايرُ ببغداد يومَ وُصولِ الطاير بفَتْحِها فانْظُرْ الى دَوْلَةٍ تُضْرَبُ البشايرُ على ابواب صاحبِها و يُزَيَّنُ البَلَدُ لاَجْلِ فَتْحِ قَلْعَةِ اَرْبِلَ التى هِىَ اليومَ فى هذه الدولةِ من اَحْقَرِ الاَعْمالِ واَصْغَرِها واَهْوَنِها بلى قد كان ملوك الاطراف مثل ملوكِ الشامِ ومِصْرَ وصاحب المَوْصِل يَحْمِلُون اليهم فى كل سنة شيـًٔا على سبيل الهديّة و المُصانَعَة ويَطْلُبُون منهم تقليدًا بولايةِ بلادِهم بحيث يَتَسَلَّطُونَ بذلك على رعيّتِهم ويُوجِبُون عليهم طاعَتَهُم بذلِكَ السَبَبِ ولَعَلَّ الخلفاء قد كانوا يُعَوِّضُونَ مُلُوكَ الاَطْرافِ عن هَدَاياهُم بما يُناسِبُها او يفْضِلُ عنها كلُّ ذلك لحفظِ النامُوسِ الظاهر وليكونَ لهم فى البلادِ والاطرافِ السكّة و الخُطْبَة حتى صار يُضْرَبُ مَثَلاً لمَنْ له ظاهِرُ الامْرِ وليس له من باطنه شَىْءٌ ان يُقالَ قَنِعَ فلانٌ من الامْرِ الفلانى بالسكّةِ و الخُطْبَةِ يَعْنِى قنع منه بالاسْمِ دون الحقيقة فهذه جُمَلٌ من احوال الدولة العباسية، واما الدولتانِ البويهية والسلجوقية فلم تَعْرِضْ مملكتها مع قُوّة شَوْكَةِ مُلُوكِهِما كعَضُدِ الدولة فى بنى بُوَيْه وطُغْرُلْبَك فى بنى سلجوق ولم تعُمّ طاعتُهما ولم يَشْمُلْ مُلْكُهُما، واما الدولة الخوارزمشاهية مع اَنَّ جَرِيدَةَ السلطان جَلال الدينِ اشتملت على اَرْبَعِ مِيـَةِ اَلْفِ مُقاتِلٍ فلم يعْرِضْ مُلْكُها ايضا ولا تَجاوَزَت

النواحِىَ القريبةَ منهـا بلى جَلال الدين غزا أطْراف الهند ✿ ومن الحقوق الواجبة للملِك على الرعيّـة التعظيمُ والتحبيمُ لِشـانـه فى الباطن والظاهر وتعـويدُ النَفْسِ على ذلك وريـاضتُها به بحيث تَصيرُ مَمْلَكةً مستقرّةً وتربيةُ الاولادِ على ذلك وتاديبُهم به ليترَقّى هذا المعنى معهم" وهاهنا موضعُ حكايـةٍ وهى انّ سلطانَ هذا العَصْرِ ثبّتَ الله قواعدَ دولتـهِ وبَسَط فى الخافقَيْنِ ظِـلَّ مَعْدِلَتِـهِ لَمّـا وَرَدَ الى بغداد فى سنة ثمانٍ وتسعينَ وستّمئة دَخَل المستنصرِيّةَ لمُشاهَدتها والتفرُّج فيها وكان قَبْلَ وُرُودِه اليها قد زُيّنَت وجَلَسَ المدَرّسون على سُدَدِهم والفُـقهـاءُ بين أيْديهم وفى ايديهم اجزاءُ القران وهم يَقْرَوْن منها فاتّفَقَ أنّ الرِكابَ السلطانىّ بَدَأَ بـالاجْتياز على طايفـةِ الشافعيّةِ ومُدَرِّسهـا الشَيْخُ جمال الدينِ عبدُ اللـهِ بنُ العَاقُولِىّ وهو رَئِيسُ الشافعيّةِ ببغدادَ فلما نَظَرُوا اليـه قَامُوا قيامـًا فقـال لـلمُدَرِّس المذكور كيف جـاز أنْ تَقُومُوا لى وتَتْرُكُوا كلامَ اللهِ فـاجابَ المدرِّسُ بجوابٍ لم يَقَعْ بمَوْقِع الاستصْوابِ فى الحَضْرَة السلطانيـةِ أعْلَى اللهُ فى الدُنْيَا كلمتَها وفى الآخِرةِ درَجتَها ثم بعد ذلك حَكَى لى المـدرِّسُ المذكور صورةَ السُؤالِ والجوابِ فـامـّـا السوالُ فهو ما حَكَيْتُهُ وامـّـا جَوَابُـه فلم أضْبَطْهُ وقلتُ له قد كان يُمْكِنُ أن يقالَ فى جوابِ هذا السُؤالِ انّ تَرْكَنَـا

للمُصْحَف اذا كان فى أيْدِينا واشتغالُنا بغَيْرِه لم يحرم علينا فى شريعَتِنا ولا جُعِلَ علينا فى ذلك حَرَجٌ ثم انّ هذا المُصْحَفَ الذى قد تركناه وقُمْنَا بين يدى السلطانِ قد أُمِرْنا فيه بتعظيم سلاطِينِنَا، ومن الحقوق الواجبة للملك على رعيته النصيحةُ فمما جاء فى الحديث صلوات الله وسلامه على من نُسِبَ اليه قولُه عليه السلامُ الدِينُ النصيحةُ، قيل لِمَنْ يا رسولَ الله، قال لله ولرسوله ولجماعةِ المسلمين، ومنها تَرْكُ اغتياب المَلِكِ فى ظهر الغَيْبِ قال صعم لا تَسُبُّوا الوُلاةَ فانَّهُمْ ان أَحْسَنُوا كان لهم الأَجْرُ وعليكم الشُكْرُ وان اساءوا فعليهم الوِزْرُ وعليكم الصَبْرُ وانّما هم نِقْمَةٌ يَنْتَقِمُ الله بها ممن يَشاء فلا يستقبِلُوا نِقْمَةَ الله بالحَمِيَّةِ والغَضَبِ واستقبِلُوها بالاستكانةِ والتَضَرُّع ۞ واما الحقوق الواجبة للرعية على المَلِكِ فمنها حمايَةُ البَيْضَةِ وسَدُّ الثغورِ وتحصينُ الاطرافِ وأَمْنُ السوابلِ وقَمْعُ الدُعّارِ فهذه حقوقٌ تَلْزَمُ السلطانَ تَجْرِى مَجْرَى الفُرُوضِ الواجِبَةِ وبهذه الامورِ يجِبُ طاعَتُهُ على رعيتِهِ" وبِنَحْوٍ من هذا احتجَّ الخوارجُ على امير المومنين عليّ عم عَقِيبَ انقضاء حَرْبِ صِفّينَ قالوا له انتَ فَرَّطْتَ فى حِفْظِ هذا الثَغْرِ يَعْنِى ثَغْرَ الشامِ بتَحْكِيمكَ الحَكَمَيْنِ فانتَ مُخْطِئٌ مُفَرِّطٌ فلَيْسَ لك علينا طاعَةٌ فان اعترفْتَ بهذا الخَطأِ واستَغْفَرْتَ

رَجَعْنــا الى طاعتك وقاتلنـا معك العَدُوَّ فعرّفهم عليه السّلَمُ انـه غُلِبَ رايُـهُ فى قَضِيَّةِ التَحْكيمِ وانَّ التحكيمَ لم يَكُن مِن رايـهِ فـاَصَرُّوا على قولهم ولم يَقْبَلُوا ونابَذُوهُ وقاتَلُوهُ حتى كانت الوَقْعَةُ المشهورةُ بالنَهْرُوانِ ۞ ومن الحقوقِ الواجبةِ للرعية على الملكِ الرِفْقُ بهم والصَبْرُ على صادِراتِ هَفَوَاتِهم ' قـال صلواتُ اللهِ عليـه وسلامه ما كانَ الرِفْقُ فى شَىْءٍ اِلاَّ زانَـهُ ولا كانَ الخُرْقُ فى شىء اِلاَّ شانَهُ ' وقد رُوِىَ عنه صلواتُ الله عليـه مِن الرِفْـق اَشْيـاءُ لا تليقُ الا بمَنْصِبِ النُبُوَّةِ " كان صلاح الدين يوسفُ بنُ اَيّوبَ صـاحِبُ مِصْرَ والشام كثيرَ الرِفْقِ موصوفًا به دخل مرّةً الى الحمّامِ عقِيبَ مَرْضَةٍ طَوِيلَـةٍ اَضْعَفَتْهُ وانْتَهَكَتْ قوّتَهُ فادْخِلَ الحمام وهو فى غايـةٍ مِن الضعفِ فطلَبَ مـن مملوكٍ كان واقفًا على راسه ماءً حارًّا فاحضَرَ له فى طـاسَةٍ مـاءً شديدَ الحرارةِ فلما قَرُبَ منه اضطرَبَتْ يَدُ المملوك فوقَعَتْ الطاسَةُ عليه فاحْرَقَ المـاءُ جَسَدَهُ فلم يُواخِذْهُ ولا بكلامٍ ثم طلَبَ منه بعدَ ذلك بساعةٍ ماءً بارِدًا فاحضَرَ له فى تلك الطاسَةِ ماءً شديد البَرْدِ فحين قَرُبَ منه اتّفَقَ له ما اتّفقَ فى المرّة الأُولَى من اضطراب يَدِهِ ووُقوعِ الطـاسةِ عليـه بذلك المـاءِ الشديد البَرْدِ فَغُشِىَ عَلَيْهِ وكادَ يموتُ فلما اَفَاقَ قال للمملوكِ اِن كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِى فَعَرِّفْنِى ولم يَـزِدْ على هذه الكلمةِ رحمهُ اللـهُ ' قيـل تقدَّمَ رَجُلٌ

أَبْخَرُ الى بَعْضِ الرُوسـاء يُشاوِرُهُ فقالَ له تَنَحَّ عَنّى فقد آذَيْتَنى قـال الرَجُـلُ لا كرامـةً ولا عَزازةً ما رَأَسْنَاك وقُمْنا بين يَدَيْك الّا حتّى تَحْتَمِلَ مِنّا ما هو أَشَدُّ مِن هذا وتَصْبِرَ مِنّا على مـا هو أَعْظَمُ منه

ومما يجب للرعيةِ على المـلكِ رَدْعُ قَوِيِّهِم عَنْ ضَعيفِهِم وانْصافُ ذليلِهم مِن عَزيزِهِم واقامةُ الحدودِ فيهم واقرارُ حُقُوقِهِم مَقارَّها واغاثةُ مَلْهوفِهِم واجـابَـةُ مستَصْرِخـهِم والتَسْوِيَـةُ فى حُكْمِه بين الأَبْعَدِ منهم والأَقْرَبِ والأَذَلِّ والأَعَزِّ قـال عُمَرُ بن الخطـاب لرجـلٍ انى لا أُحِبُّكَ قـال فتنقُصنى مِنْ حَقّى شَيْـئًا قـال عُمَرُ لا قال الرَجُلُ فمـا يَفْرَحُ بالحُبِّ بَعْدَ هذا الّا النِساءُ ✿ ويجب للملكِ ان يَعرِفَ نِعمةَ اللـه عليه بـأَنِ اصطفـاه لهذه المَرْتبةِ العليّةِ دونَ سـايرِ الخَلْقِ وبأَن جعله يَفْزَعُ منه كلُّ احدٍ ولم يجعَلْه يَفْزَعُ من احدٍ فلا يزالُ لها ذاكرًا شاكرًا فامّا الذِكْرُ فلامتثالِ قولـهِ تعالى وامّا بنِعْمَةِ رَبِّكَ فحَدِّثْ وأمـّا الشُكر فلطَلَبِ المـزيدِ لقولـه تعـالى ولَئِنْ شَكَرْتُم لأَزيدَنَّـكُمْ ✿ ويجب ان يكونَ بينهُ وبين ربّـهِ معامَلـةٌ سِرّيّةٌ لا يعلم بها الّا اللـه فتِلكَ المُعامَلةُ تَقِى مَصارِعَ السُوْء وهذه العِبارةُ مقبولةٌ عند جميع اصحـاب المِلَـلِ وعند الحكماء ايضا هى مقبولـةٌ ويُمْكِنُ تَأْويلُهـا على هذا المطلوبِ بحَسَبِ اعتـقادِهِم ✿ ويجب ان يكونَ له دَعَواتٌ يُناجِى بها رَبَّه وهى دَعَواتٌ تَليقُ بالملوكِ لا تَصْلُحُ

للعَوامّ ولا بَاسَ أن أُثْبِتَ فى هذا المَوْضِعِ فَصْلًا من الدُعَاء المَلكى وهذا مما اقْتَرَحْتُه أنا ولم أعْلَم أنّ أحَدًا تَنَبَّهَ عليه ❁

فَصْلٌ من الدُعَاء مُخْتَصَرٌ اَللّهُمَّ انّى اَبْرَأُ اليكَ من حَوْلى وقُوّتى وَاَلْجَأُ الى حَوْلِكَ وقوّتك اَحْمَدُكَ على أنْ اوجَدْتَنى مِن العَدَمِ وفَضَّلْتَنى على كَثيرٍ مِن الاُمَمِ وجَعَلْتَ فى يَدَى زِمَامَ خَلْقِكَ واستَخْلَفْتَنى على أرْضكَ، اللهمّ فخُذ بيَدى فى المَضايِقِ واكْشِفْ لى وجوهَ الحَقايِقِ ووَفِّقْنى لما تُحِبُّ واعْصِمْنى مِن الزَلَلِ ولا تَسْلُبْ عنّى سِتْرَ احْسانكَ وَقِنِى مَصارِعَ السُوءِ واكْفِنِى كَيْدَ الحُسَّادِ وشَماتَةَ الاضْداد والْطُفْ بى فى ساير مُتَصَرّفاتى واكْنفْنى مِن جَميعِ جِهاتى ❁ ويحسن بالملكِ الفاضِلِ اكرامُ فضلاء رعيَّتِهِ واختصاصُهم بالبِرّ، قال الحكماء لا يَجُوزُ أنْ يكونَ الفاضِلُ مِن الرجالِ اِلا مع الملوكِ مكرَّمًا او مَعَ النُساكِ مُتَبَتِّلًا كالفيلِ لا يَحْسُنُ أن يُرَى اِلّا فى موضِعَيْنِ اِمّا فى البرِيَّةِ وَحْشِيًّا وامّا للملوكِ مَرْكبًا كما قال الشاعرُ — الوافر

كَمِثْلِ الفيلِ اِمّا عندَ مَلْكٍ وامّا فى مَراتعِهِ مَنيعَا

ومما يُكْرَهُ للملكِ مُخالَطَةُ الأنْذالِ والسُوقَةِ والجُهّالِ فانّ سَماعَ اَلْفاظِهم الساقطةِ ومعانيهم المرذولةِ وعباراتِهم الدنيّةِ مما يَحُطُّ الهِمَّةَ ويَضَعُ المنزِلةَ ويُصْدِئُ القَلْبَ ويُزْرِى بالمَلِكِ ومُخالَطةُ الاشرافِ ومعاشَرةُ افاضِلِ الرجالِ مما يُعْلِى الهِمّةَ ويُذْكى القَلْبَ ويَفْتُقُ

الذهنَ ويَبسُطُ اللسانَ ۞ وتلك قاعدةٌ مُطَّرِدَةٌ للملوك ما زالوا يُدْخِلون اليهم عوامَّ الرعيّة ويعاشرونَهم ويستخدمونهم ولم يَخْلُ احدٌ من الخلفاء من مثلِ هذا وكانَّ لسانَ حالهم يقولُ نحنُ نُخَلِّي الكِبارَ كِبارًا فاذا اختَصَصْنا عاميًّا نَوَّهْنَا بذِكْرِه وقَدَّمناه حتى يصيرَ من الخَوَاصّ كما أَنَّنا اذا اعرَضْنا عن احَدٍ من الخواصّ أَرْذَلْنَاهُ حتى يَصِيرَ من أَرَاذِلِ العَوامّ وكذلك هو فانَّ هذه خاصيّةٌ مِن خَواصِّ الملِك وقد سَبَقَ ذِكرُها وكُلّ هذا ماخوذٌ من الخواصّ الالهيّة فانّ العِنايَةَ الالهيَّةَ اذا صَدَرَتْ ذَرَّةٌ منها الى النفوسِ صارَ ذلك الانسانُ نَبِيًّا او اِمامًا او مَلِكاً واذا صَدَرَتْ في حَقِّ الزمانِ صار ذلك اليومُ يومَ العيدِ الكبيرِ وليلةَ القَدْرِ وايّامَ الحَجّ وايام المواسمِ والزِيارات لسايرِ الأُمَمِ واذا صَدَرَتْ تلك الذَرَّة في حَقِّ المكانِ صار بيتَ مكّةَ والبَيْتَ المقدَّسَ والمشاهِدَ والجوامِعَ والزِيارات والمُتَعَبّدَاتِ ومواضِعَ التقرُّبَاتِ" وهاهنا مَوْضِعُ حكايةٍ كانَ ببغداذ حَمَّالٌ يقالُ له عَبْدُ الغَنِيّ بنُ الدَرْنُوس فتوصَّلَ في ايام المستنصر حتى صار برّاجًا في بعض ابْراج دارِ الخليفةِ فما زالَ بحُسنِ التوصُّلَ الى وَلَدِ المستنصرِ وهو المستَعْصِمُ آخِرُ الخلفاء وكان في زَمَنِ ابيه محبوسًا فما زال هذا البرّاجُ يَتَعَهَّدُهُ بالخدمةِ طُولَ مُدّةِ الايّامِ المستنصرية الى أن تُوفّي المستنصرُ وجَلَسَ على سريرِ الخليفة وَلَدُه ابو

أَحْمَدَ عَبْدُ اللّه المستَعْصِمُ فعَرفَ لهذا البرّاج حَقَّ الخدمة ورَتَّبَه مُتَقَدِّمَ البَرّاجينَ وفى آخرِ الامرِ استحجَبَهُ فى باطن داره واختَصَّهُ وقَدَّمه حتى بلغَ الى انه صار اذا دخل الى الوزير يَنْهَضُ له ويُخْلِى المَجْلِسَ من جميع الناسِ اذا كان ابنُ الدَرْنُوسِ حاضِرًا وسَبَبُ اِخْلاء المجلِسِ الوزيريّ عند حُضُورِ ابن الدَرْنوسِ لأَجْلِ انه يُمْكِن ان يَكُونَ قد جاء فى مشافَهَةٍ من عنْدِ الخليفة ولُقِّبَ نَجْمَ الدين الخاصّ وصار من أَخَصِّ الناسِ بالخليفة وبَلَغَ من منزلته انه كانَ يتعَصَّبُ لصاحِبِ الديوانِ عند الخليفةِ وكان صاحِبُ الديوانِ يَعْرِضُ مُطالعاتِه ومَهامَّهُ على يدِ نَجْمِ الدينِ الخاصّ وكانَ يَمُدُّه فى كُلِّ سنَةٍ بمالٍ طائلٍ حتى يَحْفظَ غَيْبَهُ ويُرَبّيَهُ فى الحَضْرَةِ الخليفيَّةِ " وجَرَى بينى وبين جمالِ الدينِ علىّ بنِ محمدٍ الدستجردانىّ رحمه الله كلامٌ فى مَعْنَى هذا آبْنِ الدَرْنُوسِ فصَوَّبْتُ انا راى المُسْتَعْصِم فى الاحْسانِ اليه وقُلْتُ انه خَدَمَهُ واثْبَتَ عليه حَقًّا وقد كافأه فلا عَيْبَ فى هذا وقال جمَالُ الدينِ رحمه اللّهُ ما مَعْناهُ اِنَّ تَسْليطَهُ لمثلِ ذلك الأَحْمَق عل أَعْراضِ الناسِ وأَمْوالِهِم واِدْخالَهُ فى المملكةِ حتى كاد أَنْ يُوَلّيَ الوزراء ويَعْزِلَهُم قبيحٌ مِن المستعصِمِ دليلٌ على جَهْلِه والّا فانْ كان مُرادُه الاحسانَ اليه مُكافأةً له على سابقِ خدْمَتِه قد كان يَجِبُ ان يَكُونَ ذلك بمالٍ

يُعْطاهُ او برفع مَنْزِلَةٍ لا يَخْتَلُّ بسَبَبِها أَمْرٌ في المَمْلَكَةِ ولا يَتَطَرَّقُ بها قَدْحٌ في عَقْلِ الخليفةِ وكان نَظَرُ جمال الدين في هذا المَعْنَى أَدَقَّ من نَظَرِى والحقُّ في جانبهِ رَحِمَهُ اللهُ وكانت هذه المُفاوَضَةُ بَيْنِى وبينه في كتاب كَتَبْتُهُ اليه اقْتَضَى الحالُ فيه ذِكْرَ هذه القضيَّة وكَتَبَ هو الجوابَ عنه واعادَ كتابِى الىّ لانى التَمَسْتُ منه اعادةَ كتابِى والكتابانِ هُمَا في هذا التاريخ عندى بخَطِّى وخَطِّهِ رحمهُ اللهُ ومما يليق بالملِكِ الفاضلِ ويُكَمِّلُ فَضْلَه أن يكونَ عالِيَ الهمّةِ رحيبَ الصَّدْرِ مُحِبًّا للرياسةِ مُعِدًّا لها أَسْبابَها طامِحَ البَصَرِ اليها مُعْمِلًا فِكْرَهُ في توسيع مملكتهِ وعُلُوِّ دَرَجَتهِ غيرَ مُخْلِدٍ الى التنَعُّمِ ولا جانحٍ الى التَرَفِ ولا مُنْهمِكٍ في اللَذّاتِ قال بعض حُكماء الفُرْسِ هِمَمُ الناسِ صِغارٌ وهِمَمُ الملوكِ كِبارٌ وأَلْبابُ الملوكِ مشغولةٌ بكلِّ شىء عظيمٍ وأَلْبابُ السُوقَةِ مَشْغُولَةٌ بأَيْسَرِ الأَشْياء ولِيَعْلَمِ الملِكُ أَنَّ الرياسَةَ عَرُوسٌ مهورُها الأَنْفُسُ نظر معوية الى عسكرِ اميرِ المومنين علىٍّ عمَّ في صفّينَ فالْتَفَتَ الى عمرِو بن العاصِ وقال مَن يَطْلُبْ عَظيمًا يُخاطِرْ بعظيمٍ وانى نَظَرْتُ فيما أُحاوِلُ فاذا الموْتُ في طَلَبِ العِزِّ احْسَنُ عاقبَةً من الذُلِّ قال بعضُ الشعراء الطويل

هِيَ النَفْسُ اِنْ ماتَتْ فَقَدْ ماتَ قَبْلَها

كِرامٌ وان تَسْلَمْ فلِلْحَدَثانِ

اذا النَّفْسُ لم تَشْرَهْ الى طَلَبِ العُلَى

فَتِلْكَ مِنَ الأَمْواتِ فى الحَيَوَانِ

ومن الغاية فى هذا المعنى قول امْرِءِ القَيْسِ — الطويل

ولو أَنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ

كَفَانِى ولم أَطْلُبْ قَليلٌ مِنَ المَالِ

ولكنما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوَثَّلٍ

وقد يُدْرِكُ المجدَ المُوَثَّلَ أَمْثَالِى

ومما يكمّل فضيلةَ الملكِ ان تكون قوّةُ الاختيارِ عنده سليمةً لم تَعْتَرِضْها آفةٌ فيكونُ يَخْتارُ الرجالَ اختيارا فاضلا ✿ كانَ الناصرُ آيةَ الدنيا فى اختيارِ الرجالِ فكان مِن توصُّلاته الى معرفةِ الرِجالِ اِنْ أَشْكَلَ عليه حالُهُ ان يُشيعَ بين الناسِ انه يُريدُ ان يُوَلّيَهُ المَنْصِبَ الفُلانيَّ ثم يَتَمادَى فى ابرامِ ذلك اياماً فيَمْتَلِى البَلَدُ بالاراجيفِ لذلك الرَجُلِ فيفترِقُ فيه الناسُ فقومٌ يُصوِبّون ذلك الرَأْىَ ويَصِفُون فضايلَ الرجلِ وقومٌ يُغَلّطُون الخليفةَ ويَذكرون عُيوبَ الرَجُلِ وللخليفةِ عُيونٌ واصحابُ اخبارٍ لا يُوبَهُ لَهُمْ يُخالِطون أَصْنافَ الناسِ فيكتُبُ اصحابُ الاخبار اليه بما الناسُ فيه من الغَلَيانِ فى ذلك فيَعْرِفُ بصِحّةِ نَظَرِه وتمييزِه اَىُّ القَوْلَيْنِ أَرجَحُ وأَصْوَبُ فاِنْ رَجَحَ فى نَظَرِه تَفْضِيلُ الرَجُلِ وَلّاهُ وخَلَعَ عليه واِنْ ترجَّحَ عنده قولُ

الطاعنين عليه وتبيّن له نقصُه تركه واعرض عنه ٬ وفى الجملة فحسْنُ الاختيار اصلٌ عظيمٌ قال الشاعر

البسيط

منْ كان راعيه ذيبًا فى حلوبته
فهو الذى نفسه فى امره ظلما
يرجو كفايته والغدر عادته
ومن يرد خاينا يستشعر الندما

ومما يكره للملوك المبالغة فى الميل الى النساء والانهماك فى محبتهن وقطع الزمان بالخلوة معهن فاما مشاورتهن فى الامور فمجلبة للعجز ومدعاة الى الفساد ومنبهة على ضعف الراى اللهم الا ان تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن كما قال عمر شاوروهن وخالفوهن ٬ وفى هذا الحديث سؤال وجواب ان قال قايل اذا كان المراد مخالفتهن فى آرايهن فاى فايدة فى الامر بمشاورتهن وقد كان يكفى فى هذا ان يقال خالفوهن فيما يشرن به فالجواب من وجهين احدهما ان الامر الاول للاباحة والامر الثانى للوجوب يعنى اذا شاورتموهن فخالفوهن والآخر ان الصواب لا يزال فى خلاف آرايهن فاذا اشكل عليكم الصواب فشاوروهن فاذا ملن الى شىء فاعلموا ان الصواب فى خلافه وفى هذا تظهر فايدة الامر بمشاورتهن يعنى بها يستدل على الصواب ۞ وحدث ان عضد الدولة

فَتَّاخُسْرُوا بن بُوَيه شَغَفَتْه امرأةٌ من جواريه حُبًّا وغلبَتْ عليه فاشتغل بها عن تدبير المملكة فخلا به وزيرُه وقال ايها المَلِكُ ان هذه الجارية قد شغَلَتْكَ عن مَصَالِح دَوْلَتِكَ حتى لقد تطرَّقَ النَّقصُ عليها من عِدَّةِ جِهاتٍ وما سَبَبُ ذلك الا اشتغالُك عن اصْلاح دولتِك بهذه الأَمَةِ والصوابُ ان تَتْرُكها وتلْتفتَ الى اصْلاح ما قد فَسَدَ من مملكتك قال فبَعْدَ ايامٍ جلَسَ عضد الدولة على مُشْتَرَفٍ له على دِجْلَةَ ثم استَدْعَى الجارِيَةَ فحضَرَتْ فشاغَلَها ساعَةً حتى غَفَلَتْ عن نَفْسها ثم دَفَعَها الى دِجْلَةَ فغَرِقَتْ وتفرَّغَ خاطِرُه من حُبّها واشْتَغَلَ باصلاح امور دولته فاستَعْظَمَ الناسُ هذا الفِعْلَ من عَضُد الدولةِ ونَسَبُوه فيه الى قوة النَّفْسِ حينَ قَوِيَتْ نَفْسُهُ على قَتْل محْبُوبِه "وانا أَسْتَدِلُّ بهذا الفِعْلِ على ضَعْفِ نفْسِ عضد الدولة لا على قُوَّتِها فانه لو لم يُحِسّ من نفسه بالانْفعال العظيم لحُبّها لَمَا توَصلَ الى عَدَمِها ولو تركها حَيَّةً ثم أَعْرَضَ عنها لكان ذلك هو الدليلَ على قُوَّةِ نفسه ۞ ولِكُلِّ صِنْفٍ من الرعيّة صِنفٌ من السياسة فالافاضلُ يُساسون بمكارم الأَخْلاق والإِرْشادِ اللطيف والأَوْساطُ يُساسون بالرَّغْبَة الممزوجة بالرَّهْبَة والعَوَامُّ يُساسُون بالرهبة والزامِهِم الجُدَدَ المستقيمَ وقَسْرِهِم على الحَقِّ الصريح ۞ واعلم انّ المَلِكَ لرعيته كالطبيب للمريض ان كان مزاجُه لطيفا

لَطُفَ له التدبيرَ ودَسَّ له الأَدْوِيَةَ المكروهةَ فى الاشياء الطَيِّبَة وتحيَّلَ عليه بكل مُمْكِنٍ حتى يَبْلُغ غرضَهُ من بُرْئِهِ وَإِنْ كان مِزاجُه غليظًا عالَجَهُ بمُرّ العلاج وصَرِيحِهِ وشديدِه ولذلك لا يَنْبَغى للملِك ان يَتَهَدَّدَ مَنْ يَكْفِى فى تاديبِه الاعراضُ والتقطيبُ وكذلك لا ينبغى ان يَحْبِسَ مَنْ يَكْفِى فى تاديبه التهديدُ كما انه لا ينبغى ان يَضْرِبَ من يَكْفِى فى تاديبه الحَبْسُ ولا أَنْ يَقْتُلَ بالسَّيْفِ مَن يكفِى فى تاديبه ضَرْبُ العَصَا وتمييزُ هذه الحالاتِ بَعْضِها مِن بَعْضٍ أَعْنِى مَعْرِفَةَ المِزاج الذى يَكْفِى فيه التهديدُ ولا يَحْتاجُ الى الحَبْسِ او يَكْفِى فيه الحَبْسُ ولا يحتاجُ الى الضَرْبِ يحتاجُ الى لُطْفِ حَدْسٍ وصِحَّةِ تمييزٍ وصَفاءِ خاطِرٍ ويَقْظَةٍ تامّةٍ وفطانةٍ كاملةٍ فما أَشَدَّ ما تَشْتَبِهُ الأَخْلاقُ وتَلْتَبِسُ الأَمْزِجَةُ والطِباعُ ، ويجبُ على الملِك أَنْ يَنْظُرَ فى أَمْرِ القَتْلِ وإِزْهاقِ النَفْسِ فيَعْلَمُ انه الحادِثُ الذى لا حَياةَ للحَيْوانِ بَعْدَه وانه لو اجْتَهَدَ أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهم على إعادَتِه الى الحياة لم يَقْدِروا على ذلك وبِحَسَبِ هذا الحالِ يَجِبُ ان يَكُونَ تَثَبُّتُه فى إِزْهاقِ النَفْسِ وهَدْمِ الصورةِ وتَأَنِّيهِ وتَرَوِّيه حتى تَقُومَ الأَدِلَّةُ على وجوبِ القَتْلِ فاذا وَجَبَ استَعْمَلَهُ على الوَضْعِ المَعْهودِ مِن غَيْرِ تَأَنُّقٍ فيه وتنوُّعٍ غريبٍ وتمثيلٍ بالمقتولِ ، وَرَدَ عن سيِّدِ البَشَرِ صَلَواتُ الله عليه وسلامُهُ اياكُمْ والمُثْلَةَ ولو بالكَلْبِ العَقُورِ ۞ ولَمَّا ضَرَبَ ابنُ

مُلْجَمٍ لعنه اللهُ علىَّ بنَ ابى طالبٍ عمّ بالسَيْفِ قُبِضَ ابنُ
مُلْجَمٍ وحُبِسَ حتى يُنْظَرَ ما يكونُ من امرِ عليّ عمّ فجمع عليٌّ
ولدَه وخاصَّتَهُ وقال يا بَنِى عبدِ المُطَّلبِ لا تَجَمَّعُوا من كُلِّ صَوْبٍ
تقولون قُتِلَ اميرُ المُومنين قُتِلَ اميرِ المومنين لا تُمَثِّلوا بالرجُلِ فانّى
سَمِعْتُ رسولَ الله صلواتُ الله عليه وآلهِ يَنْهَى عن المُثْلَةِ ولو بالكلبِ
العَقُورِ انْظُرُوا اذا انا مُتُّ من ضَرْبَتِى هذه فاضْرِبوا الرجُلَ ضَرْبَةً
بضَرْبَةٍ ۞ ومن فوايدِ التَأَنّى والتثَبُّتِ فى القَتْلِ الأمنُ من النَدَمِ
حينَ لا يُجْدِى النَدَمُ ۞ كان افاضِلُ الملوكِ والخلفاء يَسْتَعْمِلُون
هذه الخَصْلَةَ كثيرًا فلا يتسرَّعون الى قَتْلِ رَجُلٍ مَعْرُوفٍ مَشْهُورٍ
خَوفًا أن يَحْتاجُوا اليه بَعْدَ ذلك فيتَعَذَّرُ عَلَيْهم بل كانوا يَحْبِسُونه
فى غوامِضِ دُورِهم ويُقِيمُون له كل ما يَحْتاجُ اليه من اَطْعِمَةٍ
شَهِيَّةٍ وفواكِهَ وثَلْجٍ واَشْرِبَةٍ وفرش وثِيابٍ ويحملون اليه كُتُبا يَلْهُو
بها ويَقْطَعُون خَبَرَهُ عن الناسِ حتى يَثْبتَ فى نفوسِ اَهْلِهِ واصحابِه
انه قد هلك ثم يُسْتصفَى امواله واموالُ اصحابِهِ ويستخرج ذخايرُهُ
وودايعُهُ ويَصِيرُ فى عِدادِ المَوْتَى فلا يَزال كذلك حتى تَدْعُوهم
الحاجةُ اليه فيخْرِجُونَهُ مُكرَّمًا وقد تادَّبَ وتَهَذَّبَ المنسرح

من لم يُوَدِّبْهُ والِدَاهُ اَدَّبَهُ الليلُ والنَهَارُ

وهاهُنَا مَزِلَّةٌ ربما وَقَعَ فيها افاضِلُ الملوكِ وهى انَّ بَعْضَ الملوكِ ربما

كان مُعْجَبًا بنَفْسه مُحِبًّا لأَنْ يَنْتَشِرَ عنه حديثُ صَرامــةٍ وشَهامَة وسِياسةٍ قــاهِرَةٍ فيَسْتَهِينُ بالقتْلِ وَيُسْهِّلُ أمْرَهُ ويُبادِرُ اليه وغَرَضُه اثْباتُ الهَيْبَةِ واقامَةُ السياسةِ من غَيْرِ التفات الى ما فى طَيِّ ذلك مِن ازْهاقِ النفسِ التى حُرِّمَتْ الاّ بــالحَقّ وهذا مِن اَخْطَرِ الامورِ على الملكِ والصوابُ اَنْ لا يزالَ فى نفسه كارِهًا للقَتْلِ صادقًا عنه مَهْمَا اَمْكَنَ حتى تَدْعُو اليه ضَرورةٌ ليس فيهـا حِيلَةٌ فحينئذ يُقْدِمُ عليه بنَفْسٍ قويّــةٍ وجَنانٍ ثابتٍ فانَّ قَتْلَ واحدٍ اَصْلَحُ مِن تَرْكه حتى يَحْتــاجَ الى قَتْــلِ خَمْسَةٍ وقَتْلَ خَمْسَةٍ خَيْرٌ من تَرْكِهِمْ حتى يَدِبَّ فَسَادُهم حتى تَبْلُغَ الحاجَةُ الى قَتْلِ مِيَّــةٍ ومن اَجْلِ ذلك قال الله تعــالى ولكم فى القصــاصِ حَيَاةٌ وقيل القتــل اَنْفَى للقَتْــلِ وقــال الشاعرُ

الطويل

بِسَفْكِ الدِمَا يــا جارَتِى تُحْقَنُ الدِمَا
وبالقَتْلِ تَنْجُو كُلُّ نَفْسٍ مِنَ القَتْلِ

وقال المتنبى

الكامل

لا يَسْلَمُ الشَرَفُ الــرفيعُ مِنَ الأَذَى
حتى يُراقَ عَــلَى جَوَانِبِــهِ الــدَمُ

اَوْصَى بَعْضُ الحكماء بَعْضَ الملوك قــال اَيُّهَا الملكُ انما هو سَيْفُكَ ودِرْهَمُكَ فــازْرَعْ بهذا مَن شَكَرَكَ وَاَحْصُدْ بها مَن كَفَرَكَ " جــاء

رَجُلٌ الى رسولِ اللـهِ صلى الله عليه وآلهِ وقال له يا رسولَ اللهِ انّى زَنَيْتُ فخُذِ الحَدَّ منّى فأعْرَضَ عنه رسولُ اللهِ والتفت الى يمينهِ فدارَ الرَجُـلُ حتى جاذاهُ واعادَ القولَ فأعْرَضَ عمّ عنه مرّةً أُخْرَى فعاوَدَ القولَ والتمسَ اَخْذَ الحَدِّ منه فكَرِهَ رسولُ اللـهِ صلى الله عليه وآلهِ اِزْهاقَ نفسهِ فقال له كمَنْ يُعَلّمُهُ لا تَكُونُ قد قَبَّلْتَ او عانَقْتَ او اَلْمَمْتَ ولم تَفْعَلْ قال لا يا رسولَ اللهِ ولكن زَنَيْتُ فالْتَفَتَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ الى اهلِ الرجُلِ واصحابهِ كمن يُعلّمهم ايضا الاعتذارَ عنه وقال كانّه متغيّرٌ فى عَقْلهِ قالوا لا يا رسولَ اللهِ ما نَعْرِفُـه الاّ عاقلاً فحينئذٍ لم يَبْقَ للنبىّ عمّ حيلةٌ فامر باستيفاء الحَدِّ منه ✿ والمطاميرُ الغامضةُ التخليدُ فيها يقومُ مَقامَ القتلِ مَعَ الأمْنِ مِنَ النَدَمِ المَخْشِىّ فيه ، واما أَصْنافُ العُقوبـاتِ فيَجِبُ على الملكِ الكامـلِ ان يُنْعِمَ النَظَرَ فيها ايضا فكم من عُقوبَـةٍ قد أتَتْ على مُهْجَةِ المُعَاقَبِ من غيرِ أن يُرادَ اِزْهاقَ نفسهِ ، وأصْعَبُ ما فيها لَلتعذيبُ بالنارِ وهى عُقوبةٌ غيرُ مُباركةٍ لانَّ العقوبة بالنار مختصّةٌ باللهِ عزّ وجلّ فلا يَجُوزُ للعَبْدِ أنْ يُشارِكَهُ فيها " والنَظَرُ فى أَصْنافِ العُقُوباتِ مُوكّلٌ الى نَظَرِ الملكِ الفاضلِ وبِحَسْبِ ما يَقْتَضيه الحالُ الحاضِرَةُ ولكنّ الأصْلَ الكلىّ فيه أنْ يكونَ الملكُ فى نَفْسهِ كارِهًا لذلكَ غيرُ مُتَحَلٍّ به لا يُبادِرُ اليه ولا يُقْدِمُ عليه الاّ

اذا دَعَتْ اليه ضَرُورةٌ ماسّةٌ لا يَقْضِى فيها حَقَّ نفسِهِ ولا يَشْفِى بها غَيْظَ صَدْرِه وهذا مَقامٌ صَعْبٌ لا يَرْتَقِى اليه اِلاّ مَن اخَذَ التوفيقَ بيَدِه ؛ قيلَ اِنَّ عَلِيًّا عمّر صَرَعَ فى بعضِ حروبه رجلا ثم قَعَدَ على صَدْرِه ليَحْتَزّ راسَهُ فبَصَقَ ذلك الرَجُلُ فى وَجْهِهِ فقام علىٌّ عمّر وتَرَكَهُ فلما سُئِلَ عن سَبَبِ قيامِهِ وتَرْكِهِ قَتْلَ الرَجُلِ بعد التَمَكُّنِ منه قال انه لمَّا بَصَقَ فى وَجْهِى اغْتَظْتُ منه فخِفْتُ اِنْ قَتَلْتُه اَن يَكُونَ للغَضَبِ والغَيْظِ نَصِيبٌ فى قَتْلِهِ وما كُنْتُ اُحِبُّ اَن اَقْتُلَهُ اِلا خالِصًا لوجهِ الله تعالى قال ابرويزُ الملوكُ يَشْتِمُونَ بالافعالِ لا بالاقوالِ ويَسْفَهون بالايدى لا بالأَلْسُنِ وقد نَظَمَ هذا المعنى شاعِرُ العَرَبِ فقال الطويل

وَتَجْهَلُ اَيْدِينَا ويَحْلُمُ رَأْيُنَا ونَشْتِمُ بالافعالِ لا بالتَكَلُّمِ

ومما يكره للملكِ الانهِماكُ فى اللَذّاتِ وسَماعُ الأَغانِى وقَطْعِ الزمانِ بذلك قال الشاعِرُ البسيط

اذا غَدَا مَلِكٌ باللَهْوِ مشتغِلًا
فاحْكُمْ على مُلْكِهِ بالوَيْلِ والحَرَبِ
اَمَا تَرَى الشمسَ فى الميزانِ هابِطَةً
لَمّا غدا وهو بُرْجُ اللَهْوِ والطَرَبِ

ومـا دَخَلَ الخِذْلانُ على مَلِكٍ من طريقِ اللَهْوِ واللَعِبِ كما دَخَلَ

على جَلال الدين بن خُوارَزمشاه فانـه لَمَّا هَرَبَ من المُغول تَبعُوه فكان اذا رحل عن بَلْدَةٍ نَزلُوها بعدَهُ واذا أَصْبَحَ فى مكانٍ أَمْسَوا وَهُمْ فى المكانِ يُرِيدُونَ قَصْدَهُ وهو مع ذلك مُواصِلٌ لشُرْبِ الخَمْرِ عاكِفٌ عَلَى الدَفِّ والزَمْـرِ لا يَنَـامُ اِلَّا سَكْرانَ ولا يُصْبِحُ الا مَخْمُوراً نَشْوَانَ وعسكرهُ فى كل يوم يَقِلُّ وأَمْرُه فى كل يوم يَزِيدُ اضْطِراباً وهو لا يشْـعرُ بـذلـك ولا يَلْتَـفِتُ اليـه حـتى قـال شـاعِـرُهُ يُخـاطِبُهُ

دوبيت عجمى

شـاهَا زِمَى كِران جه برخُواهَذ خـاست
وز مَستى هر زَمان جه برخُواهَذ خـاست
شَـهْ مَسْت وَجِهَـان خراب ودُشمن پس وَپيش
پَيْدَاست ازين ميان جه برخُواهَذ خـاست

ومِمَّنْ دخَـلَ النَقْصُ عليه من الملوكِ بسَبَبِ اللَهْوِ واللَعِبِ محمد ابن زُبَيْدَةَ الأمِين كان كثيرَ اللَهْـوِ واللَعِبِ مُنْهَمِكاً فى اللَذَاتِ قيـل انه لَعِبَ يوماً هو ووزيرهُ الفَضْلُ بنُ الربيعِ بالنَرْدِ فَتَراهَنَا فى خاتَمَيهِمَا فغلَبَ الامينُ فاخَذَ الخاتَمَ وأَرْسَلَ فى الحالِ وَاحْضَرَ صايِغاً وكان على خاتَمِهِ مكتوبٌ أَلْفَضْلُ بن الربيع فقال للصايغ اُكْتُب تحتَهُ ينكح فنَقَشَ الصايغُ ذلك فى الحالِ ثم اعادَ الخاتَمَ الى الفَضلِ بْنِ الرَبيعِ وهو لا يَعْلَمُ مـا نُقِشَ عليـه ثم مَضَتْ على ذلـك مُدَّةٌ

فبَعْدَ ايّامٍ دَخَلَ الفضْـلُ بنُ الربيعِ عليه فقـال له ما على خاتَمِكَ مكتوبٌ قال اسْمِى واسْمُ أَبِى فتَنَاوَلَهُ الامينُ ثم قالَ لـه مـا هذا المكتوبُ تحتَ اسْمِكَ فلما قَرَأَه الفضلُ بن الربيع قـال لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ الا بالله العَلِيّ العَظِيمِ هذا واللهِ هو الخِذلانُ المُبِينُ أنَا وزيرُكَ وَلِى البومِ كَذَى وكَذَى يومًـا أَخْتِمُ الكُتُبَ بهذا الى الأَطْرافِ وهو على هذه الصِفَةِ هذا والله آخِرُ الدولةِ ودَمارُها واللهِ لا أَفْلَحْتَ ولا أَفْلَحْنا مَعَكَ فكانتِ الفِتْنَةُ بعدَ ذلك بِيَسِيرٍ ۞ وكان المستَعْصِمُ آخِرُ الخلفـاء شديدَ الكَلَفِ باللَّهْـوِ واللَعِبِ والاغانِى لا يكادُ مجلسُه يَخْلُو مِن ذلك ساعَـةً واحِدَةً وكانَ نُدمـآءهُ وحاشِيَتُه جميعُهم مُنْهَمِكين معه على التَنَعُّمِ واللَّذاتِ لا يُرَاعُونَ له صَلاحًا وفى بَعْضِ الأَمْثـالِ الحايِنُ لا يَسْمَعُ صِيَاحًا وكُتِبَتْ له الرِقاعُ مِن العَوامِّ فيها أَنْواعُ التَحْذِيرِ وأُلْقِيَتْ وفيهـا الاشعـارُ فى ابوابِ دار الخِلافـةِ فمن ذلـك

المجتثّ

قـل للخليفةِ مَهْلًا	أتـاكَ ما لا تُحِبُّ
ها قَدْ دَهَتْكَ فُنُونٌ	مِنَ المَصَايِبِ غُرْبُ
فـانْهَضْ بعَزْمٍ وَالَّا	غَشَاكَ وَيْلٌ وحَرْبُ
كَسْرٌ وهَتْكٌ وأَسْرٌ	ضَرْبٌ ونَهْبٌ وسَلْبُ

وفى ذلـك يقـول بعض شعراء الدولـة المستعصِمِيَّـةِ من قصيدة

أوّلهـا — البسيط

يا سائلي ولمحض الحقّ يرتاد
أصخ فعندي نشدانٌ وانشاد
وأضيعة الناس والدين الحنيف وما
يلقاه من حادثات الدهر بغداد
هتكٌ وقتلٌ وأحداثٌ يشيب بها
راس الوليد وتعذيبٌ وأصفاد

كلّ ذلك وهو عاكفٌ على سماع الأغاني واستماع المثالث والمثاني وملكه قد أصبح واهي المباني ومما اشتهر عنه انه كتب الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعةً من ذوى الطرب وفى تلك الحال وصل رسول السلطان هولاكو اليه يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار فقال بدر الدين انظروا الى المطلوبين وابكوا على الاسلام واهله ✿ وبلغنى أنّ الوزير مويّد الدين محمد بن العلقمى كان فى أواخر الدولة المستعصميّة ينشد دايمًا — الخفيف

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم
ضيّعوا الحزم فيه أىّ ضياع
فمطاعٌ وليس فيه سدادٌ
وسديد المقال غير مطاع

قالوا ولا ينبغى للرجل الكامل الاّ أنْ يكون فى الغايةِ القصوى مِن طَلَب الرياسةِ او فى الغايةِ القصوى مِن تركها

الوافر

اذاما لم تكُنْ ملكًا مُطاعًا فكُنْ عبْدًا لخالقه مُطيعًا
وان لم تملك الدنيا جميعًا كما تهواه فاترْكها جميعًا

وهاهنا موضع حكايةٍ تشتمل على أدوات الرياسةِ قيل وَرَدَ ابو طالب الجرّاحيُّ الكاتبُ ولم يكن فى عصرِه أكتبَ ولا أفضلَ منه الى الريّ قاصدًا حضرةَ ابنِ العميد فلم يَجِدْ عندَه قبولاً ولا رأى عندَه ما يُحبُّ ففارقه وقصدَ اذربيجان وصار الى ملكِها وكان فاضلاً لبيبًا فلما اختبره وعرف فضْلَهُ سألَه المقامَ عندَهُ وافضَلَ عليْه فاقام لديه على افضلِ حالٍ فكتبَ الى ابنِ العميد يُوبِّخه على جهلِ حقه وتضييعه لمثْلِه فمن جُملةِ الكتاب حدِّثنى بايّ شىء تحتجُّ اذا قيل لك لِمَ سُمّيتَ الرييس واذا قيل لك ما الرياسةُ أتدْرى ما الرياسةُ الرياسةُ أنْ يكونَ بابُ الرييس مصونًا فى وقتِ الصوْنِ ومفتوحًا فى وقتِ الفتْح وأنْ يكونَ مجْلسُهُ عامِرًا بافاضلِ الناسِ وخيْرُه واصلاً الى كل احد واحسانُه فايضًا ووجهُه مبسوطًا وخادمُه مُؤدّبًا وحاجبُه كريمًا طَلْقًا وبوّابُه لطيفًا ودرْهَمُه مبذولا وطعامُه ماكولا وجاهُه معرّضًا وتذكرتُه مسوّدةً بالصلاتِ والجوايزِ والصدقاتِ وانت فبابُك لا يزالُ مُقفَلاً ومجلسُك خاليا وخيْرُك

مقنوطـا منه واحسانك غيرَ مرجوٍّ وخادمك مذمومٌ وحاجبك فَرَّارٌ وبَوّابك شَرِسُ الأخلاقِ ودِرْهَمُك فى العَيُّوقِ وتذكرتُك مَحْشُوّةٌ بالقَبْض على فُلانٍ واستيصالِ فُلانٍ ونَفْيِ فلانٍ فباللهِ عَلَيْك هل عندك غيرُ هذا ولو لا أن اكون قد دُسْتُ بِساطَك وأكلْتُ من طعامِك لأشعْتُ هذه الرُّقْعَةَ ولكنّى أرْعَى لك حقَّ ما ذكرْتُ فلا تُعلِم بها الاّ اللهَ وأنْتَ وَواللهِ ثم واللهِ ثم واللهِ ما لهَا عِنْدِى نُسْخَةٌ ولا رآهَا مَخْلُوقٌ غَيْرِى ولا عَلِمَ بها فَابْطِلْهَا أنْتَ اذا وَقفْتَ عليها وأعْدِمْها والسَلمُ على من اتَّبَعَ الهُدَى ويجب ان يَكُونَ الملِكُ مُجازِيًا على الاحسانِ بِمِثْلِه وعلى الاساءةِ بِمِثْلِهـا لتكونَ رعيَّتُه دايِمًا راجينَ لِبرِّه خايفين من سَطْوَتِه وما احْسَنَ قولَ النابغةِ للنُعْمَانِ بن المُنْذرِ فى هذا البابِ البسيط

ومَنْ أَطاعَكَ فانْفَعْهُ بطاعتِهِ
كما أطَاعَكَ وأدْلُلْهُ على الرَشَدِ
ومَن عَصاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبَةً
تَنْهَى الظَلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

وقالت الفُرْسُ فَسادُ المملكةِ واستجرآءُ الرَعِيَّةِ وخرابُ البلادِ بِابْطالِ الوَعْدِ والوَعيدِ ولا يليقُ بالملِكِ الفاضلِ ان يَكُونَ افتخارُهُ بزَخارِفِ المُلْكِ مما حَوَتْهُ يَدُه واشْتَمَلتْ عليه خِزانَتُهُ من نفايسِ الذخايرِ

وطرايفِ المُقْتَنيات فانّ تلك تُرَّهاتٌ لا حقايقَ لها ولا مُعَرَّجَ لفاضلٍ عليها وكذلك لا ينبغى له أَنْ يكُونَ فَخْرُهُ بالآباء والأَجْداد وانما ينبغى ان يَكُونَ فَخْرُهُ بالفضَايِلِ التى حَصَّلَهَا والاخلاقِ التى كمّلَها والآدابِ التى استفادَهَا والأَدَوات التى استجادَهَا ☆ افْتَخَرَ بَعْضُ الاَغْنيَاء عند بَعْضِ الحُكَماء بالآباء والاجداد وبزَخَارِفِ المالِ المستَفاد فقال له ذلك الحكيمُ اِن كان فى هذه الاشياء فَخْرٌ فينبغى ان يَكونَ الفَخْرُ لها لا لَكَ وان كان آباؤُك كما ذكَرْتَ اشرافا فالفَخْرُ لهم لا لَكَ ☆ قال العَسْجَدىّ كان بعضُ الحكماء اذا وُصِفَ عنده انْسانٌ يقولُ هو عِصامِىٌّ ام عِظامِىٌّ فان قيل له هو عِصامِىٌّ نَبُلَ فى عَيْنِه وان قيل هو عِظامِىٌّ لم يَكْتَرِثْ به وقَوْلُهُ عِصامِىٌّ اِشارةٌ الى قولِ القايلِ الرجز

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا
وعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والاقْدامَا
وصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

يَعْنِى انه بعَقْلِه وبنَفْسِهِ صار رييسًا وقولُهُ عِظامِىٌّ يعنى انه يَفْتَخِرُ بالابَاء والأَجْداد والعِظامِ النَخِرَة ٬ قال العَسْجَدىُّ لبَعْضِ اصحاب ابنِ العَميدِ ذى الكِفايَتَيْنِ كيف رايتَ الوزيرَ فقال رايتُهُ يابِسَ العُودِ ذَميمَ العُهُودِ سَيّئَ الظَنِّ بالمَعْبُودِ فقال العَسْجَدىُّ اَمَا رايتَ

تلك الأُبَّهَةَ والصيتَ والموكبَ والتجمُّلَ الظاهرَ والدارَ الجليلةَ والفَرْشَ السنيَّ والحاشيةَ الجميلةَ فقال ذلك الرجلُ الدولةُ غيرُ السُودَدِ والسَلْطَنَةُ غيرُ الكَرَمِ والحظُّ غيرُ المجدِ أَيْنَ الزُوَّارُ والمُنْتَجِعونَ واين الآمِلون والشاكرون واين الواصفون الصادقون واين المُنْصَرِفون الراضُونَ واينَ الهِباتُ وأَيْنَ التَفَضُّلاتُ واينَ الخِلَعُ والتشريفاتُ واين الهدايا واين الضيافات هيهات هَيْهاتَ لا تَجِيءُ الرِياسةُ بالتُرَّهاتِ ولا يَحْصَلُ الشَرَفُ بالخُزَعبيلاتِ أَمَا سَمِعْتَ قولَ الشاعرِ المتقارب

ابا جعفرٍ ليس فَضْلُ الفَتى اذا راحَ فى فَرْطِ اعجابه

ولا فى فَراهَةِ بِرْذَوْنِه ولا فى مَلاحَةِ أَثْوابِهِ

ولكنَّهُ فى الفعالِ الجميلِ والكَرَمِ الأَشْرَفِ النابهِ

ولمُؤلِّفِ هذا الكتابِ اصلح اللهُ شانَهُ وصانَهُ عمّا شانَهُ فى هذا المعنى الخفيف

لَيْسَ فَضْلُ الفتى على الناسِ فى ثَوْ بٍ ودارٍ وبَغْلَةٍ ولِجامِ

اِنَّما الفَضْلُ فِى تَفَقُّدِ جارٍ ونَسيبٍ وصاحِبٍ وغُلامِ

قالوا السياساتُ خَمْسَةُ أَنْواعٍ سياسَةُ المَنْزِل والقَرْيَةِ والمدينَةِ والجَيْشِ والمُلْكِ فمَنْ حَسُنَتْ سياسَتُهُ فى منزلِهِ حَسُنَتْ سياسَتُهُ فى قَرْيَتِهِ ومن حَسُنَت سياستُه فى قَرْيَتِهِ حسنت سياستُه فى مدينتهِ ومن حسنت سياستُه فى مدينتهِ حَسُنَت سياستُه للجيشِ ومن حَسُنَتْ

سياستُه للجَيْش حَسُنَتْ سياسَتُهُ للمُلْك ، وانا لا أرَى هذا لازمــا فكَمْ مِن عامِيٍّ حَسَنِ السياسةِ لمنزلِه ليس له قُوَّةُ سياسةِ الامورِ الكبارِ وكم من مَلِكٍ حسَنِ السياسةِ لمَمْلَكَتهِ ليس يُحْسِنُ سياسَةَ منزلِه والمملكَةُ تُحْرَسُ بالسَيْف وتُدَبَّرُ بالقَلَم واختلَفُوا فى السَيْف والقَلَمِ ايهما افضَــلُ وأوْلَى بالتقديم فقومٌ يَرَوْنَ أن يكونَ القَلَمُ غــالِبًا للسَيْفِ واحتَجُّوا على مَذْهَبِهم بانَّ السَيْفَ يَحْفَظُ القَلَمَ فهو يَجْرِى مَعَهُ مَجْرَى الحــارِسِ والخادمِ وقَوْمٌ يَرَوْنَ ان يَكُونَ السَيْفُ هو الغالِب واحْتَجُّوا بأنَّ القَلَمَ يَخْدُمُ السيفَ لانه يُحَصِّلُ لاصحاب السُيُوف أرْزاقَهم فهو كالخادمِ لــه ۞ وقوم قالوا هما سَواءٌ ولا غِنَى لاحدِهما عن الآخَرِ ۞ قالوا المملكَةُ تُخْصِبُ بالسخاء وتُعْمَرُ بالعَدْلِ وتَثْبُتُ بالعَقْــلِ وتُحْرَسُ بالشجاعةِ وتُساسُ بالرياسَةِ وقالوا الشجاعَةُ لصاحبِ الدولةِ ۞ ومِن وصايــا الحكماء اِجْعَلْ قِتالَ عَدُوِّك آخِرَ حِيلَتِكَ وانْتَهِزِ الفُرْصَــةَ وَقْتَ اِمْكانها وَكِلِ الامورَ الى أكفايِها ومَنْ رَكِبَ ظَهْرَ العَجَلَةِ لا يَأْمَنِ الكَبْوَةَ ومَنْ عادَى مَن لا طاقَةَ له به فالرأىُ له مُداراتُه وملاطَفَتُهُ والتَضَرُّع اليه حتى يَخْلُصَ مِن شَرِّه ببَعْضِ وُجُوهِ الخَلاصِ ۞ قالوا وينبغى للملك مُلاطَفَةُ أعْدايِه واخْوانِ اعْدايــه فبدَوامِ الاحْسانِ اليهم تَزُولُ عَداوتُهم وإن أصَرُّوا على عَداوتهِ بَعْدَ احْسانــه كانُوا قد بَغَوا عليه ومَنْ بُغِى عليه

فَلْيَنْصُرَنَّهُ اللهُ وعظ بعض الحكماء بَعْضَ افاضِلِ الملوكِ فقالَ الدُّنْيا دُوَلٌ فما كان فيها لك أتاكَ على ضَعْفِكَ وما كانَ فيها عَلَيْكَ لم تَدْفَعْهُ بقُوَّتِكَ والشَّرُّ مَخُوفٌ ولا يَخافُه الا العاقِلُ والخَيْرُ مَرْجُوٌّ يَطْلُبُهُ كلُّ أحَدٍ وطالَمَا تَأْتِي الخَيْرُ مِن ناحِيَةِ الشَّرِّ وتأْتِي الشَّرُّ من جِهَةِ الخَيْرِ وهذا ماخوذٌ من قولِهِ عَزّ وجَلّ وعَسَى ان تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لكُمْ وعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لكم واللهُ يَعْلَمُ وأَنْتُم لا تَعْلَمُونَ" وهاهنا مَوْضِعُ حكايَةٍ تَقَدَّمَ نُورُ الدين صاحِبُ الشامِ الى أَسَدِ الدين شِيرَكُوه عَمّ صَلاحِ الدين يُوسُفَ ابنِ أَيُّوبٍ بالتوجُّهِ الى مِصْرَ لأَمْرٍ نَدَبَهُ اليه فقال أَسَدُ الدينِ شيركوه يا مولانا ما أَتمكَّنُ مِن هذا دُونَ أن يجيء صُحْبَتِي يُوسُفُ ابنُ أَخِي يعني صَلاحَ الدينِ قال فتقدَّمَ نُورُ الدينِ الى صَلاح الدينِ بالتوجُّه صُحْبَةَ عَمِّهِ أَسَدِ الدينِ شيرَكُوه فاستَعْفاه صَلاحُ الدين من التوجّهِ وقال ليس لى استِعْدادٌ فتقدَّمَ نورُ الدين بإزاحَةِ عِلَلِهِ وجَزَمَ عليه فى التوجُّهِ قال صلاحُ الدينِ فخرجتُ مع عَمّى كارِهًا وانا كَمَنْ يُقادُ الى المَذْبَحِ فلما وصَلْنا مِصْرَ واقمنا بها مُدّةً كان مِنّى ما كان من تملُّكِ مِصْرَ ثم ملكَها صَلاحُ الدين وعَرَضَتْ مملكتُه وتملَّكَ الشامَ بعدها وسيأتيك نَبأُ هذا مُفَصَّلًا مَشْرُوحًا عند الكلامِ على الدولةِ العباسيةِ ان شآ اللهُ تعالى ووَفْقَ قالوا

أَلْعَدُوُّ عَدُوَّانِ عَدُوٌّ ظَلَمَكَ وعَدُوٌّ ظَلَمْتَهُ فأمّا العدوُّ الذى ظلمْتَهُ فلا تَثِقْ اليه واحترِزْ منه مَهْمَا أَمْكَنَكَ وأمّا العَدُوُّ الذى ظلمك فلا تَخَفْهُ كُلَّ الخَوفِ فانه ربما استَحْيَى مِن ظُلْمِكَ ونَدِمَ فرَجَعَ لك الى ما تُحِبُّ منه وان أَصَرَّ على ظُلْمِكَ انْتَصَفَ لك مِنْهُ مَنْ اليه يَلْجَأُ المَظْلُومُونَ ، وربما نَفَعَ العَدُوُّ وضَرَّ الصَديقُ قال الاسكَنْدَرُ انْتَفَعْتُ باعداى اكثَرَ مما انْتَفَعْتُ باصدقاىِ لانَّ اعداىِ كانوا يُعَيِّرُونِي ويَكْشِفُونَ لى عُيوبى ويُنَبِّهُونِى بذلك على الخَطَأ فاَسْتَدْرِكُهُ وكان اصدقاى يزيِّنُون لى الخَطَأَ ويُشَجِّعُونى عليه وقال الشاعر الطويل

وما ساءَنِى الا الذين عَرَفْتُهُم
جَزَى اللهُ خَيْرًا كلَّ مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ

وقيل للاسكندر بِمَ نِلْتَ هذه المملكةَ العظيمةَ على حَداثةِ السِنِّ قال باستمالَةِ الاعداء وتصييرِهم بالبِرِّ والاحسانِ اصدِقاء وتَعاهُدِ الاَصْدِقاء بأَعْظَمِ الاحْسانِ وَأبْلَغِ الاِكْرامِ ، قال بعض الحكماء لا يرُدُّ باسَ العَدُوِّ القاهِرِ مثْلُ التذلُّلِ والخُضوعِ كما أَنَّ النَبَاتَ الرَطْبَ يَسْلَمُ من الريحِ العاصِفَةِ بلينِهِ لانه يَميلُ معها كيفَ مالَتْ "

وما لَهِجَ الملوكُ بشَىْءٍ أَشَدَّ من لَهَجِهِمْ بالصيدِ والقنصِ وهو الشىءُ الذى طالَما اتّفَقَتْ فيه النُكَتُ العجيبةُ والطُرَفُ الغريبةُ ٭

وكان المُعْتَصِمُ اَلْهَجَ الناسِ بهِ بَنَى فى اَرْضِ دُجَيْل حايِطًا طُولُهُ فراسِخُ كثيرةٌ وكان اذا ضَرَبَ حَلْقةً يُضايِقُونها ولا يزالون يَجُدُّون الصَّيْدَ حتى يُدْخِلُونَهُ وَراءَ ذلك الحايِطِ فَيَصِيرُ بَيْنَ الحايِطِ وبينَ دِجْلَـةَ فلا يَكونُ للصيدِ مَجالٌ فاذا انْحَصَرَ فى ذلك الموضع دَخَلَ هو وولَدُهُ وأقارِبُهُ وخواصُّ حاشِيَتِهِ وتأنَّقُوا فى القتل وتفرَّجُوا فقتلوا مـا قَتَلُوا وَاَطْلَقوا الباقى وقيـل انَّ المُعْتَصِمَ دَوَّغ عِدَّةً من حُمُرِ الوَحْشِ واطلَقهم لانه بَلَغَهُ اَنَّ اَعْمارَها طويلةٌ وههنا موضعُ حِكايةٍ طَرِيفةٍ عجيبةٍ حدَّثنى صَفِيُّ الدين عبدُ المُؤمِنِ بن فاخِرٍ الأَرْمَوِىّ قال حدّثنى مُجاهِد الدينِ ايبك الدويدار الصَّغِيرُ قال خرَجْنا مرّةً فى خِدْمَـةِ الخليفةِ المستَعصِمِ الى الصَّيْدِ وضرَبْنـا حَلْقَةً قريبًا من الجَلْهَمَةِ وهى قرْيَـةٌ بين بَغْدادَ والحِلَّةِ ثم تَضايَقَتِ الحَلْقَةُ حتى صارَ الفارِسُ مِنّـا يَصيدُ الحَيْوانَ بيَدِه فخرَجَ فى جُمْلَـةِ حُمُرِ الوَحْشِ حِمارٌ كبيرُ الجُثَّةِ عليه وَسْمٌ فقرأناه واذا هو وَسْمُ المُعْتَصِمِ قـال فلما رآهُ المستَعْصِمُ وَسَمَـهُ بوَسْمِـهِ واطْلَقَـهُ وكانَ بين المُعْتَصِمِ وبين المستَعْصِمِ حُدُودُ خَمْسِ مِيَةِ سَنَةٍ ومن طَرِيفِ مـا سَمِعْتُ مِن اَمْرِ الصَّيْدِ مـا حدَّثنى به رَجُلٌ من اَهْلِ الاَدَبِ ببغدادَ قال حَدَّثنى محمّدُ بنُ صالِحٍ البازِيـارِىّ قـال تَصَيَّدْنا بين يَدَى السلطانِ أباقا يَوْمًـا فطـارَ ونَحْنُ بين يَدَيْهِ ثلاثَةُ كراكِى على سَمْتٍ مستَقيمٍ

فاطلقْنا شاهينًا فعلا وانحطَّ على الاعْلَى من الكراكى فلطمَهُ فوقع على الثانى فكسَرهُ ثم وَقَعا كلاهما على الثالث فكسَراه ووقعت الثلاثةُ بين يَدَى السُلطانِ قال فتعجّبَ مِن ذلك غايةَ التعجُّب وخَلَعَ علينا جميعنا وقال الصاحبُ عَلاء الدين فى جهان كُشاى إنَّ حلقةَ جنكزخان كان أمَدُها مَسِير ثلاثة شهورٍ وما أرَى هذا الا مُسْتَبْعَدًا وما لَهِجَ الملوكُ بالصَيْدِ هذا اللَهَجَ الشديدَ ولا كلفُوا به هذا الكَلَفَ العظيمَ وأطْلَقوا للبازيارِيَّة الاموالَ الجليلةَ وأقطعوهم الاقْطاعاتِ السنيَّةَ وسَهّلوا عليهم حجابهم وقطَعُوا مُعْظَمَ زمانِهم فيه باطِلًا ولا عَبَثا فانّ القَنَصَ يَشْتَمِلُ على فوايدَ كثيرة جليلةِ النَفْعِ منها وهو الغَرَضُ الأشْرَفُ منه تَمْرِينُ العساكرِ على الرَكْضِ والكرِّ والعَطْفِ وتَعْويدُهُم على الفُروسيَّة وادْمانُهُم للرَمْي بالنُشّابِ والضرْبِ بالسَيْفِ والدَبُّوس واعتِيادِ القَتْلِ والسَفْكِ وتَقْليلِ المُبَالاة بِإراقةِ الدِماء وغَصْبِ النفوسِ ومنها اخْتبارُ الخُيُولِ ومعرفةُ سَبْقِها وصَبْرِها على دَوَامِ الرَكْضِ ومنها انَّ حَرَكَةَ الصَيْدِ حَرَكَةٌ رِياضيّةٌ تُعِينُ على الهَضْمِ وتَحْفَظُ صحّةَ المِزاج ومنها فَضْلُ لَحمِ الصَيْدِ على باقِى اللُحومِ لانه بقَلَقِه مِن الجَوارِحِ تَثُورُ حرارَتُهُ الغَرِيزيّةُ فتَزِيدُ فى حَرارَةِ الانْسانِ " قال بَعْضُ الحكماء وخَيْرُ اللَحمِ ما أقْلَقَهُ الجارِحُ اقْلاقًا ، ومنها الطُرَفُ العجيبَةُ التى تَتّفِقُ فيه وقد

تقدّمَ ذكر شیء منها ؛ وكان يَزِيدُ بنُ مُعاوِيَةَ اَشَدَّ الناسِ كَلَفًا
بالصَيْدِ لا يَزالُ لاهِيًا به وكانَ يُلْبِسُ كِلابَ الصَيْدِ الأَساوِرَ
والجِلال المنسوجَة منه ويَهَبُ لكُلِّ كَلْبٍ عَبْدًا يَخْدُمُهُ قيل انّ عُبَيْدَ
اللهِ بنَ زِيادٍ اخذَ من بعضِ اهلِ الكوفةِ اَرْبَعَ مِئَةِ اَلْفِ دِينار جِنايَةً
وجعلها فی خَزْنِ بيت المالِ فرحَل ذلك الرجُلُ من الكوفةِ وقصَدَ
دِمَشْقَ لِيَشْكُوَ حالَهُ الى يَزِيدَ وكانت دمشقُ فی تلك الايام فيها
سريرُ المُلكِ فلما وصَلَ الرجلُ الى ظاهرِ دمَشْقَ سأَلَ عن يزيد
فعرَّفوه انه فی الصَيْدِ فكَرِهَ ان يَدْخُلَ دمشقَ ولبس يزيدُ حاضرًا
فيها فضرَبَ خُيَيْمَةً ظاهرَ المدينة واقام به يَنتظِرُ عَوْدَ يزيدَ من
الصيد فبينما هو فی بعض الايام جالِسٌ فی خَيْمَتِهِ لم يَشْعُرْ الاّ
بكَلْبَةٍ قد دَخَلَت عليه الخَيْمَةَ وفی قوايمها الاساوِرُ الذهَبُ وعليها
جُلٌّ يُساوِی مَبْلَغًا كثيرًا وقد بلَغَ منها العَطَشُ والتَعَبُ وقد
كادت تَموتُ تَعَبًا وعَطَشًا فعَلِمَ انها ليزيدَ وانها قد شَذَّت منه
فقام اليها وقدَّمَ لها ماء وتعَهَّدَها بنفسه فما شَعَرَ الاّ بشابٍّ
حَسَنِ الصورةِ على فَرَسٍ جميلٍ وعليه زِيُّ الملوكِ وقد عَلَتْهُ غَبَرَةٌ
فقامَ اليه وسَلَّمَ عليه فقال لَهُ ارايتَ كَلْبَةً عابِرَةً بهذا الموضعِ
فقال نَعَمْ يا مَوْلانا ها هِیَ فی الخَيمَةِ قد شَرِبَتْ ماء واستراحَتْ وقد
كانَتْ لَمَّا جاءت الى هاهُنا جاءت على غايةٍ مِنَ العَطَشِ والتَعَبِ

فلما سَمِعَ يزيدُ كلامَهُ نَزَلَ ودَخَلَ الخَيْمةَ ونظر الى الكَلْبَةِ وقد استراحَتْ فجَذَبَ بحَبْلِها ليَخْرُجَ فشكا الرَجُلُ اليه حالَهُ وعَرَّفَهُ ما اخَذَ منه عُبَيْدُ اللهِ فطَلَبَ دَوَاةً وكَتَبَ له بِرَدِّ ما لَهُ وخلعةٍ سَنيّةٍ واخَذَ الكَلْبَةَ وخرجَ فرَدَّ الرجُلُ مِن ساعته الى الكوفة ولم يَدْخُلْ دمشْقَ ، وكان السلطان مَسْعودٌ يُبالِغُ ايضا فى ذلك ويُلْبِسُ الكلابَ الجِلالَ الأَطْلَسَ الموشّاةَ ويُسَوِّرُها الأَساوِرَ وكان يُقَلِّلُ فى بعضِ الوَقْتِ الالتفاتَ الى امين الدولةِ بنِ التَلْميذِ الطبيب النَصْرانيِّ وكان فاضلاً ظريفًا فقالَ — الكامل

مَن كان يُلْبِسُ كَلْبَهُ وَشْيًا ويَقْنَعُ لى بجِلْدِى

فالكَلْبُ خَيْرٌ عنده مِنّى وخَيْرٌ منه عندى

وحدثنى الامير فخرُ الدين بُغْدِى بن قَشْتُمٍ قال ضرَبَ جَدّى الملكُ قَشْتمرُ حَلَقَةً للصَيْدِ فوقَعَ فيها انسانٌ قصير جِدًّا كصغيرٍ يكون عُمْرُهُ خَمْسَ سِنينَ وقد طالت أَظْفارُه وشَعَرُ بدنه طُولاً مُفْرِطا قال فامسكوه واحضروه بين يدَى الناصرِ فاستنطقوه فلم يَنْطِق فاحضروا له الطَعامَ فلم ياكُلْ والماء فلم يَشْرَبْ فاجتهدوا معه بكلِّ مُمْكِنٍ على ان يتكلّمَ وهو صامتٌ لا يَنْطِقُ ببِنْتِ شَفَةٍ فقال له بعض الحاضرين فأَىَّ شىء تُريدُ فلم يتكلّمْ فقال له تُريدُ نَطْلُقكَ فحَرَّكَ راسَهُ يعنى نَعَمْ قال فتقدّمَ الناصرُ باطْلاقه فلما أُطْلِقَ عدا

اشدّ مِين عَدْوِ الغزالِ ثم دَخَـلَ البَرِيّةَ " سُئِـلَ بَزْرُ جُمْهِرٍ عن أَرْدِشيرَ فقال أَحْيَى اللَّيْلَ لِلحِكْمَةِ وفَرَّغَ النهارَ للسِياسَةِ وقيلَ له لأَيّ حالٍ عَمَّ كِسْرَى بمَعْروفِهِ جَمِيعَ رعيّتِهِ قـال خَوفًـا أن يَفُوتَهُ المستَحِقُّ قِيلَ لـه فكيف يُمْكِنُ أنْ يَعُمَّ بمعروفِهِ جميعَ رعيتهِ قال نعم كان يَنْوِى لهم الخَيْرَ فـاذا نَوَى لهم الخَيْرَ فقد عَمَّهُم بمعروفِهِ روى عن عمر بن الخطابِ أنّهُ قال يَزَعُ اللهُ بالسلطانِ اكثرَ مما يَزَعُ بالقُرْآنِ قـالوا لانّ الناس يخافُونَ مِن عَواجِلِ العُقُوبـةِ أَشَدَّ مما يخافون من آجِلها " ومما لا يليق بالملِكِ الكامِلِ الافاضةُ فى مجلسهِ فى وَصْفِ الطَعامِ والنِساءِ لِئَـلَّا يُشارِكَ بذلك العامَّةَ لانّ العامّـةَ قد قَنِعُوا مِن عَيْشِهم باليَسِيرِ واقتَصَرُوا عليه وتركوا الامورَ الكبارَ فاذا أَرَادُوا ان يُفِيضُوا فى حديث لم يَكُنْ لهم الا وَصْفُ أنْواعِ الاطعِمَةِ ووَصْفُ اصناف النساء قالَ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ جَنِّبُوا مجالِسَنا ذِكْرَ الطعامِ والنساءِ فانّى أُبْغِضُ ان يكونَ الرجلُ وَصّافًا لبَطْنهِ مدّاحًـا لفَرْجِه مـايلا بصغوِهِ الى النساء قـالَ ابرويزُ لابنهِ لا تُوَسِّعَنَّ على جُنْدِكَ فَيَسْتَغْنُوا عنكَ ولا تُضَيِّقْ عليهم فيضْجَرُوا منك وأَعْطِهم عَطاءً قَصْدًا وٱمنَعْهُم مَنْعًا جميلا ووَسِّعْ عليهم فى الرجاء وَلا تُوَسِّعْ عليهم فى العَطـاء ولمّا سَمِعَ المنصورُ هذا الكلامَ صادَفَ منه مَوْضِعًا قابلًا للشحِّ الغالبِ عليه فقال هذا هو الرأىُ وهذا معنَى قول

القايـل أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ فقام اليه بعض القُوّادِ وقال يا امير المومنين أَخافُ ان يُلَوِّحَ له غيرُكَ برَغيف فيَدَعُكَ ويَتْبَعُهُ قالوا سياسةُ الرياسةِ اشَدُّ من الرياسةِ كما انّ سياسة الخدمة أَشَدُّ من الخِدْمَةِ وكما أَنَّ التَوَقّيَ بَعْدَ شُرْبِ الدواء اشَدُّ من الدواء وكذلك رَبُّ الصَنيعَةِ أَشَدُّ من الصنيعَةِ وعلى الرَئيس أَنْ يَصْبِرَ على مَضَضِ الرِياسَةِ قال بعض حكماء الترك ينبغى ان يكونَ فى قايدِ الجَيْش عشْرُ خصالٍ من أَخْلاقِ الحيوانِ جُرْءةُ الأسَدِ وحَمْلَةُ الخِنْزيرِ وروَغانُ الثَعْلَب وصَبْرُ الكَلْبِ على الجِراحِ وغارَةُ الذيبِ وحِراسةُ الكُرْكِيِّ وسخاءُ الديكِ وشَفَقةُ الدجاجةِ على الفَرارِيج وحَذَرُ الغُرابِ وسِمَنُ تَعْرو وهى دابّةٌ تكونُ بخُراسانَ تَسْمَنُ على السَفَرِ قالوا والفاضِلُ من طُلّابِ الرِياسَةِ هو الذى يَكُونُ مطبوعًا على المعرفة مخلوقًا فيه صحّةُ التمييزِ مُكْتَسِبًا للعلمِ بما جرى فى الدنيا من تصاريف الدهور وتَنَقُّلِ الدوَلِ عارفًا بمُداراة الاعداء كَتُومًا لسِرّه اذا كان قُطبُ السياسةِ عليه يَدُورُ وان يَسْتَمِدَّ لعَقْلِه من عقولِ العقلاء فانَّ العقلَ الفَرْدَ لا يقومُ بنفسه وينبغى ان يكونَ ذا رَوِيّةٍ عند اشتباه الآرآء وعزيمةٍ عند اختلاف الاهواء حتى يَكْشف " واما الحزم فهو الأصلُ الذى يُبْنى عليه فى تحصين المملكةِ وقد كان يَجِبُ تقديمُه وذِكْرُه فى اوّلِ الكتاب عند أَخَواته

من الخصالِ المحمودة ولكنّ العَقْلَ يَشتمِلُ عليه ويَسْتلزِمُهُ فَاكْتَفى بذكرِه ولا بأْسَ بذكرِ نُبْذةٍ فى هذا الموضع منه، قالوا احزَمُ الملوكِ مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزْلَهُ وقَهَرَ رايُهُ هَوَاهُ وعَبَّرَ عن ضميرِه فِعْلُهُ ولم يَخْتَدِعْهُ رِضاهُ عن حَظِّهِ ولا غَضَبُهُ عن كَيْدِهِ وكان يُقالُ الحازِمُ مِنَ الملوكِ من يَبْعَثُ العيُونَ على نَفْسِهِ ويتفقَّدُها حتى لا يكون الناسُ بعَيْبِهِ أَعْلَمَ مِنْهُ بعَيْبِ نَفْسِهِ وقالوا أَحْزَمُ الملوكِ مَن حَمَلَ رعيَّتَهُ على التخلُّقِ بأَخْلاقِهِ والتأدُّبِ بآدابه بالرِفْقِ والتوصُّلِ الحَسَنِ والتأتِّي اللطيفِ، وخَطَرَ لى فى هذا المَعْنَى سِرٌّ لَطيفٌ وهو أَنَّ الرَعيَّةَ اذا تَدَرَّجُوا الى التَخلُّقِ بأَخْلاقِ المَلِكِ والتأدُّبِ بآدابه صاروا مستَحْسِنِينَ لصادِراتِ احوالِهِ وأَفْعالِهِ لانهم هم يَفْعَلُونها ويَعْتَمِدُونَها فلا يَصيرُ أَحَدٌ منهم يَذُمُّ سِيرَتَهُ ولا يُزْرِى عليه ومَتَى كانَتْ طِباعُهُم مُنافِيَةً لِطِباعِه وأَخْلاقُهم مُضادَّةً لأخْلاقِه أُغْرُوا بالإِزْراءِ عليه والذَمِّ لأَفْعالِهِ وهذا سِرٌّ لطيفٌ مُنْطَوٍ فى قولهم قالوا وأَحْزَمُ الملوكِ من تَقَدَّمَ باحكامِ الأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِ حاجَتِهِ وتَدارُكِ المُهِمِّ الخَطِرِ قَبْلَ وُقوعه، قيلَ للاسكندرِ ما علامَةُ دَوامِ المُلْكِ قال الاقتداءُ بالحَزْمِ والجِدِّ فى كل الامورِ قيلَ فما عَلامةُ زَوالِهِ قال الهَزْلُ فيه، وقالَ أَنُوشَرْوان الحَزْمُ حِفْظُ ما وَلِيتَ وتَرْكُ ما كُفِيتَ، وقالَ آخَرُ احزمُ الملوكِ مَن مَلَكَ أَمْرَهُ ودَبَّرَ خِصالَهُ وقَمَعَ شَهْوَتَهُ

وقهر نوازعه قالوا ينبغى ان يكون اول امر الملك الحزم فاذا وقع الامر فينبغى ان يكون حينيذ الجدّ والاجتهاد قيل لبعض فضلاء الملوك نراك اذا وفد عليك وافد أطلت مجالسته وربّما لا يكون اهلاً لذلك قال انّ حقيقة حال الرجل لا تبين فى مجلس او مجلسين فانا أطاول عشرته واختبره فى عدّة مجالس فان كان فاضلا اصطفيته وان كان ناقصا تركته وقال آخر لا ينبغى لاحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز ولا يرغب فى تضييعه لنكبة دخلت على حازم قالوا من لم يقدّمه الحزم اخّره العجز وقيل لعبد الملك بن مروان ما الحزم قال اختداع الناس بالمال واستمالتهم به فانهم اتباعه اين كان كانوا وكيف مال مالوا وقال بعض الملوك لبعض الحكماء متى تكون الثقة بالعدوّ حزما قال اذا شاورته فى امر هو لك وله وقال مسلمة بن عبد الملك ما فرحت بظفر ابتدأته بعجز ولا ندمت على مكروه ابتدأته بحزم ومما يجب على الملك الفاضل إمعان النظر فى امر الاسرار وصونها وتحصينها وحراستها من الافشاء والذياع وهذا باب يحتاج فيه الى التأنّى التامّ فكم من مملكة خربت وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سرّ واحد وحفظ السرّ وكتمانه من افضل ما اعتنى به الانسان فمما جاء فى ذلك فى الحديث من كتم سرّه ملك امره وقال علىّ عمر الراى

تحصينُ السِرّ " أَسَرَّ بعضُ الناس الى رجلٍ حديثا وامَرَه بكتمانه فلما انقضى الحديثُ قال له فَهِمْتَ قال بل نَسيتُ وقالَ عَمْرُو بنُ العاصِ اذا اَفْشَيْتُ سِرّى الى صديقى فاذاعهُ كانَ اللومُ لى لا لَهُ قيلَ له وكيف ذلك قال لانّى انا كُنْتُ أَوْلَى بصيانته منه " الطويل

اذا ضاقَ صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نفسهِ
فصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَعُ السِرَّ أَضْيَقُ

قالوا لا ينبغى ان يكونَ سِرُّ الملكِ الّا عند واحدٍ فانه اذا كان عند واحدٍ كان أَحْرَى ان لا يَظْهرَ امّا رَغْبَةً او رَهْبَةً لانه ان ظَهرَ تَحقّقَ المَلِكُ انّ ظُهورَه قد كان مِن جِهة ذلك الرجُلِ ومَتَى كانَ السِرُّ عند جماعةٍ ثم ظهرَ أَحالَ كُلُ واحدٍ منهم على الآخرِ فان عاقَبَهم الملكُ جميعًا كانَ قد ظَلَمَهم الا واحدًا وان ترَكَ مُعاقبتَهم طَمِعُوا وتطرّقُوا على افْشاء اسراره قال الشاعرُ المتقارب

وسِرُّك ما كان عند آمْرِءٍ وسِرُّ الثلثةِ غيرُ الخَفى

فان احتاجَ الملكُ الى اظهار سِرّه لجماعةٍ فاَصْلَحُ ما لَهُ أَنْ يُفْضِىَ به الى كل واحدٍ منْهم على سبيل الانفرادِ ويُوصيه بالكِتْمان ويُوهِمُهُ انه ما اَفْضَى الى غيره به فذلك أَجْدَرُ لأَنْ يَنْكَتِمَ السِرُّ " شاوَرَ بَعْضُ مُلوكِ الفُرْسِ وزراءه فى امرٍ فقال واحدٌ منهم لا ينبغى للملكِ

ان يَسْتَشِيرَ بأحَدِنا الا خاليًا به فانه اكتَمُ للسِرّ وأحْزَمُ في الرأي واجْدَرُ بالسَلامةِ وأعْفَى لبَعْضِنا من غايلةِ بَعْضٍ" وما اعْتَنَتْ دَوْلَةٌ بتحصين الاسرارِ والمُبالَغةِ في حِفظِها كالدولة العباسية فانّ لها مِن هذا الباب عجايبَ وكم مِن نعمةٍ ازالوهـا عن اربـابها ونَفْسٍ أزْهَقوها بسَبَبِ كَلِمَةٍ منقولةٍ او حكايةٍ مَقُولةٍ" جرى في ايام الناصِرِ قضيةٌ طريفةٌ لا بَـأْسَ بذكرِهـا هاهُنَا ' كان للناصِرِ وَلَدانِ هما وَلَدا وَلَدِه وكان قد أقْطَعَهما بلادَ خوزِسْتان وتَوَجَّهَا اليها واقامـا بها ففي بعضِ الليالى افكر الناصِرُ في امرِهِـا واشتاقهما وخافَ عليهمـا مِن حادثٍ يَحدُثُ بتلك الناحيَةِ فـأرْسَلَ في الحالِ الى وزيره القُمّىِّ وقال له أرْسِلْ في هذه الساعةِ اليهما مَن يامُرُهما بالوصول الى بغداذَ ولا تُشْعِرْ بهذا مخلوقا فـاحْضَرَ الوزيرُ نَجّابًا في ذلك الحالِ وكان جماعـةٌ من النجابينَ يَبيتُون في كل ليلةٍ بباب الديوانِ يَبِيتُ أحَدُهم وتحتَ راسـهِ رِحالته وزادُه ونَفَقَتُه وقد وَدّعَ اهلَهُ فان عَرَضَ في الليـل مُهِمٌّ توجَّهَ فيـه فلما حَضَرَ النجّابُ بين يدى الـوزير شافَهَهُ بالمُراسَلَةِ وقـال لـه تَخْرُجُ في هذه الساعةِ وايّاكَ أنْ يَعْلَم هذا أحَدٌ فيكون عِوَضَـهُ نَفْسُكَ ثم تقدَّمَ الوزير بفتح باب من ابواب السُورِ له فلما مَضَى لِيَخْرُجَ اجْتازَ ببعض الدُروب وامْرأتانِ في مَنْظَرتَيْنِ مُتقابِلَتَيْنِ تتحدّثانِ فقالت احداهما للأخرَى تُرى هذا

النَّجّابَ الى أَيْنَ يَمْشِي فى هذا الوَقْت فقالت لها الاخرى يَمْشِي الى دُسْتَرٍ لاِحْضارِ اولادِ الخليفة فانه قد خاف عليهما وقد اشتاقهما لان مُدَّتَهُمَا هُناك قد طالت فلما سَمِعَ النجّابُ ذلك رَجَعَ من ساعته واستأذن على الوزير فلما عَلِمَ الوزيرُ برُجُوعِهِ انزعَجَ لذلك واحْضَرُوه وسَأَلَهُ عن سَبَب عَوْدِهِ فقال له يا مولانا جَرَى الساعَةَ فى الدَّرْبِ الفُلانىّ كَيْتَ وكيت وخِفْتُ أن أَتَوجَّهَ ويَنْتَشِرُ هذا الحديثُ فما تَشُكُّون فى انّنى انا الذى اظهرتُه فيكون ذلك سَبَبَ هَلاكِى فقال له الوزيرُ قد عَرَفْنا ذلك اخرُجْ وتَوَجَّهْ فى أمانِ الله فانّ الشياطِينَ تَنْقُلُ عظايمَ الاخبارِ ٬ ومما يجرِى هذا المجرى مما حَدَّثَنى به بَعْضُ اهل بغدادَ قال حدّثنى صديقٌ لى قال كُنّا نَتَمَشّى فى دُولابِ بُسْتانِ البَقْلِ وقد أَمْعَنّا فى الدخولِ الى أَقْصاهُ فسَمِعْنا صَوْت قايلٍ يَقُولُ ماتَ اباقا قال فنَظَرنا فلم نُبْصِرْ أَحَدًا ثم انّنا أَرَّخْنا اليَوْمَ فلما فَشَا الخَبَرُ كان كما قال ٬ قيلَ إنّ صاحبَ المَوْصِلِ واَظُنُّهُ بدرَ الدينِ قال لمَجْدِ الدين بن الاثير الجَزَرِى أُرِيدُ أن تُعَيِّنَ لى فى هذه الساعة على رَجُلٍ دَيِّنٍ أمينٍ يَكُونَ مَوْضِعًا للسِرِّ حتى أُحَمِّلَهُ مُشافَهَةً سِرِّيَّةً الى الخليفة ويَتَوَجَّه فى هذه الساعة فافكر ابن الاثير ساعةً ثم قال يا مولانا ما أَعْرِفُ أَحَدًا بهذه الصفة الا أخِى قال فقُمْ وعَرِّفْهُ ذلك وأَرْسِلْهُ اِلَىَّ حتى أُشافِهَهُ

ويتوجّهُ فى هذه الساعةِ فجاء مَجْدُ الدين الى دارِه وحَكَى لأخيه ما جَرَى عند السلطانِ وقال له يا أخى واللهِ ما شَهِدْتُ لك الا بما أَعْرِفُهُ منك فتوجَّهَ الى خِدمةِ السلطانِ وامتثَلَ ما يُشِيرُ به فحضَرَ ابنُ الاثيرِ عند السلطانِ وشافَهَهُ بالمراسلة وقال له تتوجَّهُ فى هذه الساعة فحضَرَ ابنُ الاثيرِ الى دارِه لِيُوَدِّعَ اخاه فوجَدَه قايمًا فى الدِهْليزِ يَنْتَظِرُه فقال له شافَهَك السلطان بالحديث قال نَعَمْ قال فما هو قال يا أخى الساعةَ شَهِدتَ لى عنده بالدِينِ والأمانة وحِفْظِ السِرِّ فيَجوزُ ان أُكَذِّبَك فى الحال قال لى شَيْئًا ما اقوله الا لمن أمَرَنى بان اقولَهُ لَهُ قال فبَكَى مَجْدُ الدين اخوه ودعا لَهُ ومن الاشعار المقولة فى ذلك قولُ الحماسيّ — الطويل

وفِتيانِ صدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
على سِرِّ بعضٍ غَيْرَ أَنِّى جِماعُها
لِكُلِّ امْرِءٍ شِعْبٌ من القلب فارغٌ
وموضعُ نَجْوَى لا يُرامُ اطِّلاعُها
يَظَلُّونَ شَتَّى فى البلادِ وسِرُّهُمْ
الى صخْرةٍ أَعْيَى الرِجالَ انصداعُها

ومن جيد ما قيل فى ذلك — البسيط

لا تَسْأَلِ القومَ ما مالى وكَثْرَتُه

وسايِلي القومَ ما مَجْدِي ومـا خُلُقِي
هـل أَطْعُنُ الطَعْنَةَ النَجْلاءَ عن عُرُضٍ
واكْتُمُ السِرَّ فِيـهِ ضَرْبَـةُ العُنُـقِ

ومن جيده قول الصابي — الطويل

فقُـلْ لصديقى كُنْ عَلَى السِرِّ آمِنـًا
اذا لم يَكُنْ بـينى وبينك ثـالِثُ

وقول الآخرِ — الوافر

وانـكَ كُـلَّمـا اسْتُـودِعْتَ سِـرًّا
أَنَمُّ مِن النسيمِ عـلى الـرِيـاضِ

ولمولفِ هذا الكتاب فى ذلك مِن جُمْلةِ ابياتٍ — الطويل

ومـا احْتَـفَرَ الاصحـابُ لـلسِرِّ حُفْرَةً
كصَدْرِى ولو جارَ الشَرابُ على عَقْلِي

وله فى ذلك ايضا — الوافر

وإِنْ يكُنِ الـزُجَـاجُ يَنُمُّ طَبْعًـا
فسـيِّدُنـا أَنَـمُّ مِـنَ الـزُجَـاجِ

ومن الامور التى يَجِب تدقيقُ الفِكْرِ فيهـا والتثبُّتُ التامُّ والتَأنِّى فى تاملِّها حديثُ السعاياتِ والنمايِمِ فكم من نَمَّـامٍ او ساعٍ قد شَفَى غَيْظَه بايقاعِ مِسْكِينٍ بين يدى ملكٍ قاهِرٍ فى تُهْمَةٍ هو بَرِىٌّ

منها ثم اشتبه الأمرُ على الحاكم فهلك الرجل البرئ بغير ذنب ثم لما علم بصورة الحال ندم حين لا ينفع الندم فعمّ الضرر بذلك الثلاثة الساعيَ والمسعى اليه لانهما اهلكا دينهما بما فعلاه والمسعى به لتعجّله العقوبة فعمّ الضررُ الثلاثة ؛ ومما جاء فى ذلك فى التنزيل يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ؛ ومما جاء فى الحديث مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعنّ الينا عورة اخيه المسلم ؛ رفع انسانٌ الى يحيى بن خالد بن برمك قصّة يقول فيها انه قد مات رجلٌ تاجرٌ غريبٌ وقد خلّف جاريةً حسناء وولدا رضيعًا ومالاً كثيرًا والوزيرُ احقّ بهذا فكتب يحيى بن خالد على راس القصّة امّا الرجلُ فرحمهُ اللهُ وامّا الجاريةُ فصانها اللهُ وامّا الطفلُ فرعاه اللهُ واما المالُ فثمّره الله واما الساعى الينا بذلك فلعنهُ اللهُ ؛ قيل لما تولّى عبدُ العزيز بن مروان دمشق ولم يكن فى بنى اميّة البّ منه وكان حدثَ السنّ طمع فيه اهلُ دمشق وقالوا صبىٌّ لا علمٌ له بالامور وسيسمعُ كل ما نقولُ له فقام اليه رجل وقال اصلحَ اللهُ الاميرَ نصيحةً فقال ليت شعرى ما هذه النصيحةُ التى ابتدأتنى بها من غير يد سبقت منى اليك هاتِ نصيحتك قال لى جارٌ وهو عاصٍ خالعٌ للطاعة وذكر له عيوبًا فقال له عبدُ العزيز انك ايها الرجلُ ما اتّقيت

اللهَ تعالى ولا اكرمتَ اميرَكَ ولا حفظتَ جوارَكَ ان شئتَ نظرنا فيما تقول فان كُنْتَ صادقا لم ينفعكَ ذلك عندنا وان كنتَ كاذبًا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك فقال بل اقلني ايها الاميرُ قال اذهَبْ حَيْثُ شئتَ لا صحبَكَ اللهُ انّى اراكَ شرّ رَجُلٍ كان الوزيرُ علىُّ بنُ محمد بن الفراتِ وزير المقتدرِ يُبْغِض السُعاةَ فكان اذا رَفَعَ احَدٌ اليه قصّةً فيها سعايةٌ باحدٍ يَخْرُجِ حاجبُهُ الى البابِ والناسُ على طَبَقاتهم وُقوفٌ فيقول اين صاحبُ هذه السِعايَةِ قد قال لكَ الوزيرُ كذى وكذى فيفتضحُ ذلك الرجل فى ذلك الجمع فترك الناسُ السِعاياتِ فى ايامه قال عبد الرحمن ابن عَوْف مَن عَرَفَ فاحِشَةً فافشاها كان هو الذى أتاها كتب قُبَاذُ المَلِكُ لابنه كِسْرى عَهْدًا فمن جُمْلَتهِ يا بُنَىّ لا تُدْخِلْ فى مَشُورَتكَ بَخيلاً فانه يُقصّرُ بكَ عن غايةِ الفضل ولا جَبَانًا فانه يُضَيّقُ عليك الأمُورَ عند انتهاز الفُرْصةِ يا بُنَىّ لِيَكُنْ ابْغَضَ رعيّتكَ اليك اكثرُهم تكشيفا لمعايبِ الناس فان فى الناسِ عُيُوبًا انتَ احَقُّ مَن سَتَرَها وكَرِهَ ما تكشّفَ مِن غايبها فانما اليك الحُكْمُ على ما ظَهَرَ والله يحكُمُ فيما غاب فاكرَهْ للرعيّة ما تكرهُ لنَفْسك واستُرِ العورةَ يَسْتُرِ اللهُ عليك ما تُحبّ سَتْرَه ولا تَعْجَل الى تصديق ساعٍ فانّ الساعىَ غاشٌّ وان قال قولَ النصيح واَعْطِ الناسَ من عفوك مِثْلَ ما تُحبُّ أنْ

يُعْطِيكَ مَنْ فوقَكَ ومن مليح مـا قيل فى ذلك قول مِهْيار يخاطب بَعْض الوزراء الكامـل

يا سَيْفَ نَصْرِى والمُهَنَّدُ تابِعى ورَبِيعَ دَهْرِى والزمـانُ مُصَدِّفُ
ومُعِيدَ ايـامى عَلَىّ بَدَائِنـا سِمَنًا وهُنَّ على الأنـامِ عِجافُ
أَخْلاقُكَ الغُرُّ السَجَايا ما لَها حَمَلَتْ قَذَى الواشِينَ وَهِيَ سُلافُ
والإفْكُ فى مِرآةِ رايِكَ مـا لَهُ يَخْفَى وأَنْتَ الجوهَرُ الشَفَّـافُ

ومن مليح ذلك قول القايل البسيط

سَعَى اليـكَ بِىَ الـواشى فـلم تَرَنِى
أَهْـلًا لتكذيب مـا أَلْـقَى منَ الخَبَرِ
ولـو سَعَى بكَ عِنْدِى فى أَلَذِّ كَرًى
طَـيْفُ الخيالِ لَبِعْتُ النوم بـالسَهَرِ

اختلفوا فى المِلِكِ القاهرِ العَسُوفِ والمِلِكِ المقتَصِدِ الضعيفِ فـفضّلوا القاهرَ العسوفَ واحتجُّوا بـانّ القَـوِىَّ العسوفَ يَكُفُّ الاطماعَ عَن رعيتهِ ويَحْمِيهِم من غيرهِ بقُوتهِ وله أَنَفَةٌ تَعْصِمُهم من شَرِّ غيرهِ فتكونُ رعيتُهُ بمَثَابـةِ مَن كُفِى شَرَّ جميع الناسِ وابتُلِى بشَرِّ واحِدٍ وامـّا المُقْتَصِدُ الضعيفُ فَيُهْمِلُ رعيتَهُ فيَتَسلَّطُ عليهم كلُ أَحَدٍ ويَدُوسُهم كل حافرٍ فيكونون بمثابةِ مَن كُفِى شَرَّ واحِدٍ وابتُلِى بشرِّ جميع الناسِ وبين الحالَيْنِ بَوْنٌ بعيدٌ وقال بعض الحكماء سلطان يخافـه

الرعيةُ خيرٌ من سلطانٍ يخافها، قال انوشروان عندی لمَنْ عرّض دمهُ سفكهُ ولمن جاوز حدّه تقويمهُ ولمن تعدّی طوره قمعهُ، قال بعض الحكماء أمران جليلانِ لا يَصْلح أحدُهما الّا بالتفرّد والاستبداد ولا يَصْلحُ الآخرُ الا بالاشتراكِ فامّا الذی لا يَصْلح الا بالانفرادِ فالمُلكُ متى وقَعَ فيه الاشتراكُ فسَدَ وامّا الذی لا يَصْلُح الا بالاشتراكِ فالرایُ متى وقَعَ فيه الاشتراكُ وثق فيه بالصّواب، ولا يجوز للملك ان يُصَغِّرَ فی نفسهِ أمرَ عدُوّه وان كان صغيرًا فی نفس الامرِ ولا يجوزُ لجلساء الملك أن يصغّروا امرَ عدُوّه عندهُ فانهم ان صغّروه حتى ظفرَ به العدوُّ كان وَهْنًا له اذ قد غلبهُ عدوٌّ صغيرٌ وان ظفرَ هو بالعَدُوّ لم يكن قد صنع طايلًا، لمّا رجع رسول اللهِ صلوات الله عليه وسلامه من وقعة بدرٍ ومعه الاسرى والغنايم وقد قتلَ اللهُ رؤس المشركين تلقّاه الناسُ من ظاهرِ المدينةِ عن اميالٍ فجعلوا يهنّونهُ بالفتح وجعلَ الناسُ يسألُ بعضُهم بعضًا عمن هلكَ وسلِمَ فقال بعضُ الصحابةِ واللهِ ما قتلنا الا عجايزَ صُلْعًا فاقبلَ عليه رسولُ اللهِ صلوات الله عليه باللّوم ولم يزل كالمُعرِض عنه ثم قال له اولئكَ يا ابن اخی الملأُ، ومن مليح ما رايتُ فی هذا المعنى قولُ حكيمِ الهندِ لبعض ملوكهم لا تحقرنّ أمرَ الاعداء وان صغُروا فانّ الزّبيرَ اذا جُمِعَ جُعِلَ منه حَبْلٌ يُشدُّ به الفيلُ المُغتلمُ،

واغبابَ الراي من الامور المُهِمَّة وأَجْوَدُ الراي ما وَقَعَ فيه التَأَنِّي والتَثَبُّت وبذلك يُؤْمَن زَلَل الراى قال الأَحْنَف بن قَيْس لاصحاب عَلِيّ عمَّ اَغِبُّوا الراىَ فإنَّ اِغْبابَهُ يَكْشِفُ لكم عن مَحْضِهِ واستُشِيرَ بعضُ العُقلاء فى امرٍ فسَكَتَ فقيل له لِمَ لا تتكلّم فقال ما أُحِبُّ الخُبْزَ الّا بائِتًا ولمّا عَزَمَ الخوارجُ على مُبايَعَةِ عبد الله بن وَهْب الراسبى ارادوه للراي فقال ما أَنَا والراىَ الفطيرَ والكلامَ المُقْتَضَبَ فلما فرغوا مِن البيعَةِ قال اترُكوا الراىَ يَغِبُّ أَىْ يَأْتِي عليه يومٌ وليلةٌ وكان يَسْتَعِيذُ بالله من الراي الفطيرِ قالوا مَرَّ الحَرِثُ بن زَيْد بالأَحْنَف بنِ قَيْسٍ فقال له لو لا أَنَّكَ عَجْلان لشاوَرْتُكَ وهذا دليلٌ على كَراهيَّتهم للراي الفطيرِ " وكانوا لا يُشاوِرون الجائعَ حتى يَشْبَعَ ولا الاسيرَ حتى يُطْلَقَ ولا الطالِبَ حتى يَبْلُغَ حاجتَهُ ولا العَطْشانَ حتى يَرْوَى ولا الضالَّ حتى يَهْتَدِىَ ولا الحاقِنَ حتى يخفف ما عنده وقال بعض الشعراء يَصِفُ عاقلا — الطويل

عليمٌ بأَعْقابِ الأُمورِ كانّما — يخاطِبُهُ من كُلِّ أَمْرٍ عَواقِبُهْ

وما أَعْرِفُ احْسَنَ من قولِ ابنِ الرومى فى تفضيلِ الراي المُخْتَمِرِ على الراى الفطيرِ — البسيط

نارُ الرَوِيَّةِ نارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٍ — وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تَلْوِيحِ

وقد يُفَضِّلُها قومٌ لعاجِلِها — لكنه عاجِلٌ يَمْضِى مع الريحِ

ومما يُوجِبُهُ العَقْلُ الصحيحُ أَنَّ الانسانَ لا يَدْخُلُ فى أمرٍ يَعْسُرُ الخروجُ منه قال الشاعر الخفيف

ما مِن الحزم أَنْ تُقارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ البُعْدَ منه بَعْدَ قليلِ

فاذاما هَمَمْتَ بالشيء فانْظُرْ كيف منه الخروجُ بعدَ الدُخولِ

قالوا وأَفْضَلُ مِن ذلك انّ الانسانَ لا يُدخِلُ نَفْسَهُ فى أمْرٍ يَحْتاجُ فى الخروج منه الى فِكْرٍ، قال مُعَوِيَةُ لعَمْرو بن العاص ما بَلَغَ من دَهايكَ قال ما دَخَلْتُ فى أمْرٍ الّا واَحْسَنْتُ الخروجَ منه فقال معويةُ لكنّى انا ما دَخَلْتُ فى امرٍ اَحْتاجُ فى الخروجِ منه الى فِكْرٍ، ومن الامور المهمة للملِك حُسْنُ نَظَرِه فى اِرْسالِ الرُسُلِ فبالرسولِ يُسْتَدَلُّ على حالِ المُرْسِلِ، قال بعض الحُكماء اذا غابَ عنكم حالُ الرَجُلِ ولم تَعْلَمُوا مِقدارَ عَقْلِه فانظُروا الى كتابِه او رسولِه فهما شاهِدانِ لا يَكذِبانِ، ويجِبُ ان يكونَ فى الرسولِ خِصالٌ منها العَقْلُ لِيُمَيِّزَ به الأمْرَ المستَقيمَ مِنَ المُعْوَجِّ والأمانَةُ والعَفافُ لِئَلّا يَخونَ مُرْسِلَهُ فكَمْ مِن رَسُولٍ بَرَقَتْ له بارِقَةُ طَمْعٍ مِن جِهَةِ من اُرْسِلَ اليه فحَفَظَ جانِبَهُ وتَرَكَ جانِبَ مُرْسِلِهِ، ارسلَ معويةُ الى ملكِ الرومِ رسولاً من أقارِبِهِ كان يَعْتَمِدُ عليه لتقريرِ اَمْرِ الهُدْنَه واشْتَرَطَ معويةُ شُروطًا غليظةً فلما حَضَرَ الرسول عند ملكِ الرومِ اجْتَهَدَ به على تخفيف تلك الشروطِ فلم يَقْبَلْ فخَلاَ به وقال له بَلَغَنى انكَ فقيرٌ وأنكَ اذا

أَرَدْتَ الرُكوبَ الى معوية تَسْتَعِيرُ الدوابَّ قال كذلك هو قال فما أَرَاكَ تعمَلُ لِنَفْسِك شيئًا وهذا المالُ الذى عندنا كثيرٌ فَخُذْ منه ما يُغْنيك الى الأبَدِ ودَعْ مُعَوِيَةَ وأَحْضَرَ له عِشرِينَ أَلْفَ دينارٍ فاخَذَها وخَفَّفَ له الشروطَ وأَمْضَى امْرَ الهُدْنَةِ ثم رَجَعَ الى مُعَوِيَةَ فلما نظرَ معويةُ فى الكتاب عَلِمَ بالحالِ فقال له ما أَرَاكَ عَمِلْتَ الَّا لَهُ وعَزَمَ على مُواخَذتهِ فقال له يا اميرَ المومنين أَقِلْنِى قال قد أَقَلْتُكَ وأَعْرَضَ عنه " وفيما فعل كمالُ الدين محمد بن الشَهْرَزُورِىّ حين أَرْسَلَهُ اتابكُ زَنْكِى صاحِبُ المَوْصِلِ الى بغدادَ لتقريرِ امرِ الراشِدِ مَنْبَهَةٌ على وُجُوبِ تدقيق النَظَرِ فى اختيارِ الرُسُلِ وذاك انه لما خُلِعَ الراشِدُ الخليفةُ ببغداد فارقَها وحضر الى المَوْصِلِ مستَسْعِدًا باتابك زنكى وخلا به ووَعَدَه ومَنَّاه انه اِن عاد الى الخلافة أَن يَفْعَلَ معه ويَصْنَعَ فتهَوَّسَ اتابك زنكى بذلك وضَمِنَ له صَلاحَ الحالِ مع السلطان مَسْعُودٍ ثم انّ اتابكَ زنكى عَزَمَ على مُراسَلةِ الديوان ببغدادَ فى هذا المعنَى فاختار للرسالة كمال الدين ابن الشهرزورى قاضى الموصلِ فارسَلَهُ ووَصَّاه بالاحتجاج والمبالَغة فى تَقْرِيرِ أَمْرِ الراشِدِ ونَقْضِ ما أَبْرَمُوهُ من خلافة المُقْتَفِى فتوجَّهَ كمالُ الدين الى بغداد قال ابنُ الأثيرِ صاحِبُ التاريخ حكى لى والدى قال حَكَى لى كمالُ الدين المَذْكُورُ قال لَمَّا حَضَرْتُ بالديوانِ

قيل لى تُبايعُ اميرَ المومنين فقلتُ اميرُ المومنين عندنا بالموْصِلِ ولـه
فى أعناقِ الخَلْقِ بَيْعَةٌ متقدّمـةٌ قال وطال الحديثُ فى ذلك وعُدْتُ
الى مَنْزِلى فلما جاء الليلُ جاءتْنى عَجُوزٌ سِرًّا واجتمعَتْ بى وابلغَتْنى
رِسالـةً من المقتفى مضمونُها المُعَاتَبَةُ لى على ما قلتُ واستنزالى عنه
فقلتُ غدًا اَخْدُمُ خِدْمَةً يَظْهَرُ اَثَرُهـا فلما كان الغَدُ حَضَرْتُ
بـالديوانِ وقيل لى فى معنى البَيْعَةِ فقلتُ انـا رجُلٌ فقيهٌ قاضٍ ولا
يَجُوزُ لى ان اُبايِعَ الا بعدَ اَن يَثْبُتَ عندى خَلْعُ المتقدّمِ فاحْضَرُوا
الشُهُودَ فَشَهِدُوا عِنْدِى بفسْقِ الراشِدِ فقُلْتُ هذا ثابتٌ لاَ كلامَ
فيه ولكِنْ لا بُدَّ لنا فى هذه الدَعْوَى من نصيب لانّ اميرَ المومنين
المقتَفِى حَصَلَت له خلافةُ الله فى اَرْضِهِ والسُلطانُ فَقَدِ استراحَ ممن
كان يَقْصِدُه فنَحْنُ باىِّ شَىْء نَرْجِعُ فرفَعَ الاَمْرَ الى المقتفى فامرَ ان
يُعْطَى اتابك زنكى صريفين ودَرْب هرون وحَرْبى ملكًا فبايَعْتُ المقتفى
وعُدْتُ وقد حصَلَ لى مـالٌ صالحٌ وتُحَفٌ وهدايا " وما اَدْرِى والله
من اىّ حالَيْهِ اعجَبُ من فِعلِه هذا وخيانتِهِ لمُرْسِلِهِ وتَسْوِيدِ وجهِهِ
مَعَ مَن استجارَ بـه فانه لم يكن الفايدةُ من ارسالِ كمالِ الدين
الاّ تَقوِيـةَ اَمْرِ المقتفى وتاكيدِ خَلْعِ الراشِدِ او مِن حكايتِهِ عن
نفسه مثل هذه الفعلةِ وكذلك ما جرى لِعَميدِ المُلكِ الكنْدرى
وزير السلطانِ طغرلبك اَرْسَلَهُ السلطانُ طغرلبك لِيَخْطُبَ لـه امْرأةً

فمضى الكندرىّ وخطبها لنفسه وتزوّجها وعضى على طغرلبك فلما ظفر به طغرلبك لم يقتله ولكن خصاه واستبقاه فى خدمته احتياجًا الى كفاءته وفى ذلك يقول الباخرزىّ الشاعر وكان صاحب الكندرىّ — الكامل

قالوا محا السلطان عنه بغربه ... سمة الفحول وكان قرمًا صايلا

قلت اسكتوا فلآن زاد فحولة ... لما غدا من انثييه عاطلا

والفحل يأنف ان يسمّى بعضه ... انثى لذلك جدّها مستأصلا

ومن الاشعار المقولة فى ذلك قول القايل — المتقارب

اذا كنت فى حاجة مرسلا ... فارسل حكيمًا ولا توصه

واجود من هذا المعنى واكمل قول الآخر — الوافر

اذا ارسلت فى أمر رسولا ... فافهمه وارسله اديبا

فان ضيّعت ذاك فلا تلمه ... على أن لم يكن علم الغيوبا

ومما يزين الملك اصطناع العوارف الى اشراف رعيته فبذلك تميل اعناقهم اليه ويدخلون بذلك فى زمرة خدمه وحاشيته وما زال افاضل الملوك يلحظون هذا المعنى فيفضلون دايمًا على اشراف رعيتهم انواع الافضال ليسترقّوهم بذلك، كان معوية اشدّ الملوك لهجًا بهذا المعنى كان يعطى عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وعبد الله بن العبّاس رضى الله عنهما فى كل سنة جملًا طايلة من المال وكفاك

مِن ذلك انّ عقيلَ بن ابى طالبٍ فارقَ اخاه علىَّ بن ابى طالب عمّ وقصد معويةَ مستميحًا وما ذاك لشُحٍّ عند اميرِ المومنين عمّ فانه كان صلوات الله عليه وسلامه يُبارى الريحَ جودًا وكرمًا وكان جميعُ ما يدخُلُ له من اَمْلاكهِ يُخْرِجُه فى الصَدَقاتِ والمبرّاتِ ولكنّ عَقيلاً كان يُريدُ مِن مالِ المسلمينَ اكثرَ من حَقِّهِ وما كان دِينُ اميرِ المومنين عمّ يَقْتَضِى ذلك وكان معويةُ يُعطِى لاجْلِ مَصْلَحَةِ الدنيا ولا يفكر فيما كان يُفْكِرُ فيه اميرُ المومنين عمّ وانظُرْ الى كمال الدين حَيْدَرَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ الحُسَيْنِىّ المَوْصِلىّ وكان شيخَ اَهْلِهِ ومُقدَّمَهُم سِنًّا وزُهْدًا وفَضْلاً ووَرَعًا كَيْفَ استمالَهُ صاحبُ الموصلِ بدرِ الدين بما اَسْداهُ اليه مِنَ الانْعامِ حتى مَدَحَهُ وانْخَرَطَ فى زُمْرَةِ شُعَرآئِهِ فمن شِعْرِهِ فيه — الطويل

هَنيئًا بجَدٍّ ساعَدَتْكَ سُعُودُهُ
وتَمَّ لهُ يَوْمَ التفاخُرِ عِيدُهُ
وبُشْرَى باقْبالٍ اَهَلَّ بَشِيرُهُ
كما وَفَدَتْ عندَ الهناءِ وُفُودُهُ
واَنّى لبدرِ الدينِ ذى الفخرِ والعُلَى
نَديدٌ وكَلّا اَنْ يُصابَ نديدُهُ

ومعَ انه صار من شعرايه وانْخرط فى زُمْرَةِ مُدّاحِهِ كان بَدْرُ الدين

بعدَ موتِ كمالِ الدينِ حيْدَرَ اذا اجْتازَ على تُرْبَتِهِ وهى تُرْبَةٌ مُفرَدَةٌ ظـاهِرَ الموصـلِ جَنُوبيّـةً قبليّةً يَترُكُ العَسْكَرَ ويَدْخُلُ اليه يَزُورُه ويَدْعُو لنفسه عند ضرِيحِهِ رَحِمَهُما اللهُ تعالى ✿

الفصل الثانى

فى الكلام على دولـةٍ دولـةٍ

لقد تَمَّ الكلامُ على الامور السلطانيـةِ والسياساتِ الملكيةِ وعُلِمَ بذلك سيرَةُ المَلِكِ الفاضل المستحِقّ للرياسةِ وخواصّ المَلِكِ التى يتميّزُ بهـا عن الرَّعايا والحقوقُ الواجبةُ للملك على رعيتهِ والحقوق الواجبةُ لهم عليه، واندَرَجَ فى أثْناء ذلك الكلامُ على كُلّيّاتِ احوالِ الدوَلِ على سبيـلِ الاجْمالِ، وكل مـا مضى فى هذه الأوْراقِ من اللطـايف والمحاسنِ فقد وَفَّرَ اللـه تعالى منـه حَظَّ المَوْلَى الملكِ الفاضـلِ حاطَـهُ اللهُ تعالى بأنْواعِ ألْطافه وبلّغَهُ أقْصَى الغاياتِ مِن اسْعـادِهِ واسْعافِهِ لانّ اللـه تعالى هَداهُ بسابقِ عنايَتِـهِ الى محاسنِ الشِيَمِ وفضّلَهُ بخافى لُطْفِهِ على كثيرٍ من الأُمَمِ "

وهذا أوانُ الشروعِ فى الكلام على دولةٍ دولةٍ، امّا الدولةُ الأولَى وهى دولةُ الأرْبَعةِ فـانّ ابتداءها كان مُنْذُ قُبِضَ رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ

عليه وسلامُهُ وبُويِعَ ابو بكر بن قحافة وذلك فى سَنَة اثنتى عَشْرَة من الهجْرَة وانتهاءها حِين قُتِلَ اميرُ المومنين علىُّ بنُ ابى طالب عم وذلك فى سنة اربَعينَ من الهجْرَة ' واعلم أنَّها دولة لم يكن مِن طَرز دُوَلِ الدنيا وهى بالامورِ النَبَوِيّة والاحوالِ الأُخْرَوِيّة أَشْبَهُ والحَقُّ فى هذا انّ زِيَّها قد كان زِىَّ الانبياء وهَدْيَها هَدْىَ الاولياء وفُتُوحها فُتوحَ الملوكِ الكبارِ فامّا زِيُّها فهو الخُشُونَة فى العَيْش والتَقَلُّل فى المَطْعَم والملْبس كان أَحَدُهم يَمْشِى فى الاسواقِ راجلاً وعليه القميصُ الخَلَقُ المرقوع الى نصْف ساقِه وفى رِجْلِه تاسومُه وفى يده دِرّة فمن وَجَبَ عليه حَدٌّ استوْفاه منه ' وكان طَعامُهُم من أَدْنَى اطعِمَة فُقرايهم ضَرَبَ اميرُ المومنين عم المثَلَ بالعَسَلِ والخُبْزِ النَقىّ يقال فى بعض كلامه ولو شيئتُ لاهتدَيْتُ الى مُصَفَّى هذا العَسَلِ بلُبَاب هذا البُرّ ' واعلم انهم لم يتقلّلوا فى اطْعِمَتهم وملبوسهم فَقْرًا ولا عَجْزًا عن أَفْضَلِ لِباسٍ وأَشْهَى مَطْعم ولكنّهم كانوا يَفْعَلون ذلك مُواساةً لفقراء رعيتهم وكَسْرًا للنَفْسِ عن شَهَواتِها ورياضةً لها لتَعْتادَ أَفْضَلَ حالاتِها والاّ فكُلُّ واحدٍ منهم كانَ صاحبَ ثَرْوَةٍ فَخْمَةٍ ونَخْلٍ وحَدَايِق وغَيْرِ ذلك من الاسباب ولكنّ اكثر خَرْجِهم كان فى وجوهِ البِرِّ والقُرْبِ كان لاميرِ المومنين علىّ عم ارتفاعٌ طايلٌ مِن املاكه يُخْرِجُهُ جميعَهُ على الفُقراء والضُعفاء

ويَقْتَنِعُ هو وعيالُه بالثَّوْبِ الغَليظِ مِن الكرباسِ وبالقُرْصِ مِن خُبْزِ الشَعيرِ واما فتوحُها وحروبُها فان خَيْلَها بَلَغَتْ افْرِيقيّةَ واقاصِىَ خراسانَ وعَبَرَتِ النَهْرَ فانّ عُبيدَ الله بنَ العبّاسِ توَلّى امارةَ سَمَرْقَنْدَ وبها ماتَ وفيها قَبْرُهُ فاوّلُ حُروبِها قِتالُ اهلِ الرِدة ۞

شرح كيفية الحال فى ذلك على سبيل الاختصار لما قُبِضَ رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه ارتَدَّ ناسٌ مِن الاعراب عنِ الاسلامِ وامتنَعُوا من اداء الزكاة وقالوا لو كان محمّدٌ نَبِيًّا لَمَا ماتَ فوعَظَهُم ذَوُوا اللُبِّ والعَقْلِ وقالوا لهم اَخْبِرُونَا عَن الانبياء عليهم السلامُ هل تُقِرُّون بنُبُوّتهم قالوا نَعَمْ قالوا فهل ماتوا قالوا نَعَمْ قالوا فما الذى تُنْكِرونه من نُبُوّة محمدٍ عم فلم يَنْجَع القولُ فيهم فجَهَّزَ ابو بكرٍ الى كل طايفةٍ منهم جَيْشًا فتوجّهت الجيوشُ اليهم وقاتلَتْهم وكانت الغَلَبَةُ للجيوش الاسلامية فاَبَادَتْهم قتلاً واَسْرًا ورَجَعَ مَن تَبَقّى منهم الى الاسلام وادّى الزكاةَ ومن وقايعها فِتنةُ مسيلمةَ الكذّاب

شرح ذلك على وجه الاختصار ظهر فى ايام ابى بكر رَجُلٌ يقال له مُسَيْلَمَةُ ادّعى انه نَبِيٌّ وانّ الوَحْيَ يَنْزِلُ عليه من السَماء واجتمع اليه ناسٌ كثيرون من قبيلته وغيرِهم ثم ظَهَرت امرأةٌ من العَرَب اسْمُها سِجاحٌ ادّعت ايضا انها نبيّةٌ وانّ الوحْىَ ينْزِلُ عليها وتَبِعَها بنو تميم وهو قبيلتها ثم سارتْ لقتالِ مُسَيْلمةَ وكانَتْ جُمُوعُها

اكثَرَ من جُموعِـهِ فلمــا عَلِمَ مُسَيْلمةُ بمَسيرِها اليه قال لاصحابه ما الرايُ قالوا أن تُسَلِّمَ الأمْرَ اليها فلا طاقةَ لنا بها وبمَنْ مَعَهــا فقال مسيلمةُ دَعُونى أنْظُرْ فى أمرِى ففكَّرَ وكان داهِيَةً فارْسَــلَ اليهــا وقال ينبغى ان نجتمعَ انا وَانْتِ فى مَوْضعٍ ونَتَدارَسَ ما نَزَلَ الينــا من الوَحْيِ فمن كان على الحَقِّ تَبِعَــهُ الآخَرُ فاجابَتْــهُ الى ذلك وامَرَ مسيلمةُ ان تُضْرَبَ قُبَّةٌ من أدَمٍ ويُسْتَكْثَرَ فيها مِن العُودِ وقال ان المَرْأةَ اذا شَمَّتْهُ ذكَرَتِ الباهَ ثم اجتَمَعَ بهــا فى القُبَّةِ وخَدَعَها وواقَعَهَا فلمـا قامَ عنها قالت ان مِثلى لا يَجْرِى أمْرُها هكذا ولكنْ اذا خَرَجْتُ اعْتَرَفتُ لك بالحَقِّ واخْطُبْنى الى قَوْمِي فانهم يُزَوِّجُونك ثم اقـودُ بَنى تميم مَعَكَ فَلَمّا خرجت قالت انه قَرَأ علىّ ما نُزِلَ عليه من الوحْيِ فوجَدْتُهُ حَقًّا وقد سَلَّمتُ الامرَ اليه ثم خَطَبَهــا فزوَّجُوه وجعل مَهْرَهــا اِعفـآءهم من صَلاةِ العَصْرِ قـالوا فبنو تميم بـالرَّمْلِ الى الآنِ لا يُصَلُّونَ العَصْرَ ويَقُولون هذا مَهْرُ كريمتنا فلما بلَغَ ذلك ابا بكرٍ جَهَّزَ اليهم جَيْشًا أميرُهُ خالدُ بن الوليدِ فاقتتلوا اشَدَّ قتالٍ رآهُ المسلمون ثم كانت الغَلَبَةُ للجَيْشِ الاسلامى فقُتِــلَ مُسَيْلَمَةُ ومن فُتُوحِها الكِبارِ فتحُ الشامِ

شرح كيفيةِ ذلك لمـا كانت سَنَةُ ثلاثَ عَشْرَةَ مِن الهِجْرَةِ وهى السَنَةُ التى تُوُفِّيَ فيها ابو بكرٍ ورجَعَ ابو بكرٍ من الحجِّ شَرَعَ فى تجهيز

الجيوشِ الى الشـام فبعثَ عَسْكَرًا كثيفًا جَعَـلَ على كُلِّ قِطْعَةٍ منه اميرًا وسَمَّى لكلِ أميرٍ بَلَدًا ان فتحَهُ واسْتَوْلَى عليه كانَ لـه ثم أَمَدَّهم بخالد بنِ الوليدِ فى عشرةَ آلْفٍ فتكمَّلَ بالشام ستَّـةً وأربعونَ ألْف مقاتِلٍ وجَرَتْ بينهم وقايعُ وحُرُوبٌ امتدَّتْ الى ان مات ابو بَكْرٍ وبُويِعَ عمر بن الخطابِ رضى اللهُ عنهما فعزَلَ عُمَرُ خالدَ بن الوليد عن امارةِ الجَيْشِ وكان قد أُمِّرَ ثم أَمَّرَ على الناسِ ابا عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ فـوَرَدَ رسـولُ عُمَرَ الى الجيشِ بالشامِ بكتـابِ عمرَ الى ابى عبـيدةَ بتَوْلِيَتِهِ وعَزْلِ خالدٍ واتَّفـقَ وُصُولُ الرسولِ وهم مشغولون بـالحَرْبِ فجعَلَ الناسُ يسألُونَ الرسولَ عن سَبَبِ قدومه فـاخْبَرَهم بالسَّلامَةِ ووَعَدَهم انَّ وراءَهُ مَدَدًا لهم وكَتَمَ عنهم مَوْتَ ابى بكرٍ ثم وَصَلَ الى ابى عبـيدةَ بن الجرّاح فأَخْبَرَهُ سِرًّا بموتِ ابى بكرٍ ونـاولَـهُ كتابَ عُمَرَ بتوليَتِـهِ وعَزْلِ خالدٍ فاستَحْيَى ابو عبيدةَ مِن خالدٍ وكرِهَ ان يُعْلِمَهُ بالعَزْلِ وهو قد بَذَلَ جُهْدَهُ فى القتـالِ فكَتَمَ ابو عبيدةَ الخَبَرَ عن خـلدٍ وصبَرَ حتى تَمَّ الفَتْحُ وكتب الكتاب باسْمِ خـالدٍ ثم اعْلَمَهُ بموْتِ ابى بكرٍ وبعزْلِهِ فسَلَّمَ اليه الجَيْشَ وكانَ فَتْحُ دِمَشْقَ فى سَنَـةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ من الهجرة فى خلافـةِ عُمَرَ بن الخطّابِ وفى الدولة المذكورة كان فتح العراقِ واخذ الملكِ من الاكاسِرةِ

شرح مبدأ الحال فى انتقال الملك من الاكاسرة الى العرب، ان الله تعالى بسابق علمه وبالغ حكمته وعزة قدرته اذا اراد أمرًا هيّأ اسبابه وقد وصف نفسه عزّ وجلّ بقوله قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممّن تشآء وتعزّ من تشآء وتذلّ من تشآء بيدك الخير انك على كلّ شىء قدير، ولمّا اراد جلّ شانه وعزّ سلطانه نقل الملك عن فارس الى العرب أصدر من المنذرات بذلك ما ملأ به قلوبهم وقلوب اوليائهم رعبًا فاول ذلك ارتجاس الأيوان وسقوط الشرفات منه وذلك عند ميلاد الرسول عليه أفضل الصلوات وخمود نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وذلك فى عهد أنوشروان العادل فلما راى انوشروان سقوط الشرفات وانشقاق الايوان غمّه ذلك ولبس تاجه وجلس على سريره وأحضر وزراءه وشاورهم فى ذلك ففى تلك الحال وصل كتاب من فارس بخمود النار فازداد كسرى غمًّا الى غمّه وفى تلك الحال قام الموبذان وقصّ الرؤيا التى رآها قال رايت اصلح الله الملك كأنّ ابلًا صعافًا تقود خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فقال له كسرى فأىّ شىء يكون تاويل هذا قال اصلح الله الملك حادث يحدث من جهة العرب وفشا الحديث بذلك بين العجم وتحدّث به الناس فسكن الرعب قلوبهم وتبتت هيبة العرب

فى نفوسهم ثم تتابعت أمثالُ هذه المُنْذِرات الحوادث الى آخرِ الامرِ فان رُسْتُم لمّا خرج لمحاربة سَعْد بن ابى وَقّاص راى فى منامه كانَّ مَلَكًا قد نَزَلَ من السماء وجَمعَ قِسِىّ الفُرسِ وخَتَمَ عليها وصَعِدَ بها الى السماء ثم انْضَمَّ الى ذلك ما كانوا يُشاهِدونه من سَدادِ مَنطِقِ العَرَبِ وطُمانينةِ نفوسهم وشدّةِ صبرهم على الشدايدِ ثم ما جَرَى فى آخرِ الامرِ من اختلاف كلمتهم بعدَ موتِ شَهْرِيار وجُلوسِ يَزْدَجَرْدَ على سَريرِ المَمْلَكةِ وهو صَبِىٌّ حَدَثٌ ضعيف الراى ثم الطامّةُ الكُبْرَى وهى انعكاسُ الريح عليهم فى حَرْب القادسيّةِ حتى اعْمَتْهم بالغُبار وعَمَّتْهم بالدمار وفيها قُتِلَ رُسْتُم وانْفَلَّ جَيْشُهم فانظُرْ الى هذه الحوادثِ واعلم ان لله أَمْرًا هو بالغُهُ

شرح الحال فى تجهيز الجيش الى العراق واستخلاص الملك من فارس

كان ثَغْرُ فارِسَ مِن اَثْقَلِ الثُغُورِ على العَرَبِ واَعْظَمِها فى نُفُوسِهِم واكثرِها هَيْبَةً وكانوا يَكْرَهُونَ غَزْوَهُ ويَجْتَنِبُونَ عنه استعظامًا لشانِ الأكاسِرَةِ ولِما هو مشهورٌ مِن تَدْويخِهِم الأُمَمَ حتى كان آخِرُ ايامِ ابى بكرٍ فقام رَجُلٌ من الصحابة يقال له المُثَنّى بْنُ حارِثَةَ ونَدَبَ الناسَ الى قِتالِ فارِسَ وهَوَّنَ عَلَيْهِم الأَمْرَ وشَجَّعَهم على ذلك فانْتَدَبَ معه جماعةٌ وتذكّرَ الناسُ ما كان رسولُ الله صلواتُ اللهِ عليه يَعِدُهُم به مِن تَمَلُّكِ كُنوزِ الاكاسِرَةِ ولم يَتِمَّ

فى ذلك أَمْرٌ فى خِلافةِ ابى بكرٍ حتى كانت ايامُ عُمَرَ بن الخطاب وكتَبَ اليه المُثَنّى بن حارِثةَ يُخْبِرُهُ باضطرابِ امورِ الفُرْسِ وبجُلوسِ يزدَجرد بن شهريار على سَريرِ المُلْكِ وبصِغَرِ سِنّه وكان قد جلس على السرير وعُمْرُه احدى وعِشْرون سَنَةً فقوِىَ حينئذٍ طَمَعُ العَرَبِ فى غَزْوِ الفُرْسِ فخرج عُمَرُ رضى اللـه عنـه وعسكر ظاهِرَ المدينةِ والناسُ لا يَعْلَمُونَ اين يرِيدُ وكانوا لا يَتجاسَرُون على سُؤالِهِ عن شىْء حتى أَنَّ بَعْضَهم سالَهُ مرّةً عن وَقْتِ الرحيلِ فزجَرَه ولم يُعْلِمْهُ فكانوا اذا أَعْضَلَ عليهم أَمْرٌ وكان لا بُدَّ لهم من استعلامه منه استعانوا عليه بعُثمانَ بن عَفّان او بعبدِ الرحمنِ بن عَوْفٍ واذا اشتَدَّ الأَمْرُ عليهم ثَلَّثُوا بالعبّاسِ فقال عثمانُ لعُمَرَ يا اميرَ المومنين ما بلَغَكَ وما الذى ترِيدُ فنادَى عمرُ الصَلَوةَ جامعةً فاجتَمَعَ الناسُ اليه فاخْبَرَهم الخبَرَ ووَعَظَهم ونَدَبَهم الى غَزْوِ الفُرْسِ وهَوَّنَ عليهم الأَمْرَ فاجابوا جميعا بالطاعةِ ثم سالوه أن يَسيرَ معهم بنفْسِه فقال أَفْعَلُ ذلك اِلّا أَنْ يَجِىء راىٌ هو خَيْرٌ من هذا ثم بَعَثَ الى اصحابِ الراىِ واعيانِ الصحابةِ وعُقلايهم فاحضَرَهم واستشارَهم فاشاروا عليه بأَنْ يُقيمَ ويَبْعَثَ رَجُلاً من كبارِ الصحابةِ ويكونُ هو من ورايه يَمُدُّهُ بالامْدادِ فان كان فَتْحٌ فَهُوَ المطلوبُ وان هلَكَ الرَجُلُ ارْسَلَ رَجُلاً آخَرَ فلما انْعَقَدَ اِجْماعُهُم على هذا الراىِ صَعِدَ

عُمَرُ المِنْبَرَ وكانوا اذا ارادوا يكلّمون النـاسَ كلامًا عامًّا صَعِدَ أَحَدُهم المِنْبَرَ وخاطَبَ النّاسَ بما يُرِيدُ فلما صَعِدَ عُمَرُ قال ايها النّاسُ انى كُنْتُ عازِمًا على الخرج معكم وانَّ ذَوِى اللُّبِّ والرّاى منكم قد صَرَفُونى عن هذا الراى واشاروا بان أُقيمَ وَأَبْعَثَ رجلًا من الصحابةِ يتولّى أَمْرَ الحَرْبِ ثم استشارهم فيمن يَبْعَثُ وفى تلك الحالِ وَصَلَ اليه كِتابٌ من سَعْدِ بن ابى وَقّاص وكان غايبًا فى بعضِ الاعمالِ فاشاروا على عُمَرَ بسَعْدٍ وقالوا انّهُ الاسَدُ عاديًا ووافَقَ ذلك حُسْنُ راىٍ من عمر بنِ الخطّاب فى سَعْدِ بن ابى وقاص فاستحضره وولّاه حَرْبَ العِراقِ وسلّم الجَيْشَ اليه فسار سَعْدٌ بالنّاسِ وسار عمرُ بن الخطّاب معهم فَراسِخَ ثم وَعَظَهم وحَثَّهم على الجِهادِ وودّعهم وانصرف الى المدينة وتوجّه سعدٌ فجعل ينتَقِلُ فى البرّيّةِ التى بين الحجاز والكوفةِ يَستعلمُ الاخبارَ ورُسُل عمر تَأتيه وكُتُبُه يُشيرُ عليه فيها بالراى بعد الراى ويُمِدُّهُ بالجُنُودِ بعد الجنود حتى استقرّ رايُه على قَصْدِ القادسيّةِ وهى كانت باب مملكة الفُرْسِ فلما نَزَل سعدٌ بالقادسيّة احْتاجَ هو ومَنْ معه الى الأَقْواتِ فبَعَثَ ناسًا وامرَهم بتحصيل شىء من الغَنَمِ والبَقَرِ وقد أَجْفَلَ أَهْلُ السَوادِ قدّامَهم فوجَدُوا رَجُلًا فسألوه عن الغَنَمِ والبَقَرِ فقال لا عِلْمَ لى بذلك واذا هو الراعى وقد أدْخَلَ الدوابَّ فى أَجَمَةٍ هناك

قالوا فصاحَ ثَوْرٌ منها كَذَبَ الراعى ها نحن فى هذه الأَجَمَة فدخَلوا اليها واستاقوا منها عدّةً واحضَروها الى سَعْد فاستَبْشَروا بذلك وعَدُّوها نُصْرَةً من الله تعالى والثورُ إن لم يكن قد تلفّظ بحروفٍ يُكَذِّبُ بها الراعى فانّ صياحَهُ فى تلك الساعة حتى يُسْتَدَلّ بصياحِهِ على الدوابّ عند شِدّةِ الحاجةِ اليها تَكْذيبٌ صريح للراعى وهو من الاتّفاقاتِ العظيمةِ الدالّـةِ على النَصْرِ والدولةِ والاستبشارُ به واجِبٌ، وحين وَرَدَ الخَبَرُ الى العَجَمِ بوُصُولِ سَعْدٍ بالجَيْشِ نَدَبُوا له رُسْتُمَ فى ثلاثين الفِ مُقاتل وكان جيشُ العَرَبِ من سَبْعَةِ الف الى ثمانيـةِ الف ثم اجتمع اليهم بعد ذلك ناسٌ فـالتَقَوا فكان العَجَمُ يَضْحَكُون مِن نَبْلِ العَرَبِ ويُشَبِّهُونها بالمغازِلِ، وهاهنا موضع حكايـةٍ تُنَاسِبُ ذلك لا بَـأْسَ بِإيرادِهَا، حدثنى فَلَكُ الدين محمد ابن أَيْدَمِر قال كُنْتُ فى عَسْكَرِ الدويدار الصغيرِ لما خرجَ الى لقاء التتَر بـالجانب الغَرْبىّ من مدينـة السلام فى واقِعَتِها العُظْمى سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستمايةٍ قـال فالتقينا بنَهْرِ بَشيرٍ من أعمالِ دُجَيل فكان الفارسُ منّا يَخْرُجُ الى المبارزةِ وتحتـه فَرَسٌ عَرَبىٌّ وعليـه سِلاحٌ تامٌّ كانه وفرسهُ الجَبَلُ العظيم ثم يخرجُ اليـه من المُغولِ فارِسٌ تَحْتَه فَرَسٌ كانه حمارٌ وفى يَدِهِ رُمْحٌ كانه المِغْزَلُ وليس عليه كِسْوَةٌ ولا سِلاحٌ فيَضْحَكُ منه كُلّ من رآه ثُمّ ما تَمّ النَهارُ حتى كانت لَهُم

الكَرَّة فكسرونا كسْرةً عظيمةً كانت مِفْتاحَ الشَرِّ ثم كانَ مِنَ الأمْرِ ما كان" ثم ترَدَّدتِ الرُسُلُ بين رُسْتم وسَعْد فكان البَدَوِىُّ يأتى الى باب رُسْتم وهو جالسٌ على سريرِ الذَهَبِ وقد طُرِحَتْ له الوسايدُ المنسوجَةُ بالذَهَبِ وفُرِشَ لـه الفَرْشُ المنسوجُ بالذَهَبِ وقد لَبِسَ العَجَمُ التيجانَ واظهَرُوا زِينَتَهُم واقاموا الفِيَلَةَ فى حَواشِى المجلسِ فيجىءُ البَدَوِىُّ وفى يدِهِ رُمْحُهُ وهو مُتقلِّدٌ سَيْفَه مُتنكِّبٌ قَوْسَهُ فيَربُطُ فرسَهُ قريبًا مِن سريرِ رُسْتم فيصِيحُ العَجم عليه ويَهمُّون بمَنْعِهِ فيمنَعُهم رُسْتم ثم يَسْتَدْنِيهِ فيَمْشِى اليه متوكِّيًا على رُمْحِه يطَأُ به ذلك الفَرْشَ وتلك الوسايدَ فيَخْرِقُها بزُجِّ رُمْحِه وهم ينظُرون فاذا وَصَلَ الى رُسْتم راجَعَهُ الحديثَ فكان رُسْتم لا يَزالُ يسمع منهم حِكَمًا وأجوِبةً تَروعُه وتَهولُه فمن ذلك انَّ سَعْدًا كان يَبْعَثُ فى كل مرّةٍ رسولاً فقال رُسْتم لبعضِ مَن أُرْسِلَ اليه لِمَ لم يَبْعَثُوا الينا صاحِبَنَا بالأَمْسِ قال لانَّ اميرَنا يَعْدِلُ بيننا فى الشِدّة والرَخاء وقال يومًا لآخَرَ ما هذا المِغْزَلُ الذى فى يَدِكَ يعنى رُمْحَهُ فقال إنَّ الجَمْرَةَ لا يَضُرُّها قِصَرُها وقال مرّةً أُخْرى لآخَرِ ما بالُ سَيْفِكَ اراهُ رَثًّا فقال له خَلَقُ المِغْمَدِ حديدُ المَضْرَبِ فراعَ رُستم ما راى من أَمْثالِ هذا وقال لاصحابِه انظرُوا فانَّ هولآء لا يَخْلُو امرهم مِن أن يَكُونَ صِدْقًا او كِذْبًا فان كانوا كاذبين

فانّ قوماً يحفظون اسرارهم هذا الحفظ ولا يختلفون فى شىء وقد تعاهدوا على كتمان سرّهم هذا التعاهد بحيث لا يُظهر احدٌ منهم سرّهم لقومٌ فى غاية الشدّة والقوّة وان كانوا صادقين فهولاء لا يقف حذاءهم احدٌ فصاحوا حوله وقالوا اللّه اللّه ان تترك ما انت عليه لشىء رايته من هولاء الكلاب بل صمّم على حربهم فقال رستم هو ما اقول لكم ولكنّى معكم على ما تريدون ثم اقتتلوا اياماً كان فى آخرها انعكاس الريح عليهم حتى اعماهم الغبار فقتل رستم وانفلّ الجيش وغنمت اموالهم واجفل الفرس يطلبون مخاضات دجلة ليقعوا فى الجانب الشرقىّ وتبعهم سعدٌ وعبر المخاضات وقتل منهم مقتلةً عظيمةً اخرى بجلولاء وغنم اموالهم واسر بنتًا لكسرى

ثم كتب سعدٌ الى عمر بالفتح وقد كان عمرُ فى تلك الايام شديد التطلّع الى امر الجيش فكان فى كل يوم يخرج الى ظاهر المدينة راجلاً يتنسّم الاخبار لعلّ احدًا يصل فيخبره بما كان منهم فوصل البشير من عند سعد بالفتح فرآه عمر فقال له من اين جئت قال من العراق قال فما فعل سعدٌ والجيش قال فتح اللّه عليهم كلّ ذلك والرجل سايرٌ على ناقته وعمرُ يمشى فى ركابه وهو لا يعلم انه عمرُ فلما اجتمع الناس وسلّموا على عمر بامرة المومنين عرفه البدوىّ فقال هلّا اعلمتنى رحمك اللّه انّك امير

المومنين قال لا بَأْسَ عليك يا اخى ثم كَتَبَ عُمَرُ الى سَعْدٍ قِف مكانك ولا تَتْبَعْهم واقتنِعْ بهذا واتّخذْ للمسلمين دارَ هجرةٍ ومدينةً يَسكنُونها ولا تَجْعَل بينى وبينهم بَحْرًا فاتّخذ لهم سَعْدٌ الكوفَةَ واخْتَطَّ بها المسجِدَ الجامِعَ واخْتَطَّ الناس المنازِلَ ومَصَّرَها سَعْدٌ ثم حَكَمَ فى المَدَاينِ ومَلَكَ الكنوزَ والذخايرَ ۞

ذِكر طُرَفٍ مستملحةٍ وقعَتْ حينيذٍ " منها ان بَعْضَ العَرَبِ ظَفِرَ بجِرَابٍ فيه كافورٌ فاحضَرَهُ الى اصحابِه فَظَنُّوه مِلْحًا فطبَخُوا اطْعامًا ووضَعُوا فيه كَافُورًا فلم يَرَوا له طَعْمًا ولم يَعْلَمُوا ما هو فرآه رجُلٌ فعرَفَ ما فيهِ فاشتراهُ منهم بقميصٍ خَلَقٍ يُساوِى دِرْهَمَيْنِ ' ومنها انّ بَدَوِيًّا ظَفِرَ بحَجَرٍ من الياقُوتِ كبيرٍ يُساوِى مَبْلَغًا عظيمًا فلم يَدْرِ قيمَتَهُ فرآهُ بعضُ مَن يَعْرِفُ قيمَتَهُ فاشتراهُ منه بألْفِ دِرْهَمٍ فبَعْدَ ذلك عرَفَ البَدَوِىُّ قيمَتَهُ ولامَهُ اصحابُهُ وقالُوا له هَلَّا طَلَبْتَ فيه اكثر من ذلك قال لو عَلِمْتُ ان وَرآءَ الألْفِ عَدَدًا اكثَرَ مِنَ الألْفِ لَطَلَبْتُهُ ' ومنها انّ بَعْضَهُمْ كانَ ياخُذُ فى يده الذَهَبَ الأحْمَرَ ويقول من يأْخُذُ الصَفْراءَ ويُعْطِينى البَيْضاءَ يرى أنَّ الفِضَّةَ خَيْرٌ من الذَهَبِ "

ذِكر ما آلت اليه حالُ يزدجرد ' ثم ان يزدجرد هَرَبَ الى خُراسانَ وما زالَ امرُهُ يَضْعُفُ حتى قُتِلَ فى سنةِ احدَى وثلاثين من الهجرةِ

بخراســان وهو آخرُ ملوكِ الاكاسِرَة ' وفى الدولة المذكورة دُوِّنَت الدَواوِينُ وفُرِضَ العَطــاء للمسلمين ولم يكونوا قَبْلَ ذلك يَعْرِفُون مــا الديوان '

شرح كيفية تدوين الدواوين ' كان المسلمون هُم الجُنْدَ وكان قتــالُهم لأَجْلِ الدينِ لا لأَجْلِ الدنيا وكان لا يزالُ فيهم دايـمــًا مَن يَبْذُلُ شَطْرًا صالحــًا مِن مــالــه فى وُجُوهِ البِرِّ والقُرَبِ وكانوا لا يُريدون على اسلامهم ونَصْرِهم لِنَبِيِّهِم صلواتُ اللــه عليه وسلامُــه جَزاءً اِلا مِن عِنْدِ الله تعالى ولم يَفْرِضِ النبىُّ صلواتُ الله عليه وسلامــه ولا ابــو بكرٍ لهم عطــاءً مُقَرَّرًا ولكن كانُوا اذا غَزَوا وغَنِمُوا اخَذُوا نَصِيبًا من الغنايم قَرَّرَتْه الشريعةُ لهم واذا وَرَدَ الى المدينة مالٌ مِن بعضِ البِلادِ اُحْضِرَ الى مَسْجِدِ الرَسُولِ صلواتُ اللــه عليــه وسلامــه وفُرِّقَ فيهم حَسْبَ ما يَراهُ صلّى اللهُ عليه وجَرَى الاَمْرُ على ذلك مُدّةَ خِلافــةِ ابى بَكْرٍ فلما كانت سَنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ من الهجرة وهى خلافــةُ عُمَرَ رَاَى اَنَّ الفُتُوحَ قد تَوَالَت واَنَّ كُنوزَ الاكاسرة قد مُلِكَت وان الحُمُولَ من الذَهَبِ والفِضّة والجواهِرِ النَفِيسَة والثيــاب الفــاخِرَة قد تتــابَعَتْ فَرَاى التَوْسِيعَ على المسلمين وتفريقَ تلك الاموالِ فيهم ولم يكن يَعْرِفُ كيف يَصْنَعُ وكيف يَضْبَطُ ذلك وكان بالمدينة بَعْضُ مَرازِبَة الفُرْسِ فلما راى حَيْرَةَ عُمَرَ قال لــه يا

اميرَ المومنين انّ للاكاسرة شيا يُسمّونه ديوانًا جميعُ دَخْلهم وخَرْجِهم مضبوطٌ فيه لا يَشذّ منه شىءٌ وأهْلُ العطاء مُرتّبون فيه مَراتِبَ لا يتطرّق عليها خَلَلٌ فتنبّهَ عُمَرُ وقال صِفْهُ لى فوصَفَهُ المَرْزبانُ فَفَطِنَ عُمَرُ لذلك ودَوّنَ الدَواوِينَ وفَرَضَ العَطاء فجعَلَ لكُلِّ واحِدٍ من المسلمين نَوْعًا مُقرّرًا وفَرَضَ لزَوْجاتِ الرسولِ صلواتُ اللّه عليه وسلامُه ولسَراريه وأقاربِهِ حتى استَنْفَدَ الحاصِلَ ولم يَدّخِرْ فى بيت المالِ شيئًا قالوا فقام اليه رَجُلٌ وقال يا اميرَ المومنين لو ترَكْتَ فى بيوتِ الاموالِ شيئًا يكون عُدّةً لحادثٍ اِن حَدَثَ فزَجَرَه عُمَرُ وقال كلمةٌ ألْقاها الشيطانُ على فيك وقانى اللهُ شرّها وهى فتنةٌ لمَن بَعْدى انّى لا أُعِدُّ للحادِثِ الذى يَحْدُثُ سِوى طاعةِ اللّه ورسولِه فهى عُدّتُنا التى بها بَلَغْنا ما بَلَغْنا ثم انّ عُمَرَ راى أن يَجْعَلَ العَطاء على حَسْبِ السَبْقِ الى الاسلام والى نُصْرة الرسولِ عمّ فى مَواطِنِ حروبه ثم استَخْدَمَ الكُتّابَ فى الدواوينِ وأمَرَهم بترتيبِ الطبَقاتِ وضَبْطِ العَطاء فقالوا بمَنْ نَبْدَأُ يا اميرَ المومنين فاشارَ ناسٌ من الصحابةِ عليه بان يَبْدَأَ بنفسه وقالوا انت اميرُ المومنين وتَقْديمُك واجِبٌ فكَرِهَ عُمَرُ ذلك وقال ٱبْدَأُوا بالعبّاسِ عمِّ رسولِ اللّه صلواتُ اللّه عليه وبِبَنى هاشمٍ ثم بمَنْ بعدَهم طَبقةً بعد طَبقةٍ وَضَعُوا آلَ الخطابِ حَيْثُ وَضَعَهُمُ اللّهُ فاعْتُمِدَ ما اشارَ بِه

وجرى الأَمْرُ على ذلك مُدّةَ خلافَتِهِ وخلافةَ عثمانَ ثم في آخر خلافته خَطَرَ له تَغْبِيرُ هذا الراي وأَنْ يَفْرِضَ لكل واحدٍ من المسلمين اربعة آلْف وقال آلْفٌ يَجْعَلُها نَفَقَةً لعياله اذا خرَجَ الى الحَرْبِ وآلْفٌ يَتَجَهَّزُ بها وآلْفٌ يَصْحَبُها معه والفٌ يرْتَفِقُ بها فمات عُمَرُ رضى الله عنه قَبْلَ اتمام هذا الرايِ ومن وقايعها المشهورة وَقْعَةُ الجَمَلِ

شرح مبدا وقعةِ الجمل وكيفية الحال فى ذلك لما قتل عُثْمنُ بن عَفّانَ اجْتَمَعَ الناسُ وقَصَدُوا مَنْزِلَ اميرِ المومنين عَلِيّ عمّ وسالُوهُ تَوَلِّي أَمْرِهم فأَبَى عليهم وقال لا حاجَةَ لى فى أَمْرِكم فأَلَحُّوا عليه اِلحاحًا شَدِيدًا واجتمعوا اليه من كل صَوْبٍ يَسْألونه ذلك حتى أَجابَ فبايَعَهُ الناسُ فسارَ فيهم بسيرَةِ الحَقّ لا يأْخُذُهُ فى الله لَوْمَةُ لايمٍ وكانت حَرَكاتُهُ وسَكَناته عمّ جَميعُها لله وفي اللهِ لا يَقْضِى بها حَقَّ أَحَدٍ وكانَ لا يـاخُذُ ولا يُعْطِى الا بـالحَقّ والعَدْلِ حتى انّ اخاه عَقيلًا وهو ابْنُ ابيهِ وأُمِّهِ طَلَبَ من بَيْتِ المالِ شيًا لم يكن له بحَقّ فمَنَعَهُ عمّ وقال يـا أَخِى ليس لك فى هذا المال غَيْرُ ما أَعْطَيْتُك ولكنْ اصبرْ حتى يَجِيَّ مالِي وأُعْطِيَكَ مِنْهُ ما تُرِيدُ فلم يرْضَ عَقيلُ هذا الجَوابَ وفارَقَهُ وقصدَ مُعوِيَةَ بالشامِ وكان لا يُعْطِى وَلَدَيْهِ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلَمُ اكثرَ من حَقّهما فانْظُرْ الى رَجُلٍ حَمَلَهُ وَرَعُهُ على هذا الصنيعِ بوَلَدَيْهِ وباخيهِ مِن ابوَيهِ فلما سارَ

فيهم هذه السيرة ثَقُلَ على بَعْضِ الناسِ فِعْلُهُ وكرِهُوا مكانَهُ فخَرَجَ الزُبَيْرُ وطَلْحَةُ بَعْدَ ما بايَعَاهُ الى مكةَ وكانت عايشةُ زَوْجَةُ الرسول صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه بمكّةَ قد خرجَتْ اليهما لَيَاليَ حُوصِرَ عُثمانُ بن عفان فاتَّفَقَا معهما عَلَى عَدَمِ الرِضَى بامارةِ عَلِيٍّ وعلى الطَلَبِ بدَمِ عثمانَ ونَسَبُوا عَليًّا عمّ الى انه آلَبَ الناسَ على عثمانَ وجَرَّأَهُم على قتلهِ وما زال عليٌّ عمّ من أَكْبَرِ المُساعِدِينَ لعثمانَ الذابّينَ عنه وما زال عثمانُ يَلْجَأُ اليه فى دَفْعِ الناسِ عنه فيَقُومُ عمّ فى دَفْعِهم عنه القِيامَ المحمودَ وفى آخرِ الامرِ لما حُوصِرَ عثمانُ ارسلَ عليٌّ عمّ ابنَهُ الحَسَنَ عمّ لنُصْرَةِ عثمانَ رضى اللهُ عنه فقال انّ الحَسَنَ عمّ استَقْتَلَ مع عثمانَ وكان عثمانُ يسالُهُ أَن يَكُفَّ فيُقسِمُ عليه وهو يبذل نَفْسَهُ فى نُصْرَتِه واما طَلْحَةُ فانه كان من أَكْبَرِ المساعِدِينَ على عثمانَ وهذا يَشْهَدُ به جميع التواريخِ وامّا عايِشَةُ فانها كانت قد خرجَتْ من المدينةِ الى مكةَ لَيَالِيَ حُوصِرَ عثمانُ بنُ عَفّانَ ثم رجعَتْ من مكّةَ الى المدينة فلَقِيَهَا فى الطريقِ بَعْضُ أَخْوالِها فقالَتْ له ما وراءك قال قُتِلَ عُثْمانُ قالت فما صَنَعَ الناسُ بَعْدَه قال بايَعُوا عليًّا قالت ليتَ هذه انْطَبَقَتْ على هذه إنْ تَمَّ الأَمْرُ لصاحِبِك" ثم رجَعَت الى مكةَ وَهِيَ تقولُ قُتِلَ واللهِ عثمانُ مظلومًا واللهِ لأَطْلُبَنّ بدَمِهِ فقال لها الرَجُلُ لِمَ

واللهِ إنَّ أوّلَ مَنْ أمالَ حُروفَهُ لأنْتِ واللهِ لَقَدْ كُنتِ تَقولينَ اُقْتُلوا نَعْثَلاً فَقَدْ كَفَرَ وكان ذلك لَقَبًا لعثمانَ فقالت انهم استتابُوهُ ثم قَتَلوه وقد قلتُ وقالوا وقَوْلى الأخيرِ خيرٌ من قولى الاوّلِ ولمّا رجَعَتْ الى مَكَّةَ اتَّفَقَتْ مع الزُبَيْرِ وطلحَةَ على ما ذكَرْنا مِن الطَلَب بدَمِ عثمانَ وسُخْطِ امارةِ عليٍّ واتَّفَقَ مَعَهُمْ مَرْوانُ بنُ الحكمِ وهو ابْنُ عَمِّ عُثمانَ وقالوا للناسِ انّ الغَوغاءَ من اهلِ الأمْصارِ وعَبيد اهل المدينةِ اجتمَعُوا على هذا الرجلِ المِسْكين يعنى عثمان فقَتَلوه ظُلْمًا وعُدْوانًا فسَفَكُوا الدَمَ الحَرامَ فى البَلَدِ الحرامِ فى الشهرِ الحرامِ ثم استمالوا أُناسًا وعَزَمُوا على قَصْد البصرَةِ واستمالةِ أهْلها والتَقَوِّى بها على قتالِ عليٍّ عمّ فلما انتَهَى ذلك الى اميرِ المومنين قام فخَطَبَ الناسَ وأعْلَمَهُم الحالَ وقال انّها فِتْنَةٌ وسأُمْسِكُ الأمْرَ ما استَمْسَكَ بِيَدى ثم بَلَغَهُ ما هم فيه من الجُموع والتَصْميمِ على الحربِ فنَهد اليهم فى جَيْشٍ من المُهاجِرينَ والأنصارِ وقد كانت عايشَةُ فى توجُّهها الى البَصْرَةِ اجتازت بماءٍ يقال له الحَوْءَبُ فنَبَحَتْها كِلابُه فقالت للدليلِ ما اسمُ هذا الموضِع قال الحَوْءَبُ فصَرَخَتْ بأعْلَى صَوْتِها وقالت رُدُّونى انّا لله وانا اليه راجِعُونَ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ يقول عند نسايه أيَّتُكُنّ تَنْبَحُها كِلابُ الحَوْءَبِ ثم عَزَمَتْ على الرُجُوع فقالوا لها إنَّ الدليلَ كَذَبَ

ولم يَعْرِف الموضعَ وقالوا لها إنْ لم تَسيرِى من هذا الموضع والاّ أَدْرَكَكُم علىّ بن ابى طالبٍ فيه فهلكتم فسارت وسار علىٌّ عم فالتقى الجَمْعانِ بظاهِرِ البَصْرة وجَرَت خُطوبٌ وحروبٌ ففى بَعْضها التقى عم وطَلْحَةُ والزبيرُ فقال علىٌّ عم بطلحةَ يا طلحةُ تَطْلُبُ بدَمِ عثمانَ فلَعَنَ اللهُ قَتَلَةَ عثمانَ يا طلحةُ أَجِئْتَ بعِرْسِ رسولِ اللهِ تُقاتِلُ بها وخَبَأْتَ عِرْسَكَ فى البيتِ أَمَا بايَعْتَنى قال بايَعْتُكَ والسَيْفُ على عُنُقى فقال علىٌّ عم للزبيرِ يا زُبَيْرُ ما أَخْرَجَكَ قال أَنْتَ ولا أَراكَ أَهْلاً لهذا الأمْرِ ولا أَوْلَى به مِنّا فقال علىٌّ عم لقد كُنّا نَعُدُّكَ من بنى عبدِ المُطَّلِب حتى بلَغَ ابنُكَ ابنُ السَوْء ففرّقَ بيننا عبدُ الله بنُ الزُبَيْرِ وذكَّرَهُ علىٌّ أَشياء وقال له اتذْكُر لمّا قال رسولُ الله صلواتُ اللهِ عليه وسلامه لَتُقاتِلَنَّهُ وأَنْتَ ظالِمٌ له قال اللهُمَّ نَعَمْ ولو ذكَرْتُ لَمَا سِرْتُ مَسيرِى هذا وواللهِ لا أُقاتِلُكَ أَبَدًا فانصَرَفَ اميرُ المومنين عم الى اصحابه وقال أَمّا الزُبَيْرُ فقد أَعْطَى اللهَ عَهْدًا أن لا يُقاتِلكم ثم انّ الزُبَيْرَ عَزَمَ على تَرْكِ الحَرْبِ فخَدَعه ابنُهُ عبدُ اللهِ وما بَرِحَ به حتى كَفَّرَ عن يمينه وقاتَلَ ولمّا تراءى الجَمْعانِ كان عَسْكَرُ عايشةَ وطلحةَ والزُبَيْرِ ثلاثينَ أَلْفًا وكان عسكرُ علىّ عم عِشْرِينَ أَلْفًا فقَبْلَ ان تنشب الحربُ وَعَظَهم امير المومنين عم ونَدَبَهم الى الصُلْحِ وبَذَلَ لهم كُلَّمَا ليس عليه فيه

غَضَاضَةٌ مِن جِهَةِ الدينِ فمالُوا شَيْئًا الى الصُلْح وباتُوا على ذلك ثم
فى الغَدَاة نشبَ القتالُ بين القَبيلَيْنِ وجَرَتْ مُناوَشَاتٌ وحُرُوبٌ أفْضَتْ
الى نُصْرَة جيشِ اميرِ المومنين عمَر ، فأمَّا الزبَيْرُ فانه لَمَّا راى النُصْرَةَ
عليهم رَدَّ راسَ فَرسِهِ ومَرَّ فتَبِعَهُ رَجُلٌ من عَرَبِ البَصْرَة فتَبِعَهُ عُمَيْر
ابن جُرْمُوزٍ فقتَلَهُ بوَادى السِباع وأتَى الى علىّ عمَر بسَيْفِه فقال
للحاجِبِ استَأذِنْ لقاتِلِ الزُبَيْرِ فقال علىٌّ عمَر بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صَفيَّةَ
بالنارِ وصَفيَّةُ أمُّ الزبَيْرِ وَهِىَ عَمَّةُ اميرِ المومنين عمَر ولمَّا راى سَيْفَهُ
قال سَيْفٌ طالَما جَلا الكُرُوبَ عن وَجْهِ رسولِ اللهِ صلواتُ الله عليه ،
وامَّا طلحَةُ فجاءهُ سَهْمٌ عايِرٌ فى رِجْلِه فأعْطَبَهُ فدخَلَ البَصْرَةَ رَديفًا
لغُلامِهِ وقد امْتَلأ خُفُّهُ دَمًا وهو يَقولُ اللهُمَّ خُذْ لعثمانَ منى
حتى تَرْضَى فماتَ بدارٍ خَرِبَةٍ مِن دُورِ البصرَةِ وقَبرُهُ اليومَ بالبَصْرَة
فى مَشْهَدٍ مُحْتَرمٍ عندهم اذا اعتَصَمَ بهِ خايفٌ او طَرِيدٌ لا يجْسُر
أحَدٌ كاينًا مَن كانَ على اخراجِهِ منه ولاهلِ البصرة فى طلحة اعتقادٌ
عظيمٌ الى يومِنا ، وقيل انّ الذى قَتل طلحَةَ مروانُ بنُ الحَكَمِ ،
وامَّا عايشةُ فانها كانت على جَمَلٍ فى هَوْدَجٍ وقد أُلْبِسَ هَوْدَجُها
الدروعَ والنَسايجَ الحَديدَ فلمَّا اشْتَدَّ القتالُ وانْفَلَّتْ جُمُوعُها عُرْقِبَ
الجَمَلُ فوقَعَ ورُفِعَ ووُضِعَ هودَجُها حَمْلاً ووُضِعَ فى مَكانٍ بعيدٍ عن الناسِ
وكان اخوها محمدُ بنُ ابى بكرٍ من اصحاب علىّ عمَر وابنُ زَوْجَتِهِ

أَسْمَاءَ بنت عُمَيْسٍ رضى اللهُ عنها فأمَرَهُ علىٌّ عمَّر ان يَمْضِىَ الى
أُختهِ ويَنْظُرَ هل هى سَليمةٌ أم أَصابها شىْءٌ من جراحٍ فمَضَى اليها
فرآهـا سليمةً ثم ادخَلَهـا ليلا الى البصرة ثم ان اميرَ المومنين
عمّر أَذِنَ للناسِ فى دَفْنِ القَتْلَى وكانوا عَشْرَةَ أَلْفٍ مِنَ القَبِيلَيْنِ
ثم أَمَرَ عمّر بجَمْعِ الأَسْلابِ وادْخَلَهـا الى المَسْجِدِ الجامعِ بالبَصْرَةِ
ونادَى فى الناسِ مَن عَرَفَ شَيْـئًا من قُمَاشِهِ فَلْيَأْخُذْهُ ثم انَّ اميرَ
المومنين عمّر أَحْسَنَ الى عايشَةَ غايَةَ الاِحْسانِ وجَهَّزَها بكلِ ما
ينبغى لِمِثْلِهـا وأَذِنَ لها فى الرُجوعِ الى المدينةِ وبَعَثَ مَعَهَا كُلَّ
مَنْ نَجَا مِمَّنْ خَرَجَ مَعَها اِلاّ مَن أَحَبَّ المُقامَ واختارَ لها أَربعِينَ امرأةً
من نساءِ اهلِ البصرة المعروفات لاهلِ مُوانَسَتِها فى الطَريقِ وسَيَّرَها
صُحْبَةَ أَخِيها محمد بن ابى بكرٍ مكرّمـةً مُحْتَرَمَـةً فلما كان يَومَ
رَحيلِها حَضَرَ علىٌّ عمّر وحضَرَ الناسُ فقالت عايشةُ رضى الله عنها
يـا بَنِيَّ وانمـا قالت ذلك لأَنَّ نساءَ النبى عمّر هُنَّ أُمَّهاتُ المومنين
كذلك قال اللهُ تعالى ورَسُولُهُ صلواتُ اللهِ عليهِ لا يَعْتِبْ بَعْضٌ على
بعضٍ انه واللهِ ما كان بينى وبين عَلِيّ فى القديمِ الاّ ما يكون
بين المرأة وأَحْمـآيِهـا وانـه على مَعْتَبَتِى لَمِن الاخيارِ وقال علىّ عمّر
صَدَقْتِ والله ما كان بينى وبينها الاّ ذاك وانها لَزَوْجةُ نَبِيِّكُم فى
الدنيا والآخِرةِ ثم سارتْ وشَيَّعَها عمّر اميـالاً وارسَـل بَنِيهِ مَعَها

مَسيرةَ يَوْمٍ وتوجّهت الى مكة واقامت بها الى ايام الحجّ ثم حجّت وانصرفَتْ الى المدينة وكانت وقعةُ الجَمَل فى سَنَةِ ستٍّ وثلاثين من الهِجْرَةِ ومن وقايعها المشهورة وقعةُ صِفّين "

شرح كيفية الحال فى ذلك لما انصرفَ اميرُ المومنين عمَر من وَقْعَةِ الجمَلِ ارسَلَ الى مُعَوِيَةَ يعَرِّفه اجتماعَ الناسِ على بَيْعَتِهِ ويُعْلِمُه ما كان من وَقْعَةِ الجَمَل ويامُرُه بالدخول فيما دَخَلَ فيه المُهاجرونَ والأنصارُ وكانَ مُعَوِيَةُ أَميرًا بالشامِ مِن قَبْلِ عثمانَ وكان ابنَ عَمّهِ فلما وردَ الى مُعَوِيَةَ رسولُ اميرِ المومنين عليٍّ عمَر خاف معويَةُ من عليٍّ عمَر وعَلِمَ انه متى استَتَبَّ الامْرُ لَهُ عَزَلَه ولَمْ يستَعْمِلْه وقد كانَ ابْنُ عَبّاسٍ والمُغيرَةُ بنُ شُعْبَةَ اشارَا على اميرِ المومنين عمَر أن يُقِرَّ مُعَوِيَةَ بالشام مُدّةً حتى يُبايِعَ الناس ويتمكّن ثم يَعْزِلُه بَعْدَ ذلك فلم يُطِعْهما عمَر وقال انّى اِن اَقْرَرْتُه على امارتهِ ولو يَوْمًا واحِدًا كنتُ عاصيًا فى ذلك اليومِ لله تعالى ولم تَكُنْ الخُدَعُ والحِيَلُ من مَذْهَبِ عليٍّ عمَر ولم يَكُنْ عندَهُ غيرُ مُرِّ الحَقِّ فحينَ وَرَدَ الرسولُ الى معويةَ طاوَلَهُ ثم استشار بعَمْرِو بنِ العاصِ وكان اَحَدَ الدُهاةِ وكان معويةُ قد تَألّفَهُ واستمالَهُ ليَتَقَوّى برآيه ودهآيه فاشار عَمْرُو بنُ العاصِ على معويةَ أن يُظهِر قَميصَ الدَمِ الذى قُتِلَ فيه عثمانُ بن عفانَ واَصابعَ زوجَتِهِ ويُعَلّقَ ذلك على المنبرِ ثم يَجْمَعُ الناسَ ويَبْكى

عليه ويُلْصِقُ قَتْلَ عثمانَ بعَلِيٍّ ويُطالِبُه بدَمِهِ ليَميلَ اليهِ أَهْلُ الشامِ ويُقاتِلوا معه فاَخْرَجَ معويَةُ القميصَ والاصابعَ وعَلَّقَهُ على المِنْبَرِ وبكى واستَبْكَى الناسَ وذكرهم بمُصاب عثمانَ فانْتَدَبَ اهلُ الشامِ من كُلِّ جانِبٍ وبذلوا لـه الطَلَبَ بدَمِ عُثمانَ والقِتالَ معه على كل مَن آوَى قَتَلَتَهُ ثمّ كتبَ معويةُ الى اميرِ المومنين كتابا يَذْكُرُ فيه ذلك فحينئذٍ تجهَّزَ عليٌّ عمّر للقتالِ وكاتَبَ الناسَ ليجتمعوا مَعَهُ وكذلك صَنَع معويـةَ ثُمَّ التَقَوا بصِفّينَ من ارض الشـامِ فجَرَتْ بينهم مُناوَشاتٌ وحروبٌ كان اوّلُهـا انّ معويـةَ واصحابَهُ سبَقُوا الى شريعَـةِ الماء فملَكُوهـا ومنَعُوا اصحابَ اميرِ المومنين عمّر مِنَ الماء ولم يَكُنْ هُنَاك شَرِيعَةٌ غيرها فلمـا أُخْبِرَ عليٌّ عمّر بذلك ارْسَلَ الى معويَةَ رسُولاً يَقُولُ له انَّ مِن مَذْهَبنا أَنْ لا نَبْدَأَكُمْ بقتالٍ حتى نحتجَّ عليكم ونَنْظُرَ فيما جِئْنا لـه وتَنْظُرُونَ وقد منَعَ اصحابُك الناسَ من الماء فابْعَث حتى يُخَلُّوا سَبيلَ الماء وان شِئْتم أَنْ نَتْرُكَ ما جِئْنَا له ويكونَ مُقاتَلَتُنَا على الماء فيكونَ الغالبُ هو الشارِبَ فَعَلْنَا ذلك فقال معويةُ لاصحابـهِ ما تُشيرون قال قَوْمٌ مِن بنى أُمَيَّةَ نَرَى أنْ تَمْنَعَهُمُ الماءَ حتى يَموتُوا عَطَشًا او يَرْجِعُوا لطَلَبِ الماء فتكون هَزِيمَةً فقال عمرو بنُ العاصِ أَرَى أَنْ تُخَلِّيَ لهم سَبيلَ الماء فانَّ القَوْمَ لا يَعْطَشُونَ وأَنْتَ رَيَّانُ فاَخَّرَ معويَةُ الجَوابَ وقـال سَأَنْظُرُ فاقتتَـلَ

النَّاسُ على الماء وأَمَدَّ عَلِيٌّ عم اصحابَهُ وامَدَّ معويةُ اصحابه ونَشِبَتِ الحربُ والتحم القتالُ فملكَ اصحابُ عليٍّ عم الشَّرِيعَةَ فـأرادُوا مَنْعَ اصحابِ معويَةَ فارسَل اليهم عليٌّ عم وقال خُذُوا حاجَتَكُم من الماء ولا تَمْنَعُوهم منه ودام على ذلك مُدَّةً حتّى كاد عسكرُ عليٍّ ان يَغْلِبُوا وظَهرتْ إمـاراتُ الفَتْحِ خاف عَمْرُو بنُ العـاصِ مِنَ الهَلاكِ فاشارَ على معويَةَ بِرَفْعِ المَصَاحِفِ على الرِمَاحِ والدعاء الى ما فيهـا مِن أَمْرِ اللـهِ فلما رُفِعَت المصاحِفُ فَتَرَ أَكْثَرُ النَّاسِ عن الحرب وجـآؤوا الى اميرِ المومنين عم وقـالوا يا عليٌّ أَجِبْ الى كتاب اللهِ فواللهِ إن لم تَفْعَـل لَنَحْمِلَنَّكَ كارِهـاً الى معويَةَ او لَنَفْعَلَنَّ بك كما فَعَلْنا بِـابْنِ عَفَّانَ فقال لَهُم عليٌّ عم يا قومِ انها خُدْعَةٌ منهم وانهم ليس فيهم مَن يَعْمـل بهذه المصاحِفِ أَوَلَسْتُم على بَيِّنَةٍ من رَبِّكُم فـامْضُوا لِشانِكُم وقاتِلُوا عَدُوَّكم فلم يَفْعَلُوا وغَلَبُوهُ فاجابَ الى تَرْكِ القِتالِ ثم أَرْسَلَ الى معويَةَ رسولاً يقولُ له ما الذِي تريد بِرَفْعِ هذه المصاحِفِ قـال نُحَكِّمُ منّـا رَجُلاً ومنكم رجلا ونُقَسِّم على الرَّجُلَيْنِ أَنْ يَنْتَحِيا الأُمَّةَ ويَعْمَلا بما فى كتابِ اللهِ وما لَمْ يَجِدَاه فى كتابِ اللهِ حَمَلاه على السُّنَّةِ والجَماعةِ فايُّ شى حَكَّمَا به قَبِلْناه فتراضى النَّاسُ جميعًا بذلك الا اميرِ المومنين عم فانه رَضِيَ كارِهًا مَغْلوبًا ونَفَرٌ يَسيرٌ من بَطَايِنِه كالأَشْتَرِ وابنِ عَبَّاسٍ وغيرِهما

وانعَقَدَ الاجماعُ على تحكيمِ رَجُلَيْنِ فامّا اَهْلُ الشامِ فاتّفقوا على اَنْ يكونَ الحَكَمَ مِن جِهَتِهِم عَمْرُو بنُ العاصِ داهِيَةُ العَرَبِ وامّا اَهْلُ العِراقِ فطَلَبُوا ابا مُوسَى الاشْعَرِىَّ وكانَ شَيْخًا مُغَفَّلاً فلم يَسْتَصْلِحْهُ اميرُ المومنينَ للتحكيمِ وقالَ اِن كانَ ولا بُدَّ من التحكيمِ فدَعُونى اُرْسِلْ عَبْدَ الله بنَ عباسٍ فقالوا لا واللهِ هو اَنْتَ واَنْتَ هو قالَ فالاَشْتَرُ قالوا فهلْ سَعَّرَ الاَرْضَ غَيرُ الاَشْتَرِ قال فقد اَبَيْتُمْ الاّ ابا مُوسَى قالوا نَعَمْ قال فاْفعَلُوا ما شِئْتُم فاتَّفَقَ الناسُ على ابى موسَى وعمرِو بن العاصِ وتواعَدُوا الى شُهُورٍ وسَكَنَتِ الحَرْبُ وانْصَرَفَ الناسُ الى اَمْصارِهِمْ ورَجَعَ مُعَوِيَةُ الى الشامِ واميرُ المومنين عمر الى العِراقِ ثم بَعْدَ شهورٍ سار الحَكَمانِ لِيَجْتَمِعَا بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ وكانت مِيعادَ الحَكَمَيْنِ وسارَ ناسٌ من الصَحابَةِ لِيَشْهَدُوا ذلكَ المقامَ وكان اميرُ المومنين عمر قد ارسَلَ صُحْبَةَ اصحابِهِ عَبْدَ الله بن العباسِ فلما اجتمَعَ الحكمانِ قال عَمْرُو بن العاصِ لابى مُوسَى الاَشْعَرِىّ يا ابا مُوسَى اَلَسْتَ تَعْلَمُ انَّ عثمانَ قُتِلَ مظلومًا قال اَشْهَدُ قال اَلَسْتَ تَعْلَمُ ان معويةَ وآلَ معويةَ اولياؤُهُ قال بلى قال عَمْرٌو فما مَنَعَكَ منه وبَيْتُهُ فى قُرَيْشٍ كما قد عَلِمْتَ فانِ خِفْتَ اَنْ يَقُولَ الناسُ لَيْسَتْ له سابِقَةٌ فَقُلْ وجَدْتُهُ وَلِىَّ عثمانَ الخليفةِ المظلومِ والطالبَ بدمِهِ الحَسَنَ السياسَةِ والتدبيرِ وهُوَ اخو اُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَبِىِّ

صلواتُ اللهِ عليهِ وكاتِبُهُ وقد صَحِبَهُ وعَرَضَ عَمْرٌو لابى مُوسَى بولايةِ وَعَدَهُ عن معويةَ بأشياءَ فأبَى ابو مُوسَى وقال مَعاذَ اللهِ أَنْ أُوَلِّيَ معوية وأَنْ أَقْبَلَ فى حُكْمِ اللهِ رِشْوَةً فقال له عَمْرٌو فما تَقُولُ فى ٱبْنِى عَبْدِ اللهِ وكان لعَمْرو بن العاصِ ابنٌ اسْمُهُ عبدُ اللهِ مِن خيارِ الصحابَةِ فأباهُ ابو مُوسَى وقال لعَمْرٍو انك غَمَسْتَهُ معك فى هذه الفتنَةِ ولكن هل لكَ فى إِحْياءِ اسمِ عُمَرَ بن الخطابِ ونَدَبَه الى عبد اللهِ بن عُمَرَ فاباهُ عَمْرٌو فلَمَّا لم يَتَّفِقَا قال له عَمْرٌو يا ابا مُوسَى فأَىُّ شىْءٍ هو رايُكَ قال ابو مُوسَى رَأْيِى أَن نَخْلَعَ عَلِيًّا ومعويَةَ من هذه الامرِ ونُرِيحَ الناسَ مِن هذه الفتنةِ ونَدَعَ أَمْرَ الناسِ شُورَى فيختار المسلمون لأَمْرِهِم مَن يَجْمَعُونَ عليه قال عَمْرٌو نِعْمَ ما رَأَيْتَ وأَنا مَعَكَ على ذلك ولاحَ لِعَمْرٍو وَجْهُ الحِيلَةِ وكان قد عَوَّدَ ابا موسَى الاشعرِىَّ ان يتقدَّمَهُ فى الكلامِ يقول له انت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه واكبَرُ سِنًّا فتعوَّدَ ابو مُوسَى ان يتكَلَّمَ قَبْلَ عَمْرٍو فتقدّم ابو موسَى وقال انِّي وعَمْرًا قد اتَّفَقْنا على أَمْرٍ نَرْجُو فيه صَلاحَ المسلمين فتقدّم عَمْرٌو وقال صَدَقَ وبَرَّ تَقَدَّمْ يا ابا مُوسَى وأَعْلِمِ الناسَ بما اتفقنا عليه فقام ابنُ عباسٍ وقال لابى موسَى وَيْحَكَ انِّي لأَظُنُّهُ قد خَدَعَكَ وقد أَوْهَمَكَ انه اتَّفَقَ مَعَكَ على ما تُرِيدُ ثم قَدَّمَكَ لتعترفَ به فاذا اعترفْتَ انكرَهُ فانه رجُلٌ غادِرٌ فإِنْ

كُنْتُما قد اتَّفَقْتما على شَيْءٍ فقَدّمهُ ليقولَهُ قَبْلَكَ فقال ابو مُوسى انّا قد اتَّفَقْنا ثم قال انّنا قد اتّفقنا على أنْ نَخْلَعَ عَليًّا ومعويَةَ ونَدَعَ أمْرَ المسلمين شُورى يختارُونَ مَنْ اَجْمَعُوا عليه وانّى قد خَلَعْتُ عَليًّا وَمعويةَ مِن الخِلافةِ كما يُخْلَعُ الخاتَمُ من الاصْبع فتقدّم عَمْرو بنُ العاص وقال اَيُّها النّاسُ قد سَمِعْتُم ما قال وانه قد خَلَعَ صاحِبَهُ وانا اَيْضًا قد خَلَعْتُهُ مَعَهُ وَاَثْبَتُّ صاحِبِى مُعَوِيَةَ فانكَرَ ابو مُوسى وقال انه غدر وكَذَبَ وما عَلَى هذا اتَّفَقْنا فلم يُسْمَعْ مِنْهُ وتَفَرَّقَ النّاسُ ومَضَى عَمْرو بن العاصِ وَاَهْلُ الشامِ الى معويَةَ وسَلّموا عليه بالخِلافةِ ومَضَى ابنُ عَبّاسٍ واصحابُ علىٍّ عمّ الى اميرِ المومنين واخبروه بما جرى وامّا ابو مُوسَى فانّ اهلَ الشامِ تَطَلَّبُوه فهَرَبَ الى مكةَ وعلى ذلك انْفَصَلَ أمْرُ صِفّينَ وكان ابتداؤهُ فى سَنَةِ ستٍّ وثلاثين وانقضاؤه فى سنةِ سَبْعٍ وثلاثين ❊

حديث الخوارج وما كان منهم وما آلَتْ بهم الحالُ اليه لَمّا جَرَى امرُ التحكيم على الوَجْهِ المشروح عادَ الذين اشارُوا بالتحكيم وَاَلْزَمُوا أميرَ المومنين عمّ الرِضَى به نَدِمُوا عليه ونَفَرُوا وأتوا عَليًّا عمّ وقالُوا لا حُكْمَ الا لله قال علىٌّ عمّ لا حُكْمَ الّا لله قالوا فما لكَ حَكّمْتَ الرِجالَ قالَ انّى لم أرْضَ بقَضيّةِ التحكيمِ وانتم الذين رَضيتُمُوها وانى اَعْلَمْتُكم انها مَكيدةٌ مِن اهلِ الشامِ

وأَمَرْتكم بقتالِ عَدُوّكم منهم فأَبَيْتم الّا التحكيمَ وغَلَبْتمونى على رايى فلما لم يَبْقَ بُدٌّ من التحكيم استوثَقْتُ وشَرَطْتُ على الحَكَمَيْنِ ان يَعْمَلا بكتابِ اللهِ عزّ وجلّ وأنْ يُحْيِيَا ما أَحْيَى الكتابُ ويُمِيتَا ما امات فاخْتَلَفَا وخالَفَا كتابَ اللهِ وعَمِلا بالهَوَى فنَحْنُ على الراي الاولِ فى قتالهم قال الخوارجُ امّا نحنُ فلا رَيْبَ أنّا رَضِينَا بالتحكيم فى اولِ الأمْرِ لَكِنَّنَا نَدِمْنا عليه وعَلِمْنا انّا كُنّا مُخْطِئِينَ فأنْتَ إن اقْرَرْتَ على نفسكَ بالكُفْرِ واستَغْفَرْتَ اللهَ مِن خَطِيئتكَ وتَضْيِيعِكَ وتحكيمكَ الرجالَ رجَعْنا معكَ الى قتالِ عَدُوِّكَ وعَدُوِّنا والّا فها نَحْنُ قد نابَذْناكَ فوعَظَهم بكلّ قولٍ وبَصَّرَهم بكلّ وَجْهٍ فلَمْ يَرْجِعُوا واجتَمَعُوا أُمَمًا مِن أهْلِ البَصْرَةِ والكوفةِ وغَيْرِهم وقصَدُوا النَهْرَوَانَ وكان رايُهم أن يَأتُوا بعضَ المُدْنِ الحصينةِ فيتحصَّنُوا بها ويُقاتِلون فيها وصدَرَت منهم أُمورٌ متناقِضَةٌ تَدُلُّ على انهم يَخْبِطُونَ خَبْطَ عَشْواءَ منها انّ رُطْبَةً سَقَطت من نَخْلَةٍ فتَنَاوَلَها رَجُلٌ ووضَعَها فى فيه فقالوا له اكلْتَها غَصْبًا واخَذْتَها بلا ثَمَنٍ فألْقاها ومنها انّ خِنزِيرًا لبَعْضِ اهلِ القُرَى مَرّ بهم فضَرَبَهُ أَحَدُهم بسَيْفِه فعَقَرَه فقالوا هذا فَسادٌ فى الارضِ فمَضَى الرَجُلُ الى صاحب الخنزيرِ وارْضاهُ ومنها انّهم كانوا يَقْتُلُون النَفْسَ التى حَرَّمَتْ الّا بالحَقِّ قتلوا عبدَ اللهِ بنَ خَبّابٍ وكان خَبّابٌ مِن كبارِ الصحابةِ وقتلوا عِدّةَ نِساءٍ وسَبَوا وفَعَلُوا افاعيلَ مِن هذا

القَبِيـلِ فلمّا بَلَغ عَلِيًا عم اَمْرُهُم وقد كان خَطبَ النّاسَ فى الكوفة ونَدَبهُم الى قتالِ اهـلِ الشامِ واعادة الحَرْب جَذعَـةً قالُوا يـا اَميرَ المومنين أَيْنَ نَمْضِى ونَدَعُ هاولآءِ الخوارجَ يَخلفونَنا فى عِيالِنا وَأمْوالِنا سِرْ بنا اليهم فاذا فَرَغنا من قِتالِهم رَجَعْنا الى قِتالِ اعدائِنا من اهل الشامِ فسار عم بـالناسِ الى الخوارج فلَقِيَهُم على النَهْرُوانِ وأبادَهم فكانما قيل لهم مُوتُوا فماتوا كَرامَةً لامير المومنين علىّ صلوات اللـه عليه لما التقى الخوارج بالنَهْرُوانِ اجْفَلُوا قُدَّامَهُ الى نـاحِيَةِ الجِسْرِ فظَنَّ الناسُ انّهُم قد عَبَرُوا الجِسْرَ فقالوا لعليّ عم يـا اميرَ المومنين انهم قد عبَرُوا الجِسْرَ فالْقَهُمْ قَبْلَ أن يَبْعُدُوا فقال اميرُ المومنين عم مـا عَبَرُوا وانّ مَصارِعَهم دونَ الجِسْرِ وواللهِ لا يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ولا يَبْقَى منهم عَشَرَةٌ فشكَّ الناسُ فى قولـه فلما أَشْرَفُوا على الجِسْرِ راوهم لم يَعْبُرُوا فكَرَّ اصحابُ اميرِ المومنين عم وقالوا له هو كما قلتَ يـا اميرَ المومنين قـال نَعَمْ واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ فلما انْفَصَلَتِ الوَقْعَـةُ وسكَنَتِ الحَرْبُ اعْتُبِرَ القَتْـلَى مِن اصحابِ عليّ عم فكانوا سبعَة وامّـا الخوارجُ فذهبَتْ طايفةٌ منهم قبـلَ أنْ تنْشَبَ الحَرْبُ وقالوا واللهِ مـا نَدْرِى على اىّ شىء نُقاتِلُ علىَّ بن ابى طالب سنَأْخُذُ ناحِيَةً حتى نَنْظُرَ الى ما ذَا يَؤُولُ الأَمْرُ وَامَّا البـاقُونَ فثَبَتُوا وقـاتلوا فهلكوا جميعُهم ثم اِنّ اميرَ المومنين عم لما انقضَى أمْرُ

الخوارج رَجَعَ الى الكوفة ونَدَبَ الناسَ الى قتال اهل الشام فتَثاقَلوا فاعادَ القولَ عليهم وَوَعَظَهم وحَثَّهم على الجهاد فقالوا يا امير المومنين كَلَّتْ سيوفُنا وفَنِيَتْ نبالُنا ومَلِلْنا من الحَرْب فَامهِلْنا نُصْلِحْ أُمورَنا ونَتَوَجَّهْ وكان قدْ عَسْكَرَ ظاهِرَ الكوفة فأَمْهَلَهم وامَرَهم أنْ يُوَطِّنوا نفوسَهم على الحَرْب ونَهاهم عن غِشْيانِ اهاليهم حتى يَرْجِعوا من الشام فصاروا يتسلَّلون ويدخُلون الكوفةَ حتى خلا المُعَسْكَر منهم فبَطَلَ رايُهُ عمّ وكان ذلك في سنة ثمانٍ وثلاثين

وفاة الاربعة

وفاة ابى بكرٍ اوّلُ مَن مات منهم ابو بكرٍ مات بالمدينة حَتْفَ انفه فى سنة ثلاثَ عَشْرَةَ وكان مَرَضُهُ انتقاضَ لَسْعَةِ الحَيَّةِ التى لسعتهُ ليلةَ الغارِ ودُفِنَ عند النبىّ صلواتُ اللهِ عليه وسلامه فى بيت عايشةَ ابنتهِ زَوْجِ الرسول وكان الرسولُ صلواتُ اللهِ عليه لما قُبِضَ قُبِضَ فى بيتها فدُفِنَ ابو بكرٍ عنده وعَهِدَ الى عُمَرَ بنِ الخطابِ واستخلَفَهُ على الأُمَّة بَعْدَهُ

مقتل عمر بن الخطاب لما وَضَعَ عُمر بن الخطاب الخَراجَ اغتاظ من ذلك ابو لُؤْلُؤَةَ غلامُ المُغيرةِ بنِ شُعْبَةَ لانه كانَ قد وضَعَ الخَراجَ على مولاه وكان عمر بن الخطاب لَقِيَ ابا لولوةَ فقال له اصْنَعْ لى رَحًا فقال ابو لولوة لاصنَعنَّ لك رَحًى تَدُورُ مع الدَهْرِ فقال عمر يُهَدِّدُنى العَبْدُ فطعَنَهُ وهو فى الصَلاة فبَقِىَ ثلاثةَ ايام ومات ودُفِنَ فى تُرْبَةِ النبىّ عمر وذلك فى سنة ثلاث وعشرينَ من الهجْرة وأمّا

ابو لُؤلُؤة فاجتمع الناسُ عليه فقتَل منهم جماعةً ثم أُخِذ وقُتِلَ

ذِكر الشورى وصفة الحالِ فى ذلك لما طُعِنَ عُمَرُ اجتمع اليه الناسُ وسالوهُ عمّن يتولّى الأمرَ بعدَه فجعل الأمرَ شورَى والشُورَى فى اللُغة هى المُشاوَرةُ ومعنى هذا انّ عُمَرَ لمّا أحَسَّ بالموتِ نظَرَ فيمن يَعْهَدُ اليه ويُوَلّيهِ أمرَ الأمّة فلم يَصِحّ رايُهُ فى رَجُلٍ واحِدٍ فجعلها فى ستّة من اكابر الصّحابَة وهم اصحاب الشورى امير المومنين علىٌّ عم وعثمانُ بن عَفّان وطَلْحَةُ والزُبَيْرُ وعبدُ الرحمن بن عَوْف وسَعْد بن ابى وَقّاص وقال كل من هؤلاء صالح للأمْرِ بَعْدِى وامرَهم أن يتشاوَرُوا ثلاثةَ ايامٍ ثم يُجمِعُوا على واحِدٍ من هولاء الستّة وكان طَلْحَةُ غايبًا فقال عُمَرُ اِن قَدِمَ طلحَةُ قبْلَ الايامِ الثلاثةِ والاّ فأمْضُوا أمْرَكُم واقام عليهم رَجُلاً من الأنْصارِ وقال انّ اللهَ أعَزَّ بكم الاسلامَ فاختَرْ خمسين رجلا مِن الانصارِ واسْتَحِثّ هولاء الرهْطَ حتى يَخْتارُوا رَجُلاً وقال اِن اجتمع خَمْسَةٌ ورضُوا واحِدًا منهم وأبا واحِدٌ فاشدخ راسه بالسَيْف واِن اتّفَقَ ارْبَعَةٌ وأبَىا اثْنانِ فاضْرِبْ رُؤُوسَهما واِن رَضِىَ ثلاثةٌ منهم رَجُلاً وثلاثةٌ رجلاً فحكّموا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ يعنى ابنَهُ فبأَىّ الفريقَيْنِ حكم فَلْيَختارُوا رَجُلاً منهم وكان قد أمَرَ بحضورِ ابنهِ فى ذلك المَقامِ مُشيرًا ولم يَجْعَلْ له من الامْرِ شيْئًا فان لم يَختارُوا بحُكْمِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ فكُونُوا مع الذين فيهم

عَبْدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ واقْتُلوا الباقِينَ إن رَغِبوا عمّا اجتمَعَ عليه الناسُ فلم يَجْرِ مما قـال شيءٌ بَل لَمّا مَاتَ بُويِعَ عُثمان بن عفّانَ وكانَ مِنَ الأَمْرِ مـا كانَ، مقتـل عثمان بن عفان وسببه إنّ نـاسًا من المسلمين نَقمُوا عليه تَجاوُزَه لطريقةِ صاحبَيْه ابى بكرٍ وعُمَرَ من التقلُّلِ والكَفِّ عن أَمْوالِ المسلمين وكان هو قد فرّقَ جُمْلَةً منهـا على أقاربِه ووَسَّعَ على عِيالِه وأَهْلِه فمن جُمْلَةِ ما فعَلَ انه أَعْطَى عَبْدَ الله ابنَ خـالد بن اسيد خمسين أَلْفَ دِرْهَمٍ وأَعْطَى مَرْوَنَ بنَ الحَكَمِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا ولم يكن المسلمون اعتادوا مِثْـلَ هذا التبذير وعَهْدُهُم قريبٌ بضَبْطِ ابى بكرٍ وعُمَرَ فنَفَرُوا من ذلك وجَرَتْ بَيْنَهم وبينه مُعاتَباتٌ ومُقاوَلاتٌ فاعتذَرَ اليهم بأَنَّ ابا بكرٍ وعُمَرَ مَنَعا أَنْفُسَهما وأَهْلَهُما احتِسابًا لله وتَرَكا حقَّ نفوسِهِما وانا صاحِبُ عِيالٍ مَدَدتُ يَدِى فوَسَّعْتُ عَلَيَّ وعلى أَهْلِى بشَىْءٍ من هذا المال فـانْ سَخِطْتُم هذا فَأَمْرِى لِأَمْرِكم تبعٌ فقالوا أَحْسَنْتَ وأَنْصَفْتَ قد أَعْطَيْتَ عبدَ اللهِ بنَ خالدٍ خمسين أَلْفًا ومروانَ خمسةَ عَشَرَ أَلْفًا قال فانّى استَعيدُ ذلك منهما واستعادَ مـا أَعطاهمـا وكان اذا عاتَبُوه على صادِراتِ امورِه التى يَحْمِلُـهُ عليهـا ويُحَسِّنُها لـه مروانُ بنُ الحَكَمِ يَعْتَذِرُ مرّةً ويلتزِمُ لهم مـا يُشيرون به عليه ويَحْتَجُّ مرّةً وفَشا الأمرُ فاجتمع نـاسٌ من اهلِ الأَمْصارِ على حَرْبِـهِ فجاء أَهْلُ مِصْرَ وناسٌ من كل

صُقْع وعَزَمُوا على قَتْلهِ فخرَجَ ليلا وجاء الى اميرِ المومنين عمَر وقال له يا ابْنَ عَمِّ لى عليك حَقٌّ وقد قصَدْتُكَ ولكن عند هاولاء القومِ منزلةٌ وهم يَقْبلون قولَكَ وقد ترَى جُرأتَهم عَلَىَّ فاخْرُجْ اليهم ورُدَّهم عَنِّى فركبَ علىٌّ عمَر ورَدَّ الناسَ عنه وضَمِنَ لهم عنه حُسْنَ السيرة فرَجَعُوا ثم أعْضَلَ الخَطْبُ وزيَّنَ له مروَنُ بن الحكمِ امورًا نَقِمها الناسُ فاجتمعوا عليه من كل صَوْبٍ واحاطوا به وحَصَرُوهُ فى دارِهِ فارسَلَ الى علىٍّ عمَر يَسْتَنْصِرُهُ فارسَلَ له ابنَهُ الحسَنَ عمَر فقاتَلَ عنه قتالا شديدًا حتى كان يَستكفُّه وهو يُقاتِل عنه ويَبْذُلُ نَفْسَهُ دونه وتَكاثَر الناسُ عليه فدخلوا عليه الدارَ وخَبطُوهُ بالسيوفِ وهو صايمٌ والمُصْحَفُ فى حِجْرِهِ وهو يَقْرأُ فيه فوَقَعَ المُصْحَفُ بين يديه وسالَ الدمُ عليه فقامت زوجَتُه نايلةُ لتلتَقِى عنه الضَرْبَ بيَدِها فاصابَ السيفُ اصابِعَها فأبانَها وهى الاصابِعُ التى كان يُعَلِّقُها معويَةُ على منبَرِ الشامِ مع قميص عثمانَ ليُرَقِّقَ الناسَ بذلك فولَّتِ المَرْأةُ دهشَةً فغمز ضارِبُها أوراكَها وقال انَّها لكبيرةُ العَجْزِ ثم قُتِلَ عثمانُ واحتَزُّوا راسَهُ فوقَعَ نِساوه عليه وصِحْنَ وبكَيْنَ فقال بعضُهم دَعُوهُ فتَركوه ثم داسَ رجُلٌ مِن أهْلِ الكوفةِ يُقالُ له عُمَيْرُ بنُ ضابى الرحمىُّ أضْلاعَهُ فكسرَها ثم نُهِبَتْ دارُهُ حتى أُخِذَ ما على النساء ثم حُمِلَ فى تابوتٍ بعد ايامٍ ليُدْفَنَ فقعَدَ جماعَةٌ على الطريق

يُريدون رَجْمَه فـارسَلَ اميرُ المومنين عليٌّ عمّر اليهم فردّهم عن ذلك ودُفِن قريبًا مِن البَقيع ثم بعد ذلك اشترى معويَةُ ما حَوْلَ قَبْرِه ومَزَجَهُ بمقابرِ المسلمين واباحَ للناسِ الدَفْنَ حَوْلَهُ وكانَ ذلك فى سنةِ خَمْسٍ وثلاثين من الهجرة وسُمّى يومُ قَتْلِه يومَ الدارِ لانهم هجَمُوا عليه فى دارِه وقتلوه بها ٬ مقتل اميرِ المومنين علي عمر نُقِـلَ من عِدّة جِهاتٍ انّ اميرَ المومنين عمّر كان يَقول دايمًا ما يَمْنَعُ اَشْقَاكُم أنْ يَخضِبَ هذه مِن هذا يعنى لحيَتَهُ بدَمِ راسهِ وكان اذا رَأى عبدَ الرحمن بنَ مُلْجَمٍ لعَنَهُ اللهُ يُنْشِدُ الوافر

اريد حِبَـاءَهُ فيُريدُ قَتْلِى عَذيرُكَ من خَليلكَ مِن مُرادِ

وكان يقالُ له اذا جَرَى على لَفْظِه مِثْلُ هذا يا اَميرَ المومنين فَلِمَ لا تَقْتُلُهُ فيقولُ كيف أقْتُلُ قاتلِى وهذا يَدُلُّ على انّ رسولَ الله صعم اعلمَهُ بذلك فى جُمْلةِ ما اعلمَهُ به ٬ ومما يوكد هذا ما رُوِىَ عن أنْسِ بنِ مالك رضى الله عنه قال مَرِضَ عليٌّ عمّر فدخَلْتُ عليه أعُودُهُ وعنده ابو بكرٍ وعُمَرُ فجلسنا عِنْدَهُ ساعَةً فأتَى رسولُ الله صلوات الله عليه فنظرَ فى وَجْهِه فقال له ابو بكر يا نبى الله انّا نراه لمايتٌ فقال لَنْ يَموتَ هذا الآنَ ولن يَمُوتَ حتى يَمْلأَ غيْظًا ولَنْ يَمُوتَ الاَّ مقتولاً وكان عليٌّ عمّر دايمًا يحْسِنُ الى ابن مُلْجَمٍ لعنه اللهُ قالُوا فلما دخَلَ شَهرُ رَمَضانَ مِن سَنَةِ اربعين كان عليٌّ عمّر يُفْطِرُ

ليلةً عنْدَ الحسَنِ وليلةً عند الحسَيْنِ وليلةً عند ابنِ اخيه عبد اللهِ بن جعفرٍ الطيّارِ عليهم السَّلَمُ فاذا اكَلَ لا يَزيدُ على ثلاثِ لُقَمٍ ويَقُولُ انما هى ليلةٌ اَوْ ليلتانِ ويَاتِى امْرُ اللهِ وأنا خميصٌ فلم يَمْضِ الا ليالٍ قلايل حتى قُتِلَ عمرُ وقيل انه قُتِلَ فى شَهْرِ ربيع الآخر والاول أَصَحُّ وهو المَعْوُلُ عليه وامّا كيفيةُ قَتْلِه عمرِ فانه خرَجَ مِن دارِه بالكوفة اوّلَ الفجرِ فجعَلَ يُنادِى الصَّلوةَ يرْحَمُكُم اللهُ فضرَبَهُ ابنُ مُلْجَمٍ لعَنَهُ اللهُ بالسيف على اُمِّ راسه وقال الحكم للهِ لا لَكَ يا عَلِىُّ وصاحَ الناسُ وهرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ فقال اميرُ المومنين لا يَفُوتَنّكُم الرَجُلُ فشَدَّ الناسُ عليه فاخَذُوه واستنابَ علىٌّ عمرَ فى صَلاةِ الصُبْحِ بَعْضَ اصحابِه وأُدْخِلَ دارَهُ فقال أَحْضِروا الرَجُلَ عندى فلما حضر عنده قال له يا عَدُوَّ اللهِ أَلَمْ اُحْسِنْ اليكَ قال بلى قال فما حَمَلَكَ على هذا قال شَحَذْتُه اربعينَ صَبَاحًا وسَأَلْتُ اللهَ ان يَقْتُلَ به شَرَّ خَلْقِهِ فقال اميرُ المومنين لا أَرَاكَ الا مقتولاً به ولا اراكَ الاّ من شَرِّ خَلقِ اللهِ ثم قال عمرُ النَفْسُ بالنَفْسِ ان هَلَكْتُ فاقتُلُوه كما قَتَلَنِي وانْ بَقِيتُ رَأَيْتُ فيه رايِى يا بَنِى عبد المُطَّلِبِ لا تجمَّعُوا من كل صَوْبٍ تقولونَ قُتِلَ اميرُ المومنين أَلاَ لا يُقْتَلَنَّ بِى الاّ قاتِلِى ثم التَفَتَ الى ابنه الحَسَنِ عمرَ وقال أُنْظُرْ يا حَسَنُ اذا انا مُتُّ من ضربتِى هذه فاضْرِبْهُ ضربةً بضربةٍ ولا تُمَثِّلَنَّ بالرَجُلِ فانى سمعتُ رسولَ اللهِ

صلوت اللهِ عليه يقول ايّاكم والمُثْلَةَ ولَوْ بالكلبِ العَقُورِ ثم وَصَّى بنيه بتَقْوَى اللهِ تعالى وباقامةِ الصَلَوةِ لوَقْتِها وايتاء الزكاة عند مَحَلِّها وحُسْنِ الوُضُوء وغَفْرِ الذَنْبِ وكظم الغَيْظِ وصِلَةِ الرَحِم والحِلم عن الجاهِلِ والنفقة فى الدين والتثبُّت للأَمْرِ والتعاهُد للقرانِ وحُسْنِ الجِوار والأمْرِ بالمعروفِ والنَهْيِ عن المُنْكَرِ واجتنابِ الفواحِشِ ثم كَتَبَ وصيَّتَهُ ولم يَنْطِقْ الا بِلَا اِلَهَ الّا اللهُ حتى قُبِضَ صلوتُ اللهِ عليه وسلامه، فلما قُبِضَ بَعَثَ الحَسَنُ عمَر الى ابنِ مُلْجَمٍ فاحضَرَهُ فقالَ للحَسَنِ هل لك فى أمْرٍ انى واللهِ قد أَعْطَيْتُ اللهَ عهدًا أن لا أُعاهِد عَهْدًا الا وفَيْتُ بِهِ وانى عاهَدْتُ اللهَ عند الحَطِيمِ ان أَقْتُلَ عَلِيًّا ومُعَوِيَةَ او أَمُوتَ دونهما فخَلِّ بينى وبين معوية حتى أَمْضِى وأَقْتُلَهُ ولك عَهْدُ اللهِ عَلَيَّ انّى اِن لَمْ أَقْتُلْهُ او قَتَلْتُه وسَلِمْتُ أن أَجِىءَ اليك حتى اضَعَ يَدِى فى يَدِكَ فقال الحَسَنُ لا واللهِ حتى تَذُوقَ النارَ ثم قَدَّمَهُ فقَتَلَهُ واخذَهُ الناسُ فادْرَجُوهُ فى بوارِى وأَحْرَقُوهُ بالنارِ، واما مَدْفَنُ أَمِيرِ المومنين عمَر فانه دُفِنَ لَيْلًا بالغَرِىّ ثم عُفِىَ قَبْرُهُ الى ان ظَهَرَ حَيْثُ مَشْهَدُه الآنَ صلوت الله عليه وسلامه واما السبَبُ الذى حَمَلَ ابن مُلْجَم لعَنَهُ اللهُ على فِعْلِهِ فهو انّ ابنَ مُلْجَمٍ كان أَحَدَ الخوارجِ فاجتمَعَ برجلَيْنِ من الخوارج وتَذاكَروا من قَتَلَ اميرُ المومنين عمَر منهم بالنهرَوانِ وقالوا ما فى

الحيوة بعد أصحابنا نفعٌ وتواعدوا على ان يقتلَ كلُّ واحدٍ منهم واحدًا من ثلاثة عليّ بن ابى طالب ومعوية وعمرو بن العاص فقال ابن مُلجَم انا أكفيكم عليًّا وقال الآخرُ انا أكفيكم معويةَ وقال الآخرُ انا اكفيكم عمرًا فامّا ابنُ مُلجَم لعنَهُ اللهُ فانه راى امراةً جميلةً من بنات الخوارج فهوِيَها فخطَبَها فقالت له أُريدُ كذا وكذا واريدُ ان تقتلَ عليَّ بن ابى طالب فقال لها ما جئتُ الا لقتلِه والتزمَ لها انه يقتُلُه ثم قتلَهُ وقُتِلَ بعده وامّا الآخرُ فانه مضى الى معويةَ فقعَدَ له حتى خرجَ فضربَهُ بالسيف على طرفِ أليَتِه فلم يصنَعْ طايلًا وتطبّبَ لها معويةُ فبرِئَ وقُتلَ الرجُلُ وقيل لم يَقتله وامّا الآخرُ فمضى الى مِصرَ لقتلِ عمرِو بنِ العاصِ فقعَدَ له فاتّفق انّ عمرًا انحرَفَ مزاجُهُ فى تلك الليلةِ فلم يَخرُجْ فى صبيحتها الى الصلاةِ واستنابَ بعضَ اصحابِهِ فلما طلَعَ اعتقدَه الرجُلُ عمرًا فضربَهُ فقتلَهُ فقبَضوه واحضَروه الى عمرٍو فلما راى الناسَ يُسلّمون عليه بالامارةِ قال مَنْ هذا قالوا الاميرُ عمرُو بنُ العاصِ قال فمَنْ قتلتُ قالوا نايبَهُ وكان اسمُهُ خارجَةَ فقال الرجُلُ لعمرِو بن العاصِ اما واللهِ يا فاسقُ ما أردْتُ غيرَكَ فقال عمرٌو أردْتَنى واراد اللهُ خارجَةَ ثم قدّمَهُ عمرٌو فقتلَهُ ولما بلَغَ عايشةَ قتلُ عليٍّ عم قالَتْ الطويل

فألقَتْ عصاها واستقرّت بها النوى كما قرَّ عينًا بالايابِ المُسافرُ

الدولـة الأُمَويّـة

وهي التى تسلمت المُلك من الدولـة الأولى

لمّـا قُتِلَ اميرُ المومنين صلوات الله عليه بايَعَ الناسُ الحَسَنَ بنَ علىّ عليهمـا السّلَمُ فمكَثَ شُهُورًا حتى اجتمع هو ومعوية فتصـالحَا للمَصْلحةِ الحاضرة التى كانَ الحَسَنُ عمّ أعْلَمَ بها وسَلَّمَ الخلافةَ اليـه وتوجّهَ نَحْوَ المدينةِ وبويع معوية بالخلافةِ العامّـةِ ودُعِيَ بأميرِ المومنين وذلك فى سَنَةِ ارْبَعين من الهجْرة "

ذِكر شىء من سيرةِ معوية ووَصْفُ طَرَفٍ من حَالِهِ هو مُعَوِيَةُ بن ابى سُفْيانَ صَخْرِ بـنِ حَرْبِ بن أُمَيّةَ بن عبدِ شمسِ بن عبدِ مَنَـافٍ كان أَبُوهُ ابو سُفْيَان اَحَد اَشْياخِ مكّةَ اسلَمَ فى السَنَةِ التى فَتَحَ الرسولُ صلّى اللهُ عليه وآلِه وسَلَّمَ فيها مكةَ واسلَمَ مُعَوِيَةُ وكَتَبَ الوَحْيَ فى جُمْلةِ مَن كَتَبَهُ بين يَدَى الرسول صلّى اللهُ عليه وآلـهِ وكانت أُمُّه هِنْد بِنْت عُتْبَةَ شريفةً فى قريشٍ اسلَمَتْ عامَ الفَتْحِ وكانت فى وَقْعَـةِ أُحُدٍ لَمّـا صُرِعَ حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطّلب عَمُّ سيّدِنـا رسولِ الله صلى الله عليه وآلـه من طَعْنَةِ الحَرْبَةِ التى طُعِنها جاءتْ هندُ فمثّلَت بِحَمْـزَةَ واخذَتْ قِطْعَـةً من كَبِدِهِ فمَضَغَتْها حَنَقًـا عليه لانه

كان قتل رجالاً من اقاربها فلذلك يقال لمعوية ابن آكلة الاكباد ولما فتح النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكة حضرت اليه متنكرة فى جملة نساء من نساء مكة أتين ليبايعنه فلما تقدمت هند لمبايعته اشترط صلوات الله عليه وآله شروط الاسلام عليها وهو لا يعلم انها هند فاجابته باجوبة قوية على خوفها منه فمما قال لها وقالت قال لها صلوات الله عليه وآله تبايعننى على أن لا تقتلن اولادكن وكانوا فى الجاهلية يقتلون الاولاد فقالت هند أما نحن فقد ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا يوم بدر فقال وعلى أن لا تعصيننى فى معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفى عزمنا أن نعصيك قال وعلى أن لا تسرقن قالت والله ما سرقت عمرى شيئًا اللهمّ الاّ أننى كنت آخذ من مال ابى سفيان شيئًا فى بعض الوقت وكان ابو سفيان زوجها حاضرًا فحينئذ علم رسول الله صلى الله عليه وآله انها هند فقال هند قالت نعم يا رسول الله فلم يقل شيئًا لأنّ الاسلام جبّ ما قبله ثم قال وعلى ان لا تزنين قالت وهل تزنى الحرّة قالوا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى العباس رضى الله عنه وتبسّم، واما معوية فكان عاقلا فى دنياه لبيبا عالما حليمًا ملكًا قويًّا جيّد السياسة حسن التدبير لامور الدنيا عاقلا حكيمًا فصيحا بليغا يحلم فى موضع الحلم ويشتدّ فى

موضع الشدة الا انّ الحلمَ كان اَغْلَبَ عليه وكان كريما باذلا للمالِ
مُحِبًّا للرياسةِ مشعوفا بها كان يُفْضِلُ على اَشْرافِ رعيتهِ كثيرًا فلا
يَزالُ اَشْرافُ قريشٍ مثل عبْدِ اللهِ بن العباسِ وعبد اللهِ بنِ الزُبَيْرِ
وعبد اللــهِ بن جعفرٍ الطيّارِ وعبدِ الله بن عُمَرَ وعبدِ الرحمن بن
ابى بكرٍ وابانِ بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ وناسٌ من آلِ ابى طالبٍ يَفِدُون
عليــه بدِمَشْقَ فيكرم مَثْواهم ويُحْسِن قِراهم ويَقْضى حَوايجَــهم ولا
يزالون يُحدّثونه اَغْلَظَ الحديثِ ويَجْبَهُونه اَقْبَحَ الجَبْهِ وهو يُداعِبُهُم
تــارةً ويتغافَلُ عنهم اُخْرَى ولا يُعيدُهم الّا بالجوايزِ السَنِيَّةِ والصِلاتِ
الجَمّةِ قال يَوْمًا لقَيْسِ بن سَعْدِ بن عُبادَةَ وهو رَجُلٌ من الاَنْصارِ يــا
قَيْسُ واللهِ كُنْتُ اَوَدُّ اَنْ تَنْكَشِفَ الحُرُوبُ التى كانت بينى وبين
عَلِيٍّ واَنْتَ حَىٌّ فقالَ قَيْسٌ واللهِ انّى كنتُ اكرَهُ اَن تَنْكَشِفَ تلك
الحروبُ واَنْتَ اميرُ المومنين فلم يَقُلْ له شيـًا" وهذا من اجمَلِ ما
كانوا يخاطِبونه به" وبَعَثَ الى رَجُلٍ من الانصارِ بخَمْسِ مايةِ دينارٍ
فاستقَلَّها الانصارِىُّ وقـال لابنهِ خُذْها وٱمْضِ الى معويةَ فاضْرِبْ بها
وجهَه ورُدَّهــا عليه واَقْسَمَ على ابنهِ ان يَفْعَلَ ذلك فجاء ابنُه الى
معويــةَ ومعه الدراهمُ فقال يا اميرَ المومنين انَّ ابى فيه حِدّةٌ وسُرْعةٌ
وقد اَمَرَنى بكَيْتَ وكَيْتَ واَقْسَمَ علَىَّ وما اَقْدِرُ على مخالَفته فوضَعَ
مُعويــةُ يَدَهُ على وجهِه وقــال افْعَلْ ما اَمَرَك ابوك وٱرْفُقْ بعمك

فاستحيى الصبيُّ ورمى بالدراهم فضاعفها معوية وحملها الى الانصاري وبلغ الخبرُ يزيدَ ابنَهُ فدخل على معوية غضبانَ وقال لقد افرطتَ في الحلم حتى خفتُ أن يُعدَّ ذلك منك ضعفا وجُبنًا فقال معويةُ أى بُنيَّ انه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة فامض لشانك ودعني ورايي وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم وخضع له من ابناء المهاجرين والانصار كلُ من يعتقد انه اولى منه بالخلافة وكان معويةُ من ادهى الدهاة روى ان عمرَ بن الخطاب قال لجلسايه تذكرون كسرى وقيصرَ ودهاءهما وعندكم معوية ومن دهايه ما اعتمدهُ من استمالة عمرو بن العاص وكان عمرو بنُ العاص احدَ الدهاة وكان اوّلَ ما نشبت الفتنة بين امير المومنين عمر ومعوية معتزلاً للفريقين فراى معويةُ ان يستميلهُ ويتقوّى برايه ودهايه ومكره فاستماله ووصل حبلَه بحبله وولّاه مصرَ ودخل معه في تلك المداخل وفعل في صفّينَ تلك الافاعيلَ ولم يكن بينهما مع ذلك مودّة قلبية وكانا يتباغضان سرًّا وربّما ظهر ذلك على صفحات وجوههما وفلتات السنهما طلبَ اميرُ المومنين عمر في صفّينَ من معويةَ ان يخرج الى مبارزته فقال له عمرو بن العاص قد انصفك ولا يحسُن بك النكولُ عن مبارزته فقال له معويةُ غششتني واحببتَ قتلي ألستَ تعلمُ أنّ ابنَ ابي طالبٍ لا يبرزُ احدٌ الّا قتلَهُ وقال

معويةُ يومًا لجلسايه ما أعجبُ الاشياء فقال يَزِيدُ اعجبُ الاشياء هذا السَّحابُ الراكِدُ بين السمـاء والارضِ لا يَدْعمُهُ شئٌ من تحتهِ ولا هو مَنُوطٌ بشيء من فوقِهِ وقال اخَرُ اعجبُ الاشياء حظٌّ يَنالهُ جاهِلٌ وحِرْمانٌ يَنالهُ عاقلٌ وقال آخَرُ اعجبُ الاشياء ما لم يُرَ مِثْلُهُ وقال عمرو بن العاصِ أعْجَبُ الاشيـاء أنَّ المُبطِلَ يَغْلبُ المُحِقَّ يعرِّضُ بعليٍّ عمر ومعويةَ فقال معويةُ بل اعجب الاشياء أن يُعْطَى الانسانُ مـا لا يَسْتحقُّ اذا كان لا يُخافُ يُعرِّضُ بعَمْرٍو ومِصْرَ فنَفَثَ كلٌّ منهما بمـا فى صَدْرِه من الآخرِ واعلم انَّ معويةَ كان مُربِّيَ دُوَلٍ وسايِسَ أُمَمٍ وراعِيَ مَمالِكَ ابتكرَ فى الدولـة اشياءَ لم يَسْبِقْهُ أحَدٌ اليها منهـا انـه اوّلُ مَن وضَعَ الحَشَمَ للملوك ورَفْعَ الحِرابِ بين ايديهم ووَضْعَ المَقْصُورَةِ التى يُصَلّى الملكُ او الخليفةُ بها فى الجامع منفردًا من الناسِ وذلك لخَوْفِهِ ممّا جرَى لامير المومنين عمر فصار يُصَلّى منفردًا فى مقصورةٍ فـاذا سَجَدَ قام الحَرَسُ على راسِهِ بالسيوف وهو أوّلُ مَنْ وضَعَ البَرِيدَ لوصول الاخبـارِ بسُرْعَـةٍ كلام فى معنى البريد البَرِيدُ أنْ يُجْعَلَ خَيْلٌ مضمَّراتٌ فى عِدّةِ أماكنَ فاذا وصَلَ صاحبُ الخبَرِ المُسْرع الى مَكـانٍ مِنهـا وقد تَعِبَ فَرَسُهُ رَكِبَ غَيْرَهُ فرسًا مُسْتَرِيحًا وكذلك يَفْعَلُ فى المكانِ الآخَرِ والآخر حتى يَصِلَ بسُرْعةٍ وامّا معناهُ اللُّغَوِيُّ فالبَرِيدُ هو اثْنَا عَشَرَ مِيلاً وأظُنُّ أنّ الغايَةَ التى كانوا

قَدَّرُوهـا بين بَرِيد وبريد هى هذا القَدْرُ وقال الصاحبُ علاء الدين عَطا ملك فى جهان كُشاى ومِنْ جُمْلَة الاشياء وَضْعُهم البَرِيدَ بكُلِّ مَكانٍ طَلَبًا لحفظ الأَمْوالِ وسُرْعَة وصولِ الاخبارِ ومتجدّدات الأَحْوال وما ارى للبريد فايدةً سوى سُرْعَة وصولِ الاخبارِ فامّا حِفْظُ الاموال فاىُّ تعَلُّق لـه بذلك ومما اخترع معويةُ من امورِ الملكِ ديوانُ الخاتمِ وهذا ديوانٌ مُعْتَبَرٌ من اكابرِ الدواوينِ لم تَزَلِ السُّنَّةُ جارِيَةً به الى اَوَاسِطِ دَوْلَة بنى العَبَّاس فاُسْقِطَ ومَعْناه اَنْ يكونَ ديوانٌ وبه نُوّابٌ فـاذا صَدَرَ تَوْقِيعٌ مِن الخليفة بأَمْرٍ من الاُمُورِ اُحْضِرَ التَوْقيع الى ذلك الديوانِ واُثْبِتَتْ نُسْخَتُه فيـه وحُزِمَ بخَيْطٍ وخُتِمَ بشَمْع كما يُفْعَـلُ فى هذا الزمانِ بكُتُبِ القُضاةِ وخُتِمَ بخاتم صاحب ذلك الديوانِ وكان الذى حَمَـلَ معويةَ على اختراع هذا الديوانِ انه اَحالَ رَجُلًا عَلَى زِيادِ بنِ ابيه اميرِ العِراقِ بمِئَة اَلْفِ دِرْهمٍ فمَضَى ذلك الرَجُلُ وقرأ الكتابَ وكانت تَواقِيعُهُم تَصْدُرُ غير مَخْتومة فجعَـلَ المِئَةَ مِئَتَيْنِ فلما رفَعَ زِيادٌ حسابَهُ الى معويَةَ اَنْكَرَ معويَةُ ذلك وقال مـا اَحَلْتُـه الا بمِئَة الفِ ثم استعادَها منه ووضَعَ ديوانَ الخاتمِ فصارَت التواقيعُ تَصْدُرُ منـه مختومةً لا يَدْرِى اَحَدٌ مـا فيها ولا يتمكّنُ اَحَدٌ من تغييرِها وكان معويةُ مصروفَ الهمّةِ الى تدبيرِ امرِ الدنيا يَهُونُ عليه كُلُّ شىءٍ اذا انتظَمَ اَمْرُ المُلْكِ فانظُرْ الى وَصْفِ

عبد الملكِ بن مَرْوَنَ لـه فانه لَحَظَ فيه هذا المعنى قالوا انّ عبدَ الملكِ بنَ مروان مَرَّ بقَبْرِ معويةَ فترحَّمَ عليه فقال لـه رَجُلٌ قَبْرُ مَنْ هذا يـا اميرَ المومنين قال قَبْرُ رجُلٍ كانَ واللهِ فيما عَلمتُهُ يَنْطِقُ عن عِلْمٍ ويَسْكتُ عن حِلْمٍ كان اذا أَعْطَى اَغْنَى واذا حـارَبَ اَفْنَى ووصفه ايضا عبدُ الله بن العبّاسِ وكان من النُقّادِ فقال مـا رايتُ اَلْبَقَ مِن اعطافِ معويةَ بالرياسةِ والمُلْكِ وقال لـه بعض بنى اميّةَ والله لو قدرْتَ ان تَسْتَكْثِرَ بالزِنْجِ لاستكثَرْتَ بهم لينتظِمَ لك أمْرُ المُلْكِ وكان معويةُ نَهِمًا شحيحًا عند الطعامِ على كَرمهِ وسماحتهِ فامّا نَهَمُهُ فقالوا انّهُ كان يَـاكُلُ فى كل يوم خَمْسَ اكلاتٍ آخِرُهُنَّ اَغْلَظُهُنَّ ثم يقول يا غلام اْرفَعْ فواللهِ مـا شَبِعْتُ ولكنْ مَلِلْتُ ورُوِى انه اُصْلِحَ له عِجْلٌ مَشْوِىٌّ فاكَلَ مَعَهُ دَسْتًا مِنَ الخبزِ السَّمِيذِ واربعَ فَرانى وَجَدْيًا حارًّا وآخرَ بـارِدًا سِوَى الالْـوَانِ ووَضَعَ بين يَدَيه مِئَةَ رَطْلٍ مِنَ الباقِلّى الرَطْب فـاَتَى عليه وامـا شحه على الاكلِ فانّ ابنَ ابى بَكْرة دَخَـلَ عليه ومَعَهُ ابنُه فجعَـلَ ابنُه ياكُلُ اكلا مُفْرِطًا ومُعَوِيَة يَلْحَظُهُ وفَطِنَ ابْنُ ابى بَكرةَ لحنَقِ معويَةَ واراد أَنْ يَنْهَى ابنَهُ عن كَثْرَةِ الاكْلِ فلم يَتّفِقْ له ذلك وخرَجا من عندِ معويَـةَ ففى الغَدِ حضرَ الابُ وليس معه ابنُهُ فقال له مُعَويَةُ ما فعَلَ ابْنُكَ قال يا اميرَ المومنين اتخَمَ مِزاجُهُ قال قد عَلِمْتُ أنّ

تلكَ الاكلةَ ما كانت تَتْرُكُه حتى تهيضَه وهاهنا مَوْضِعُ حِكايةٍ حَسَنَةٍ تَدُلُّ على كَرَمٍ ومُروّةٍ ونُبْلٍ كان بعض الوزراء مشعوفا بالأَكْلِ ويُحِبُّ كل من ياكُلُ مَعَهُ وكُلُّ مَنْ كانَ اكثرَ اَكْلاً كانَ اقْرَبَ الى قَلْبِهِ فاتّفقَ انه قَصَدَ بَعْضَ الاكابرِ من العَلَويّينَ وكَمَّلَ عليه وُجُوهًا من خَرَاجٍ وضَمانٍ وغير ذلك وطَالَبَهُ بها فوَكَّل عليه فى نَفْسِ دَارِهِ أَعْنى دار الوزيرِ ففى بَعْضِ الايام مُدَّ السِماطُ بَيْنَ يَدَى الوزير فقال العلوىُّ للموكَّلينَ به انّى جايعٌ فهل تاذنُون ان أَخْرُجَ الى السماط وَأَنْتُم مَعِى فآكُلُ وأَعُودُ الى هذا الموضع وكان العلوىُّ قد فَطِنَ لِطبع الوزير فى ذلك فاستَحْيَوا منه وأَذِنُوا له فى ذلك فخرجَ وجلَسَ فى أُخْرِيَاتِ السماطِ وجَعَلَ يَأْكُلُ بِنَهَمٍ فلَحَظَهُ الوزيرُ وهو مُقْبِلٌ على الأَكْلِ فاستَدْناه ورفَعَهُ الى صَدْرِ المجلسِ وقَدَّمَ اليْهِ من أَطايِبِ ذلك الطَعامِ وكلما بالغ فى الأَكْلِ زادَتْ بَشَاشَةُ الوزيرِ وطلاقَتُه فلما رُفِعَ الطَعَامُ استَدْعَى الوزيرُ كانُونًا فيه نارٌ وأَحْضَرَ الحسابَ الذى رُفِعَ على الرجلِ به وقال ايها السَيّدُ قَدْ أَراحَكَ اللهُ من هذا المال وأَنْتَ فى حِلّ منه ووالله وحقِ جَدّكَ صلواتُ الله عليه ليس عندى بهذا الحساب ولا فى الديوانِ به غير هذه النُسْخةِ ثم أَلْقاها فى الكانُونِ فاحْتَرقتْ وافْرجَ عنه وأَذِنَ له فى الرَواح الى مَنْزِلِهِ ومما عَظُمَ على الناس عامّةً وعلى بَنى أُمَيّةَ خاصّةً قَضيّةُ الاستلحاقِ وهى انّ

معويَـةَ استلحَقَ زِيادَ بنَ أبيه وجَعَلَهُ أخًا له ليتكثَّرَ به ويتقوّى برايه ودهايه٬

شرح كيفيةِ الاستلحاقِ على وجه الاختصار٬ كانت سُميّةُ أمُّ زِيادٍ بَغيًّا من بَغايـا العَرَبِ ولها زوجٌ اسمُهُ عُبيدٌ فاتّفقَ أنَّ ابـا سُفْيانَ وهو ابو معويةَ نزلَ بخمّارٍ يقال لـه ابو مَرْيَمَ وطلب ابو سفيان منه بَغيًّا فقال له ابو مَرْيَمَ هل لك في سُميّةَ وكان ابو سُفْيانَ يَعْرِفُها فقال هاتها على طُولِ ثَدْيِها وذَفَرِ بَطْنِها والذَفَرُ الصُنانُ ونَتْنُ الريحِ فاتاهُ بها فوقَعَ ابو سُفيانَ عليها فعَلِقَتْ منه بزيادٍ ثم وضَعَتْه على فِراشِ زَوْجِها عُبَيْدٍ فلما نَشَا زِيـادٌ تـادَّبَ وبَرَعَ وتقلّبَ في الأعْمالِ فولّاه عُمَرُ بن الخطّابِ رضى الله عنه عَملًا فاحْسَنَ القيامَ به فحَضَرَ يومـًا مَجْلِسَ عُمَرَ وفيه اكابرُ الصحابةِ وابو سُفْيانَ في جُمْلَةِ القَوْمِ فخطَبَ زِيـادٌ خُطْبَةً بليغَةً لم يَسْمَعُوا بمِثْلِها فقال عمرو بنُ العاصِ للـه دَرُّ هذا الغُلامِ لو كان ابُوه من قريشٍ لساقَ العَرَبَ بعَصَاهُ فقـال ابو سفيانَ والـلـه انى لأعْرِفُ اباه الذى وضَعَهُ في رَحِمِ أُمّه وعَنَى نَفْسَهُ فقال له اميرُ المومنين عليٌّ عمّ يا ابا سُفيانَ اسْكُتْ فانّك لَتَعْلَمُ انّ عُمَرَ لو سَمِعَ هذا القولَ منك لكانَ اليك سَرِيعًا فلما وَلِى عمّ الخِلافـةَ استعمـلَ زِيادًا على فارِسَ فضَبَطَهَا وحَمَى قلاعها وقـام فيها مَقامـًا مَرْضِيًّا واشتهرت كَفاءتُهُ واتّصَلَ الخَبَرُ بمعوية

فساءهُ ان يكُونَ مِن اصحابِ عليّ عمر رَجُلٌ مثلُ زِيادٍ وأرادَهُ لنفْسهِ فكتَبَ اليه كتابًا يتَهدَّدُهُ ويُعرِّض له بوِلادةِ ابى سفيانَ ويقول له أنْتَ أخى فلم يَلْتفتْ زِيـادٌ اليه وبلَغَ الخبرُ اميرَ المومنين عليًّا عمَر فكَتَبَ الى زيـادٍ انّى ولّيْتُكَ ما ولّيْتُكَ وانا اراكَ له أهْلًا وقد كانت من ابى سفيانَ فَلْتَةٌ مِن أمانِى الباطِلِ وكَذِبِ النَفْسِ لا يُوجِبُ لكَ مِيراثًـا ولا تحلّ لـه نَسْبًا وانّ معويةَ ياتِى الانسانَ مِن بَيْنِ يَدَيه ومِن خَلْفِه وعَنْ يمينـهِ وعن شِمالـهِ فاحْذَرْ ثم احْذَرْ والسّلَمُ " فلما قُتِـلَ عليٌّ عمر جَدَّ معويـةُ فى استِصْفاء مَوَدّةِ زِيادٍ واستمالتِه وتَرْغيبهِ الى الانْخِراطِ فى زُمْرَته فنَشَأَ بينهما حديثُ ولادة ابى سفيـانَ واتّفقـا على الاستلحاقِ وحضَرَ شهودَ مَجْلس معويةَ فشَهَدُوا بانّ زِيادًا وَلَدُ ابى سُفيانَ فمِنْ جُمْلةِ الشهود ابو مَرْيَم الخمّار الذى أحْضَرَ سُمَيّـةَ الى ابى سُفْيـانَ وكان هذا ابو مَرْيَم قد أسْلَمَ وحَسُنَ اسلامُه فقال له بِمَ تَشْهَدُ يا ابـا مَرْيَم فقال أشْهَدُ أنَّ ابا سُفيانَ حَضَرَ عندِى وطَلَبَ منِّى بَغِيًّا فقلتُ له ليس عندى الّا سُمَيّة فقال هاتها على قَذَرِها ووَضَرِها فاتَيْتُهُ بها فخَلَا معها فخرجَتْ من عِنْدِه وانها لتَقْطِرُ مَنيًّا فقال له زيادٌ مَهْلًا يا ابا مَرْيَم فانما دُعيتَ شاهِدًا ولم تُدْعَ شاتمًا فاستَلْحَقَهُ معويةُ قالوا وكان هذا الاستلحاقُ أوّلَ ما رُدّت به أحْكامُ الشريعَةِ عَلانيَّةً فانّ رسولَ

اللـه صلوات اللـه عليه قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر واعتذر قوم لمعوية بان قالوا انّما جاز استلحاق معوية زيادًا لأنّ انكحة الجاهلية كانت أنواعًا فمن جملتها انّ الجماعة اذا جامعوا بغيًّا ثم ولدت تلك البغيّ ألحقت الولد بمن شاءت منهم والقول فى ذلك قولها فلما جاء الاسلام حرّم هذا النكاح الا انه اقرّ كل ولد على نسبه الى الاب الذى عُرف به من اىّ نكاح كان من انكحتهم ولم يفرّق الاسلام بين شىء من ذلك قال آخرون صدقتم فى هذا لكنّ معوية توهّم انّ ذلك على هذه الصورة ولم يفرّق بين ما استلحق فى الجاهلية والاسلام فانّ زيادًا لم يكن يُعرف فى الجاهلية بابى سفيان ولم يكن منسوبًا الّا الى عُبيد فكان يقال زياد بن عبيد وبين الصورتين بون وقال الشاعر مشيرا الى هذه القضية

الوافر

أَلَا أَبْلِغْ مُعَوِيَةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً عن الرَّجُلِ اليَمَانِى

أَتَغْضَبُ أن يُقالَ أَبُوكَ عَفٌّ ... وتَرْضَى ان يُقالَ ابوكَ زانِ

فَأُقْسِمُ انَّ رِحْمَكَ من زيادٍ ... كَرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأَتانِ

الرِّحْمُ القرابة ثم صار زيادٌ من رجال معوية وأعضاده فولّاه البصرة وخراسانَ وسجستانَ واضافَ اليه الهندَ والبحرينِ وعُمانَ واضافَ اليه فى آخرِ الامرِ الكوفةَ وكتبَ زيادٌ على كُتُبه من زيادِ بنِ ابى

سفيانَ وكانوا قَبْلَ ذلك يقولون له زيادُ بن عُبَيْدٍ تارَةً وتارةً زيادُ ابنُ سُمَيَّةَ ومن يَتَحَرَّى الصِدْقَ يقولُ زيادُ بنُ ابيه وكان زيادٌ أَحَدَ الدُهاةِ عظيمَ السياسةِ قَوِيَّ الهَيْبَةِ صَحِيحَ العَقْلِ سَديدًا شَهْمًا فَطِنًا بَلِيغًا ، وكانَتْ وَفاةُ معويةَ فى سنةِ سِتّينَ من الهجرة ولما أَدْرَكَتْه الوفاةُ أَوْصَى الى ابنهِ يزيدَ وَصيَّةً تَدُلُّ على عَقْلِه ولُبِّه وخِبْرتِه بالأُمورِ ومَعْرِفَتِه بالرِجالِ فلم يَعْمَلْ يزيدُ بشَىْءٍ منها وقد أَثْبَتُّها هاهُنا لحُسْنِها وسَدادِها ، قالوا لمّا مرض معويةُ مَرَضَهُ الذى مات فيه دَعَى ابنَهُ يزيدَ فقال له يا بُنَيَّ انى قد كَفَيْتُكَ الشَدَّ والتَرْحالَ ووَطَّأْتُ لك الأُمورَ وذَلَّلْتُ لك الأَعْداءَ وأَخْضَعْتُ لَكَ رِقابَ العَرَبِ وجَمَعْتُ لك ما لم يَجْمَعْهُ أَحَدٌ فانْظُرْ أَهْلَ الحِجازِ فانّهم أَصْلُكَ فأَكْرِمْ مَنْ قَدِمَ عليك مِنْهُمْ وتَعَهَّدْ مَنْ غابَ وانظُرْ أَهْلَ العراقِ فان سَأَلُوكَ أَنْ تَعْزِلَ كل يومٍ عامِلًا فَافْعَلْ فإنَّ عَزْلَ عامِلٍ أَيْسَرُ مِن أَنْ يُشْهَرَ مِئَةُ سيفٍ وانظُرْ أَهْلَ الشامِ وليكُونُوا بطانَتَكَ فان رابَكَ مِن عَدُوِّكَ شئٌ فَانْتَصِرْ بهم فاذا أَصَبْتَهُمْ فارْدُدْ أَهْلَ الشامِ الى بِلادِهم فانهم ان اقامُوا بها تَغَيَّرَت أَخْلاقُهُم وانّى لَسْتُ أَخافُ عليك ان يُنازِعَكَ فى هذا الأَمْرِ الا أَرْبَعةٌ مِن قريشٍ الحُسَيْنُ بنُ عليٍّ وعبدُ الله بن عُمَرَ وعبدُ الله بنُ الزُبَيْرِ وعبْدُ الرحمنِ بن ابى بَكْرٍ فامّا ابنُ عُمَرَ فرَجُلٌ قَدْ وَقَذَتْهُ العِبادَةُ واذا لم يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُهُ بايَعَكَ واما

الحُسَيْن بن عليّ فهو رَجُلٌ خَفيفٌ ولَن يَترُكَهُ أهْلُ العِراقِ حتى يُخْرِجَهُ فإن خرجَ وظَفِرْتَ به فاصْفَحْ عنْهُ فإنّ له رَحِمًا ماسّةً وحقًّا عَظيمًا وقَرابَةً من مُحَمَّدٍ صلواتُ اللهِ عليه واما ابنُ ابي بكرٍ فان رأى أصْحابَهُ صَنَعُوا شيْئًا صَنَعَ مِثْلَهُ ليسَتْ لـه هِمَّةٌ الّا في النساءِ واللّهْوِ وأمّا الذى يَجْثِمُ لكَ جُثُومَ الأسَدِ ويُراوِغُكَ مُراوَغَةَ الثَّعْلَبِ فـإن امكنَتْهُ فُرصـةٌ وَثَبَ فذاكَ ابنُ الزُبَيْرِ فـإنْ هو وثبَ عليكَ فظَفِرْتَ به فَقَطِّعْهُ اِرْبًا اِرْبًا واحْقِنْ دِماءَ قَوْمِكَ ما استَطَعْتَ، وفي هذه الوصيةِ دليل على مـا سَبَقَ من وُفُورِ رَغْبَتِهِ في تَدْبيرِ المُلْكِ وشِدّةِ كَلَفِـهِ بالرياسَةِ ۞

ثم ملكَ بعده ابنه يزيد كان مُوَفَّرَ الرَغْبَةِ في اللّهْوِ والقَنَصِ والخَمْرِ والنِساءِ والشِعْرِ وكان فصيحًا كريمًا شاعِرًا مُفْلِقًا قالُوا بُدِئَ الشِعْرُ بمَلِكٍ وخُتِمَ بمَلِكٍ اشارَةً الى امْرِءِ القَيسِ واليه فمن شعره، البسيط

جـاءت بوَجْـهٍ كأنّ البَدْرَ بُرْقُعُـهُ
نُـورًا على مـايِسٍ كالغُصْنِ مُعْتَدِلِ
اِحْدَى يَدَيْهـا تُعـاطِيني مُشَعْشَـعَةً
كخَدِّهـا عَصْفَرَتْـهُ صِبْغَـةُ الخَجَـلِ
ثم استَبَدَّتْ وقـالت وَهْيَ عـالِمَـةٌ
بمـا تقـول وشمس الراح لم تَفِـلِ

لا تَرْحَلَنَّ فما أَبْقَيْتَ مِن جَلَدِى
ما أَسْتَطِيعُ بهِ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ
ولا مِنَ النَّوْمِ ما أَلْقَى الخَيالَ بهِ
ولا مِن الدمعِ ما أَبْكِى على الطَّلَلِ

كانَتْ وِلايَتُه على أَصَحِّ القولَيْنِ ثلاثَ سِنِينَ وسِتَّةَ أَشْهُرٍ ففى السنةِ الأولى قَتَلَ الحُسَيْنَ بنَ علىٍّ عليهما السَّلَمُ وفى السنةِ الثانيَةِ نَهَبَ المدينَةَ وأَبَاحَهَا ثلاثَةَ ايامٍ وفى السنةِ الثالثةِ غَزَا الكعْبَةَ فَبَدَأَ بشَرْحِ قَتْلِ الحُسَيْنِ عَمَّ

شرح كيفية الحال فى ذلك على وجه الاختصار هذه قَضيَّةٌ لا أُحِبُّ بَسْطَ القولِ فيها استعظامًا لها واستِفْظاعًا فانّها قضيةٌ لم يَجْرِ فى الاسلامِ اَعْظَمُ فُحْشًا منها ولعَمْرِى انَّ قَتْلَ اميرِ المومنين عمَّ هُوَ الطامَّةُ الكُبْرَى ولكنْ هذه القضيةَ جرى فيها من القتلِ الشنيع والسَّبْىِ والتمثيلِ ما تَقْشَعِرُّ له الجلودُ واكْتَفَيْتُ ايضا عن بَسْطِ القولِ فيها بشُهْرَتِها فانّها اشهرُ الطامّاتِ فلعن اللهُ كلَّ من باشَرَها وامرَ بها ورضى بشىءٍ منها ولا تَقَبَّلَ اللهُ منه صَرْفًا ولا عَدْلا وجَعَلَهُ من الاَخْسَرِينَ أَعْمالاً الذين ضَلَّ سَعْيُهم فى الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُون انهم يُحْسِنُون صُنْعا وجملةُ ما جرى فى ذلك أنَّ يزيدَ لعَنَهُ اللهُ لمّا بُويِعَ لم يكن له هَمٌّ الا تحصيلُ بيعةِ الحسينِ والنفرِ

الذينَ حَذَّرَهُ أبوهُ منهم فارسَلَ الى الوليدِ بنِ عُتْبَةَ بن ابى سُفيانَ
وهو يومئذٍ اميرُ المدينةِ يامُرُه باخذِ البَيْعَةِ عليهم فاستَدْعَاهم فحضَرَ
الحسَيْنُ عم عنده فاخبَرَهُ بموْتِ معويَةَ ودَعاه الى البيعة فقال له الحسَيْنُ
عم مثلي لا يُبايعُ سِرًّا ولكن اِذا اجتمَعَ الناسُ نَظَرْنا ونظَرْتَ ثم خرَجَ
الحسَيْنُ عم من عندِه وجمع اصحابَهُ وخرَجَ مِن المدينة قاصدًا مكّةَ
مُتَأَبِّيًا مِن بَيْعَةِ يزيدَ آنفًا من الانخراطِ فى زُمْرَةِ رعيتِه فلما استَقَرَّ
بمكة اتَّصَلَ باَهْلِ الكوفةِ تَأَبِّيهِ مِن بَيْعةِ يزيدَ وكانوا يَكْرَهون بنى
اميَّةَ خصوصًا يزيدَ لقُبْحِ سيرَتهِ ومُجاهَرَتهِ بالمَعَاصِى واستهْتارِه بالقبائح
فراسَلُوا الحسَيْنَ عم وكتَبُوا اليه الكُتُبَ يَدْعُونَهُ الى قدوم الكوفة
ويَبْذُلون لــه النُصْرَةَ على بنى أُميَّةَ واجْتَمَعُوا وتحــالَفُوا عَلَى ذلك
وتابَعُوا الكُتُبَ اليه فى هذا المعنى فارسَلَ اليهم ابنَ عَمِّه مُسْلِمَ بنَ
عَقيــلِ بنِ ابى طالبٍ رضى الله عنه فلما وصل الى الكوفة فَشَا الخَبَرُ
الى عُبيدِ اللهِ بن زِيــاد لعنه الله وَاَحَلَّــهُ دارَ الخِزْى وكان يزيدُ قد
أمَّرَهُ على الكوفة حينَ بلغَــهُ مُراسَلةُ اَهْلِها الحسَيْنَ عم وكان مُسْلِمُ
قد التجأ الى دارِ هــانئ بنِ عُرْوَةَ وكان من أشْرافِ اهــلِ الكوفةِ
فاستدعاه عبيدُ الله بن زيادٍ وطلَبَهُ منه فأبَا فضرَبَ وَجْهَهُ بالقضيب
فهشَمَهُ ثم أُحْضِرَ مُسلمُ بن عَقيلٍ رضى اللهُ عنهما فضُرِبَتْ عُنُقُهُ
فوق القَصْرِ فهَوى راسُه واتْبِعَ جُثَّتَهُ راسَــهُ وامّــا هانئُ فأُخْرِجَ الى

السُوقِ فضُرِبت عُنقُهُ وفى ذلك يقول الفَرَزْدَقُ — الطويل

وإن كُنْتِ لا تَدْرِينَ ما الموتُ فَٱنْظُرِى
الى هانئٍ فى السُوقِ وابْنِ عَقِيلِ
الى بَطَلٍ قد هَشَّمَ السَيْفُ وَجْهَهُ
وآخَرَ يَهْوِى من طَمارِ قَتِيلِ

ثم إنَّ الحسينَ عم خرَجَ من مكّةَ متوجّهًا الى الكوفةِ وهو لا يَعْلَمُ بحالِ مُسْلِم فلما قَرُبَ من الكوفةِ عَلِمَ بالحالِ ولقِيَه ناسٌ فاخْبَرُوه الخَبَرَ وحذّروه فلم يَرْجِعْ وصمَّمَ على الوصولِ الى الكُوفةِ لأمْرٍ هو أعْلَمُ به من الناسِ فارْسَلَ ابنُ زِيادٍ اليه عسكَرًا أميرُه عُمَرُ بن سَعْدِ ابنِ ابى وَقّاصٍ فقاتَلَ الحُسَيْنُ عم واصحابُهُ حين التَقَى الجمعانِ قِتالا لم يُشاهِدْ أحَدٌ مِثْلَهُ حتى فَنِىَ اصحابُه وبَقِىَ هو عم وخاصّتُهُ فقاتَلُوا أشَدَّ قِتالٍ رآه الناسُ ثم قُتِلَ الحُسَيْنُ عم قِتْلَةً شَنِيعَةً ولقد ظَهَرَ منه عم من الصَبْرِ والاحتسابِ والشَجاعةِ والوَرَعِ والخِبرةِ التامّةِ بآدابِ الحَرْبِ والبَلاغةِ وَمِنْ أهْلِهِ واصحابِهِ رضى الله عنهم من النَصْحِ له والمُواساةِ بالنفسِ وكَراهِيَةِ الحياةِ بَعْدَه والمُقاتَلَةِ بين يديه عن بَصِيرَةٍ ما لم يُشاهَدْ مِثلُه ووَقَعَ النَهْبُ والسَبْىُ فى عَسْكَرِهِ وذَرارِيهِ عليهم السَلَامُ ثم حُمِلَ النِساءُ وراسُه صلواتُ الله عليه الى يزيد بن معوية بدمشق فجعل ينكتُ ثنايا الحُسَيْنِ عليه

بالقضيب ثم ردّ نساءه الى المدينة وكان قَتْلُ الحسين عم فى يوم عاشوراء مِن سَنَةِ احدى وستّين٬

شرح كيفية وقعة الحرة ثم ثنّى بقتال اهل مدينة سيّدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلامُه وهى وقعةُ الحَرَّة بالحساء المفتوحة غير مُعجَمة ومَبْدَأُ الامرِ فيها أنّ اهل المدينة كَرِهُوا خِلافةَ يزيدَ وخَلَعُوه وحَصَرُوا من كان بها من بنى أُمَيَّة واخافوهم فأرْسَلَ بنو اميّة رسولاً الى يزيدَ يُعْلِمُهُ حالَهُم فلما وَصَلَ الرسول الى يزيدَ واخبَرَه بذلك تمثّلَ

الطويل

لقد بَدَّلُوا الحِلْمَ الذى فى سَجِيَّتِى فبَدَّلْتُ قَوْمِى غِلْظَةً بِلَيانِ

ثم نَدَبَ اليها عمرو بنَ سَعيدٍ فاحْجَمَ عنها وارْسَلَ يَقُولُ له انى قد ضَبَطْتُ لك الأُمورَ والبلاد وامّا الآنَ اذ صارَتْ دِماءُ قريشٍ تُهْراقُ بالصَعيدِ فلا أُحِبُّ أنْ أتَوَلّى ذلك فندبَ عُبَيْدَ اللهِ بن زيادٍ لذلك فاعتذَرَ وقالَ واللهِ لا جَمعتهما للفاسقِ أقْتُلُ ابنَ رسولِ الله وأغْزُو مَدينَتَهُ والكَعْبَةَ فنَدَبَ اليها مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المُرّىَّ وكان شَيْخًا كبيرًا مَريضًا الا انه كان احَدَ جَبابِرَةِ العَرَبِ وشياطينهم وقيلَ إنَّ اباهُ قال له إن خالَفَكَ اَهْلُ المدينةِ فارْمِهم بمُسْلِمِ بن عُقْبَةَ فتَوجَّهَ اليها مُسْلِمُ بنُ عُقْبَةَ وهو مريضٌ فحاصَرَها مِن جِهَةِ الحَرَّةِ وهو موضعٌ بظاهِرِ المدينةِ فنُصِبَ لمسلم بن عُقْبَةَ كُرْسِىٌّ بين

الصِّفّينِ وجَلَسَ يُحَرِّضُ أَصْحابَهُ على القِتالِ حتى فتحها وقتلَ فى تلك الوَقْعةِ جماعةً مِن اعيانِها ' فيقالَ اِنَّ ابا سَعيدِ الخُدرِىَّ صاحِبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله خافَ فاخذ سَيْفَه وخرج الى كَهْفٍ هُناكَ لِيَدْخُلَ اليه ويَعْتَصِمَ به فَتَبِعَهُ بعض اهل الشامِ فخافَهُ ابو سعيد وسَلَّ سَيْفَه عليه لِيُرَوِّعَهُ فسَلَّ الآخَرُ سيفَه فلما وَصَلَ الى ابى سعيد قال له لَئِنْ بَسَطْتَ يَدَكَ الىَّ لتَقْتُلَنِى ما انا بِباسِطٍ يَدِى اليك لأَقْتُلَكَ فقال له الشامىّ من انت قال انا ابو سعيد قال صاحِبُ رسول الله قال نَعَم فمَضَى وتَرَكَه ثم اباحَ مُسْلِمُ بنُ عُقْبَةَ المدينة ثلاثًا فقتَلَ ونَهَبَ وسَبَى فقيل انّ الرجُلَ من اهل المدينةِ بعد ذلك كان اذا زوَّجَ ابنتَهُ لا يَضْمَنُ بكارَتَهَا ويقول لعلها قد افْتُضَّتْ فى وَقْعة الحَرَّة وسُمّى مسلم بن عُقْبَةَ مُسْرِفًا ۞

شرح كيفية غزوِ الكعبةِ ثم ثَلَّثَ يزيدُ بغزْوِ الكعبةِ فامَرَ مُسْلِمَ ابْنَ عُقْبَةَ بقَصْدِها وغَزْوِها بعدَ فَراغهِ من امرِ المدينة فتوجَّهَ مُسْلِمٌ اليها وكان عَبْدُ الله بنُ الزُبَيْرِ بها وقد دَعَا الى نفسهِ وتَبِعَهُ اَهْلُ مكةَ فمات مُسْلِمٌ فى الطريق واستخلَفَ على الجَيْش رَجُلًا كان يَزيدُ اَوْصَاه بتامِيرِه اِن هَلَكَ فمَضَى بالجَيْش الى مكةَ وحَصَرَها وبَرَزَ ابْنُ الزُبَيْرِ اليه فى اَهْلِ مَكَّةَ ونَشِبَتِ الحَرْبُ وقال راجِزُ اَهْلِ الشامِ

الرجز

خَطّارَةٌ مثلُ الفَنيقِ المُزْبِدِ يَرْمِي بها أعوادَ هذا المَسْجِدِ

وهم فى ذلك اذ وَرَدَ نَعِيُّ يزيدَ فرجَعُوا ۞

ثم ملك بعده ابنه معوية بن يزيد بن معويـة كان صَبِيًّا ضعيفا مَلَكَ اربعين يَوْمًا وقيل ثلاثة أشْهُرٍ ثم قال للناس انى ضَعُفْتُ عن أمْرِكم فالْتَمَسْتُ لكم مِثْلَ عُمَرَ بنِ الخطابِ فلم اجِدْ فالتمستُ سِتَّةً مثل اهلِ الشُورَى فلم أجِدْ فانْتُمْ أوْلَى بامرِكُم فاختاروا له من أحْبَبْتُم فما كنتُ لأتزوَّدَها مَيِّتًا وما استَمْتَعْتُ بها حَيًّا ثم دخَلَ دارَهُ وتغَيَّبَ اياما ومَات وقيل مات مسمومًا وليس له من الاخبار ما يُؤثَرُ ۞

ثم ملك بعده مرون بن الحكم، هو مرونُ بن الحَكَمِ بن ابى العاص بن اميَّةَ بن عبد شمسٍ بن عبد مَنافٍ ولما مات معويةُ بنُ يزيدَ بنِ معويةَ ماجَ الناسُ فارادَ اهلُ الشامِ بنى أُمَيَّةَ وارادَ غَيْرُهم عَبْدَ اللهِ بنَ الزُبَيْرِ ثم غَلَبَ مِن رايه فى بَنِى اميّة لكنهم اختلفوا فيمن يُوَلُّونَهُ فمال ناسٌ منهم الى خالد بن يزيد بنَ معوية وكان فصيحا بليغا وقيل انه اصاب عَمَلَ الكيمياء وكان صبيًّا ومال ناسٌ الى مروَنَ بن الحكمِ لسِنّهِ وشَيْخُوخَتِهِ وكَرِهُوا خالدا لصُبُوّته ثم بايَعُوا مرون وقاد الجنودَ وفَتَحَ مِصْرَ وكان يقال له ابنُ الطريد وذلك لان اباه الحَكَمَ طَرَدَهُ رسولُ اللهِ صلعم عن المدينة فلما وَلِيَ

عثمان بن عفان رَدَّهُ اليه وأنكرَ المسلمون ذلك منه فاحتجّ بان رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وَعَدَه بردّه ورُوِيَت أحاديثُ واخبارٌ في لَعْنَةِ الحَكَمِ بنِ العاصِ ولَعْنَةِ مَن في صُلْبه وضعّفها قومٌ وكان من أرادَ ذمّ مرْوَنَ وعيّبَهُ يقولُ لـه يا ابْنَ الزرْقاء قالوا وكانت الزرْقاء جدّتهم من ذواتِ الرايات التي يُسْتَدَلُّ بها على بيوتِ البغايا في الجاهليّة فلذلك كانوا يُذَمّونَ بها وكانَ مروَنُ حينَ بويعَ قد تزوّجَ أمَّ خالدٍ زوجة يزيدَ بن معوية ليَصْغُرَ بذلك شانُ خالدٍ فيَسْقُطَ عَنْ دَرَجَةِ الخلافة فدَخَلَ خالدٌ يومًا على مرْوَنَ فقال لـه مرْوَنُ يا ابنَ الرَطْبَة ونَسبَهُ الى الحُمْق ليَصْغُرَ أمْرُهُ عندَ أهْلِ الشامِ فخجلَ خالدٌ ودَخَلَ على أُمّه واخبَرَها بما قال لَهُ مرْوَنُ فقالت لا يَعْلَمَنّ أحَدٌ انك أعْلَمْتَني وانا أكْفِيكَ ثم إنّ مروَنَ نامَ عندها ليلَةً فوضَعَتْ على وجهِه وِسادةً ولم تَرْفَعْها حتى مات واراد ابنُه عبدُ الملكِ ان يَقْتُلَها فقيل لـه يَتحدّثُ الناسُ ان اباك قَتَلَتْه امرأةٌ فتَرَكها وكانت ولايَةُ مروَنَ تِسْعَةَ اشهرٍ وبعض شهرٍ وذلك تاويلُ قول امير المومنين انّ له امْرَةً كلَعْقَةِ الكَلْبِ أنْفَه ٬ وفي تلك الايامِ اخذت الشيعةُ بثارِ الحسينِ عم ٬

شرح كيفية ذلك على وجه الاختصارِ ٬ لمّا هَدأتِ الفتنَةُ بَعْدَ قتلِ الحسينِ عم وهلك يزيدُ بن معوية اجتمع ناسٌ من اهل الكوفة

وندموا على خذلانهم الحسينَ عمّ ومقاتلتهم له ونصرهم لقتلته بعد
ارسالهم اليه واستدعايهم منه القدومَ عليهم وبذلهم له النصرَ وتابوا
من ذلك فسمّوا التوّابين ثم انهم تحالفوا على بذل نفوسهم واموالهم
فى الطلب بثاره ومقاتلة قتلته واقرار الحقّ مقرّه فى رجل من آل بيت
نبيّهم صلواتُ الله عليه وسلامه وأمّروا عليهم رجلا منهم يقال له
سليمنُ بن صُرَد فكاتبَ الشيعةَ بالأمصار يندبهم الى ذلك فاجابوه
بالموافقة والمسارعة ثم ظهر فى تلك الأيّام المختارُ بنُ عُبَيْد الثقفىُّ
وكان رجلا شريفا فى نفسه عالىَ الهمّة كريمًا فدعا الى محمد بن
علىّ بن ابى طالب عمّ وهو المعروف بابن الحنفيّة وكانت تلك
الايامُ ايامَ فتن وذلك أنّ مروان كان خليفةً بالشام ومصرَ مُبايَعًا
جالسًا على سرير الملك وعبدَ الله بنَ الزبير خليفةً بالحجاز والبصرة
مبايَعٌ معَهُ الجنودُ والسلاحُ والمختارُ بنُ ابى عُبَيْد بالكوفة ومعَهُ الناسُ
والجنودُ والسلاحُ وقد أخرجَ اميرَ الكوفة عنها وصار هو اميرَها يَدْعو
الى محمد بن الحنفيّة ثم انّ المختارَ قويتْ شوكتُهُ ففتكَ بقتلة
الحسين فضربَ عُنُقَ عمرَ بن سعد وابنه وقال هذا بالحسين وابنه
علىّ والله لو قتلتُ به ثُلُثَى قريش ما وَفَوا بانملة من انامله ثم
انّ مروان أرسل عُبَيْدَ الله بنَ زياد فى جيش كثيف فارسل اليه
المختارُ ابرهيمَ بنَ مالك الأشتر فقتلَهُ بنواحى الموصل وارسل براسه

الى المُختارِ فأُلقِىَ فى القَصْرِ فيقالُ اِنَّ حيَّةً رقيقةً تَخَطَّتْ رووسَ القَتْلى ودَخَلَتْ فى فمِ عُبيدِ اللهِ فخرجَتْ من مَنْخِرِهِ ثمّ دخلَتْ فى مَنْخِرِهِ فخرجَتْ من فيهِ وفعَلَتْ ذلك مرارًا ثمّ انّ عُبيدَ اللهِ بنَ الزبيرِ ارسَلَ اخاهُ مُصْعَبًا وكان شُجاعًا الى المُختارِ فقتَلَهُ ومات مروانُ بن الحكمِ فى سنةِ خَمْسٍ وستين وبويعَ ابنهُ عبدُ الملكِ ۞

ثمّ ملك ابنه عبد الملكِ بن مروان كان عبدُ الملكِ لبيبًا عاقلًا عالمًا مَلِكًا جَبّارًا قوىَّ الهَيْبةِ شديدَ السياسَةِ حَسَنَ التدبيرِ للدنيا فى ايّامه نُقِلَ الديوانُ مِن الفارسيَّةِ الى العربيَّةِ واخْتُرِعَت سِياقَةُ المستَعْرِبينَ وهو أَوّلُ مَنْ نَهَى الرعيَّةَ عن كَثْرَةِ الحديثِ بحَضْرةِ الخلفاءِ ومُراجعتِهم وكانُوا يَتَجَرَّءُونَ عليهم وقد تقدَّم شرحُ ذلك وهو الذى سلَّطَ الحَجّاجَ بنَ يوسُفَ على الناسِ وغَزَا الكَعْبَةَ وقتَلَ عبْدَ اللهِ بن الزُبَيْرِ واخاهُ مُصْعَبًا مِن قَبْلِهِ ومِن طَريفِ ما وَقَعَ فى ذلك انّ عبدَ الملكِ لمّا أَرْسَلَ يزيدُ بنُ معويةَ الجَيْشَ لقِتالِ أَهْلِ المدينةِ وغَزْوِ الكَعْبَةِ امتَعَضَ عَبْدُ الملكِ من ذلك غايةَ الامتعاضِ وقال ليت السماءَ انْطَبَقَتْ على الأَرْضِ فلما صارَ خليفةً فَعَلَ ذلك وأَشَدَّ مِنْه فانه أَرْسَلَ الحَجّاجَ لحصارِ ابنِ الزُبَيْرِ وغَزْوِ مكةَ وكان عبدُ الملكِ قَبْلَ الخلافةِ أَحَدَ فقهاءِ المدينةِ وكان يُسَمّى حَمامَةَ المَسْجدِ لمُداوَمَتِه تلاوةَ القرانِ فلما مات ابوه وبُشِّرَ بالخلافةِ أَطْبَقَ المُصْحَفَ وقال هذا

فِراقُ بَيْنى وبينك وتَصَدَّى لامورِ الدنيا وقيل انه قال يَوْمًا لسعيد ابن المُسَيَّبِ يا سَعيدُ قد صِرْتُ أَفْعَلُ الخَيْرَ فلا أُسَرُّ به وأَصْنَعُ الشَرَّ فلا اساءُ به فقال له سعيد ابنُ المُسَيَّب الآن تكامَلَ فيك موتُ القلبِ في ايامه قُتِلَ عبدُ الله بن الزبير واخوه مُصْعَب امير العراقِ فاما عبد الله بن الزبيرِ فانه كان قد اعْتَصَمَ بمكة وبايَعَهُ أَهْلُ الحجازِ واهلُ العِراقِ وكان عظيمَ الشُحّ فلذلك لم يَتِمَّ امرُهُ فارْسَلَ الحجّاجَ اليه فحاصَرَهُ بمكة ورمى الكعبةَ بالمِنْجَنيق وحارَبَهُ وخذلَهُ اهلُه واصحابه فدخَلَ على أُمّهِ وقال لها يا امّهِ قد خذلنى الناسُ حتى وَلَدى واهلى ولم يَبْقَ مَعى غيرُ يَسيرٍ ومن ليس عنده اكثَرُ مِن صَبْرِ ساعةٍ والقومُ يُعْطُونَنى ما اردتُ من الدنيا فما رايُكِ فقالت له أَنْتَ أَعْلَمُ بنَفْسِكَ ان كنتَ تَعْلَمُ انك على حَقٍّ فَـٱمْضِ لِشانِكَ ولا تُمَكِّنْ مِن رَقَبتِكَ غِلْمانَ بنى أُمَيَّةَ وَإِنْ كُنْتَ انما أَرَدْتَ الدنيا فبِئْسَ العَبْدُ أَنْتَ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ ومَنْ معك وكم خُلودك في الدنيا القَتْلُ أَحْسَنُ فقال يا أُمّهْ انى أَخافُ إن قَتَلونى أن يُمَثِّلوا بى قالت يا بُنَىَّ انَّ الشاةَ لا يَضُرُّها سَلْخُها بَعْدَ ذَبْحِها وما زالت تُحَرِّضُهُ بهذا وَأَشْباهِهِ حتى خَرَجَ فصمَّمَ على المُناجَزَةِ فقُتِلَ وَأَرْسَلَ الحجاجُ بالبشارة الى عبدِ الملِكِ وكانَ ذلك سنة ثلاثٍ وسبعِينَ واما اخوه مصعب بن الزبيرِ اميرُ العِراقِ فكان

شُجاعًا جميلا جليلَ القَدْرِ ممدَّحًا تَزَوَّجَ سُكينَةَ بنتَ الحسَيْنِ عمّ وعايشةَ بِنْتَ طلحَةَ وجمَعَهُمَا فى داره وكانت من أعْظمِ النساء قَدْرًا ومــالاً وجمالا فقال عَبْدُ الملكِ يوما لجلسايه مَن أشْجَعُ الناسِ قــالوا انت قــال لا لكن اشجَعُ الناسِ من جَمعَ فى داره بين عايشةَ بِنْتِ طلحَةَ وسُكينَة بنت الحُسَيْنِ يعنى مُصْعبًا ثم تجَهَّزَ عبدُ الملكِ لقتالِ مُصْعَبٍ وودَّعَ زوجَتَهُ عاتِكةَ بنتَ يزيدَ بنِ معويةَ فلما وَدَّعَها بَكَتْ فبكَى جواريها لبُكايها فقال عبدُ الملكِ قاتَــلَ اللهُ كُثَيِّرَ عَزَّةَ كانّه شاهد هٰذا حين قال

الطويل

اذا مــا اراد الغَزْوَ لم يَثْــنِ هَمَّــهُ
حَصَــانٌ عليهــا نَــظْمُ دُرٍّ يزِينُها
نَهَتْــهُ فلَمَّــا لم ترَ النَهْىَ نــافِعًا
بَكَتْ فبكى ممّــا شجاهــا قَطِينُها

ثم ثارَ الى حَرْب مُصْعَب فالتقيَا بارض دُجَيْل فاقتتلوا قتالا شديدًا وقُتِــلَ مصعب وذلك فى سنة احدَى وسَبْعِينَ وكان عبد الملكِ اديبًا ذَكيًّا فــاضلا قال الشَعْبِىُّ ما ذاكَرْتُ احَدًا الا وَجَدْتُ لى الفضْلَ عليه اِلّا عبد الملك بن مَرْوَانَ فــانى مــا ذاكَرْتُه حديثا الا زادَنِى فيه ولا شِعْرًا الا زادَنى فيه وقيلَ لعبد الملك لَقَدْ أسْرَعَ اليكَ الشَيْبُ قال شَيَّبَنِى صُعُودُ المنابرِ والخَوْفُ من اللحْنِ وكان اللحْنُ عندهم فى

غـايةِ القُبحِ " ومن ارايه ما اشارَ به وهو صبيٌّ على مُسْلِمِ بنِ عُقْبَةَ المُرِّيِّ حين أَرْسَلَهُ يزيدُ بنُ معوية لِقتالِ اهـلِ المدينة فوصَلَها وبَنو أُمَيَّةَ مُحاصَرُون بها ثم أُخْرِجُوا فلما لَقِيَهُم مسلم بن عُقْبة استشارَ بعبد الملك بن مَرْوَنَ وكانَ حَدَثًـا فقال له الرأىُ أَن تَسِيرَ بمَنْ معك فـاذا انْتَهَيْتَ الى أَدْنَى نَخْلِها نَزَلْتَ فاستَظَلَّ الناسُ فى ظِلّـهِ واكلوا مِن صَفْوِهِ فاذا أَصْبَحْتَ مَضَيْتَ وتَرَكْتَ المدينةَ على اليَسَار ثم دُرْتَ بها حتى تاتيَهُم من قبَلِ الحَرَّةِ مُشَرِّقًا ثم تَسْتَقْبِلُ القومَ فاذا استَقْبَلْتَهُم وقد طَلَعَت الشَمْسُ عليهم طلعت بين اكتاف أَصحابك فلا تُؤذِيهم بل تُصيبُ اهلَ المدينةِ أَذاها ويَرَوْنَ من اِيتلاقِ بَيْضِكُم وأَسِنَّةِ رماحِكم وسيوفكم ودروعِكم مـا لا تَرَوْنَهُ انتم مـا داموا مُغرِبين ثم قـاتِلْهُم واستعِنْ بالله وقال عبدُ الملكِ يوما لجلسايه ما تقولون فى قول القايل — الطويل

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مـا حَيِيتُ فـان أَمُتْ

فَوَا حَرَبـا ممن يَهِيمُ بهـا بَعْدِى

قالوا معنًى حَسَنٌ قـال هذا مَيِّتٌ كَثِيرُ الفضولِ ليس هذا معنًى جَيِّدًا قالوا صَدَقْتَ قـال فكيف كان ينبغى ان يقولَ فقال رجلٌ منهم كان ينبغى ان يقول — الطويل

أَهِيمُ بدَعْدٍ مـا حَيِيتَ فـان أَمُتْ

أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَن يَهِيمُ بها بَعْدِى

قال عبدُ الملكِ هذا مَيّتٌ دَيُّوثٌ قَالُوا فكيف يَنْبَغِى ان يَكُونَ قال كان ينبغى ان يَقولَ — الطويل

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مـا حَيِيتُ فانْ أَمُتْ

فلا صَلُحَتْ دَعْدٌ لِذِى خُلَّةٍ بَعْدِى

قالوا أَنْتَ يا اميرَ المومنين أَشْعَرُ الثلاثةِ ولمّا اشتدَّ مَرَضُهُ قال أَصْعِدُونِى على شَرَفٍ فاصعَدُوه الى مَوْضِعٍ عالٍ فجَعَلَ يتَنَسَّمُ الهواء ثم قال يا دُنْيا ما أَطْيَبَكِ إِنَّ طَوِيلَكِ لَقَصِيرٌ وإِنَّ كَثِيرَكِ لَحَقِيرٌ وان كُنّا مِنْكِ لَفِى غَرَرٍ وتَمَثَّلَ بهذين البيتين — الخفيف

انْ تُناقِشْ يَكُنْ نِقاشُكَ يا رَبِّ عَذَابًا لا طَوْقَ لى بالعَذَابِ

او تَجاوَزْ فَأَنْتَ رَبٌّ صَفُوحٌ عَنْ مُسِىءٍ ذُنُوبُهُ كَالتُرَابِ

ولما مات صَلَّى عليه ابنُه الوليد فتمثَّلَ هِشامٌ ابنُهُ الآخَرُ — الطويل

فمـا كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ

ولَكِنَّهُ بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

فقال له الوليد أُسْكُتْ فانت تتكلّم بلسانِ شيطانٍ الا قلت كما قال الآخَرُ — الطويل

اذا سَيّدٌ منّا مَضَى قام سَيّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قالَ الكِرامُ فَعُولُ

وأَوْصَى عبد المَلِكِ بن مَرْوَنَ أَخاهُ عَبْدَ العزيزِ حين مَضَى الى مِصْرَ

اميرًا عليها فقال له ابْسُطْ بِشْرَكَ وَأَلِنْ كَنَفَكَ وَآثِرِ الرِّفْقَ فى الأُمورِ
فـانه أَبْلَغُ بِكَ وانظُرْ حاجِبَكَ فَلْيَكُنْ من خيرِ اهلِكَ فانه وَجْهُكَ
ولِسانُكَ ولا يَقِفَنَّ أَحَدٌ ببابِكَ الّا أَعْلَمكَ مكانَهُ لتكونَ أَنْتَ الذى
تاذَنُ له أو تَرُدُّهُ واذا خَرَجْتَ الى مجلسكَ فَابْدَأْ بالسَلامِ يَأْنَسُوا
بكَ وتَثْبُتْ فى قُلوبِهِمْ مَحَبَّتُكَ واذا ٱنْتَهى اِلَيْكَ مُشْكِلٌ فاستَظْهِرْ
عليه بـالمُشاوَرَةِ فـانها تَفْتَحُ مَغاليقَ الامورِ واذا سَخِطْتَ على أَحَدٍ
فاَخِّرْ عُقوبَتَهُ فانكَ على العقوبَةِ بَعْدَ التَوَقُّفِ عنه أَقْدَرُ منكَ على رَدِّها
بَعْدَ اِمْضائِها، وكانت وفاتُه فى سَنَةِ سِتٍّ وثمانينَ ۞

ثم ملكَ ابنه الوليد، كان الوَليدُ مِن أَفْضَلِ خلفائِهِم سِيرَةً عند اهلِ
الشـامِ بَنَى الجوامِعَ جامِعَ دِمَشْقَ وجامِعَ المَدينَةِ على ساكِنِها أَفْضَلُ
السَلَمِ والمَسْجِدَ الأَقْصَى وأَعْطَى المُجَذَّمِينَ ومَنَعَهُم مِن سُؤالِ الناسِ وأَعطَى
كل مُقْعَدٍ خادِمًا وكل ضَرِيرٍ قايِدًا وفَتَحَ فى خِلافتهِ فُتوحًا عِظامًا منها
الاندَلُس وكاشغَر والهِنْد وكان شديدَ الكَلَفِ بـالعماراتِ والأَبْنِيَةِ
واتِّخاذِ المصانعِ والضِياعِ وكانَ الناسُ يَلْتَقُونَ فى زمانهِ فيَسْأَلُ بَعْضُهم
بعضًا عن الأَبْنِيَةِ والعِماراتِ، وكان اخوه سليمنُ يُحِبُّ الطَعامَ والنِكـاحَ
فكانَ الناسُ فى خلافته اذا التَقَوا سأَل بعضهم بعضـا عن الطعامِ
والنكاحِ، وكـان عُمَرُ بن عبد العزيز صاحِبَ عِبادةٍ وتلاوةٍ فكـان
الناسُ اذا تلاقَوا فى ايامه سال بعضهم بعضًا ما وِرْدُكَ الليلةَ وكم

تَحْفَظُ من القرآن وكم تقومُ من الشهرِ، وهذا من خَوَاصّ الملكِ الله تقدَّمَ شَرْحُها، وكان لحّانًا لا يُحْسِنُ النَّحْوَ فدَخَلَ عليه يَوْمًا بعضُ الاعرابِ فتقرَّبَ اليه بقَرابةٍ بينَهُ وبينه فقال له الوليدُ مَن خَتَنَكَ وَفَتَحَ النُّونَ فظَنَّ الاعرابي انــه يَسْأَلُ عن الخِتانِ فقال بَعْضُ الاطبّاء فقال له سليمانُ اخوه انما يقول لك اميرِ المومنين من خَتَنُكَ وضَمّ سُليمنُ النونَ فقـال الاعرابيّ نَعَمْ خَتَنِى فلان وذكرَ قَرابَتَهُ، وعاتبه أبوهُ عَبْدُ الملك على اللَّحْنِ وقال له انه لا يَلِى العَرَب الّا مَنْ يُحْسِن كلامَهُم فدخَلَ الوليدُ بَيْتًا واخَذَ معَهُ جَماعَةً من عُلماء النَّحْوِ واقامَ مُـدّةً يَشْتَغِلُ فيه فخَرجَ أَجْهَلَ مما كان يومَ دُخُولِهِ فلما بَلَغَ ذلك عَبْدَ الملك قــال قد أَعْذَرَ ۞

ثم ملك بعده اخوه سليمن بن عبد الملك، كانت ايــامُه ذاتَ فتوح مُتَوالِيَــةٍ وكان غَيُورًا شَديدَ الغَيْرَةِ وكانَ نَهِما فيقالُ أَنّ الطَّبّاخ كان يــاتيــهِ بالشواء فلا يَصْبِرُ حتى يَبْرُدَ فيــاخذه بكُمّهِ وكان فصيحا بليغًا" وهاهُنَا موضعُ حكايــةٍ قال الأَصْمَعِيُّ كُنْتُ مَرّةً أُفــاوِضُ هرونَ الرشيدَ فجَرَى حديثُ اصحـابِ النَّهَمِ فقلتُ كان سليمنُ بنُ عبد الملك شديدَ النهمِ وكانَ اذا اتــاهُ الطَّبّاخُ بشواء يلقاهُ فــاخَذَه باكمامه فقــال الرشيدُ ما أَعْلَمَكَ يا أَصْمَعِيُّ بأَخْبارِ الناسِ لَقَدْ اعترضتُ مُنْذُ ايامِ جِبابَ سليمنَ فوَجَدْتُ أَثَرَ الدُّهْن

فى أَكمامها فظَنَنْتُهُ دبيبًا قال الاصمعىُّ ثم امَرَ لى بجُبَّة منها ' وقيل

انَّ سليمنَ لبس يَوْمًـا حُلَّةً خَضْراء وعِمامـةً خَضراءَ ونظَرَ فى المِرْآة

فقال انـا الملكُ الفَتى ثم نظَرَتْ اليه جاريةٌ من جواريه فقال مـا

تنظرينَ قالت الخفيف

أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَن لا بقـاءَ لـلانْسـانِ

ليس فيمـا عَلِمْتُـه فيكَ عَيْبٌ كان فى الناسِ غَيْرَ انّكَ فـانِ

فلم تَمْضِ الا جُمْعَةٌ واحدةٌ حتى مات وكانت وفاتُه فى سنة تِسْع

وتسعين ✿

ثم ملك بعده عمر بن عبد العزيز بنِ مروان ' لما مَرِضَ سليمن بن

عبد الملكِ مَرْضَتَهُ الّتى مـات فيها عزم على ان يُبايعَ لبعضِ اولاده

فنَهَاه بعضُ اصحابه وقال له يا اميرَ المومنين انه ممّا يحْفَظُ الخليفةَ فى

قَبْرِه أن يَسْتَحْفظ على الناسِ رجلا صالحًا فقـال سليمن أَسْتَخِيرُ اللهَ

وأَفْضَلُ ثم استشارَهُ فى عُمَرِ بنِ عبد العزيز فاشارَ عليه بـه وأَثْنَى

عليه خَيْرًا فكتَبَ سليمنُ عَهْدَه الى عُمَرَ بنِ عبد العزيز وخَتَمَهُ ودَعَا

أَهْـلَ بيته وقـال بايِعُوا لِمَنْ قد عَهِدْتُ اليه فى هذا الكتابِ ولم

يُعْلِمْهُمْ بـه فبايَعُوا ثم لمّا ماتَ جَمَعَهم ذلك الرجُل الذى اشار

عليه بعُمَر بنِ عبد العزيز وقد كَتَمَ موتَ سلَيْمنَ عَنْهم وقـال لهم

بايِعُوا مرّةً أُخْرى فبايَعُوا فلما راى انـه قد أَحْكَمَ الأَمْرَ أَعْلَمَهم

بموتِ سليمن وكان عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ مِن خِيارِ الخلفاء عالمًا زاهدا عـابدًا تقيًّا وَرِعـًا سار سيرةً مَرْضيّةً ومَضى حميدًا هو الذى قطع السَبَّ عن اميرِ المومنين صلواتُ الله عليه وسلامه وكانَ بَنُو أُمَيَّةَ يَسُبُّونَهُ على المَنَابِرِ قال عُمَرُ بنُ عبد العزيز كان ابى عبدُ العزيز بنُ مروانَ يَمُرُّ فى خُطْبته يَهُذُّها هَذًّا حتى اذا وصـل الى ذكر امير المومنين على عمر تَتَعْتَعَ قـال فقلتُ له ذلك فقال يا بُنَىَّ أَدْرَكْتَ هذا مِنِى قلتُ نَعَمْ قال يا بُنَىَّ اعلَمْ انَّ العَوَامَّ لو عَرَفُوا من عَلِىِّ ابن ابى طالبٍ ما نَعْرِفُهُ نحن لتفرَّقُوا عنا الى ولده فلما وَلِىَ عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ الخلافةَ قَطَعَ السَبَّ وجعَلَ مكانَه قولَه تعالى ان اللهَ يَأْمُرُ بـالعَدْلِ والاحسانِ وايتاء ذى القُرْبَى وينْهَى عن الفحشاء والمُنْكَرِ والبَغْىِ يَعِظُكُم لعلكم تَذَكَّرُونَ ومدَحَهُ الشُعراءُ على ذلك فممن مدَحَه على ذلك كُثَيِّرُ عَزَّةَ بقوله الطويل

وَلِيتَ فلم تَشْتِمْ عَلِيًّا ولم تُخِفْ
بَرِيًّـا ولَمْ تَتْبَـعْ مَقـالَـةَ مُجْرِمِ
وقلتَ فصَدَّقْتَ الذى قُلْتَ بـالذى
فعلتَ فـاضْحَى راضِيـًا كلُّ مُسْلِمِ
وقد لَبِسَتْ لُبْسَ الهَلُوكِ ثِيـَابَهـا
وَابْدَتْ لـك الدُنْيـا بخَدٍّ ومِعْصَمِ

وتُومِضُ أَحْيانًا بعَيْنٍ مَرِيضَةٍ
وتَبْسِمُ عن مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ
فأَعْرَضْتَ عنها مُشْمَئِزًّا كأنما
سَقَتْكَ مَدُوفًا مِن سِمامٍ وعَلْقَمِ
وقد كُنْتَ منها في جِبالٍ أَرُومُها
ومِنْ بَحْرِها في زاخِرِ السَيْلِ مُفْعَمِ

ورثاه الشريفُ الرَضِيُّ المُوسَوِيُّ بقوله — الخفيف

يا ابْنَ عبدِ العزيزِ لو بَكَتِ العَيْنُ فَتًى مِن أُمَيَّةٍ لَبَكَيْتُكْ
انْتَ أَنْقَذْتَنا مِنَ السَبِّ والشَتْمِ فلو أَمْكَنَ الجَزاءُ جَزَيْتُكْ
غَيْرَ أَنّي أَقُولُ إِنَّكَ قد طِبْتَ وان لم يَطِبْ ولم يَزْكُ بَيْتُكْ
دَيْرَ سَمْعانَ لا عَدَتْكَ الغَوادِي خيرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَرْوانَ مَيْتُكْ

واليه الاِشارَةُ بقولِهم الأَشَجُّ والناقِصُ أَعْدَلا بَنِي مَرْوانَ سَيَجِيءُ ذِكْرُ الناقِصِ فيما بَعْدُ ان شاء اللهُ تعالى وكانت وَفاتُه بدَيْرِ سَمْعانَ في سنةِ احْدَى ومِيَةٍ

ثم ملك بعده يزيد بن عبد الملكِ كان خَلِيعَ بَنِي اميّةَ شُغِفَ بجارِيَتَيْنِ اسْمُ احْدَيْهما سلامةُ واسْمُ الأُخْرَى حَبّابَةُ فقطع معهما زمانَهُ قالوا فغَنَّتْ يومًا حَبَّابَةُ — الكامل

بين التَراقِي واللَهاةِ حَرارَةٌ ما تَطْمَئِنُّ ولا تَسُوغُ فَتَبْرُدُ

فأهوى يزيدُ بنُ الملكِ ليَطيرَ فقالت يا اميرَ المومنين لنا فيكَ حاجةٌ فقال والله لأَطيرَنّ قالت فعلَى مَن تدَعُ الأُمّةَ قال عَليكِ وقبّلَ يدَها فخرجَ بَعْضُ خَدَمِهِ وهو يقول سَخِنَتْ عَيْنُكَ فما أَسْخَفَكَ فانظُرْ الى هذا والى ابيه عبد الملكِ حين خرجَ الى قتالِ مُصْعَبِ بنِ الزُبَيْرِ وصَدَّتْهُ عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معوية فلم يلْتَفِت اليها واستشهدَ بذَيْنِكَ البيتين وقد سَبَقَ شَرْحُ ذلك فى تَرْجُمَةِ عبدِ الملكِ بن مرونَ ولم تَكُنْ دولةُ يزيدَ طايلةً ولا وقَعَ فيها مِن الفتوح والوقايع ما تحْسُنُ حكايتُهُ وكانت وفاتُه فى سنة خمسٍ ومئة عِشقًا وصبابةً ✿

ثم ملك بعده اخوه هِشامُ بن عبد الملكِ كان هشامٌ بخيلًا شَديدَ البُخْلِ الا انه كان غزيرَ العَقْلِ حليما عفيفا امتَدّت ايامُه وجَرَى فيها وقايعُ فمن وقايعِها الشهيرةِ قَتْلُ زَيْدِ بنِ عليِّ بن الحُسَيْنِ بن عليِّ بن ابى طالب عم

شرح مقتل زيدِ بن على بن الحسين امامِ الزَيْديّةِ رَضِىَ الله عنهُ

كانَ زَيْدٌ مِن عُظَماءِ اهْلِ البَيْتِ عليهم السَلَمُ عِلْمًا وزُهْدًا وورعًا وشجاعةً ودينًا وكَرَمًا وكان دايمًا يُحدِّثُ نَفْسَهُ بالخلافة ويرَى انه اَهْلٌ لذلك وما زال هذا المَعْنَى يتردَّدُ فى نَفْسِهِ ويَظْهَرُ على صَفَحات وَجْهِهِ وفَلَتاتِ لسانهِ حتى كانت ايامُ هِشامِ بنِ عبد الملك فاتّهمَهُ بوَديعَةٍ لخالدِ بنِ عبد اللهِ القَسْرِيّ اميرِ الكوفة فحمَلَهُ الى يوسُف

ابنِ عُمَرَ اميرِها فى ذلك العَصْرِ فاستَحْلَفَهُ انّ ما لخالدٍ عِنْدَهُ مـالاً وخلّى سَبيلَهُ فخَرَجَ ليتوجَّهَ الى المدينةِ فتَبِعَهُ اهلُ الكوفةِ وقالوا مـا اَيْنَ تَذْهَبُ يَرْحَمُكَ اللهُ ومَعَكَ مِيـَّةُ الفِ سَيْفٍ نَضْرِبُ بها دُونَكَ وليس عندنا من بنى اميَّةَ الا نَفَرٌ قليـلٌ لو أنَّ قبيلةً واحِدَةً منّـا صَمَدَتْ لهم لكَفَتْهُم بإذْنِ اللهِ ورغَّبوه بهـذا وأَمْثالِهِ فقال لهم يا قومِ اِنِّى أَخافُ غَدْرَكم فانَّكم فعلتم بجدّى الحسَيْنِ عمّى ما فَعَلْتُم وأَبَى عليهم فقـالوا نُناشِدُكَ اللهَ اَلّا ما رَجَعْتَ ونحنُ نَبْذُلُ أنفُسَنا دُونَكَ ونُعْطِيكَ مِن الأَيْمانِ والعهودِ المَواثيقِ مـا تَثِقُ به فانّا نَرْجُو ان تكونَ المنصورَ وأن يكونَ هذا الزمانُ الزمانَ الذى يَهْلِكُ فيـه بنو اميَّةَ فلم يَزالوا بـه حتى رَدُّوهُ فلما رجَعَ الى الكوفةِ اقْبَلَتِ الشيعَةُ تَخْتَلِفُ اليه يُبايِعونَهُ حتى اَحْصَى ديوانُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ اَلْفًا من اهل الكوفةِ سِوَى اَهْلِ المدايِنِ والبَصْرَةِ وواسِطَ والمَوْصِلِ واهـلِ خراسانَ والرَيِّ وجُرْجانَ والجزيرةِ وأَقامُوا بالكوفةِ شُهُورًا ثم لمّا تَمَّ الأَمْرُ لِزَيْدٍ وخَفَقَتِ الأَلْوِيَةُ على رَاسِهِ قال الحَمْدُ للهِ الذى اَكْمَلَ لى دِينى واللهِ انى كنت استَحْيِى من رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ أن أَرِدَ عليه الحَوْضَ غدًا ولم آمُرْ فى أُمَّتِهِ بمَعْروفٍ ولم اَنْهَ عن مُنْكَرٍ فلما اجتمَعَ الناسُ مع زيدٍ اَظْهَرَ أمْرَهُ ونابَذَ مَنْ خالَفَهُ فجمَعَ له يُوسُفُ ابن عُمَرَ جُمُوعًا وبَرَزَ اليه وعَبّى كلٌّ مِنْهُما اَصْحابَهُ والتَقَى الفريقانِ

وجَرَى بينهم قتالٌ شديدٌ فتفرَّق اصحابُ زيدٍ عنه وخذلوهُ فبقى فى شِرْذمَةٍ يسيرةٍ فأبْلَى هو رحمهُ اللهُ بلاءً حسنًا وقاتَلَ قتالا شديدًا فجاءهُ سَهْمٌ فاصابَ جَبِينَهُ فطلَبَ حدّادًا فنزَعَ السَّهْمَ من جَبينهِ فكانت فيه نَفْسُهُ فمات رحمه الله من ساعتهِ فحفَرَ له اصحابُه فى ساقيَةٍ ودفَنُوه فيها وأجْرَوا الماءَ على قَبْرِه خَوْفًا أن يُمَثِّلُوا به فلما استظهَرَ يُوسُفُ بنُ عُمَرَ اميرُ الكوفةِ تَطَلَّبَ قبرَ زَيْدٍ فلم يَعْرِفْهُ فدَلَّهُ عليه بعض العَبِيدِ فنَبَشَهُ واخْرَجَهُ فصلَبَهُ فبقَى مُدَّةً مَصْلُوبًا ثم أُحْرِقَ وذُرِّىَ رَمادُه فى الفُراتِ رحمه الله وسلَّمَ عليه ولَعَنَ ظالميهِ وغاصبيهِ حَقَّهُ فلقَدْ مَضَى شهيدًا مَظْلومًا وفى ايامه انْبَثَّتْ دُعَاةُ بنى العبّاسِ فى البِلادِ الشَّرْقيَّةِ وتحرَّكت الشيعَةُ خُفْيَةً وغَزَتْ جنودُ هِشامٍ التُّرْكَ بما وراءَ النَّهْرِ وكانت لجنودهِ الغَلَبَةُ ثم بعد ذلك قُتِلَ خاقانُ ✿

ثم ملك بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملكِ كان من فِتْيانِ بنى اُمَيَّةَ وظرفايهم وشُجْعانِهم وأجْوادِهم وأشدّايهم مُنْهَمِكًا فى اللَّهْوِ والشُّرْبِ وسَماعِ الغِناءِ وكان شاعِرًا مُحْسِنًا له اشعارٌ حَسَنَةٌ فى العِتابِ والغزَلِ ووَصْفِ الخَمْرِ فمن جَيِّدِ شِعْرِهِ ما كَتَبَهُ الى هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ وقد عَزَمَ على خَلْعِهِ وكانَ هِشامٌ لَمّا راى استهتارَ الوَليدِ بالمعاصى وعكوفَه على اللَّذّاتِ طَمِعَ فى الخِلافةِ لابنهِ وارادَهُ على أنْ يَخْلَعَ نَفْسَه وتَناوَلَهُ بلسانهِ وتهدَّدَه فكتَبَ اليه الوليدُ بنُ

يَزِيدَ — الطويل

كَفَرْتَ يَدًا مِن مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها
جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذو الفَضْلِ والمَنِّ
رايتُكَ تَبْنِى جاهِدًا فى قَطِيعَتِى
ولو كُنْتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِى
أَراكَ عَلَى الباقِينَ تَجْنِى ضَغِينَةً
فَيَا وَيْحَهُم اِن مُتَّ مِن شَرِّ ما تَجْنِى
كَأَنِّى بِهِم يومًا وَأَكْثَرُ قَوْلِهِم
أَلا لَيْتَ أَنَّا حِينَ يا لَيْتَ لا يُغْنِى

وقد سَرَقَ الناسُ معانيه وأَوْدَعُوها اشعارَهم فمِمَّنْ سَرَقَ مَعَانِيَهُ ابو نواسٍ اخذ مَعَانِيهِ فى وَصْفِ الخَمْرِ، ومما يُحْكَى عن الوَلِيدِ بن يزيدَ انه استَفْتَحَ فالًا فى المُصْحَفِ فخرجَ واستَفْتَحُوا وخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فألْقاه ورماهُ بِسِهامٍ وقال — الوافر

تُهَدِّدُنِى بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ نَعَمْ أَنَا ذاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
اذا ما جِئتَ رَبَّكَ يومَ بَعْثٍ فَقُلْ يا رَبِّ خَرَّقَنِى الوَلِيدُ

فلم يَلْبَثْ بعد هذا الا يَسِيرًا حتى قُتِلَ، وكان السَّبَبُ فى قتله انه كان قَبْلَ الخِلافَةِ على ما وَصَفْنا مِن اللَّهْوِ والشُّرْبِ وانْتِهاكِ حُرُمَاتِ الله عزَّ وجَلَّ فلما أَفْضَتْ اليه الخلافةُ لم يَزْدَدْ اِلّا انهماكًا

فى اللذّات واستهتارًا بالمَعاصِى وضمَّ الى ذلك ما ارتكبَهُ من اغضاب اكابرِ اهلهِ والاساآةِ اليهم وتنفيرِهم فاجتمعوا عليه مع أعيانِ رعيّتهِ وهجَموا عليه وقتلوه وكان المتولّى لذلك يزيد بن الوليدِ بن عبد الملك وذلك فى سنة ستٍّ وعشرين ومية ❊

ثم ملك بعده يزيد بن الوليد بنِ عبد الملك كان يظهر التنسُّك وكان يقالُ انه قدَرِىٌّ وسُمّىَ الناقصَ لانه نقَصَ من أعطيَاتِ اهلِ الحجاز ما كان قد زادَهم الوليدُ بنُ يزيد بن عبد الملك فسُمّى الناقصَ لهذا السَبَبِ ولما بُويعَ بالخلافة خطَبَ الناسَ وقال لهم كلامًا حسَنًا أنَا مُثْبِتُهُ هاهُنَا لحُسْنهِ خطبَهُم وذكر الوليدَ بنَ يزيدَ والحادَهُ وقال انَّ سيرتَهُ كانت خبيثةً وكانَ مُنْتَهِكًا لحُرماتِ اللهِ فقتَلْتُهُ ثم قال ايها الناسُ اِنَّ لكم علَىَّ أَنْ لا أضعَ حَجَرًا على حَجَرٍ ولا لَبِنَةً ولا أكرِى نَهرًا ولا اكنِزُ مالا ولا أنْقُلُ مالاً مِن بَلَدٍ الى بَلَدٍ حتى أسُدَّ ثَغْرَهُ وخصاصَةَ اهْلِهِ بما يُغْنيهم فما فضَلَ منه نَقَلْتُهُ الى البَلَدِ الآخرِ الذى يَليهِ ولا أغْلقُ بابِى دُونَكم ولكم اعطياتكم فى كل سَنَةٍ وارزاقكم كلّ شهرٍ حتى يكُونَ أقْصاكم كأدْناكم فان وَفَيْتُ لكم بما قلتُ فعليكم بالسمع والطاعةِ وحُسْنِ المُوازرَةِ وإنْ لَمْ أَفِ فلكم ان تخْلَعُونى الّا أن أتُوبَ وان كنتم تعْلَمون أنَّ أحَدًا ممّن يُعْرَفُ بالصَلاحِ يُعْطيكم من نفسهِ ما قد بَذَلْتُ لكم

وَأَرَدْتُم ان تُبايِعُوه فانا أَوَّلُ من يُبايِعُهُ مَعَكم انه لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالِقِ، اقول اِنَّ هذا الكلامَ حَسَنٌ بالنِّسْبَةِ الى ذلك الزمان والى اصطلاح اهله فانّ هذهِ الشرايطَ هي التي كانت مُعْتَبَرَةً عندهم في استحقاقِ الرياسةِ فأَمَّا في هذا العَصْرِ فلو افتخرَ ملكٌ من الملوكِ بانه لا يَكْرِي نَهْرًا ولا يَضَعُ حَجَرًا على حَجَرٍ او نَدَبَ رعيَّتَهُ الى تمليك غيرِه لَعُدَّ سَفِيهًا ولكانَ جديرًا في اصطلاحِهم بأَنْ يُمَلَّكَ غيرُه، وفي تلك الايامِ شَرَعَ حَبْلُ بَنِي أُمَيَّةَ يَضْطَرِبُ وشَرَعَتِ الدَّوْلَةُ العَبَّاسيَّةُ تَنْبعُ وانْبَعَثَتِ الدُّعاةُ في الامصارِ، وكانت وَفاتُه في سنة ستٍّ وعشرين ومِيَّةٍ ✿

ثم ملك بعده اخوه ابرهيم بن الوليدِ بنِ عبد الملكِ بنِ مَرْوَنَ، كانت تلك الايامُ ايّامَ فِتَنٍ وكان حَبْلُ بني اميَّةَ قد اضطرَبَ فلما ماتَ يزيدُ بن الوليدِ بنِ عبد الملكِ بويعَ أَخُوهُ ابرهيمُ بَيْعَةً لم تَكُنْ بطايلٍ فكان الناسُ يُسَلِّمون عليه بالخلافة وناسٌ بالامارةِ وناسٌ ربما لا يُسَلِّمون عليه بواحدةٍ منهما واضطرَبَ امرُهُ فَمَكَثَ سَبْعِينَ يَوْمًا وسار اليه مرونُ بنُ محمد بن مرونَ فخلَعَهُ وبويعَ له بالخِلافةِ وجَلَسَ على سريرِ المملكةِ ذلك بَعْدَ حروبٍ وفِتَنٍ ووقايعَ يَشِيبُ منها الطِّفْلُ ✿

ثم ملك بعده مرون بن محمد بن مرون، هو آخِرُ خُلفاء بني اميَّةَ

وعنه انتقلت الدولة الى بني العباس ويقال له الجعدى ويقال له الحمار وانما لقب بالحمار قالوا لصبره في الحرب وكان شجاعا صاحب دهاء ومكر وكانت ايامه ايام فتن وهرج ومرج ولم تطل ايامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته الى بلاد مصر فقتل بقرية اسمها بوصير من قرى الصعيد وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومية في ايامه خرج عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ۞

شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار لما اضطرب حبل بني امية وبويع مروان ثارت الفتن بين الناس واختلفت كلمتهم فكل يرى رايا ويذهب مذهبا وكان بالكوفة رجل من ولد جعفر الطيار عم اسمه عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وكان فاضلا شاعرا فحدثته نفسه بالامر وراى اهل الكوفة اختلاف الامور بدمشق واضطراب حبل بني امية فحضروا الى هذا عبد الله وبايعوه واجتمعوا حوله خلايق فبرز اليهم امير الكوفة يومئذ فقاتلهم بمن معه وتصابر الفريقان مدة ففي آخر الامر طلب اهل الكوفة لانفسهم ولعبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر الامان من امير الكوفة ليتوجهوا اين شاءوا من بلاد الله وكان امير الكوفة ومن معه قد ملوا من القتال فاعطاهم الامان فتوجه عبد الله الى المداين وعبر دجلة وغلب على حلوان وما قاربها ثم توجه الى بلاد

العَجَم فغَلَبَ على تلكَ الجبالِ وهَمَذانَ واصْفهانَ والرَيّ والتحقَ به قومٌ من بنى هاشمٍ وبَقِىَ على ذلك مُدّةً وكان ابو مُسلم الخراسانىّ قد قويَت شوكتُه فسارَ الى هذا عبدِ الله فقتَلَهُ ثم اظهرَ الدولةَ العباسيّةَ ثم ظهرت الدولة العبّاسيّةُ واشتهرَت دَعْوتُها

ذكر انتقال الملك من بنى امية الى بنى العباس لا بُدَّ قَبْلَ الخوضِ فى ذلك من مُقَدِّمةٍ يُشْرَحُ فيها ابتداء امرِ ابى مُسْلمٍ الخراسانىّ فانه رجُلُ الدولةِ وصاحِبُ الدَعْوَةِ وعلى يَدِهِ كان الفَتْحُ

شرح ابتداء امرِ ابى مسلم الخراسانِى ونسبِهِ امّا نَسَبُه ففيه اختلافٌ كثيرٌ لا فايدةَ فى اسْتقْصاء القَوْلِ فيه فقيل هو حُرٌّ من وَلَدِ بزُرْجُمِهْرٍ وانه وُلِدَ باصبهانَ ونَشَأَ بالكوفةِ فاتّصَلَ بابرهيمَ الامامِ ابن محمد بن علىّ بن عبد اللهِ بن العبّاس فغيّرَ اسْمَهُ وكَنّاه بابى مُسْلمٍ وثَقّفَهُ وفَقّهَه حتى كان منه ما كان وقيل هو عَبْدٌ تنقّلَ فى الرقِ حتى وصَلَ الى ابرهيمَ الامامِ فلما رآهُ اَعْجَبَهُ سَمْتُهُ وعَقْلُه فابتاعَهُ مِن مَوْلاهُ وثَقّفَهُ وفَهّمَهُ وصارَ يُرْسِلُهُ الى شِيعَتِه واصحاب دعوته بخراسانَ وما زال على ذلك حتى كان مِنَ الأمْرِ ما كانَ واما هو فانه لمّا قويَتْ شوكَتُهُ ادّعى انه ابن سَليط بن عبد اللهِ بنِ العَبّاسِ ولهذا سَلِيطٍ خَبَرٌ هذا موضعُ شَرْحِهِ على سبيل الاختصارِ كان لعبد الله بن عَبّاسٍ جاريةٌ فوَقَعَ عليها مَرّةً من المَرّاتِ ثم اعتزَلَها

مُدّةً فاستنكحت عَبْدًا فَوَطِئَها فولَدَتْ منه غلامًا سَمَّتْهُ سَليطًا ثم الصَقَتْه بعَبْدِ اللهِ بن العبّاسِ وانكرَهُ عبدُ اللهِ ولم يَعْتَرِفْ بِهِ ونَشَأَ سَليطٌ وَهُوَ أَكْرَهُ الخَلْقِ الى عبد الله بنِ العبّاس فلما مات عَبْدُ اللهِ نازَعَ سليط وَرَثَتَهُ فى ميراثِهِ واعجَبَ ذلك بنى اميّةَ لِيَغُضّوا من علىّ بنِ عبد الله بنِ العبّاس فاعانُوه وأَوْصَوا قاضىَ دِمَشْقَ فى الباطِنِ فمالَ اليه فى الحُكْمِ وحكم لَـهُ بالميراثِ وجَرَت فى ذلك خُطُوبٌ ليس هذا مَوْضِعًا لشَرْحِها فادّعى ابو مُسلم حين قَوِيَتْ شوكَتُهُ انه مِن وَلَدِ هذا سَليط ثم ترَسَّلَ ابو مُسْلم لابرهيم الامامِ الى خراسانَ ودعا اليه سِرًّا وما زال على ذلك حتى ظَهَرَت الدعوة وتَمَّ الأَمْرُ مقدمة اخرى قبل الخوضِ فيها قال الله تعالى تلك الايامُ نُداوِلُها بين الناسِ وعَزّى بَعْضُ الحكماء بَعْضَ الملوكِ عن مَملكةٍ خرجَت عنه فقال لو بَقِيَت لِغيرِكَ لَمَا وَصَلَتْ اِلَيْكَ واعلَمْ عَلِمْتَ الخَيْرَ انّ هذه دَولةٌ مِن كِبارِ الدُوَلِ سَاسَتِ العالَمَ سياسةً ممزوجةً بالدين والمُلْكِ فكانَ اخيارُ الناسِ وصُلحاؤهم يُطيعونها تَدَيُّنًا والباقونَ يُطيعونها رَهْبَةً او رَغْبَةً ثم مَكثَت فيها الخلافةُ والمُلكُ حُدودَ ستّمِئَةِ سنة ثم طَرَتْ عليها دُوَلٌ كدولة بنى بُوَيْه وكانت عَظَمَتُها كما عَلِمتَ وفيها كَبْشُهم وفَحْلُهم عَضُدُ الدولةِ فتاخّروا وكدَوْلَةِ بَنِى سَلْجوق وفيها مثلُ طغرلبك وكالدولة الخُوارزمشاهيّة

وفيها مثلُ عَلاء الدين وجريدَةُ عسكره مشتملةٌ على أربع مِئة الف مُقاتلٍ وكدولَةِ الفاطميّين بمصرَ وقد وجّهوا عسكرًا صُحْبَةَ عَبْدٍ من عَبيدهم اسْمُه جَوْهرٌ لم يُرَ عسكرٌ اكثفَ منه حتى قال فيه شاعرهم وهو محمد بنُ هانئ المَغْربيُّ

الطويل

فلا عَسْكرٌ مِن قَبْلِ عسكرِ جَوْهرٍ تَخُبُّ المطايا فيه عَشْرًا وتُوضِعُ

وكخوارجَ خرَجُوا فى اثنائها بجموع كثيرةٍ وحُشُودٍ عظيمةٍ كلُ ذلك ولم يَزُلْ مُلْكُهم ولم تَقْوَ دولةٌ على ازالةِ ملكهم ومَحْوِ أثَرِهم بل كانَ المِلكُ من هاولاء المذكورين يجمع ويَحْتَشِدُ ويَجُرُّ العَساكرَ العَظيمَةَ حتى يَصِلَ الى بغدادَ فاذا وَصَلَ التمسَ الحُضورَ بَيْنَ يَدَى الخليفَةِ فاذا حَضَرَ قبَّلَ الأرضَ بينَ يديه وكان قُصارَى ما يتمنّاهُ ان يُوَلِّيَهُ الخليفَةُ ويَعْقِدَ له لواءً ويَخْلَعَ عليه فاذا فعل الخليفةُ ذلك قبّلَ المَلِكُ الارضَ بين يديه ومَشَى فى رِكابِهِ راجلًا والغاشِيَةُ تحت ابْطِهِ كما فَعَلَ مَسْعودٌ السلطانُ مع المسترشِدِ فان المسترْشِدَ وقَعَتْ بَيْنَهُ وبين مَسْعودٍ مُنابَذَةٌ أدَّتْ الى مُحارَبَةٍ فخرج المسترشِدُ بعَسْكرٍ كثيفٍ وصُحْبَتَه جميعُ اربابِ الدولةِ فالتقى هو والسلطانُ مسعودٌ بظاهرِ مَراغَةَ فاقتتلوا ساعَةً ثم انكشَفَ الغُبارُ وقد انهزَمَ اصحاب المسترشِدِ واستولى عسكرُ مسعود فانجلى الغُبارُ والخليفةُ ثابتٌ على ظهرِ فرَسِهِ وفى يده المُصْحَفُ وحَوالَيْهِ القُرّآءُ والقُضاةُ والوزرآءُ لم

ينهزم أحدٌ منهم وانما انهزم المُقاتلون فلما نظر السلطانُ مسعودٌ اليهم ارسَلَ مَن قاد دابّة الخليفة وادخَلَهُ الى خيمة قد نُصبت لـه وأخذ ارباب دَوْلَتِهِ فحبسهم فى قلعةٍ قريبةٍ مِنْ تلك النَواحِى ثم غنموا جميع مـا كانَ فى عسكرِ الخليفة وبعد أيّامٍ اجتمع السلطانُ بالخليفة وعاتبه على فعلِه ثم تقرّر بينهم أمرُ الصُلح فاصطلحا وركب الخليفةُ الى مُخَيَّمٍ عظيمٍ ضربَهُ لأجْلِهِ السلطانُ فلما ركبَ الخليفةُ اخذَ السلطانُ مسْعودٌ الغاشيَةَ ومشى فى ركابِه ثم جرى مِن قتلِ المسترشد مـا نذكرهُ بعد هذا فهذه الدُوَلُ جميعُها طرت على دولةِ بنى العبّاسِ ولم تقْوَ نفسُ أحدٍ على ازالةِ ملكهم ومحْوِ آثارِهم وكانت لهم فى نفوسِ الناسِ منزلةٌ لا تُدانيها منزلة أحدٍ آخرَ مِن العالَمِ حتى أنّ السُلطانَ هُولاكُو لمّا فتح بغدادَ واراد قتْلَ الخليفة أبى احمدَ عبد اللهِ المستعصِمِ ألْقَوا الى سَمْعِه أنّـهُ متى قُتِلَ الخليفةُ اختـلّ نظـامُ العالَمِ واحْتجبت الشمْسُ وامتنع القطْرُ والنبـاتُ فاستشْعرَ لذلك ثم سـأل بَعْضَ العلماء فى حقيقةِ الحالِ عن ذلك فذكرَ ذلك العالِمُ له الحَقَّ فى هذا وقال انّ علىَّ بن ابى طالبٍ كان خيْرًا من هذا الخليفة باجماعِ العالَمِ ثم قُتِلَ ولم تجْرِ هذه المحذوراتُ وكذلك الحسَيْنُ وكذلك أجْدادُ هذا الخليفـة قُتِلوا وجرى عليهم كلُّ مكروهٍ وما احْتجبت الشمسُ ولا امتنع القطْرُ

فحين سَمِعَ ذلك زال مــا كان قد حصَــلَ فى خاطرِه واعتذَرَ ذلك العالِمُ عن هذا القولِ بانَّ هَيْبَةَ السلطانِ كانت عَظيمَةً وسَطْوَتَه مَرْهُوبَةً فمــا تَجاسَرْتُ أنْ أقُولَ بين يديه غيرَ الحَقّ، فهذا كانَ اعتقادُ الناسِ فى بنى العباس ومــا قَوِيَتْ دولةٌ من الدُوَلِ على ازالةِ مملكَتِهم ومَحْوِ أثَرِهم سِوَى هذه الدولــةِ القــاهِرةِ نَشَرَ اللهُ احسانَها وأعْلَى شانَهــا، فــان السلطانَ هولاكو لَمَّا فتح بغدادَ وقتل الخليفةَ مَحَا أثَرَ بنى العباسِ كلَّ المَحْوِ وغَيَّرَ جميع قواعِدهم حتى ان الذى كان يَتَلَفَّظُ باسمِ بنى العباسِ كان على خَطَرٍ من ذلك، وهاهنا مَوضِعُ حكايَــةٍ حَدثنى نَصْرُ المَليسىُّ الحَبشِىُّ احَدُ خُدَّامِ السلطانِ مَدّ اللهُ مَعْدلَتَهُ وأعْلَى فى الدارَيْن دَرجَتَه وكان قبل ذلك للخليفةِ المستَعْصِمِ قــال لمّا مُلِكَتْ بغدادُ أخْرَجُونِى وانــا صَغيرٌ فى جُمْلَةِ الخَدَمِ فلازَمْنَا خدمَةَ الدركاه اياماً فلما بَعُدْنا عن بَغْدادَ حَضَرْنــا السلطانَ هولاكو يَوْماً بين يديه وكان علينا زِىُّ دارِ الخِلافةِ فقال أنْتُم كُنْتُم قَبْــلَ هذا للخليفةِ وأنْتم اليَوْمَ لى فينبغى انكم تَخْدِمُونَ خدْمَــةً جَيّدَةً بنَصيحَــةٍ وتُزيلونَ عن قلوبكم اسمَ الخليفــةِ فذاكَ شىءٌ كانَ ومَضَى وانْ آثرتم تَغْييرَ هذا الــزِىّ والدُخُولَ فى زِيّنَا كانَ أصْلَحَ قال فقلنا السَمْعُ والطاعةُ ثم غَيّرْنا زِيّنا ودَخَلْنا فى زِيّهِم،

شرح ابتداء الدولة العباسية رُوِىَ انّ الرسولَ صلواتُ الله عليه وسلامُه كانَ يَجْرِى على لَفْظِهِ الشريفِ ما مَعْناهُ البِشارةُ بدولةٍ هاشميّةٍ فزَعَمَ ناسٌ انه قال تكونُ لرجلٍ من وُلْدِى وزَعَمَ ناسٌ انه عم قال لعَمّهِ العَبّاسِ رضى الله عنه وسَلّمَ عليه انها تكونُ فى وُلْدِكَ وانه حينَ أَتاه بابنهِ عبد اللهِ اذّنَ فى اذْنِه وتَفَلَ فى فيه وقال اللهُمَّ فَقِّهْهُ فى الدينِ وعَلِّمْهُ التاويلَ ثم دفَعَهُ الى ابيه وقال له خُذْ اليك ابا الأملاكِ فمن زَعَمَ هذا الزعم قال انّ الدولةَ العباسيّةَ هى الدولةُ المبشَّرُ بها وكانت دولةُ بَنِى اميّةَ مكروهةً عند الناسِ ملعونةً مذمومةً ثقيلةَ الوَطْأةِ مستهتِرةً بالمَعاصِى والقَبائح فكان الناسُ مِن أَهْلِ الأَمْصارِ يَنْتَظِرون هذه الدولةَ صَباحَ مَساء وكان محمدُ بنُ علىٍّ بن ابى طالب عم وهو المعروف بابن الحنفيّة قد اعتقَدَ فيه الناسُ انه صاحبُ الدولةِ بعد قَتْلِ اخيه الحسين عم ما عَدَا الاماميّةَ فانّ اعتقادَهم امامةُ على بن الحسين زَيْنِ العابدين عم وامامةُ بَنيهِ واحدٍ بعدَ واحدٍ الى القايمِ محمد بن الحَسَنِ عم فلما ماتَ محمدُ بنُ الحَنَفيّةِ عم أَوْصَى الى ابنهِ ابى هاشمٍ عبدِ اللهِ وكان ابو هاشمٍ مِن رجالِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلامُ فاتّفَقَ انه قَصَدَ دِمَشْقَ وافدًا علَى هِشامِ بنِ عبد الملكِ فبَرّهُ هِشامٌ ووصَلَهُ ثم راى من فصاحَتِه ورياسَتِه وعلمِه ما حَسَدَهُ عليه

وخـاف منه فبعث ابيه وقد رجع الى المدينة من سمّه فى لبنٍ فلما علم بذلك عدل الى محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس وكان نازلاً بالحُمَيْمة من أرض الشام فأعلمه انه ميّت وأوصى اليه وكان صُحْبَته جماعةٌ من الشيعة فسلّمهم اليه وأوصاه فيهم ثم مات رحمه الله فتنهّوس محمد بن علىّ بن عبد الله بالخلافة منذ يومئذ وشرع فى بثّ الدُعاة سرًّا وما زال الأمر على ذلك حتى مات وخلّف اولاده وهم جماعةٌ منهم ابرهيم الامام والسفّاح والمنصور فقام ابرهيم الامـام بالأمر بعد أبيـه واستكثر من ارسال الدُعـاة الى الاطراف خصوصًا الى خراسان فانهم كانوا أشدّ وثوقًا باهـل خراسان من غيرهم من أهـل الأمصار، امّا اهـل الحجاز فقليلون وامّا اهل الكوفة والبصرة فكان اهـل البيت مذعورين منهم لما جرى منهم على امير المومنين عمر والحسن والحسين عليهما السلم من الخذلان والغدر وسفك الدم وامّا اهل الشام ومصر فهواهم فى بنى أميّة وحبّ بنى أميّة قد رسخ فى قلوبهم فلم يبق لهم من يسكنون اليـه من أهل الأمصار الّا أهل خراسان، وكان يقال ان الرايات السود الناصرة لأهل البيت تخرج من خراسان فارسل ابرهيم الامـام جماعةً من الدُعاة الى خراسان وكانت مشايخها ودهاقينها فأجابوه ودعوا اليه سرًّا وارسل فى آخر الأمر ابا مسلم فمضى الى هناك وجمع الجموع

كل ذلك والأَمْرُ سِرٌّ والدَعْوَةُ مُخْفِيَةٌ لَمْ تَظْهَرْ بَعْدُ فلما كانت ايامُ مَرْوَنَ الحِمارِ ابنِ محمدِ بن مرونَ آخِرِ خلفاء بنى اميّةَ كَثُرَ الهَرْجُ والمَرْجُ ونمى الشَرُّ وثارَتِ الفِتَنُ واضطرَبَ حَبْلُ بَنى امية واختلَفَتْ كلِمَتُهم وقَتَلَ بَعْضُهم بَعْضًا أَظْهَرَ ابو مُسْلِمٍ دَعْوَةَ بَنى العبّاسِ واجتمَعَ اليه كُلُّ مَنْ لـه فى ذلك رَأْىٌ مِن اَهْلِ خراسانَ وجَرَّ عَسْكَرًا كَثيفًا لِيُقاتِلَ به اَميرَ خراسانَ وهو نَصْرُ بنُ سَيّارٍ فلما بَلَغَ نَصْرًا حالُ ابى مُسْلِمٍ وجُمُوعُه راعَهُ ذلكَ فكَتَبَ الى مرونَ الحِمَارِ الوافر

أَرَى بَيْنَ الرَمَادِ وَميضَ نارٍ ويُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لها ضِرامُ
فانِ لم تُطْفِها عُقلاءُ قَوْمٍ يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهامُ
فانّ النارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى وانَّ الحَرْبَ اَوَّلَها كَلامُ
فقُلْتُ مِن التَعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِى أَأَيْقاظٌ أُمَيَّةُ أم نِيامُ

فكتبَ اليه مَرْوَنُ ان الحاضِرَ يَرَى مَا لاَ يَرَى الغايِبُ فاَحْسِمْ انتَ هذا الداءَ الذى قد ظَهَرَ عندك فقال نَصْرُ بن سَيّارٍ لاصحابِه امّا صاحِبُكم فقد اعلمكم انه لا نَصْرَ عندَهُ وتواتَرتِ الاخبارُ الى مرونَ بهذا الأَمْرِ وحَبْلُه كلما جاء اضطرَبَ وامرُه فى كل يومٍ يَضْعُفُ ثم بلَغَهُ ان الذى تَدْعوا الدُعَاةُ اليه هو ابرهيمُ بنُ محمد بن على بن عبد اللهِ بن العباسِ اخو السَفّاحِ والمَنْصُورِ فارْسَلَ اليه

وقَبَضَ عليــه واحضَرَه الى حَرَّانَ فحَبَسَهُ فيها ثم سَمَّــهُ فى الحَبْسِ فمات، ثم جرت بين ابى مُسْلم وبين نَصْر بن سيّارٍ وغيره من أُمرآء خراسانَ حُرُوبٌ ووقايعُ كانت الغلبَةُ فيها للمُسْوِّدَة وهم عسكرُ ابى مُسْلم وانمــا سُمّوا المُسْوِّدَةَ لان الزِىّ الذى اختاروه لبنى العباسِ هو لَوْنُ السوادِ فانظُرْ الى قُدرة اللهِ تعالى وانه اذا اراد أمْرًا هَيَّأ أسْبابَهُ واذا اراد أَمْرًا فلا مَرَدَّ لأَمْرِه لَمّا قَدَّرَ انتقــالَ المُلْكِ الى بنى العباسِ هَيَّأ لهم جميعَ الاسبابِ فكان ابرهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بالحجــاز او بالشام جالِسًا على مُصَلّاهُ مَشْغولاً بنَفْسِه وعِبادَتِــهِ ومَصالحِ عِيالِــهِ ليس عِنْدَهُ مِن الدُنْيا طايلٌ واَهْلُ خراسانَ يُقاتلون عنه ويَبْذُلُونَ نُفوسَهم وأَمْوالَهم دونــه واكثَرُهم لا يَعْرِفُه ولا يَفْرِقُ بين اسْمِهِ وشَخْصِه وانظُرْ الى ابرهيمَ الامامِ هو بتلك الحالةِ مِنَ الانقطاع بدارِه واعتزالِ الدنيا وهو بالحجاز او بالشامِ وله مثــلُ هذا العَسْكرِ العَظِيمِ فى خراسانَ يَبْذُلُونَ نُفوسَهُم دونه لا يُنْفِقُ عليهم مالاً ولا يُعْطِى أَحَدَهم دابّةً ولا سِلاحًا بل هم يَجْبُوْن اليه الاموالَ ويَحْمِلُون اليه الخَراجَ فى كل سَنَــةٍ، ولمّا قَدَّر اللــهُ تعالى خِذْلانَ مَرْوَنَ وانْقِراضَ مُلْكِ بنى اميَّةَ كان مرونُ خليفــةً مُبايَعًــا ومعــه الجنودُ والاموالُ والسلاحُ والدنيــا بــأَجْمَعِها عنده والناسُ يتفرّقون عنــه وأَمْرُه يَضْعفُ وحَبْلُه يَضْطَرِبُ فما زال يَضْمَحِلُّ حتى

هُزِمَ وقُتِـلَ فتعالى اللهُ ولمّا غلبَ ابو مُسلم على خراسانَ واستولَى على كُورها وقَوِيَتْ شوكتُه سار الى العراق بالجنودِ وكان لما قبَضَ مروانُ على ابرهيمَ الامـامِ وحَبسَهُ بحَرّانَ خـافَ اخوه السَّفّـاحُ والمنصورُ وجماعةٌ من اقاربِهم فهَربُوا وقَصَدُوا الكوفةَ وكان لهم بهـا شيعةٌ منهم ابو سَلمـةَ حَفْص بن سليمان الخلّالُ وكان من كِبارِ الشيعةِ بالكوفـةِ وصـار بعد ذلك وزيرًا للسفّاح ثم قتَلَهُ السَّفّاحُ وسيَرِدُ ذكره عند ذكر الوزراء فـأَخْلَى لهم ابو سَلمة الخَلّالُ دارًا بالكوفةِ وامَرَ لهم بها وتَوَلَّى خِدْمَتَهم بنفسهِ وكتَم أَمْرَهم واجتمعت الشيعَةُ اليه وقَوِيَتْ شوكتُهم فوصَلَ ابو مُسْلِم بالجنودِ مِن خراسانَ الى الكوفةِ فدخَلَ على بنى العباس وقال أَيُّكم ابن الحارثيّةِ فقال له المنصورُ هذا واشارَ الى السَّفّاح وكانت امُّه حارِثيّةً فسَلَّم ابو مُسْلم عليه بالخلافةِ وخرَجَ السفاحُ ومعه اِخْوَتُه وعُمومَتُه واقـارِبُهُ واكابِرُ الشِيعَةِ وابو مسلمٍ بين يديه الى الجامع فَصَلَّى وصعد المِنْبَرَ واظهَرَ الدَعْوَةَ وخطبَ الناسَ وبُويِعَ بالخلافـةِ وذلك فى سنة مِيَةٍ واثنتين وثلاثين وهذا أَوَّلُ دولةِ بنى العبّاسِ وآخِرُ دولة بنى اميّةَ ثم عَسْكَرَ السفّاحُ ظاهِرَ الكوفةِ ووَفَدَ عليه الناسُ مِنَ الامصارِ يُبايِعُونَهُ فلما اجتمَعَ عنده النـاسُ وقويت شوكتُه نَدَبَ رَجُلًا من اقاربه لِقتالِ مروانَ الحِمارِ فـانتدَبَ لذلك عَمُّهُ عَبْدُ اللهِ بن عَليّ وكان مِن رجالِ بنى

العباسِ فتوجّهَ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ الى مروانَ فلقيَهُ بالزابِ ومع مروانَ مية وعشرون ألفَ مُقاتِل ولا يكون مع عبدِ اللهِ بن علىّ الّا الأقلّ من ذلك فصنعَ اللهُ تعالى لعبدِ اللهِ بن علىّ انواعَ الصُنْع وخذلَ مروانَ كلَّ الخِذْلانِ فانظُرْ واعتَبِرْ

شرح كيفيةِ الوقعةِ بالزابِ وخذلانِ مروان وانهزامِهِ لما التقى على الزابِ مروانُ الحِمارُ وعبدُ اللهِ بنُ على قال مروانُ لبعضِ اصحابهِ ان غابت شمسُ هذا النهارِ ولَمْ يُقاتِلونا فالخلافةُ فينا ونحنُ نُسلمها فى آخرِ الزمانِ الى المسيحِ عمّ وامرَ أصحابَهُ بالكفّ عن القتالِ وقصَدَ ان ينقَضِى النهارُ ولا يقعَ قتالٌ ثم ارسَلَ الى عبد الله بن علىّ يسألهُ المُوادعَةَ فقال عبدُ الله كذب لا تزولُ الشمسُ حتى اوطِيَهُ الخيلَ ان شاء اللهُ تعالى فكان من الاتفاقاتِ الطريفةِ انّ صِهرَ مروانَ حمَلَ على قِطْعَةٍ من عَسْكرِ عبدِ الله بن علىّ فردّه مروانُ وشتمَهُ فلم يَقْبَلْ ونَشِبَ القتالُ فامرَ عبد اللهِ بنُ عليٍّ اصحابَهُ بالمُناجزة فجثوا على الرُكبِ وأشرَعوا الرماحَ ونادى عبدُ الله بنُ عليٍّ يا ربّ حتى متى نُقتَلُ فيكَ ونادى يا أهلَ خراسانَ يا لثاراتِ ابرهيمَ الامامِ واشتدَّ القتالُ فصارَ مروانُ اذا أمرَ طايفةً مِنَ العَسْكرِ بشىء قالوا قُل للطايفةِ الأُخرى وبلَغ من أمرِه انه قال لصاحبِ شُرطَتِه أنزِلْ الى الأرضِ فقال لا واللهِ لا أُلقِى نَفْسى فى التهلكةِ فقال له مروانُ لأفعلَنّ

بك وتَهَدَّده فقال وَدِدْتَ أنّك تَقْدِرُ على ذلك ثم راى مروانُ فَتْرَةَ اصحابه ومُداجَزَةَ اصحابِ عبدِ اللهِ بن علي فوَضَعَ مروانُ ذَهَبًا كثيرًا قُدَّامَ الناسِ وقال أيُّها الناسُ قاتِلوا وهذا المالُ لَكُمْ فصارَ الناسُ يَمُدّون ايديهم الى المالِ ويَتَناولون منه شيًا شيًا فقال بَعْضُ الناسِ لمروانَ إنّ الناسَ قد مَدُّوا أيْديهم الى المالِ ولا نَأْمَنُ أنّهم يَذْهَبون به فامَرَ ابنَهُ أن يَسيرَ فى اواخِرِ العسكرِ فمَنْ وَجَدَ معه شيًا مِنَ المالِ قَتَلَهُ فرجَعَ ابنُهُ برايتهِ لِيَعْتَهِدَ ما قال فرأى الناسُ الرايَةَ راجعَةً فنادَوا الهزيمَةَ الهزيمَةَ فانهزَمَ الناسُ ومروانُ ايضا وعَبَروا دِجْلَةَ فكانَ مَن غَرِقَ اكثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ وتلا عَبْدُ الله بن علىّ وَاِذْ فَرَقْنَا بكم البحرَ فأنْجَيْناكم وَاَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وانتم تَنْظُرونَ ثم انتَقَلَ الى عَسْكَرِ مَرْوَانَ وغَنِمَ ما فيه واقام به سَبْعَةَ ايامٍ

شرح مقتلِ مروان الحِمارِ ثم انّ مروانَ مَضَى منهزمًا حتى وَصَلَ المَوْصِلَ فقطَعَ اهْلُها الجِسْرَ ومَنَعوهُ من العُبورِ فنادى اصحابه يا اهلَ الموصل هذا امير المومنين يريد العبور فناداهم أهْلُ الموصِلِ كَذَبْتُم امير المومنين لا يَفِرُّ وسَبَّهُ اهلُ الموصِلِ وقالوا له الحمدُ لله الذى ازال سُلْطانَكم وذَهَبَ بدَوْلَتِكم الحمدُ لله الذى اتانا باهلِ بَيْتِ نَبِيِّنا فلما سَمِعَ ذلك سار الى بَلَد وعَبَر دِجْلَةَ وأتَى حَرّانَ ثم منها الى دِمَشْقَ ثم مِنها الى مِصْرَ وتَبِعَهُ عبدُ اللهِ بن عليّ ثم أرْسَلَ خَلْفَهُ

بَعْضَ اصحابِهِ فرآهُ بقَرْيَـةٍ من قُرى الصعيد اسْمُها بُوصِيرُ فخرجَ اليهم ليلا مَرْوَنُ وقاتلَهم فقـال لجُنْد بنى العباسِ اميرهم اِن اَصْبَحْنا وَرَأَوا قِلَّتَنا اَهْلَكونا ولم يَنْجُ منَّـا اَحَـدٌ فنـاجَزُوا القومَ وكسر جَفْنَ سيفِهِ وفعـلَ اصحابُه مثلَه وحَمَلُوا عليهم فانهزَمُوا وحَمَلَ رجلٌ على مَرْوَنَ فطَعَنَهُ وهو لا يعْرِفُهُ فصرَعَهُ وصاحَ صايحٌ صُرِعَ اميرُ المومنين فابْتَدَرُوهُ فسَبَقَ اليهِ رَجُـلٌ مِن اَهْـلِ الكوفةِ فاحْتَزَّ رَأْسَهُ ثم نفَضَ الراس وقَطَعَ لسانَهُ فاكَلَتْهُ هِرَّةٌ كانَتْ هناك ثم حُمِلَ الراسُ الى السَفّاح فوصَـلَ اليه وهو بالكوفةِ فلما رآه سَجَدَ ثم رَفَعَ راسَهُ وقال الحمدُ للـه الذى اظهرَنى عليك واظفرنى بك ولم يُبْقِ ثـارِى قِبَلَـكَ وتمثَّـلَ

البسيط

لَوْ يَشْرَبُونَ دَمِى لم يُرْوَ شـارِبُهُمْ
ولا دِمـآءهُمُ لـلغَيْـظِ تُـرْوِينى

ثم صَفَا المُلْكُ للسَفّاح ☆

الدولــة العَبَّاسِيَّــةُ

اعلَمْ انّ الدولةَ العباسية كانت دولــةً ذاتَ خُدَع ودَهَاء وغَدْرٍ وكان قِسْمُ التحيُّل والمخادَعةِ فيها اوْفَرَ من قِسْمِ القوةِ والشدّةِ خُصُوصًا فى اواخِرِها فانّ المتاخّرِين منهم بَطَّلُوا قوةَ الشدةِ والنَّجْدةِ وركَنُوا الى الحِيَلِ والخُدَع وفى مِثلِ ذلك يَقولُ كُشاجِمُ مُشيرًا الى مُوادَعَـةِ اصحابِ السيوفِ وعَداوةِ اصحابِ الأَقلامِ ومُقاتَلةِ بعضِهم لبَعْضٍ

الطويل

هَنيئًـا لاصحـابِ السيـوفِ بَطـالـةٌ
تُـقَضّى بهـا أَوْقـاتُهم فى التَنَعُّمِ
فكم فِيهِمِ مِن وادِعِ العَيْشِ لم يَهِجْ
لحـربٍ ولـم يَنْهَـدْ لِقِـرنٍ مُصَمِّمِ
يَـرُوحُ ويَغْدُو عـاقِـدًا فى نِجـادِهِ
حُسَـامًـا سَليمَ الجِدِّ لم يَتَثَلَّمِ
ولكن ذَوُو الأَقلامِ فى كل سـاعـةٍ
سيوفُهُمُ لَيْسَتْ تَجِفُّ مِنَ الـدَمِ

وفيها يقول بعضُ الشعراء حين قتَلَ المتوكّلُ وزيرَهُ محمد بنَ عبد

الملك الزيات الوافر

يكادُ القَلْبُ مِن جَزَعٍ يَطيرُ اذا ما قِيلَ قد قُتِلَ الوَزِيرُ
اميرَ المومنين قَتَلْتَ شَخْصًا عليه رَحَاكُمُ كانت تَدُورُ
فَمَهْلاً يا بنى العباسِ مَهْلاً لقد كُوِيَتْ بِغَدْرِكُمُ الصدورُ

الا انها كانت دولةً كثيرةَ المحاسنِ جَمَّةَ المكارِمِ اسواقُ العلومِ فيها قايمةٌ وبضايعُ الآدابِ فيها نافِقَةٌ وشعايرُ الدِينِ فيها مُعَظَّمَةٌ والخَيْرَاتُ فيها دارّةٌ والدنيا عامِرةٌ والحُرُمَاتُ مَرْعِيَّةٌ والثُغُورُ مُحَصَّنَةٌ وما زالت على ذلك حتى كانت اواخِرُها فانتَشَرَ الجَبْرُ واضطرَبَ الأمْرُ وانتقلتِ الدولةُ وسيَرِدُ ذلك فى موضعهِ مَشْرُوحًا ان شاء اللهُ تَعَالَى وهذا اوَانُ الشُرُوعِ فى ذكرِ خليفةٍ خليفةٍ

اول خليفةٍ ملك منهم السفاحُ هو ابو العَبَّاسِ عبد الله بن محمد ابن عليّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبّاسِ بن عبد المُطَّلِبِ بُويِعَ فى سنةِ مِيَةٍ واثنتَيْنِ وثلاثين كان كريما حليما وَقورًا عاقلا كاملًا كثيرَ الحيَاءِ حَسَنَ الأَخْلاقِ ولما بُويعَ واستَوْسَقَ له الامْرُ تتبَّعَ بَقَايَا بنى اميّةَ ورجالهم فوَضَعَ السَيفَ فيهم وفى بعض ايامهِ كان جالسًا فى مجلسِ الخلافةِ وعنده سليمَنُ بن هشامِ بن عبد الملكِ وقد اكرمَهُ السفاحُ فدخَلَ عليه سُدَيْفُ الشاعرُ فانشَدَهُ الخفيف

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى مِن رِجالٍ انَّ تحتَ الضُلُوعِ داءً دَوِيًّا

فَضَعِ السَّيْفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حتى لا تَرى فَوْقَ ظَهْرِهـا أُمَوِيّا

فـالْتَفَتَ سلَيْمٰنُ وقال قَتَلْتَنِي يا شيخُ ودَخَلَ السفاحُ وأُخِذَ سليمنُ فقُتِلَ ودخَلَ عليه شاعِرٌ آخَرُ وقد قُدِّمَ الطَّعامُ وعندَهُ نَحْوُ سبعين رجُلًا من بنى اميَّةَ فانشَدَهُ

الخفيف

أَصْبَحَ الْمُلْكُ ثـابِتَ الآساسِ بِـالبَهَالِيلِ مِن بنى العَبّاسِ

طَلَبُوا وِتْرَ هـاشِمٍ فَشَفَوْها بَعْدَ مَيْلٍ من الزمانِ وَيَاسِ

لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عثـارًا وَٱقْطَعَنْ كُلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ

ذُلُّهـا أَظْهَرَ التودُّدَ منهـا وبهـا منكم كحَزِّ المَوَاسِى

ولَقَدْ غاظَنِى وغـاظَ سواى قُرْبُهُمْ مِن نَمـارِقٍ وكَراسِى

أَنْزِلُوهـا بحيثُ أَنْزَلَهـا اللـهُ بدارِ الهَـوَانِ والاتْعـاسِ

وِاذْكُرُوا مَصْرَعَ الحسَيْنِ وزَيْدٍ وقَتِيـلًا بجـانِبِ المِهْراسِ

والقتيلَ الذى بحَرّانَ أَضْحَى ثاوِيـًا بين غُرْبَـةٍ وتَنَـاسِ

فالتَفَتَ أَحَدُهُمْ الى من بجانبه وقـال قَتَلَنا العَبْدُ ثم أَمَرَ بهم السفّاحُ فضُرِبُوا بـالسيوفِ حتى قُتِلُوا وبَسَطَ النُطُوعَ عليهم وجَلَسَ فَوْقَهم فاكَلَ الطعامَ وهو يَسْمَعُ أَنِينَ بَعْضِهم حتى ماتُوا جَمِيعًا وبالغَ بَنُو العبـاسِ فى استيصالِ شافّـةِ بنى اميَّةَ حتى نَبَشُوا قُبُورَهم بدمَشْقَ فنَبَشُوا قَبْرَ معويةَ بن ابى سُفْيانَ فلم يَجِدُوا فيه الا خَيْطًا مِثْـلَ الهبَاء ونَبَشُوا قَبْرَ يزيدَ فوَجَدُوا فيه حُطَامًا كانَّهُ الرَمادُ ولمّا قتـلَ

رِجالَهم واستَصْفَى اموالهم قالَ البسيط

بَنِى اميّــةَ قد أفْـنَيْتُ جَمْعَكُم
فكيف لِى منكم بــالأوّلِ المــاضِى
يُطَيِّبُ النَفْسَ أنّ النــارَ تَجْمَعُكُم
عُوِّضْتُمُ مِن لَظَاهــا شَرَّ مُعْتَاضِ
مُنِيتُمُ لا أقَــالَ اللــهُ عَثْرتَكُم
بلَيْثِ غــابٍ الى الاعــداء نَهّــاضِ
اِن كان غَيْظِى لفَــوْتِ مِنكُم فَلَقَدْ
رَضِيتُ منكم بمــا رَبِّى بــه راضِ

ثم لم تَطُلْ مُدّة السفاح حتى مــات بالانبار فى سنةِ مِيَةٍ وستٍ وثلاثين

شرح حالِ الوزارةِ فى ايامه لا بُدَّ قَبْلَ الخَوْضِ فى ذلك من تقديم كلمات فى هذا المعنى فاقولُ الوزيرُ وَسِيطٌ بين المِلكِ ورعيته فيَجب ان يكونَ فى طَبْعِهِ شَطْرٌ يُناسِبُ طِباعَ الملوكِ وشَطْرٌ يُناسِبُ طِباعَ العَوَامِّ ليُعَامِــلَ كُلًّا مِن الفَرِيقَيْنِ بمــا يُوجِبُ لــه القَبُولَ والمحَبّةَ والامانةُ والصِدْقُ راسُ مالِهِ قيل اذا خانَ السَفِيرُ بَطَلَ التدبيرُ وقيل ليسَ لمكذوبٍ رَأْيٌ والكفاءةُ والشهامَةُ مِن مُهِمّاتِــهِ والفِطْنَةُ والتيقُّظُ والدهاء والحَزْمُ مِن ضَرورِيّاتــه ولا يَسْتَغْنِى ان يكونَ مِنْصالاً مِطْعامًا

يَسْتَمِيلُ بذلك الاعناقَ وليكونَ مشكورا بكُلِّ لسانٍ، والرِفْقُ والاناةُ والتَثَبُّتُ فى الامورِ والحِلْمُ والوَقَارُ والتَمَكُّنُ ونفاذُ القولِ ممّا لا بُدَّ لـه منه، لمّا استوزرَ الناصرُ وزيرَهُ مُؤَيَّدَ الدينِ محمدَ بن بَرْز القُمِّى خَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارةِ ثم جلَسَ القُمّىُّ فى مَنْصِبِ الوزارةِ والناس جميعًـا بين يديـه فبَرَزَ مِن حَضْرَةِ الخليفة مكتوبٌ لطيف فى قَدْرِ الخِنْصِرِ بخَطِّ يدِ النـاصرِ فقُرِئَ على الجَمْعِ فكانَ فيه بـاسْمِ اللـه الرحمن الرحيم محمد بن بَرْز القُمّىّ نايبُنَا فى البلاد والعبـادِ فمَنْ أَطَاعَهُ فقد اطاعَنا ومن اطاعنا فقد اطاع اللهَ ومن اطاع اللهَ ادخَلَهُ الجَنَّةَ ومن عَصَاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عَصَى اللهَ ومن عَصَى الله ادخَلَهُ النارَ فنَبُلَ القُمّىُّ بهذا التوقيع فى عيونِ الناسِ وجَلَّت مَكانَتُه وقامَتْ له الهَيْبَةُ فى الصُدُورِ، والوزارَةُ لم تَتَمَهَّدْ قواعِدُها وتَتَقَرَّر قَوانينُها الاّ فى دولةِ بنى العَبَّاسِ، فامّا قَبْلَ ذلك فلم تَكُنْ مُقَنَّنَةَ القواعدِ ولا مُقَرَّرَةَ القَوانينِ بـل كانَ لكُلِّ واحدٍ من الملوك أَتْباعٌ وحاشِيَةٌ فاذا حَدَثَ أَمْرٌ استشارَ بذَوِى الحِجَى والآراء الصـايبَةِ فكُلٌّ منهم يَجْرِى مَجْرَى وزيرٍ فلمـا ملك بنو العباسِ تقرَّرت قوانينُ الوزارَةِ وسُمّى الوزيرُ وزيرًا وكانَ قَبْلَ ذلك يُسمّى كاتبًـا او مُشيرًا، قـال أَهْلُ اللغةِ الوَزَرُ المَلْجَأُ والمُعْتَصَمُ والوِزْرُ الثِقْلُ فالوزيرُ إمّـا مَـأْخُوذٌ من الوِزْرِ فيكونُ معناه انه يَحْمِلُ الثِقلَ او يكون ماخوذًا

من الوَزَرِ فيكون المَعْنَى انه يرجع ويَلْجَأُ الى رايِهِ وتدبيره وكيف تقلّبتْ لَفْظَةُ وَزَرَ كانت دالّةً على المَلْجَأ والثقل

اول وزيرٍ وَزَرَ لأوّلِ خليفةٍ عباسيّ حفص بن سليمن ابو سلمة الخلّال كان مَوْلًى لبنى الحرثِ بنِ كَعْبٍ قيلَ فى تَلْقيبِهِ بالخلّالِ ثلاثةُ اَوْجُهٍ اَحَدُها أنَّ مَنْزِلَهُ بالكُوفَةِ كان قريبًا مِن مَحَلَّةِ الخلّالِينَ وكان يجالِسُهم فَنُسِبَ اليهم كما نُسِبَ الغزّالِيّ الى الغزّالينَ وكان يُجالِسُهم كثيرًا ورايتُ فى تَسْمِيَةِ الغزّالِيّ وَجْهًا آخَرَ قيل كان من رايِهِ الصدقةُ على النساء العجايز اللواتى يَحْضرنَ الى دار الغَزْلِ لِيَبِعْنَ غَزْلَهُنَّ فيرى ضَعْفَهُنَّ وفَقْرَهُنَّ ونَزارَةَ مَكْسَبِهِنّ فيَرِقّ لَهُنَّ فيتَصَدَّق عليهن كثيرًا ويامرُ بالصَدَقَةِ عليهن فنُسِبَ الى ذلك وثانيها انه كان له حَوَانيتُ يَعْمَلُ فيها الخَلّ فنُسِبَ الى ذلك وثالثُها انها نِسْبَةٌ الى خِلَلِ السيوفِ وهو اَغْمادُها كان ابو سَلَمَةَ مِن مياسيرِ اَهْلِ الكوفة وكان يُنْفِقُ مالَهُ على رجالِ الدَعْوَةِ وكان سَبَب وُصلَتِهِ الى بَنِى العباسِ انه كان صِهْرًا لبُكَيرِ بن ماهان وكانَ بُكَيْرُ بنُ مَاهَانَ كاتبًا خَصِيصًا بابرهيمَ الامامِ فلما اَدْرَكَتْه الوَفاةُ قال لابرهيمَ الامامِ انَّ لى صِهْرًا بالكوفة يقالُ له ابو سَلَمَةَ الخلّال قد جعلتُه عِوَضِى فى القيامِ بامرِ دَعْوتِكُم ثم مات فكتَبَ ابرهيمُ الامامُ الى ابى سَلَمَةَ يُعْلِمُهُ بذلك ويامُرُهُ بما يُريدُ من امرِ الدَعْوةِ وقامَ ابو

سلمةَ بامرِ دَعْوتهِم قيامًا عظيمًا فلما سَبَر احوالَ بنى العباسِ عَزَمَ على العُدُولِ عنهُم الى بنى علىّ عمّ فكاتبَ ثلاثةً من اعيانهم جعفرَ بن محمدٍ الصادقَ عليهما السلام وعبدَ الله المحض بن حَسَن بن حسن بن علىّ بن ابى طالب عمّ وعمر الاشرفَ بن زين العابدين عمّ وارسَلَ الكُتُبَ مع رجُلٍ من مَوَالِيهم وقال له اقْصِدْ اوّلاً جعفرَ بن محمد الصادقَ فانْ اجاب فأبْطِل الكتابَيْنِ الآخَرَيْنِ وان لم يُجِب فأْلْقَ عبدَ اللهِ المحض فان اجاب فَأبْطِل كتابَ عُمَرَ وان لم يُجِبْ فَالْقَ عُمَرَ فذهَبَ الرسولُ الى جعفرِ بنِ محمد عمّ اوّلاً ودَفَعَ اليه كتابَ ابى سَلَمَةَ فقال ما لِى ولِأَبِى سلمةَ وهو شيعَةٌ لِغَيْرِى فقال له الرَسُولُ اِقْرَأْ الكتابَ فقال الصادقُ عمّ لخادمهِ اَدْنِ السِراجَ منّى فأدْناهُ فوَضَعَ الكتابَ على النارِ حتى احْتَرَقَ فقال الرسولُ اَلا تُجِيبُهُ قال قد رايتَ الجوابَ ثم مَضَى الرسول الى عبدِ اللهِ المحض ودَفَعَ اليه الكتابَ فقَرَأَهُ وقَبَّلَهُ وركبَ فى الحالِ الى الصادقِ عمّ وقال هذا كتابُ ابى سلمةَ يَدْعُونى فيه الى الخلافَةِ قد وَصَلَ على يدِ بَعْضِ شيعَتِنا من اهلِ خراسانَ فقال له الصادقُ عمّ ومتى صارَ اَهْلُ خراسانَ شيعَتَكَ أأَنْتَ وَجَّهْتَ اليهم ابا مُسْلِم هل تعْرِفُ اَحَدًا منهم باسمهِ او بصُورَتهِ فكيف يكونون شيعتك وانت لا تَعْرِفُهُم وهو لا يَعْرِفونَك فقال عبدُ الله كانَّ هذا الكلام منك لشىْء فقال الصادقُ قد

عَلِمَ اللهُ انّى أُوجِبُ النُصْحَ على نَفْسِى لكلّ مُسْلِمٍ فكيف أَدَّخِرُهُ عنك فلا تُمَنِّ نَفْسَكَ الاباطِيلَ فإنَّ هذه الدولةَ ستَتِمُّ لهاولاء وقد جآنى مثلُ الكتابِ الذى جاءك فانصَرَفَ عبدُ اللهِ من عنده غيرَ راضٍ وامّا عُمَر بنُ زين العابدين فانه رَدَّ الكتابَ وقال انا لا أَعرِفُ صاحِبَهُ فأُجِيبَه ثم غَلَبَ ابو سَلَمةَ على رايه وعَمِلَتِ الدَعْوَةُ عَمَلَها وبُويِعَ السفاحُ ونَمَّ الخَبَرُ اليه فحَقَدَها على ابى سَلْمَةَ وقتَلَه ذكر شئ من سِيرَتِه ومقتلِه كان ابو سلمة سمحًا كريمًا مِطْعامًا كثيرَ البَذْلِ مَشْغُوفًا بالتنوّقِ فى السلاحِ والدَوَابّ فصيحًا عالمًا بالاخبارِ والاشعارِ والسِيَرِ والجَدَلِ والتَفْسِيرِ حاضِرَ الحُجَّةِ ذا يَسَارٍ ومُرُوَّةٍ ظاهرةٍ فلما بُويِعَ السفاحُ استَوْزَرَهُ وفَوَّضَ الأُمُورَ اليه وسلَّمَ اليه الدواوينَ ولُقِّبَ وزيرَ آلِ محمدٍ وفى النَفْسِ اشياء وخاف السفّاحُ اِن هو قَتَلَ وزيرَهُ ابا سلمةَ أَنْ يَسْتَشعِرَ ابو مسلم ويَتَنَمَّرَ فتلَطَّفَ لذلك وكَتَبَ الى ابى مسلم كتابا يُعْلِمُه فيه بما عَزَمَ عليه ابو سلمةَ من نَقْلِ الدولةِ عنهم ويقول له اننى قد وَهَبْتُ جُرْمَهُ لك وباطِنُ الكتابِ يَقْتَضِى تصويبَ الراى فى قَتْلِ ابى مسلم وارسلَ الكتابَ مع اخيه المنصور فلما قَرَأَ ابو مسلم الكتابَ فَطِنَ لِغَرَضِ السفاح فارسَلَ قومًا من اهل خراسانَ قَتَلُوا ابا سلمةَ فقال الشاعرُ الكامل

إِنَّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أَوْدَى فمَنْ يَشْنَاكَ كان وَزِيرًا

انّ السلامة قد تبين وربما كان السرور بما كرهت جديرا

انقضت وزارة ابى سلمة. اختلفوا فيمن وزر للسفاح بعده فقيل ابو الجهم وقيل عبد الرحمن. فامّا ابو الجهم فوزّر للسفاح مدّة فلما افضت الخلافة الى المنصور كان فى نفسه منه امور فسمّه فى سويق اللوز فلما احسّ بالسمّ قام ليذهب فقال له المنصور الى اين قال الى حيث بعثتنى يا امير المومنين. وامّا الصولى فقال انّ السفاح استوزر بعد ابى سلمة خالد بن برمك. ذكر وزارة خالد بن برمك وشىء من سيرته. هذا خالد هو جدّ البرامكة وفى تلك الايام نبغت الدولة البرمكيّة وامتدّت الى ان انقضت فى ايام الرشيد. وكان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسيّة فاضلا جليلا كريما حازما يقظا استوزره السفاح وخفّ على قلبه وكان يسمّى وزيرا وقيل انّ كلّ من استوزر بعد ابى سلمة كان يتجنّب ان يسمّى وزيرا تطيّرا مما جرى على ابى سلمة ولقول من قال

انّ الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

قالوا فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمّى وزيرا. كان خالد عظيم المنزلة عند الخلفاء. قيل انّ السفاح قال له يوما يا خالد ما رضيت حتى استخدمتنى ففزع خالد وقال كيف يا امير المومنين وانا عبدك وخادمك فضحك وقال انّ ريطة ابنتى تنام مع

ابنتك فى مكانٍ واحدٍ فاقومُ بالليل فاَجِدُهما قد سُرِحَ الغطاءُ عنهما فارُدُّه عليهما فقبَّلَ خالدٌ يدَهُ وقال مَوْلًى يكْتَسِبُ الاَجْرَ فى عبدِه وامتِهِ وكثُرَ الوافِدُونَ على باب خالدِ بن بَرْمَك ومَدَحَهُ الشعراءُ وانتجعَهُ الناسُ وكان الوافدون قبْلَ ذلك يُسمَّونَ سُوَّالاً فقال خالدٌ انى اَستَقْبِحُ هذا الاسْمَ لمثل هؤلاء وفيهم الاشرافُ والاكابرُ فسمَّاهم الزُوَّارَ وكان خالدٌ اَوَّلَ من سمَّاهم بذلك فقال له بَعْضُهم واللهِ ما نَدْرِى اىُّ اياديك عندنا اَجَلُّ أَصِلَتُنَا اَمْ تَسْمِيَتُنَا وقيل اِنَّ اَوَّلَ مَنْ فعل ذلك المباور بن النعمان فى دولة بنى امية ولما بَنَى المنصورُ مدينة بغدادَ عظُمَتِ النَفَقَةُ عليه فاشارَ عليه ابو ايّوبَ الموريانى بهَدْمِ ايوانِ كسْرَى واستعمالِ اَنْقاضِهِ فاستَشارَ المنصُورُ خالدَ بنَ برمك فى ذلك فقال لا تَفْعَلْ يا اميرَ المومنين فانه آيَةُ الاسلامِ فاذا رآه الناسُ علموا اَنَّ مثلَ هذا البِناء لا يُزِيلُه الّا اَمْرٌ سَماوِىٌّ وهو مع ذلك مُصَلَّى علىّ بن ابى طالب عمّ والمؤونةُ فى نَقْضِهِ اكثَرُ من نَفْعِهِ فقال له المنصورُ اَبيتَ يا خالدُ الاَّ مَيْلاً الى العَجميَّةِ ثم اَمَرَ المنصور بهَدْمه فهُدِمَتْ منه ثُلمةٌ فبلغَتِ النَفَقَةُ عليها اكثَرَ مما حَصَلَ منها فامْسَكَ المنصورُ عن هَدْمِهِ وقال يا خالدُ قد صِرْنا الى رايك وتركْنا هَدْمَ الاَيْوانِ قال يا اميرَ المومنينَ انا الآنَ اُشِيرُ بهَدْمِه لِئلّا يَتحدَّثَ الناسُ انَّكَ عَجَزْتَ عن هَدْمِ ما بَنَاه غيرُكَ فاعْرَضَ عنه وامْسَكَ

عن هدية كتب بعض الشعراء الى خالد بن برمك فى يوم نَوْرُوزٍ وقد اَهْدَى النـاسُ الى خالدٍ هَدَايـا فيهـا جاماتٌ مِن فضّـةٍ وذهبٍ

الخفيف

لَيْتَ شِعْرِى أَمَالنا مِنْكَ حَظٌّ يـا هَدَايَا الوَزِيرِ فى النَوْرُوزِ

ما على خالدِ بنِ بَرْمَكَ فى الجُو دِ نَـوَالٌ يُنـيلـهُ بعَـزِيـزِ

لَيْتَ لِى جامَ فِضّةٍ مِن هَدَايا هُ سِوَى ما بِهِ الامِيرُ مُجِيزِى

انمـا اَبْتَـغِيـهِ لِلعَسَـلِ المَمْـزُوجِ بِـالمـاء لا لِبَوْلِ العَجُوزِ

فـامَرَ له بجميع مـا كان حاضرًا بين يديه مِن الجامـاتِ والأَوَانِى الفضّيّةِ والذَهَبِيّةِ فبَلَغَتْ مالاً جَليلاً وَلَمَّا توَلّى المَنْصُورُ الخِلافَةَ اَقَرَّهُ على وزارتهِ واكْرَمَهُ واستَشارَهُ انقضت وزارةُ وزراء السفاح وبانْقِضايها انقضَى الكلامُ على دولته ۞

ثم ملك بعده اخوه ابو جعفر المنصور بُويِعَ فى سنة مِيَّةٍ وستٍ وثلاثين ذكرُ شَىْء من سيرَتِـهِ ومـا وَقَعَ فى ايامـهِ مِن الحوادثِ والوقـايِع كان المنصورُ مِن عُظماء الملوك وحُزَمايهم وعقلايهم وعلمايهم وذوى الآراء الصايبَةِ منهم والتدبيراتِ السديدةِ وَقُورًا شديدَ الوَقارِ حسَنَ الخُلُقِ فى الخَلْوَةِ من اَشَدّ الناسِ احْتِمالاً لما يكونُ من عَبَثٍ او مِزاحٍ فاذا لَبِسَ ثيابَهُ وخرَجَ الى المجلس العامّ تغيَّرَ لَوْنُه واحمرّت عَيْناه وانقلَبَتْ جميعُ اوصافهِ قال يَوْمًا لبَنِيه يا بَنِىَّ اذا رايتمونى قد

لَبِسْتُ ثيابى وخرجْتُ الى المجلس فلا يدنُونَّ احَدٌ مِنّى مخافَةَ ان أَعُرَّهُ بشىء قالوا وكانَ للمنصور يلبَسُ الخَشِنَ ورُبّما رَقَعَ قَميصَهُ وقيل ذلك لجعفر بن محمد الصادقِ عم فقال الحمدُ لله الذى ابتلاه بفقرِ نَفْسهِ فى ملكهِ قالوا ولَمْ يكن يُرَى فى دار المنصور لَهْوٌ ولَعِبٌ او ما يُشْبِهُ اللهوَ واللَعِبَ حَدَّثَ بَعْضُ مَوَالِيهِ قال كُنْتُ مَرَّةً واقِفًا على راسه فسَمِعَ صَوْتًا عالِيًا فقال لى انظُرْ ما هذا الصَوْتُ قال فنظَرْتُ فاذا هو بَعْضُ خَدَمِهِ يَلْعَبُ بالطُنْبُورِ وحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِن جَوَارِيهِ يَضْحَكْنَ منه قال فاخبَرْته الخبر فنَمَّرَ وقال واىّ شىء يكونُ الطُنْبُور قال فوصَفْتُهُ له فقال وانتَ ما يُدْرِيكَ بالطُنْبُور قلتُ يا اميرَ المومنين رايتُه بخراسانَ فقامَ المنصورُ حتى جاء الى الخادمِ فلما بَصَرَ به الجوارِى تفرّقْنَ فامَرَ فضُرِبَ راسُ الخادمِ بالطُنْبُورِ حتى تَكسّرَ الطُنْبُورُ ثم اخْرَجَهُ فباعَهُ وكانَ المَنْصورُ مِن اشدِّ الناسِ شَغَفًا بابنهِ المَهْدِىّ فكان اذا جَنَى أَحَدًا جِنايَةً او اخَذَ من أَحَدٍ مالاً جَعلَهُ فى بيت المالِ مُفْرَدًا وكتبَ عليه اسمَ صاحبِهِ فلما ادرَكَتْهُ الوفاةُ قال لابنهِ المهدىّ يا بُنَىَّ انى قد أَفْرَدْتُ كلَّ شىء اخذتُه من الناسِ على وَجْهِ الجنايَةِ والمُصادَرَة وكتبْتُ عليه اسماء اصحابه فاذا وَليتَ انت فأعِدْهُ على اربابهِ ليَدْعُوَ لَكَ الناسُ ويُحِبُّوكَ قال يزيدُ بن عمر بنِ هُبَيْرَةَ ما رايتُ رجلا فى حَرْبٍ او سِلْمٍ

أَمْكَرَ ولا انكَرَ ولا اشدّ تيقُّظًا مِن المنصورِ لقد حاصَرَنِى تِسْعَةَ شُهُورٍ
ومَعِى فُرْسانُ العَرَبِ فجهدنا كلَّ الجَهْدِ حتى نَنالَ من عسكرِهِ
شيًّا فما قَدَرْنا لشِدّةِ ضَبْطِهِ لعسكرِهِ وكثرةِ تيقُّظِهِ ولقد حَصَرَنِى ومَا
فى راسى شَعْرَةٌ بيضاء ثم انقَضَى ذلك وما فى راسى شَعْرَةٌ سَوْداءُ
واعلَمْ ان المنصورَ هو الذى أَصَّلَ الدولةَ وضَبَطَ المملكةَ ورتَّبَ
القواعِدَ واقامَ الناموسَ واخْتَرَعَ اشياء فمِن جُمْلةِ ما اخترَعَ فَرَسُ
النَوْبَةِ ولم يكُنِ الملوكُ قَبْلَهُ يَعْرِفُونَ ذلك وسَبَبُ ذلك ياتى فيما
بَعْدُ ومن جُمْلَةِ ما اخترَعَ عمَلُ الخَيْشِ الكتّانِ فى الصَيْفِ ولم
يكن الناسُ قَبْلَهُ يَعْرِفُونَ ذلك وكانَ الاكاسِرَةُ يُطَيِّنُون كلَّ يوم من
الايامِ الصَيْفِ بَيْتًا يَسْكُنُونَهُ ثم فى الغَدِ يُطَيِّنُ بيتٌ آخَرُ وكان
المنصور مُبَخَّلاً يُضرَبُ بشُحِّهِ الأَمْثالُ وقيلَ كان كريما وانه لمّا حَجَّ
أَفْضَلَ على اهلِ الحجازِ فكانوا يُسَمُّونَ عامَهُ عامَ الخِصْبِ والصَحيحُ انه
كان رَجُلاً حازمًا يُعْطِى فى موضع العَطاء ويَمْنَعُ فى موضع المنع وكان
المَنْعُ عليه أَغْلَبَ وجرى فى ايامه شىءٌ طَرِيفٌ وهو أَنّ قومًا من
اهلِ خراسانَ يقال لهم الراوَنْدِيّة كانوا يقولون بتناسُخِ الارواح
ويَزْعُمُونَ أَنَّ روحَ آدمَ انتقلَتْ الى فُلانٍ رَجُلٍ من كبارِهم وانّ رَبَّهُم
الذى يُطْعِمُهم ويَسْقِيهم هو المنصورُ وانّ جَبْرَئِيلَ هو فلانٌ عن رَجُلٍ
آخَرَ فلما ظَهَرُوا اَتَوا قَصْرَ المنصورِ فطافُوا حَوْلَهُ وقالوا هذا قَصْرُ

رَبَّنَا فاخَذَ المنصورُ رؤساءهم فحبَسَ منهم مِيتَى رجلٍ فغضبَ الباقُون واجتمعوا وفتحوا السُّجُونَ وَاَخْرَجُوا اصحابَهم منهـا وقَصَدُوا المنصور وحاربوه فخرجَ المنصورُ اليهم ماشيا ولم يكن فى بابه فى ذلك الوَقْتِ دَابَّـةٌ فصارَ بعد ذلك اليوم تربطُ لَـهُ دابّة فى بابِ القَصْرِ لا تزال واقفَةً وصارت تلك سُنَّةً للخلفاء بَعْدَهُ وللملوك فلما خرجَ المنصورُ أُتِىَ بدابَّـةٍ فَرَكِبَهَا وهو يُريدُهم حتى تكاثَرُوا عليه وكادُوا يقتلونَهُ وجاء مَعْنُ بنُ زايدَةَ وكان مستَخْفِيًا مِن المنصورِ جاء مُتَلَثِّمًا ووقَفَ بين يدى المنصورِ والمنصور لا يَعرِفُه فقاتلَ بين يدَيْهِ قتـالا شديدًا وأبْلَى بَلَاءً حَسَنًا وكان المنصور راكبًا على بَغْلَـةٍ ولجامُها بيَدِ حاجبه الربيع فـأتَى مَعْنٌ وقال تَنَحَّ فانا اَحَقُّ منكَ بهذا اللجامِ فى هذا الوَقْتِ فقال المنصورُ صَدَقَ ادْفَع اللجامَ اليه فلم يَزَلْ يقاتـلُ حتى انكشفَتِ الحالُ وظَفرَ بالراوَنْدِيَّةِ فقال له المنصورُ من انتَ قال طَلِبَتُكَ يـا اميرَ المومنين مَعْنُ بن زايدةَ فقـال قد آمَنَكَ اللهُ على نَفْسِكَ وأهْلِكَ ومالِكَ ومِثْلُكَ يُصْطَنَعُ واحْسَنَ اليه وولّاه اليمَنَ وهو الذى بَنَى مدينةَ بَغْدادَ"

شرح كيفية الحال فى بناء بغداذ كان المَنْصُورُ قد بَنَى فى اوايـلِ دَوْلَتِهم مدينةً بنواحِى الكوفـةِ وسَمّاهـا الهاشِمِيَّةَ ووقعت وَقْعَة الراوَنْدِيَّةِ فيهـا فكَرِهَ سُكناها لذلك ولمجاوَرةِ اهلِ الكوفة فانه كان

لا يَــأمَنُهُم على نفسه وكانوا قد أفْسَدوا جُنْدَه فخرج بنفسه يَرْتادُ لَهُ مَوْضعًا يَسْكُنُه ويَبْنِى فيه مدينةً له ولعياله ولأهْله وجُنْدِه فانْحَدَرَ الى جرجَرايا واصْعَدَ الى المَوْصِل ثم أرْسَلَ جماعَةً مِنَ الحكماء ذوى اللُبِّ والعَقْـلِ وامَرَهم بارتياد موضع فاختاروا له مدينتَهُ التى تُسَمّى مدينةَ المنصورِ وهى بالجانب الغرْبِىّ قريبةٌ من مَشْهَد موسى والجواد عليهما السَلَمُ فحضرَ الى هُناكَ واعتبَرَ المكانَ ليلاً ونهارًا فاستطابه وبَنَى به المدينةَ ومن طَريف ما اتَّفَقَ فى ذلك انّ راهِبًا من رُهْبانِ الدَيْرِ المعروف الآن بدَيْرِ الرُومِ سأَلَ بعض اصحــاب المنصور مَن يُريدُ أن يَبْنِىَ فى هذا الموضع مدينةً فقـال لــه ذلك الرجلُ اميرُ المومنين المنصور خليفةُ الناسِ قال ما اسْمُهُ قال عبدُ اللهِ قال فهَلْ لــه اسْمٌ غير هذا قـال اللهُمَّ الا انّ كنيتَهُ ابو جَعْفَرٍ ولَقَبَهُ المنصورُ قال الراهِبُ فاذْهَبْ اليه وقُلْ له لا يُتْعِب نفسَهُ فى بناء هذه المدينة فانّـا نَجِدُ فى كُتُبِنا ان رَجُلاً اسمه مِقْلاص يَبْنِى هـاهُنا مدينةً ويكونُ لها شـانٌ مِنَ الشانِ وان غيرَهُ لا يتمكّن من ذلك فجاء ذلك الرجلُ الى المنصور وأخْبَرَهُ بما قال الراهِبُ فنزَلَ المنصور عن دابَّتِه وسجَدَ طويلاً ثم قال امَا واللهِ كان اسْمِى مقلاصًا وكان هذا اللقَبُ قد غَلَبَ علىَّ ثم ذَهَبَ عَنّى وذاك انّ لِصًّا كان فى صباىَ يُسَمّى مقلاصًا وكان تُضْرَبُ بــه الامثالُ وكانَتْ لنا عَجُوزٌ

تربيتى فاتّفق ان صِبْيانَ المَكْتَب جآوا يَوْمًا الىّ وقالوا لى نحْنُ اليَوْمَ اضيـافك ولم يكن معى مـا أنْفِقُهُ عليهم وكان للعجوزِ غَزْلٌ فاَخَذْتُـه وبِعْتُه بمـا أنْفَقْتُه عليهم فلمـا علمت انى سَرقْتُ غَزْلَها سَمَّتْنِى مِقْلاصًـا وغَلَبَ هذا اللَقَبُ علىَّ ثم ذَهَبَ عنى والآنَ عَرَفْتُ انى أَبْنِى هذه المدينَةَ ونَبَّهَه بعضُ عُقلاء النصارَى على فضيلةِ مكانها فقال يا اميرَ المومنين تكونُ على الصَرَاةِ بَيْنَ دِجْلَةَ مع الفُرَاتِ فاذا حارَبَكَ أَحَدٌ كانَتْ دِجْلَـةُ والفُراتُ خَنادِقَ لمدينتكَ ثم انَّ الميرَةَ تاتيكَ فى دجلةَ مِن ديارِ بَكْرٍ تارةً ومِنَ البَحْرِ والهِنْدِ والصينِ والبَصْرَة وفى الفُراتِ مِن الرَقَّةِ والشـامِ وتَجِيئُكَ الميرَةُ ايضًـا مِن خراسانَ وبلادِ العجم فى شَطّ تـامرًّا وَأنْتَ يا اميرَ المومنين بين أَنْهارٍ لا يَصِلُ عَدُوُّك اليك الاّ على جَسْرٍ او قَنْطَرةٍ فاذا قَطَعْتَ الجَسْرَ او أَخْرَبْتَ القنْطرةَ لم يَصِـلْ اليك عَدُوُّكَ وأَنْتَ متوسِّطٌ للبَصْرةِ والكوفـةِ وواسِطَ والمَوْصِـلِ والسَوَادِ وانتَ قريبٌ مِن البَرِّ والبَحْرِ والجَبَلِ فـازدادَ المنصورُ جدًّا وحرصًا على بنايُها وكاتَبَ الاطراف بانفاذِ الصُنّاعِ والفَعَلَةِ وامَرَ باختيارِ قومٍ من ذَوِى العَدالـةِ والعَقْلِ والعلمِ والامـانةِ والمعرفـةِ بالهَنْدَسَةِ ليتولّوا قِسْمَةَ المدينة وعَملَها وشَرَعَ فيها فى سنة خمسٍ واربعين ومِئَـةٍ وكان ابو حَنيفَةَ صاحِبُ المَذْهَب يَعُدُّ اللَبِنَ والآجُرَّ وهُوَ الذى اخترَعَ عَدَّهُ بـالقَصَبِ اختصارًا

وجعَلَ المنصورُ عَرْضَ السورِ من أساسِهِ خَمْسِينَ ذراعًا ومِن أعلاهُ عشْرِينَ ذراعًا ووضَعَ بيدِهِ أوّلَ لَبِنَةٍ وقال بِسْمِ اللهِ والحمدُ للهِ الارضُ للهِ يورِثُها من يَشاءُ مِن عبادِهِ والعاقِبَةُ للمُتَّقين ثمّ قال آبْنُو فابْتَدَأَ بها فى سَنَةِ خَمْسٍ واربَعِينَ ومِيَةٍ وتَمَّمَها فى سَنَةِ سِتٍّ واربعين ومِيَةٍ وجَعَلَها مُدَوَّرةً وجعل قَصْرَهُ فى وَسَطِها لِئَلَّا يكونَ احَدٌ أقْرَبَ اليه من الآخَرِ وبلَغَ الخَرْجُ عليها ارْبَعَةَ آلْفِ آلْفٍ وثمانى مِيَةٍ وثلاثةً وثلاثين دِرْهَمًا ولما فَرَغَتْ حاسَبَ القُوَّدَ بما كان حُوِّلَ علَيْهِم لعِمَارتِها فالزمَهُمْ بالبَوَاقى حتى استَوْفَى مِن بعضِهِم ما اقْتَضَاهُ الحسابُ خمسَةَ عَشَرَ درهمًا، اسماؤها يقال بَغْدَادُ وكان هناكَ مَوْضِعٌ يَسَمَّى بَغْدادَ فسُمِّيَتْ المدينةُ باسمِهِ، ويُقَالُ بَغْدَاذُ بالذال المُعْجَمَةِ ويقالُ بَغْدَانُ بالنونِ، ويقالُ الزوراءُ وكان مَوْضِعُها يُسَمَّى الزَوْراءَ قديمًا وقيلَ لانّ قِبْلَتَها غيرُ مستقيمةٍ يَحْتاجُ المُصَلِّى فى مَسْجِدِها الجامعِ أنْ يَنْحَرِفَ الى جِهَةِ اليَسارِ قليلا ويقالُ مدينةُ المنصورِ ويقالُ دارُ السلامِ، وقيل انها مدينةٌ مُبارَكَةٌ مسعودةٌ لم يَمُتْ فيها خليفةٌ قَطُّ فمدينةُ المنصورِ هى بغدادُ القديمةُ وهذه بغدادُ التى هى بالجانب الشرقى استُجِدَّتْ بعد ذلك، وهو الذى فَعَلَ ببَنِى الحَسَنِ ما فعَلَ أخَذَ مَشايخَ الساداتِ منهم وهم عَبْدُ اللهِ المَحْضُ بن الحَسَنِ بنِ الحَسَنِ بنِ علىّ بن ابى طالب عليهم السلم

وكان شيخَ الطالبيّين فى عَصْرِه وبنيهِ واِخْوَتِه وبَنى اخوَتِه سادات بنِى الحَسَنِ عليهم السّلمُ فحبَسَهم عنده وماتوا فى حَبْسِهِ، روى انه خرجَ حاجِبُهُ فقال من كان على البابِ من بَنى الحُسَيْن فَلْيَدْخُل فدخَلَ مشايخُ بنى الحُسَيْنِ عمّ ثم خرجَ فقال من كان بالبابِ من بنى الحَسَنِ فليَدْخُلْ فدخَلَ مشايخُ بنى الحَسَنِ عمّ فعُدِلَ بهم الى مقصورةٍ ثم اَدْخَلَ الحَدّادِينَ منْ بابٍ آخَرَ فقَيَّدَهم وحَمَلَهُم الى العراقِ فحبَسَهم حتى ماتُوا فى حَبْسِهِ بالكوفةِ لا جَزاهُ اللهُ خيرًا عن فعله، ومن طريفِ ما وقَعَ فى ذلك أنَّ رَجُلًا من بنى الحَسَنِ عمّ جاءَ حتى وقَفَ على المنصور فقالَ ما جاءَ بك قال جِئتُ حتى تَحْبِسَنى عند اَهْلِى فانى لا اُرِيدُ الدنيا بعدهم فحبسَه معَهم وكان ذلك الرجُلُ علىَّ بنَ حَسَنِ بنِ حَسَنِ بن الحَسَنِ بن عَلِىّ بن ابى طالب وكان مِنهم محمدُ بن ابرهيمَ بن الحَسَنِ بن الحَسَنِ بن علىّ بن ابى طالبٍ عمّ وكان مِن اَحْسَنِ الناسِ صُورَةً وكان يُسَمّى الديباجَ الاَصْفَرَ لحُسْنِه وجمالِه فاحضَرَهُ المنصورُ وقال له انتَ الديباجُ الاَصْفَرُ قال كذى يقولون قال لَأَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً لم اَقْتُلْها اَحَدًا ثم اَمَرَ به فبُنِىَ عليه اسْطوانَةٌ وهو حَىٌّ فمات فيها، ذِكْرِ السببِ فى فِعْلِ المنصورِ ما فعَلَ ببنى الحَسَنِ عليهم السلم، كان بنو هاشمٍ الطالبيّون والعباسيّون قد اجتمعوا فى ذَيْل دولة بنى اميّةَ وتذاكَروا

حالَهُم ومـا هُم عليه من الاضْطهادِ وما قد آلَ اليه أَمْرُ بنى اميَّةَ من الاضطرابِ ومَيْلِ الناسِ اليهم ومَحبّتهم لان تكون لهم دَعْوة واتَّفقوا على ان يَدْعُوا الناسَ سِرًّا ثم قـالوا لا بُدَّ لنا من رئيسٍ نبايعُـهُ فاتَّفقوا على مُبايَعَةِ النَفْسِ الزكيَّةِ محمد بن عبد الله بن الحسَنِ بن الحسن بن علىّ بن ابى طالب عليهم السَلَمُ وكان محمدٌ مِن ساداتِ بنى هاشمٍ ورِجالهم فَضْلاً وشَرَفًـا وعِلْمًا وكان هذا المَجْلِسُ قـد حَضَرَهُ اعيانُ بنِى هاشِمٍ عَلَوِيّهُم وعبّاسِيّهُم فحضَرَهُ من اعيانِ الطالبيّينَ الصادِقُ جَعْفَرُ بنُ محمّدٍ عليهما السَلَمُ وعبدُ الله بنُ الحَسَنِ بن الحسَنِ بن علىّ بنِ ابى طالبٍ وابناه محمّدٌ النَفْسُ الزَكيّةُ وابرهيمُ قتيلُ بَاخَمْرَى وجماعة من الطالبيين ومن اعيان العباسيين السفاحُ والمنصورُ وغيرُهمـا من آلِ العبّاسِ فاتّفَقَ الجميعُ على مُبايَعـةِ النَفْسِ الزكيّةِ الّا الامـامَ جعفرَ بن محمدٍ الصادق فانه قال لابِيهِ عبدِ اللـه المَحْضِ انَّ ابْنَكَ لا يَنالُها يعنى الخلافـةَ ولَنْ يَنالَهَا الّا صاحب القَباء الاصْفَرِ يعنى المنصورَ وكان على المنصور حينئذٍ قباءٌ أَصْفَرُ قـال المنصورُ فرَتَّبْتُ العُمّالَ فى نَفْسِى من تلك السـاعـةِ ثم اتّفقوا على مُبايَعةِ النفسِ الزكيَّةِ فبايَعُوه ثم ضَرَبَ الدَهْرُ ضَرْبَـهُ وانتقَلَ المُلكُ الى بنى العباسِ كما تقدّم شرحُه ثم انتقل من السفاح الى المنصورِ فلم يكُنْ له هِمّـةٌ سِوَى طَلَبِ النَفْسِ

الزكيّة ليَقْتُلَهُ او ليَخْلَعَهُ وأَغْراه بذلك ان الناسَ كانوا شديدى الميْــلِ الى النَفْسِ الزكيَّة وكانـوا يَعْتقدونَ فيه الفَضْلَ والشرَف والرياسةَ فطلَبَهُ المنصورُ من أبيه عبد الله المَحْضِ وكان عبدُ الله المَحْض من رجالِ بنى هاشم وساداتِهم فَلْزَمَهُ المنصورُ باحضارِ ابنَيْه محمد النَفْسِ الزكيَّة وابرهيم فقــال لا علمَ لى بهما وكانا قد تغيبا خوفًا منه فلما طوّل القولَ لابيهمــا عبد الله قال كم تُطَوِّلُ والله لو كانا تحت قَدَمى لما رَفَعْتُهما منهما سبحانَ الله آتيك بولَدَىّ لتقتُلهما فقبَضَ عليه وعلى اهلهِ من بنى الحَسَنِ وكان من امرهم ما تقدّم شرحُهُ رَضِىَ الله عنهم وسَلَّمَ عليهم "

شرح خروج النفسِ الزكيــة هو محمد بن عبد اللــه المحض بن الحَسَنِ بن الحسنِ بن علىّ بن ابى طـالب عليهم السَلَمُ ، كان النفسُ الزكيّةُ من ساداتِ بنى هاشم ورجالهم فَضْلاً وشرفـا ودينًا وعلمًا وشجاعةً وفصاحةً ورياسةً وكرمًا ونُبْلاً وكانَ فى ابْتداء الأمْرِ قد شِيعَ بين الناسِ انــه المَهْدِىُّ الذى بُشِّرَ به وأثْبتَ ابوه هذا فى نُفُوسِ طَوايفَ من النــاسِ وكان يُرْوَى أنَّ الرسولَ صلوات الله عليه وسلامُه قــال لو بَقِىَ مِنَ الدنيا يومٌ لطَوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يَبْعَثَ فيه مَهْدِيَّنا او قايمَنا اسمه كاسمى واسمُ ابيه كاسمِ ابى ، فــامــا الاماميّةُ فيَرْوُون هذا الحَديثَ خاليًا من واسمِ ابيه

كاسمِ ابى فكان عبدُ اللهِ المَحْض يقولُ للناسِ عن ابنه محمدٍ هذا هو المهدىُّ الذى بُشِّرَ بــه هذا محمَّدُ بنُ عبدِ اللــهِ ثم أَلْقى اللهُ محَبَّتَه على الناسِ فمالوا اليه كافّةً ثم عَضَدَ ذلك أَنَّ أَشْرافَ بنى هاشمٍ بايَعُوه ورَشَّحُوهُ للأمْرِ فقدّموهُ على نفوسِهِم فزادت رَغْبَتُهُ فى طَلَبِ الامرِ وزادت رَغْبَـةُ الناس فيه ومــا زال متغَرِّبًا مُنْذُ أَفْضَتِ الدولةُ الى بنى العباسِ خوفا منهم على نفسه فلما عَلِمَ بما جَرَى لوالدِهِ ولقومه ظَهَرَ بالمدينةِ واظهَرَ أَمْرَهُ وتَبِعَهُ أَعْيانُ المدينةِ ولم يَتَخَلَّفْ عنــه الا نَفَرٌ يَسيرٌ ثم غَلَبَ على المدينة وعَزَلَ عنها اميرَهَــا من قِبَــلِ المنصور ورَتَّبَ عليها عاملاً وقاضيًا وكَسَرَ ابوابَ السجونِ واخرَجَ مَنْ بها واستَوْلَى على المدينة ومُنْذُ خرَجَ محمدُ بنُ عبدِ اللــهِ وفعَلَ ما فعَلَ بالمدينة توجَّهَ رَجُلٌ يقالُ له أَوْسٌ العامِرِىُّ من المدينة الى المنصور فى تِسْعةِ ايامٍ وقَدِمَ ليلاً فوقَفَ على ابواب المدينة فصاح حتى عَلِمُوا بــه فادْخَلُوه فقــال الرَبيعُ الحاجِبُ مــا حاجَتُك فى هذه الساعةِ واميرُ المومنين نايمٌ قــال لا بُدَّ لى منــه فدخَــلَ الربيعُ واخبَرَ المنصُورَ خَبَرَهُ وادخَلَـهُ اليــه فقال يــا اميرَ المومنين خرَجَ محمدُ بن عبدِ اللــهِ بالمدينة وفعَلَ وصَنَعَ قال انتَ رايتَهُ قال نَعَمْ وعايَنْتُه عَلَى مِنْبَرِ رسولِ الله صلواتُ الله عليه وسلامه وخاطبْتُــهُ فــادخَلَهُ المنصورُ بَيْتًا ثم تَواتَرَتِ الاخبارُ عليه بذلك

فاخرجه وقال له سوف أفعل معك وأصنع واغنيك فى كم ليلة وصلت من المدينة قال فى تسع ليال فأعطاه تسعة الف درهم ثم قام المنصور وقعد وتراخت المدّة حتى تكاتبا وتراسلا فكتب كل واحد منهما الى صاحبه كتابًا نادرًا معدودًا من محاسن الكتب احتجّ فيه وذهب فى الاحتجاج كلّ مذهب وفى آخر الامر ندب ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله فتوجّه اليه عيسى بن موسى فى عسكر كثيف فالتقوا فى موضع قريب من المدينة فكانت الغلبة لعسكر المنصور فقتل محمد بن عبد الله وحمل راسه الى المنصور وذلك فى سنة خمس واربعين ومية ثم خرج اخوه ابرهيم بن عبد الله فتيل باخمرى بالبصرة

شرح كيفية الحال فى ذلك على سبيل الاختصار كان ابرهيم بن عبد الله فى حال تغيّبه يحضر الى عسكر المنصور متخفيًا وربما جلس على السماط وكان المنصور شديد الطلب له فخرج من مدينة المنصور ومضى الى البصرة واظهر أمره ودعا الى نفسه فتبعه جماعة وكثرت جموعه فارسل المنصور اليه ابن اخيه عيسى ابن موسى بعد رجوعه من قتل النفس الزكيّة فتوجّه عيسى بن موسى اليه بخمسة عشر ألف مقاتل فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة فكانت الغلبة لعسكر المنصور وقتل ابرهيم فى

المعركة وذلك فى سنة خمسٍ واربعين ومية رحمه الله تعالى وكانت ايامُ المنصور ذاتَ فُتوقٍ وأحْداثٍ فممن خرج عليه عَمُّه عَبْدُ الله ابنُ عَليّ وكان السفاحُ ارسَلَهُ الى قِتالِ مروَنَ الحِمارِ كما تقدّمَ شرحُه ثم ماتَ السفّاحُ وتولّى المنصورُ الخلافةَ وعَبْدُ اللهِ بنُ عليّ بالشام فطَمِعَ فى الخلافةِ وخَطَبَ الناسَ وقال ان السفاحَ ندَبَ بنى العباسِ لقتالِ مروَنَ فلم يَنْتَدِبْ غَيْرِى وانه قال لى انْ ظَهرْتَ عليه وكانتِ الغَلبةُ لك فانت ولىُّ العَهْدِ بَعْدِى وشَهِدَ له جماعةٌ بذلك فبايَعُه الناسُ ولما اتَّصَلَ الخَبَرُ بالمنصور اقامَهُ ذلك واقعَدَهُ فقال له ابو مُسْلِمٍ الخراسانىُّ اِن شِئْتَ جَمعْتُ ثيابى فى مِنْطقَتِى وخَدَمْتُك وان شِئْتَ أتَيْتُ خراسانَ وَامْدَدتُك بالجُنُودِ وان شِئتَ سِرْتُ الى حَرْبِ عبدِ الله بن عليّ فامَرَهُ بالمَسِيرِ الى حَرْبِ عبدِ الله فسارَ ابو مُسلم بعسكرٍ كثيفٍ فتَطاوَلَ الامَدُ بينهما شُهورًا كان فى اخرِها الغَلبةُ لعسكرِ ابى مُسلم فهَرَبَ عَبْدُ اللهِ بن عليّ الى البَصْرةِ ونَزَلَ على اخيه سليمنَ بن عليّ بنِ عبد اللهِ بن عبّاسٍ فشَفِعَ سُلَيْمنُ فيه الى المنصور وطَلَبَ له الأمانَ فآمَنَهُ المنصورُ وكَتَبَ له كتابًا بيغاً التزمَ فيه بكل شىء فلما جاء اليه حَبَسَه ومات فى حَبْسه فقيل انه بَنَى له بيتًا وجَعَلَ فى اسَاسَاتِه مِلْحًا ثم أجْرَى الماءَ فيه فسَقَطَ البَيْتُ عليه فماتَ والمنصورُ هو الذى قتل ابا مُسْلِمٍ الخراسانىّ

شرح الحـال فى ذلك كان فى نَفْسِ المنصور قديمًا حزازاتٌ مِن ابى مسلم وكان بينهما تَباغُضٌ وقد كان المنصورُ اشارَ على اخيه السَّفّاح بقَتْلِهِ فامتنع السفاحُ وقـال كيف يكون ذلك مع حُسْنِ بلائِه فى دولتنا فلما وَلِىَ المنصورُ الخلافةَ أَرْسَلَ ابا مسلم الى الشام لحَرْبِ عَمّهِ عبد الله بن علىّ بن العبّاس كما تقدّم شرحُـه فلما ظَفِرَ ابو مُسْلِمٍ وغَنِمَ جميعَ مـا كانَ فى عَسْكَرِ عبدِ الله بنِ علىّ وانهزمَ عبدُ اللهِ الى البصرة ارسَلَ المنصورُ بعضَ خَدَمِه لِيَحْتاطَ على باقِى العسكرِ من الاموالِ فغَضِبَ ابو مسلم وقـال أَمينٌ على الدماءِ خاينٌ فى الاموالِ وشَتَمَ المنصورَ وكَتَبَ بعضُ اصحابِ الاخبارِ بذلك الى المنصور وعزمَ ابـو مسلم على الخِلافِ وأَنْ يَتَوجَّـهَ الى خراسانَ ولا يَحْضرَ عند المنصور فخاف المنصورُ ان يتوجَّهَ ابو مسلم الى خراسانَ بهذه الصفةِ فتَفْسُدُ عليه الامورُ هُناكَ وكان ابو مسلم رجلا مَهيبًا داهِيَةً شُجاعًا لبيبا جَرِيًّا على الامور فَطِنًا عالِمًا قد سمع الحديثَ وعَلِمَ من كلِ شىء فكتب اليه المنصورُ يُطيِّبُ نفسَـهُ ويُسَكِّنُهُ ويَعِدُهُ الجميلَ ويَسْتَدْعِى منه الحُضورَ فاجابَ بانّى على الطاعةِ وانّى متوجِّهٌ الى خراسانَ فانْ أَصْلَحْتَ نَفْسَكَ كنتُ سامعًا مُطيعًا وان أَبيتَ الّا أَن تُعْطِىَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَـا كنتُ قد نَظَرْتُ لنَفْسى بالحالِ الّتى يُقارِنُها السّلامَـةُ فاشْتَدَّ خَوْفُ المنصورِ منه وحَنَقُهُ عليه

وكتبَ اليه كتابًا معناه انك نسيتَ فى نظرنا بهذه الصفة الّا قد وسمتَ بها نفسك وانّ حُسْنَ بلايك فى دولتنا يُغنيك عن هذا القول واستدعى منه الحُضُورَ وقال لوُجُوهِ بنى هشام اكتُبوا انْتم ايضا اليه فكتبوا اليه يُقَبِّحُونَ عليه خِلافَ المنصور ومُشاقّتَهُ ويُحَسِّنُون له الحُضُورَ عندَهُ والاعتذارَ اليه وأرسَلَ المنصورُ الكُتُب على يد رجلٍ عاقلٍ من اصحابه وقال له آمْضِ اليه وحَدِّثْهُ أَلْيَنَ حَديثٍ تُحَدِّثُهُ احَدًا فان رَجَعَ فارْجِعْ به حتى تقدمَ به عَلَيَّ وان اصَرَّ على المُشاقّةِ وصَمَّمَ على التَوَجُّهِ وأَيِسْتَ مِنْهُ ولم يَبْقَ لك حِيلَةٌ فقُلْ له يقولُ لك فُلانٌ لَسْتُ من العباسِ وبَرِئْتُ من محمد اِن مَضَيْتَ على هذه الحالِ ولم تَعُدْ ان يتوَلّى حَرْبَكَ غَيْرِى وعلَىَّ كذا وكذا ان لم أتوَلَّ انا ذلك بنفسى فمَضَى الرسولُ اليه وناوَلَهُ الكُتُبَ فقرأها والتفتَ الى صديقٍ له يقالُ له مالكُ بنُ الهَيْثَمِ وقال له ما الرأى قال الرأىُ أن لا ترْجِعَ اليه فانّكَ ان رَجَعْتَ اليه قتَلَكَ وان مضيتَ على طريقك حتى تَصِلَ الى الرَيِّ وهم جُنْدُكَ فتقيمُ وتَنْظُرُ فى أمرِكَ فانْ حَدَثَ لك حادثٌ كانت خراسانُ من وَرايك فعزمَ ابو مُسلمٍ على ذلك وقال للرسولِ قل لصاحبك انه ليسَ من رأيى الحُضُورُ عندكَ وانا متوجّهٌ الى خراسانَ فقال له الرَسُولُ يا ابا مسلمٍ انتَ ما زِلتَ امينَ آلِ محمدٍ فانشدُكَ اللهَ أنْ تسمَ

نَفْسَكَ بِسِمَةِ العِصْيانِ والشقاقِ والرأىُ أن تَحْضُرَ عند امير المومنين وتَعْتَذِرَ اليه فلَنْ ترَى عندَه الا مـا تُحِبُّ فقال له ابو مُسلم متى كُنْتَ تُخاطِبُنى بمثـلِ هذا الخِطابِ فقال الرَجُلُ سُبْحانَ اللهِ انتَ دَعَوْتَنا الى وَلايَـةِ هولاء القومِ ونَصْرِهِمْ وقُلْتَ لنا مَنْ خالَفَهُمْ فاقْتُلُوهُ فلما دَخَلْنا معكَ فيما نَدَبْتَنا اليه رجَعْتَ عنـه وانكرْتَهُ علينا فقال ابـو مسلم هو مـا قُلْتُ لكَ ولَسْتُ أَرْجِعُ فقال له فلَيْسَ عندكَ غيرُ هذا قـالَ نعَمْ فخَلَا به وأَبْلَغَهُ ما قالَ المنصور فوَجَمَ وأطْرَقَ ساعَةً ثم قال أَرْجِعُ واعْتَذِرُ اليه ورجَعَ ثم سَلَّمَ عَسْكَرَهُ الى بَعْضِ اصحابه وقال لـه اِن جاءكَ كتابى وهو مَخْتومٌ بنِصفِ خاتَمى فهو كتابى وان كان مختومًا بكلِ الخاتِمِ فاعلم انه ليس خَتْمى وأَوْصاه بمـا ارادَ ثم سـارَ الى المنصورِ فلَقِيَـهُ بالمدايِنِ فلما عَلِمَ المنصورُ بوصولـهِ امَرَ الناسَ جميعًا بتَلَقِّيهِ فلما دَخَلَ عليه قَبَّلَ يدَه فأَدْناه وأكْرَمَـهُ ثم امَرَهُ بـان يَعُودَ الى خَيْمَتِهِ ويَسْتَريحَ ويَدْخُلَ الحَمّامَ ويَعُودَ مِنَ الغدِ فمَضَى فلما أَصْبَحَ اتاه رسولُ المَنْصُورِ يَسْتدعيه وقد اعَدَّ المنصورُ جماعَـةً مِن اصحابـهِ خَلْفَ السُتُورِ بأَيْدِيهِم السـلاحُ فأَوْصاهُمْ انه اذا ضرَبَ بإِحْدَى يدَيْه على الاخْرَى يَخْرُجُونَ فيَقْتُلُونَ ابا مسلمٍ فلما دَخَلَ ابو مسلم عليه قال لـه أَخْبِرنى عن سَيْفَيْنِ وجَدتَهُمـا فى عسكرِ عبدِ الله بن علِيٍّ فقال ابو مسلمٍ هذا أَحَدُهُمَا

وكان فى يَدِه سَيْفٌ فاخَذَهُ المَنْصُورُ ووضعَهُ تحت مُصَلَّاهُ ثم شرعَ
فى تَوْبِيخِه وتقرِيعِــه على ذَنْبٍ ذَنْبٍ وابو مُسلم يَعتذِرُ عن كل
واحِدٍ بعُذْرٍ فعدَّدَ عليه عِدَّةَ ذُنُوبٍ فقال ابو مُسلم يا امير المومنين
مثلِى لا يقــال لــه هذا ولا تُعدَّدُ عليه مثل هذه الذُنُوبِ بعد ما
فَعَلتُ فاغتاظَ المنصورُ وقال يا ابنَ الخنآء انتَ فَعَلْتَ والله لو كانَتْ
مَكانَكَ اَمَــةٌ سودآءُ لفَعَلَتْ ما فَعَلْتَ وهل نِلْتَ ما نِلْتَ الّا بنا
وبدولتِنا فقال ابو مسلم دَع هذا فقَدْ اَصْبَحْتُ لا اَخْشَى غَيْرَ اللهِ
فضَرَبَ المنصورُ بيَـده على الأُخْــرَى فخــرج اوليكَ النَـفَرُ وخَطَبُوه
بالسيوف فصاحَ استَبْقِنى يا اميرَ المومنين لعَدُوِّك فقال المنصورُ واَىُّ
عَدُوٍّ لى اَعْدَى مِنْكَ ثم اَمَرَ به فكُفَّ فى بِسَاطٍ ودَخَلَ عيسَى بنُ
موسَى فقال اين ابو مُسْلم يا اميرَ المومنين فقال المنصور هو ذاك
فى البِساط فقال قَتَلْتَهُ قال نَعَمْ قال انّا لله وانا اليه راجِعُونَ بعد
بلايــهِ وفِعْلِه وامانــهِ وكان المنصور قد آمَنَهُ وكَفلَ عيسَى بن
مُوسَى على ذلك فقال له المنصور خَلَعَ اللهُ قلبَكَ والله ليس لك على
وَجْهِ الارض عَدُوٌّ أَعْدَى منه وهــل كان لكم مُلْكٌ فى حَياتِهِ
ثم اَمَرَ المنصورُ بمالٍ لجُنْدِه فتفرّقوا وتصرَّفَ المنصورُ فى خراسانَ وذلك
فى سنة سَبْعٍ وثلاثين ومِيَةٍ وفى عَقِيبِ قَتْــلِ ابى مُسْلِمٍ خرَجَ رَجُلٌ
اسْمُهُ سُنْبادُ بخراسانَ يَطْلُبُ بثارِ ابى مسلمٍ الخراسانىِّ

شرح كيفية الحالِ فى ذلك على سبيل الاختصار، كانَ هذا سُنباذ رَجُلاً مَجُوسِيًّا من بعض قُرَى نيسَابُورَ وكان من أَصْحابِ ابى مسلم وصَنايعِهِ فظهر غَضبًا لقتلِ ابى مُسلمٍ وكثرَ أَشياعُهُ وأَطاعَهُ اكثرُ اهلِ الجبالِ وغَلَبَ على كثيرٍ من بلادِ خراسانَ فلما بلَغَ المنصورَ خَبَرُه ارسَلَ اليه عشرة الف فارسٍ فالتَقَوا بين همذانَ والرَيّ وكان هذا سُنْبَاذ قد أَفْسَدَ فى البلاد الّتى غَلَبَ عليها فسَادًا كثيرًا وسَبَى الذرارىَ واظهرَ انه يُرِيدُ أَن يَمْضِى الى الحجازِ ويَهْدِمَ الكَعْبَةَ فلما التَقَى هو وعسكرُ المنصورِ كان سنباذ قد اخذ معه عِدّةً من النساء المُسْلِمات اللواتى قد سَباهُنَّ وهُنَّ على جمالٍ امرَ سنْبَاذ باخراجِ النساء المَسْبِيّاتِ قُدّامَ عسكرِه فخرج النِساءُ حَواسِرَ على الجمالِ وصِحْنَ صَيْحَةً واحِدَةً وَا محمّداهُ فنفَرَتِ الجمالُ وكَرّت راجِعَةً على عَسْكَرِ سُنْبَاذ ففرّقتهم فتبِعَها عسكرُ المنْصُور ودَخَلُوا خَلْفَ الجمال فوضَعُوا فيهم السيوفَ وابادوهم قَتْلاً وكان عدّةُ القَتْلَى نَحْوًا من سِتّين أَلْفًا وقد دَلَّ الاستقراء على انَّ مَنِ اخترعَ دولةً وأَحدَثَها لم يَسْتَمْتِعْ بها فى اَغْلَبِ الاَحْوالِ، قال صلواتُ اللهِ عليه لا تَتَمَنَّوا الدُوَلَ فتحرِموها وكانَ المُخْتَرِعُ للدولةِ يكونُ عنده من الدالّة والتَبَسُّطِ ما تَأْنَفُ من احتمالهِ نفوسُ الملوك فكلما زادَ تبسُّطُهُ زادت الأَنَفَةُ عندهم حتى يُوقِعُوا بهِ، والمنصور خَلَعَ ابنَ اخيهِ عِيسَى بنَ مُوسَى

مِن ولايَةِ العَهْدِ وجَعَلَها فى ابنهِ محمدٍ المهديّ"

شرح كيفية الحال فى ذلك هو عيسَى بنُ مُوسَى بن محمد بن علىّ ابن عبد الله بن العباسِ اميرُ الكوفةِ هو ابنُ اَخِى المَنْصُورِ كان عيسَى بنُ مُوسَى قد جَعَلَهُ ابرهيمُ الامامُ ولىَّ عَهْدٍ بَعْدَ المَنْصُورِ واخَذَ لــه البَيْعَـةَ على الناسِ وحَلَّفَهم له فلمّا كَبرَ المَهْدِىّ ابنُ المنصور شُغِفَ المنصورُ به شَغَفًا شديدًا فاحَبَّ اَن يُبايعَ له بالخلافة فخَلَعَ عِيسَى بن مُوسَى واشهدَ عليه بالخلع وبـايعَ للمَهْدِىّ وجَعَلَ عيسَى بن مُوسَى بَعْدَه"

شرح كيفية خلع عيسى بن موسى قد اختلفَ اربـابُ السِيَرِ فى كيفية خَلْعِهِ فقيـلَ ان المنصورَ التَمَسَ منه ذلك وكان يُكرِمُــه ويُجلِسُهُ عن يمينهِ ويُجْلِسُ المَهْدِىّ عن يَسارِه فلمّا فاوَضَهُ المنصور فى خَلْعِ نفسِهِ قال يا اميرَ المومنين كيف اصْنَعُ بالايمانِ الّتى فى رَقْبَتى وفى رِقـابِ الناسِ بالعتـاقِ والطلاقِ والحجّ والصَدَقَة ليسَ الى الخَلْعِ سبيلٌ فتغيّرَ المنصورُ عليه وباعَدَهُ بعضَ المُبَاعَدة وصارَ يَاذَنُ للمهدِىّ قَبْلَهُ ويُجْلِسُه دونَ المَهْدِىّ وصار يتقصّدُ اذاهُ فكان يكُونُ عيسَى ابنُ مُوسَى جالِسًا فيُحْفَرُ الحايطُ الذى يَليه ويُنْثَرُ التُرابُ على راسِهِ فيقولُ لبَنيه تَنَحّوا ثم يَقُومُ هو فيُصَلّى والتُرابُ يَنْتَثِرُ عليــه ثم يُوذَنُ لــه فيَدْخُلُ على المنصور والتُرابُ عليه لا يَنْفُضُهُ فيقول لــه

المنصور يا عيسَى ما يَدْخُلُ اَحَدٌ علَىَّ بمِثلِ ما تَدْخُلُ اَنْتَ به من
الغُبارِ والتُراَبِ افكُـلُّ هذا مِن الشارِع فيقول عِيسَى اَحْسِبُ ذلك
يـا اميرَ المومنين ولا يَشْكُو وقيل انه سَقاه بَعْضَ مـا يُتْلِفهُ فمَرِضَ
مدّةً ثم افاق منه فلم يَزِل هذا الأذى يَتَكرَّرُ عليـه حتى خَلَعَ
نفْسَهُ وبايَعَ وقيـل بل وضَعَ المنصور الجُنْدَ فصاروا يَشْتُمونَ عيسَى
ابنَ موسَى اذا راوه وينالُونَ منه فلما شكا ذلك الى المنصور قال له
يا ابنَ اخِى انى واللهِ اَخافُهُم عليك وعلى نَفْسِى فانهم قد اُشْرِبَت
قلوبهم حُبَّ هذا الفتَى يعنى المَهْدِىَّ فلو قَدَّمْتَهُ بين يَدَيْك فخَلَعَ
عيسَى نَفْسَهُ وبايَعَ المهدىَّ ولما رآهُ بعضُ اهل الكوفةِ وقد جَعَلَ
المَهْدِىَّ قُدّامَهُ فى الخِلافَةِ وصارَ هو بَعْدَه قال هذا الذى كان غدًا
فصار بعدَ غدِ وقيل بل اشتَراها المَنْصُورُ منه بمال مَبْلَغُهُ اَحَدَ عشَرَ
اَلْفَ اَلْفِ درْهَمٍ وقيلَ بـل ارْسَلَ اليه خالدَ بنَ برمكٍ فاخَذَ معَـهُ
جماعَةً من اهلِ المَنصُورِ نحْوَ ثلاثِينَ رَجُلاً ومَضَى الى عِيسَى فخاطبَهُ
فى ان يَخْلَعَ نَفْسَهُ فـاَبَى فلما اَبَى قال خالدٌ للجماعةِ نَشْهَدُ عليه
انه قد خَلَعَ نَفْسَهُ ونحقِن بذلك دَمَهُ ونُسَكّنُ هذه الفِتْنَةَ فشَهِدُوا
عليه بذلك فقامت البَيّنَةُ بـه وانكرَ عيسَى فلم يُلْتَفَتْ اليه وتَمَّ
خَلْعُهُ وبُويِعَ للمَهْدِىّ واللهُ اعلَمُ اىُّ ذلك كان والمنصور هو الذى
بَنَى الرُصافَةَ لابنهِ المَهْدِىِّ "

شرح السببِ فى بِنايِها كان الجُنْدُ قد شَغبُوا على المَنْصُورِ فقال المنصورُ لقُثمر بنِ العَبّاسِ بنِ عُبَيْدِ الله بن العباس ما ترى التِياثَ الجُنْدِ واِنّى خايفٌ ان تَجْتَمِعَ كَلِمتُهم فقال لـه يـا اميرَ المومنين الرَأْىُ ان تُعَبِّرَ ابنكَ الى الجانب الشرقىّ وتُعَبِّرَ معه قِطْعَةً من العَسْكَرِ وتَبْنِىَ له مَدينةً فيَصِيرُ هو فى مدينَةٍ وعَسْكَرٍ بالجانب الشرقىّ وانتَ فى مدينـةٍ وعَسْكَرٍ بالغربىّ فـان رَابَكَ حَدَثٌ مِن اَحَدِ الجانبَيْنِ استَعَنْتَ عليه بالجانب الآخَرِ فقَبِلَ قَوْلَهُ وبَنَى الرُصافَة وتَمَّتِ الرُصافَةُ وصارَ الخُلَفاءُ بعدَ ذلك يَدفِنُون موتاهم بها وبَنَوا بها التُرَبَ الجليلةَ وحَمَلُوا اليها مِن الفَرْشِ العَظِيمِ والآلاتِ الجليلة ما يَتَجاوَزُ الحَصْرَ ووَقَفُوا عليها مِنَ النواحى والاَقْرِحَةِ والعقاراتِ جُمْلَةً كثيرةً وكانت فى اَيّامِهم حَرَمًا اذا لَجَأَ اليها الخايفُ اَمِنَ ومات المنصورُ مُحْرِمًا بمكة سَنَةَ ثمانٍ خمسين ومِيَـةٍ فكتمر الربيعُ اَمْرَهُ لاَجْلِ البيعَةِ للمَهْدِىّ فيقال انه اَجْلَسَهُ وسَنَّدَهُ وجَعَلَ على وَجْهِهِ كِلَّةً خَفيفَةً يُرَى وَجْهُهُ منها ولا يُفْهَمُ اَمْرُهُ واَذِنَ لوجوهِ بنى هاشِمر فلمـا دَخَلُوا ووقَفُوا بين يَدَيه وهم يَحْسَبُونَ انه حَىٌّ تَقَدَّمَ الرَبيعُ اليه كاَنَّهُ يُشاوِرُهُ ثُمَّ عاد اِلَيْهِم وقال اميرُ المومنين يـامُرُكم بتجديد البيعـة للمهدى فبايَعَ الناسُ طُرًّا وقيـل انّ المهدىّ لما بلَغَهُ ذلك استخف بالربيع وقال ما مَنَعَتك هَيْبَةُ امير المومنين من هذا الفِعْلِ به

شرح حال الوزارة فى ايامه لم تكن الوزارة فى ايامه طايلةً لاستبداده واستغنايه برايه وكفاءته مع انه كان يُشاوِرُ فى الامور دايماً وانما كانت هَيْبَته تَصْغُرُ لها هَيْبَةُ الوُزَرَاء وكانوا لا يَزَالون على وَجَلٍ منه وخَوْفٍ فلا يظهرُ لهم اُبَّهَةٌ ولا رونَقٌ وِزارة ابى ايوب الموريانى للمنصور مُوريان قَرْيَةٌ من قُرَى الأَهْوازِ كان المنصور قد اشتراهُ صَبِيًّا قبلَ الخِلافة وثَقَّفَهُ فاتّفق انه ارسَلَه مرّةً الى اخيه السفاح وهو خليفةٌ وارسَلَ معه هديّةً فلما رآه السفاحُ اعْجَبَتْه هيبتُه وفصاحتُه وصباحتُه فقال له يا غُلامُ لِمَنْ أَنْتَ قال لاخى اميرِ المومنين قال بل أَنْتَ لى واحتبَسَهُ عنده وكَتَبَ الى المنصور يُعْلِمُه انه قد اخَذَه واعْتَقَهُ واخْتَصَّ بالسفّاح مُدَّةَ خِلافتِه ثم نَمَتْ حالُهُ وتَزَايَدَت نِعَمُ اللهِ عِنْدَهُ حتى قَلَّدَه المنصور وِزارَتَهُ وكان لبيبًا بصيرًا بالامور عاقلا فطنًا ذكيًّا فاضلا كريمًا غزيرَ المُروّةِ مكرمة حَدَّثَ ابنُ شُبْرُمَةَ قال زَوَّجْتُ ابنى على صَداقٍ مَبْلَغُهُ اَلْفَا دِرْهَمٍ فجعَلْتُ افكِّرُ فيمَنْ استَعِينُ بِه على ذلك فَاَتَيْتُ ابا اَيُّوبَ الموريانىّ وزيرَ المنصورِ فذكرتُ له ذلك فقالَ قد اَمَرْنا لك بهذا القَدْر فَجَزَيْتُه خيرًا وقمتُ لاَخْرُجَ فقال لا تَعْجَلَنَّ اجلِسْ ثم قال اذا دَفَعْتُ المَهْرَ فما يحتاجُ ابنُك الى نَفَقَةٍ ثم قال اَعْطُوه اَلْفَىْ دِرْهَمٍ للنَفَقَةِ وذَهَبْتُ لاَقُومَ فقال لا تَعْجَلْ افلا يحتاجُ الى خادمٍ اَعْطُوهُ اَلْفَى دِرْهَمٍ لخادمٍ فما زالَ يامُرُ

لى فى كل مرّة بألفين ألفين حتى تكمّل ما امرَ لى به خمسين ألف درهم ذكر القبض على ابى ايوب سليمنَ الموريانىّ وزير المنصورِ كان ابو ايوبَ يحبُّ جمْعَ المالِ ليتقرّبَ به الى المنصور اذا خافهُ فقال له المنصورُ يومًا ما ترى حالَ صالحٍ ابنى ليس لـه ضَيْعَةٌ فقال ابو ايوبَ يـا امير المومنين بالاهوازِ مَزارِعُ عاطِلةٌ تحتاجُ الى ثلثميّةِ ألْفِ درهمٍ تُعْمَرُ بها ويَقُومُ منها حاصِـلٌ جَيّدٌ فاطلَقَ له ثلثميةَ الفِ درهمٍ وامرهُ بعمارتِها لابنهِ صالحٍ فاخذَ ابو ايوبَ المالَ ولم يَعْمَلْ فى الضّيْعَةِ شيًا وصار فى راسِ كل سنـةٍ يحْمِلُ عِشْرِينَ الفَ درهمٍ ويقول هذه حاصِـلُ الضيعةِ المستجَدّةِ فانكتمَ الحالُ عن المنصورِ مُدّةً ثم انّ اعداء ابى ايوبَ وجَدُوا هذا طريقـا الى السعايَةِ به فاعلموا المنصورَ الحالَ فانحدرَ بنفسه الى هُناك فـامرَ ابو ايوبَ ان تُبْنَى بيوتٌ على جانبِ الشَطِّ ويُغْرَسَ فيها كَرْمٌ ويُخَضَّرَ حَواليها فلما فعَـلَ ذلك اجتازَ المنصورُ بها فقال له ابو أيُّوبَ هذه هى الضَيعَةُ فراى المنصورُ العِمارَةَ والخُضْرَةَ فكادَ الأمْرُ يَشْتَبِهُ عليه فاعْلَمَهُ أعْداء ابى ايّوبَ صورةَ الحالِ فركبَ بنفسهِ واخذَ الادلّاء معه وطاف الضَيعَةَ فوجَدَها عاطِلَةً لا عمارَة فيها فعَرَفَ القِصّةَ وتنبّهَ على خيانـةِ ابى أيُّوبَ فنكَبَهُ وقتَلَهُ وقتَلَ اقارِبَـهُ واستَصْفَى اموالَهُم وقال ابن حُبَيْبَاتٍ الشاعِرِ الكوفى فى ذلك

الخفيف

قد وجدنا الملوكَ تَحْسُدُ مَنْ أَعْطَتْه طَوْعًا أَزِمَّةَ التدبيرِ
فاذا ما راوا لَهُ النَّهْيَ والأَمْرَ أَتَوْهُ مِن بَاسِهِمْ بنكيرِ
شَرِبَ الكاسَ بَعْدَ حفصٍ سلَيْمَنُ ودارت عليه كَفُّ المُدِيرِ
ونجا خالِدُ بنُ بَرْمَكَ منها اِذ دَعَوْهُ مِن بَعْدِها بالاميرِ
أَسْوَأُ العالَمِينَ حالاً لَدَيْهِم مَن تَسَمَّى بِكَاتِبٍ او وَزِيرِ

وزارة الربيع بن يوسف للمنصور هو ابو الفَضْلِ الربيعُ بنُ يُونُسَ بنِ مُحمّد بنِ كَيْسان هو ابو فَرْوَة مَوْلَى عثمان بن عَفّانَ كان يقالُ انَّ الربيعَ لَقِيطٌ ولذلك قال يومًا لرَجُلٍ كَرَّرَ التَرَحُّمَ على اَبِيه فى حَضْرةِ المنصورِ كَمْ تُكَرِّرُ ذكرَ ابيك وتَتَرَحَّمُ عليه فقال له الرجلُ انك معذورٌ فى ذلك لانك لم تَذُقْ حَلاوَةَ الاباءِ قالوا والصحيحُ انه ابنُ يُونُسَ بن محمد بن ابى فَرْوَةَ ولكنه لغَيْرِ رُشْدَةٍ قالُوا وَقَعَ يُونُسُ بن محمد على جاريةٍ لهم فولدت له الربيعَ فانكَرَهُ يونسُ فبِيعَ وتَنَقَّلَ فى الرِقِّ حتى وَصَلَ الى بنى العَبّاسِ وبلغنى ان علاءَ الدين عَطا مَلك بن الجُوَيْنيّ صاحبَ الديوانِ كان يَنْتَسِبُ الى الفضل بن الربيع ولقد تَجِبْتُ من الصاحبِ عَلاءِ الدين مَعَ نُبْلِه وفَضْلِه واطّلاعِه على السِيَرِ والتواريخِ كيف رَضِىَ أن يَنْتَسِبَ الى الفَضْلِ ابن الربيع فان كان قد انتَحَلَ هذا النَسَبَ ففَضِيحَةٌ ظاهِرَةٌ وان كان حَقًّا فلقد كان العَقْلُ الصَحِيحُ يَقْتَضِى سَتْرَهُ فانّهُ نَسَبٌ لا

يُوجَدُ أَرْذَلُ منه ولا أَفْضَحُ ولا أَسْقَطُ أَمَّا أَوَّلاً فلأَنَّ الفَضْلَ بنَ الربيع لم يَكُنْ حُرًّا فى نَفْسه وكان مَرْمِيًّا بالفاحشَة قالُوا كان له صَبِىٌّ ياتيه وكان يقالُ له فَحْلُ الفَضْلِ وعَمِلَ الشُعَرَاء فيه أَشْعارا فمنها المتقارب

لَواطُ الخليفة أُعْجوبَــةٌ وأَعْجَبُ منه بُغاء الوزيرِ
فلو يَسْتَعِقّانِ هذا بذا لكانا بعُرْضَـة أَمْرٍ سَتيرِ

وأَمَّا ثـانيًا فلانّ الربيع وان كان جليلا كافيًا الا انـه كان مدخولَ النَسَبِ فكان يُقَالُ انّهُ لَقيطٌ وتارَةً يقـالُ انـه وَلَدُ زِنًا واحسَنُ أَحْوالهِ أن يكونَ صحيحَ الاتّصـالِ الى ابى فَرْوَةَ مَوْلَى عثمانَ ابنِ عَفّـانَ وفى ذلك أَتَمُّ العَارِ فان ابا فَرْوَةَ كان ساقطًا وكان عَبْدًا للحَرِثِ حَفّـارِ القُبورِ بمكة والحَرِثُ مولَى عثمانَ بنِ عفّانَ فأَبُو فَرْوَةَ عبْدُ عبْدِ عُثْمانَ وفى ذلك يقول الشاعر الطويل

وانَّ ولا كيسانَ للحرِثِ الذى وَلِى زمَنًـا حَفْرَ القُبـورِ بيَثْرِب

وابو فَرْوَةَ خرَجَ على عثمانَ يومَ الدار وكفاه بذلك عارًا فانظُرْ هل تَرَى نَسَبًا أَسْقَطَ او أَرْذَلَ من هذا وأَعْجَبُ من راىِ الصاحبِ علاء الدين فى هذا خُلُوُّ حَضْرَتهِ ممّن يَعْرِفُ هذا القَدْرَ فَيُنَبِّهَهُ عليـه،

كانَ الربيعُ جليلاً نبيلا مُنفّذا للامور مَهيبًا فصيحا كافيًا حازمًا عاقلاً فطنًا خبيرًا بالحسابِ والاعمالِ حاذقًا بامور المُلْك بصيرًا بمـا ياتى ويَذَرُ مُحبًّا لفعلِ الخَيْرِ، رُوِىَ أَنَّ المنصورَ احْضَرَ يومًا انسانًا ذُكِرَ

له انه وثَبَ على عامله ببعض النواحى فقال له المنصورُ وَيْحَكَ انتَ المتوثِّبُ على فلانٍ العاملِ واللهِ لَأَنْثُرَنَّ من لَحْمِكَ اكثرَ ممّا يَبْقى منه على عَظْمِكَ وكان شيخًا كبيرًا فانْشَدَ بصوتٍ ضعيفٍ الكامل

أَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ ومِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

فقالَ المنصورُ يا ربيعُ ما يقولُ فقال يقول البسيط

العَبْدُ عَبْدُكُمُ والأَمْرُ أَمْرُكُمُ
فَهَلْ عَذابُكَ عَنّى اليومَ مَصْرُوفُ

فقال قد عَفونا عنه فلْيَنْصَرِفْ، ورأى المنصور يومًا فى بُسْتانه شُجَيْرَةً مِن شَجَرِ الخِلافِ فلم يَدْرِ ما هِىَ فقالَ يا ربيعُ ما هذه الشجرةُ فقال الرَبيعُ اِجْماعٌ ووِفاقٌ وكَرِهَ أن يُقالَ خِلافٌ فاستَعْقَلَهُ المنصورُ واستحْسَنَ قَوْلَهُ ولم يَزَلِ الرَبيعُ وزيرًا للمنصور الى ان مات المَنْصُورُ وقام الربيعُ بأَخْذِ البيعة للمهدىِ على ما تقدم وَصْفُه وهو آخِرُ وزراء المنصورِ وقَتَلَهُ الهادى وكان سَبَبُ قَتْلِه انه اَهْدَى جاريةً حسناء الى المهدىِ بن المنصورِ فوهَبَها المهدىُ لابنه موسَى الهادى فغَلَبَ حُبُّها عليه وأَوْلَدَها اولادَهُ فلما صار الهادى خليفةً سَعَى اليه اعداء الربيع وقالوا له انه اذا راى بَنِيكَ قال واللهِ ما وَضَعْتُ بينى وبين الارض اطيبَ مِن أُمّ هاولاء فعَظُمَ ذلك على الهادى وعلى بَنِيهِ وعلى الجارية ايضا فناوَلَهُ الهادى قَدَحًا فيه عَسَلٌ مَسْمُومٌ

فشرِبَهُ فمات ليومه وذلك فى سَنَةِ سبعين ومية انقضت ايامُ المنصور ووزرايه

ثمّ ملك بعده ابنه محمد المهدى هو ابو عبد الله محمد المهدىّ ابنُ ابى جعفرٍ المنصور وقد مرّ نَسَبُهُ بُويعَ لـه بالخِلافة بمكة فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وميّة كان المهدىُ شَهْمًا فَطِنًا كريما شديدا على اهلِ الأَلحادِ والزندقةِ لا تاخُذُهُ فى اهلاكهم لَوْمَةُ لايمٍ وكانت ايامُهُ شبيهةً بايام ابيه فى الفُتُوقِ والحَوادثِ والخوارج وكان يَجلسُ فى كل وَقْتٍ لِرَدِّ المظالمِ رُوِىَ عنه انه كان اذا جلَسَ للمظالم قال اَدْخِلُوا علىَّ القُضاةَ فلو لم يكُنْ رَدّى للمظالمِ الّا للحياءِ منهم لَكَفى وحدث عنه انــه خرجَ متنزِّهًا ومعه رجُلٌ من خَواصّهِ اسمُهُ عَمْرو فـانقطعَا فى الصَيْدِ عن العَسْكرِ فجاع المهدىُ فقال هل من شىءٍ يوكَلُ فقال لــه عَمْرو أَرَى كُوخًا فقصَدُوهُ فـاذا فيه نَبَطِىٌّ وعنده مَبْقَلَةٌ فسَلَّموا عليه فردَّ السلام فقالوا هَلْ من طَعامٍ فقال عندى رُبَيْثَاءُ وهو نَوْعٌ من الصَحْنـاة وعندى خُبْزُ شَعيرٍ فقـال المهدىُّ اِن كان عندك زَيْتٌ فقد اَكْمَلْتَ الضيافةَ قـال نَعَمْ وكُرّاثٌ فاتاهما بذلك فاَكَلا حتى شَبِعا فقال المهدىُ لعمرو قـل فى هذا شعرًا فقال الخفيف

اِنَّ مَن يُطْعِمُ الرُبَيْثاءَ بالزَيْـتِ وخُبْزَ الشَعيرِ بـالكُرّاثِ

لَجَدِيـرٌ بِصَفْعَةٍ او بِثِـنْـتَيْـــنِ لِسُوءِ الصَّنِيعِ او بِثلاثٍ
فقالَ المهدىُ بِئْسَما قُلْتَ انما كان ينبغى ان تقولَ
لَجديـرٌ بِبَدْرَةٍ او بِثِـنْـتَيْـــنِ لِحُسْنِ الصَّنِيعِ او بِثـلاثِ
قَـــالَ وَوَافَـاهُمُ العَسْكَرُ والخَزاينُ والخَدَمُ فـامَرَ للنَّبَطِىِّ بثلاث بِدَرٍ
وانصَرَفَ " وفى ايامه ظهر المُقَنَّعُ بخُراسانَ "

شرح كيفيــة الحال فى ذلك ' كان هذا المُقَنَّع رجلا اعْوَرَ قصيرًا
من اهلِ مَرْوَ وكان قد عَمِلَ وَجْهًا من ذَهَبٍ وركَّبَهُ على وَجْهِهِ
لِئلَّا يُرى وجْهُهُ وادَّعَى الالهيَّـةَ وكانَ يقول اِنّ اللـهَ خَلَقَ آدمَ
فتحَــوَّلَ فى صُورتــهِ ثم فى صورةِ نُوحٍ وهكذا هَلُمَّ جَرًّا الى ابى
مُسلمٍ الخراسانِىّ وسَمَّى نَفْسَه هاشِمًا وكان يقول بالتَّناسُخِ وبايَعَهُ
خَلْقٌ من ضَلَّالِ النـاسِ وكانوا يَسْجُدُونَ الى ناحِيَتِهِ اَيْنَ كانوا
من البِلادِ وكانوا يَقُولون فى الحَرْبِ يا هـاشِمُ اَعِنَّا واجتَمَعَ اليه
خَلْقٌ كَثيرٌ ' فَارْسَلَ المهدىُّ اليه جَيْشًا فاعْتَصَمَ منهم بقَلْعَةٍ هُناكَ
وطاوَلُوهُ فضَجِرَ وضَجِرَ اصحابهُ فطَلَبَ اَكْثَرُهم الامانَ وبقِى مَعَــهُ نَفَرٌ
يَسيرٌ وهو فى القَلْعَةِ مُحاصَرٌ فاَضْرَمَ نـارًا عَظِيمَةً واَحْرَقَ جميعَ مـا
بالقَلْعَةِ من دابَّةٍ وثوْبٍ ومَتاعٍ ثم جَمَعَ نِساءهُ واولاده وقال لاصحابه
مَنْ اَحَبَّ منكم الارتفاعَ مَعِى الى السَّماء فَلْيُلْقِ نَفْسَهُ فى هذه النارِ
ثم اَلْقَى فيها نَفْسَهُ واولادَهُ ونساءهُ خَوْفًا ان يُظْفَرَ بجُثَّتِهِ او بحُرَمِهِ

فلما احْتَرَقوا فُتِحَتْ ابوابُ القَلْعَةِ فدَخَلَها عسكرُ المَهْدِيّ فوَجَدوها خالِيَةً خاوِيَةً ولمّا وَلِيَ المهدىُّ الخِلافَةَ جَدَّدَ الكلامَ فى خَلْعِ عيسَى ابنِ مُوسَى والبيعَةَ لِوَلَدَيْهِ موسَى الهادى وهرونَ الرشيد وقد تقدَّمَ شرحُ كَيْفِيَّةِ خَلْعِهِ فى ايام المنصورِ وانه قَدَّمَ المهدىَّ عليه فلما ولى المهدىُ ارادَ لِبَنِيه ما اراد المنصور له فطَلَبَ مِن عِيسَى ابن مُوسَى أن يَخْلَعَ نَفْسَهُ فابَى فارْهَبَهُ وارْغَبَهُ حتى اجابَ واشهدَ عليه بالخَلْع وبايَعَ لولَدَيْهِ الهادِى والرشيدِ وكان المَهْدِىُّ يَنْظُرُ فى الدقايقِ من الامور وكذلك كان ابوه فتقدَّمَ المهدىُ حينَ وَلِيَ بردّ نَسَبِ آلِ زيادِ بن ابيه الى عُبَيْدِ الثَقَفِيّ وأَسْقاطهم من ديوان قُرَيْش وبردِّ نَسَبِ آلِ ابى بَكْرة الى وَلاء رسولِ اللهِ صلوات الله عليه وسلامهُ وكتَبَ الكُتُبَ بذلك فاعتمِدَ ما رَسَمَ به ثم بعد ذلك ارْتَشَى العُمّالُ من بَنِى زِيادٍ واعادوهم الى ديوانِ قريشٍ وغزا المهدىُ الرومَ عِدَّةَ دَفَعَاتٍ وكانت له الغَلَبَةُ ومات المَهْدِىُّ بماسَبَذان واخْتُلِفَ فى سَبَبِ مَوْتِه فقيل انه طرَدَ ظَبْيًا فى بعض متصَيّداته فدخَلَ الظَبْىُ الى باب خَرِبَةٍ فدخَلَ فرَسُ المهدىّ خَلْفَهُ فدَقَّهُ بابُ الخَرِبَةِ فقطَعَ ظَهْرَهُ فمات من ساعَتِهِ وقيل انّ بَعْضَ جَوارِيه جَعَلَتْ سمًّا فى بَعْضِ المآكِلِ لجاريةٍ أُخْرَى فاكَلَ المهدىُّ منه وهو لا يَعْلَمُ فمات وذلك فى سنةِ تِسْعٍ وستّين ومِئةٍ وقال ابو العَتاهِيَة

يَصِف جَوارِيَه وقد بَرَزْنَ بعد موتهِ وعليهنّ المُسُوحُ — الرمل

رُحْنَ فى الوَشْيِ وأَقْبَلْـــنَ عليهنّ المُسُوحُ
كل نَطّاحٍ من الدهـــرِ لــه يَوْمٌ نَطُوحُ
لَسْتَ بالباقى ولو عُمِّـــرْتَ مـــا عُمِّرَ نُـوحُ
فعلى نَفْسِكَ نُحْ إنْ كُنْتَ لا بُدَّ تَنُوحُ

شرح حـــال الوزارة فى ايامه، فى ايامــهِ ظَهَرَتْ أُبَّهَةُ الوزارة بسَبَبِ كفاءةِ وَزِيرِه ابى عُبَيْدِ اللهِ معوية بن يَسَارٍ فانه جَمَعَ له حاصِلَ المملكة ورَتَّبَ الديوانَ وقَرَّر القواعِدَ وكانَ كاتِبَ الدنيا وأَوْحَدَ الناسِ حِذْقًــا وعِلْمًا وخِبْرَةً وهذا شَرْحُ طَرَفٍ من حالهِ، وزارة ابى عبيد الله معوية بن يسارٍ للمهدى هو من مَوالى الأَشْعَرِيِّين كانَ كاتبَ المهدىّ ونايبَه قبل الخِلافة ضَمَّهُ المنصورُ اليه وكان قد عَزَمَ على أَنْ يَسْتَوْزِرَه لَكِنَّهُ آثَرَ بــه ابْنَهُ المهدىَّ فكان غالبًا على امورِ المهدىِّ لا يَعْصِى لــه قولًا وكان المنصورُ لا يَزَالُ يُوصِيهِ فيه ويامُرُهُ بامتثالِ ما يُشِيرُ به فلما مات المنصورُ وجلَسَ المهدىُّ على سريرِ الخلافةِ فوَّضَ اليه تدبيرَ المملكة وسلَّمَ اليه الدواوينَ وكانَ مقدَّمًـــا فى صِناعته فاخترَعَ امورًا، منها انه نَقَلَ الخَرَاجَ الى المُقاسَمَةِ وكان السُلْطان ياخُذُ عن الغَلّاتِ خَراجًا مقرَّرًا ولا يُقاسِمُ فلما وَلِىَ ابو عُبَيْدِ اللــهِ الوِزارةَ قرَّرَ أَمْرَ المُقاسَمَةِ وجَعَـــلَ الخَرَاجَ على النَّخْلِ

والشَّجَرِ واستَمَرَّ الحالُ فى ذلك الى يَوْمِنـا وصَنَّفَ كتابًا فى الخَراج ذكَرَ فيـه أَحْكامَه الشَرْعِيَّةَ ودَقايِقَهُ وقواعِدَه وهو أوَّلُ مَنْ صنَّفَ كتابًا فى الخَراجِ وتَبِعَهُ الناسُ بعدَ ذلك فصنَّفُوا كُتُبَ الخَراجِ وكانَ شديدَ التكَبُّرِ والتجَبُّرِ رُوِىَ ان الربيعَ لما قَدِمَ من مكةَ بعد موتِ المنصور وأَخْذِ البَيْعَةِ للمهدىِ حَضَرَ مِن ساعـتِهِ وصولِهِ الى باب ابى عُبَيْدِ اللهِ فقَالَ لـه ابنُه الفَضْلُ يـا ابِى نَبْدَأُ به قَبْلَ اميرِ المومنين وقَبْلَ منزِلِنا قال نَعَمْ يا بُنَىَّ هو صاحبُ الرجلِ والغالبُ على أَمْرِهِ قال فوصَلَ الربيعُ الى بابِ أَبِى عُبَيْدِ اللهِ الوزيرِ فوقف ساعـةً حتى خرج الحاجِبُ ثم دَخَلَ فاستاذَنَ له فأَذِنَ له فلما دخل عليه لم يَقُمْ له ثم سالَهُ عن مَسِيرِه وحالِهِ فاخبَرَهُ وشَرَعَ الربيعُ يُحَدِّثُـهُ بما جَرَى فى مكةَ مِن موتِ المنصورِ واجتهادِهِ فى أَخْذِ البَيْعَةِ للمهدى فسكَّتَهُ وقـال قد بلَغَنى الخبَرُ فلا حاجةَ الى اعادتِهِ فاغتاظ الربيعُ ثم قام فخَرَجَ وقال لابنِهِ الفَضْلِ علىَّ كذا وكذا اِن لم اَبْذُلْ مـالِى وجاهِى فى مكروهِـهِ وازالـةِ نِعْمَتِهِ ومَضَى الربيعُ الى المهـدى فاسْتَحْجَبَهُ واخْتَصَّ به كما كان مع أَبِيهِ فشرَعَ فى اِفْسادِ حالِ ابى عبيدِ اللهِ الوزيرِ بكلِ وجهٍ فلم يَتَّفِقْ له ذلك فخَلَا ببَعْضِ أَعْدايِهِ وقال له قد تَرَى ما فعَلَ مَعَكَ ابو عُبَيْدِ اللهِ وكان قد اساءَ اليه وما فَعلَ مَعِى ايضا فهَلْ عندك تدبيرٌ فى أَمْرِهِ قال الرجُلُ لا واللهِ مـا

عندى حِيلةٌ تنفذ عليه فانه أَعَفُّ الناسِ فَرجًا ويَدًا ولِسانًا ومَذْهَبُهُ مَذْهَبٌ مستقيمٌ وحِذْقُهُ فى صناعته ما عليه مَزيدٌ وعَقْلُهُ وكفاءته كما علمْتَ ولكنّ ابنَهُ رَدِئُ الطريقةِ مذمومُ السيرةِ والقولُ يُسْرِعُ اليه فانْ تَهَيَّأَ حِيلةٌ من جِهَةِ ابنه فعسَى ذلك فَقَبَّلَ الربيعُ بين عينَيْهِ ولاحَ له وَجْهُ الحيلةِ عليه فسَعَى بابنه الى المهدىّ انواعًا من السعاياتِ فتارةً يَرْميهِ ببَعْضِ حُرَمِ المهدىّ وتارةً يَرْميهِ بالزَنْدَقَةِ وكان المهدىُّ شديدًا على اهل الالحادِ والزَنْدَقَةِ لا يَزالُ يَتَطَلَّعُ عليهم ويَفْتك بِهِم فلَمَّا رَسَخَ فى ذِهْنِ المهدىّ زَنْدَقَةُ ابْنِ الوزيرِ استَدْعَى به فسَأَلَهُ عن شىْءٍ من القُرْآنِ العزيز فلم يَعْرِفْ فقال لابيه وكانَ حاضِرًا أَلَمْ تُخْبِرْنى أَنَّ ابنَكَ يَحْفَظُ القرانَ قال بَلَى يا اميرَ المومنين ولكنْ فارَقَنِى مُذْ مُدَّةٍ فَنَسِيَهُ فقال له قُمْ فتَقَرَّبْ الى اللهِ بدَمِهِ فقام ابو عبيد اللهِ فعَثَرَ ووقَعَ وارْتَعَدَ فقال العَبَّاسُ بنُ محمدٍ عمُّ المهدىِ يا اميرَ المومنين اِن رايتَ أَنْ تُعْفِىَ الشيخَ مِن قَتْلِ وَلَدِهِ ويَتَولَّى ذلك غيرُهُ فامَرَ المهدىُّ بَعْضَ مَن كان حاضِرًا بقَتْلِهِ فضُرِبت عُنُقُهُ واستَمَرَّ ابوه على حالهِ مِن الخِدْمَةِ الا انه ظَهَرَ عليه الانكسارُ وتَنَمَّرَ قلبُهُ وتَنَمَّرَ ايضا قلبُ المهدىِ منه فدخَلَ بعضَ الايامِ على المهدىّ ليعرِضَ عليه كُتُبًا قد وَرَدَتْ مِن بَعْضِ الاطرافِ فتقدَّمَ المهدىّ باخلاء المجلسِ فخَرَجَ كل مَن به الا الربيعَ فلم يَعْرِضْ

ابو عُبَيد الله شيًا مِن تلك الكتبِ وطَلَبَ ان يَخْرُجَ الرَّبيعُ فقال لـه المهدىُّ يا رَبيعُ أُخْرُجْ فتَنَحَّى الربيعُ قَليلاً فقال لـه المهدىُّ الم آمُرْكَ بالخُرُوجِ قال يا اميرَ المومنين كيف أَخْرُجُ وأَنْتَ وَحْدَكَ ولَيْسَ مَعَكَ سِلاحٌ وعِنْدَكَ رجلٌ من اهلِ الشامِ اسمُه مُعَوِيَةُ وقد قَتَلْتَ بالأَمْسِ ولَدَهُ وأَوْغَرْتَ صدْرَهُ فكيف أَدَعُكَ معه على هذه الحالِ وأَخْرُجُ فثَبَتَ هذا المَعْنَى فى نَفْسِ المَهْدِىِّ الّا انه قالَ يا ربيعُ انّى اَثِقُ بابى عُبَيْدِ اللهِ فى كل حال وقال لابى عُبَيْدِ اللهِ الوزيرِ أَعْرِضْ ما تُرِيدُ فلَيْسَ دونَ الربيعِ سِرٌّ ثم قالَ بعْدَ ذلك المهدىُّ للربيعِ انّى اَسْتَحْيِى مِن ابى عبيدِ اللهِ بسَبَبِ قتْلِ وَلَدِهِ فاَحْجُبْهُ عنّى فحُجِبَ عنه وانْقَطَعَ بدارِه واضْمَحَلَّ امْرُهُ وتَهَيَّأَ للربيعِ ما ارادَهُ من ازالةِ نِعْمتهِ ومات عُبَيْدُ الله مُعَوِيَةُ بنُ يسارٍ فى سنةِ سبعين ومِئةٍ

وزارة ابى عبدِ اللهِ يعقوب بن داود للمهدِىِ هو مِن المَوَالِى قال الصُولىُّ كان داوُدُ ابُوه واِخْوَتُهُ كتّابًا لنَصْرِ بنِ سَيّارٍ اميرِ خراسانَ كان يَعْقُوبُ بنُ داوُدَ يَتَشَيَّعُ وكان فى ابتداء أَمْرِه مايلاً الى بنى عَبْدِ اللهِ بن الحَسَنِ بن الحَسَنِ وجَرَت لـه خُطوبٌ فى ذلك ثم انَّ المهدىَّ خاف مِن بنى الحَسَنِ ان يُحْدِثوا أَمْرًا لا يُتَدارَكُ فطلَبَ رجُلاً مِمَّنْ لـه أُنْسٌ ببَنِى الحَسَنِ يَسْتَعِينُ به على اَمْرِهم فدَلَّهُ الربيعُ على يعقوبَ بنِ داوُدَ لِصَداقةٍ كانت بين الرَّبيعِ وبينه وليتَّفقا على

ازالة دولة ابى عبيد الله معوية الوزير فاستحضره المهدى وخاطبه فرأى اكمل الناس عقلا وافضلهم سيرة فشغف به واستخلصه لنفسه ثم استوزره وفوض الامور اليه وقيل ان السبب فى وزارته غير هذا وهو ان يعقوب بن داود قرر للربيع مية الف دينار ان حصلت له الوزارة فجعل الربيع يثنى عليه فى الخلوات عند المهدى فطلب المهدى ان يراه فلما حضر بين يديه رأى اكمل الناس خلقا وفضلا ثم قال له يا امير المومنين هاهنا امور لا تنتهى الى علمك فان وليتنى عرضها عليك بذلت جهدى فى نصيحتك فقربه وادناه فصار يعرض عليه من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه من قبل فاستخصه وكتب كتابا نابه اخوه فى الله تعالى واستوزره وفوض اليه الامور كلها وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار يهجوه البسيط

بنى امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب ابن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خلافة الله بين الناى والعود

وذلك لان المهدى اشتغل باللهو واللعب وسماع الاغانى وفوض الامور الى يعقوب بن داود وكان اصحاب المهدى يشربون عنده النبيذ وقيل ما كان هو يشرب معهم فنهاه يعقوب بن داود عن ذلك ووعظه وقال ابعد الصلوات فى المسجد تفعل هذا فلم يلتفت اليه

وفى ذلك يقول الشاعرُ للمهدىّ الطويل

فدع عنْكَ يعقوبَ بْنَ داوُدَ جانبًا وأَقْبِلْ على صَهْباء طَيّبَة النَشْرِ

ثمر انَّ السُعاةَ ما زالُوا يَسْعَوْنَ بيَعْقُوبَ بنِ داوُدَ الى المَهْدِىّ حتى نَكَبَهُ وجَعَلَهُ فى المَطْبَق وهو حَبْسُ التجليد فلمر يَزَل على ذلك مُدّةَ ايامِ المهدى ومُدّةَ ايامِ الهادِى حتى اَخْرَجَهُ الرشيدُ شرح السبب فى القبض عليه وكيفيّةِ مــا جَرَى حَــدَّثَ يعقوبُ بنُ داوُدَ قــال استدعانى المهدىُّ يومًا فدَخَلْتُ عليه وهو فى مجلسٍ فى وَسَطِ بُسْتانٍ ورُؤُسُ الشَجَرِ مَعَ أَرْضِ ذلك المجلسِ وقد امْتَلأتْ رُؤُسُ الشَجَرِ مــن الأزْهارِ المُتَنَوِّعةِ وقد فُرِشَ المجلسُ بفُرْشٍ مُوَرَّدَةٍ وبين يديــه جاريــةٌ حسناء لمر أرَ اَحْسَنَ وَجْهــا منها فقال لى يا يعقوبُ كيف تَرَى هذا المجلسَ قلتُ فى غايةِ الحُسْنِ فهَنّأَ اللهُ أميرَ المومنين قال فهو لك وجميعُ مــا فيه ومِيَةُ اَلْفِ دِرْهَمٍ وهذه الجاريــة لِيَتِمَّ سُرُورُكَ فدَعَوتُ لــه قــال ولى اليك حاجَةٌ أُرِيــدُ ان تَضْمَنَ لى قَضاءهــا قلت يــا اميرَ المــومنين انــا عَبْدُكَ الطايــعُ لجميعِ مــا تــامُرُ بــه فــدفَــعَ الىَّ رَجُلاً عَلَوِيًّــا وقــال أُحِبُّ ان تَكْفِيَنى اَمْرَهُ فانّى خايفٌ ان يَخْرُجَ علىَّ قال فقُلْتُ السَمْعُ والطاعَةُ قــال تحْلِفُ لى فحلَفْتُ له بالله اىْ اَفْعَلُ ما تُرِيدُ ثمر نُقِلَ جميعُ ما كانَ فى المَجْلسِ الى مَنْزِلى والجارِيَةُ ايضا فمِنْ شِدَّةِ سُرُورى بالجارِيَةِ جعَلْتُها فى موضعٍ

قريبٍ من مجلسى ليس بينى وبينها سوى سِترٍ رقيق قال وادخلتُ العلوىَّ الىَّ وخاطبتُه فرايتُه أتمَّ الناسِ عقلاً فقال لى يا يعقوبُ تلقى الله بدمى وانا ابنُ علىّ بنِ ابى طالبٍ وابنُ فاطمةَ وليس لى اليك ذنبٌ قال فقلتُ لا والله خُذْ هذا المالَ وانجُ بنفسك قال والجاريةُ تسمعُ كلَّ ذلك فارسلتْ الى المهدىّ دسيسًا أعلمَهُ بالقصّة فارسلَ المهدى وشحنَ الدروبَ بالرجالِ حتى حصّلَ العلوىَّ وجعلَهُ فى بيتٍ قريب من مجلسهِ ثم استدعانى فحضرتُ فقال يا يعقوبُ ما فعلتَ بالعلوىّ قلتُ قد اراحَ اللهُ منهُ اميرَ المومنين قال ماتَ قلتُ نعم قال باللهِ قلتُ اى واللهِ قال فضعْ يدكَ على راسى واحلفْ به قال يعقوبُ فوضعتُ يدى على راسهِ وحلفتُ به فقال لبعضِ الخدمِ أخرِجْ الينا مَنْ فى هذا البيتِ قال فاخرجَ العلوىَّ فلما رايتُهُ امتنعَ الكلامُ علىَّ وتحيّرتُ فى امرى فقال المهدىُّ يا يعقوبُ قد حلَّ لى دمُك احملوهُ الى المطبقِ قال يعقوبُ فدُليتُ بحبلٍ فى بيرٍ مظلمةٍ لا أرى فيها الضوءَ وكان ياتينى فى كل يوم ما أتقوّتُ به فمكثتُ مدّةً لا ادرى كم هى وذهبَ بصرى ففى بعضِ الايامِ دُلّىَ لى حبلٌ وقيل اصعدْ قد جاء الفرجُ فصعدتُ وقد طالَ شعرى واظافيرى فادخلتُ الحمّامَ واصلحوا شانى والبسونى ثيابًا ثم قادونى الى مجلسٍ وقيل لى سلّم على امير المومنين فقلتُ السلامُ عليك يا اميرَ المومنين فقيل

لى على. اىّ أمراء المسلمين سَلَّمْتَ قُلْتُ على اميرِ المومنين المهدى فسمِعْتُ قايلا من صدرِ المجلسِ يقول رحِمَ اللهُ المهدىَّ ثم قيل لى سَلِّمْ على اميرِ المومنين فقلتُ السّلامُ عليك يا اميرَ المومنين فقيل لى على اىِّ أمراء المومنين سَلَّمْتَ فقُلْتُ على اميرِ المومنين الهادِى فسمِعْتُ قايلا يقولُ مِن صدرِ المجلسِ رَحِمَ الله الهادِى ثم قيل لى سَلِّمْ فسَلَّمْتُ فقيل لى على مَنْ سَلَّمْتَ قُلْتُ على اميرِ المومنين هرونَ الرشيدِ فقال وعليك السّلامُ يا يَعْقوبُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه أَعْزِزْ علىَّ بما نَالَكَ فجَعَلْتُ المهدىَّ فى حِلٍّ ودَعَوْتُ للرشيدِ وشَكَرْتُه على خَلاَصِى ثم قال ما تُرِيدُ يا يَعْقوبُ قُلْتُ يا أَمِيرَ المومنين ما بَقِىَ فىَّ مستمتَعٌ ولا بَلاغٌ واريدُ المُجاوَرَةَ بمكةَ فأْمُرْ لى بما يُصْلِحُنِى ثم تَوجَّهَ يَعْقوبُ الى مكةَ وجاوَرَ بها ولم تَطُلْ ايامُه حتى مات هناكَ سنةَ ستٍّ وثمانِينَ ومِيةٍ

وزارة الفيض بنِ ابى صالحٍ للمهدى هو من اهلِ نيسابُورَ وكانوا نَصارَى فانتقلوا الى بنى العباسِ واسْلَمُوا وترَقَّى الفَيْضُ فى الدولةِ العباسيّةِ وتادَّبَ وبَرَعَ وكانَ سَخِيًّا مِفْضالا متخَرِّقًا فى مالِه جَوادًا عزيزَ النَّفْسِ كبيرَ الهِمَّةِ كَثيرَ الكِبْرِ والتيهِ حتى قال فيه بعضُ الشعراء الطويل

ابا جَعْفَرٍ جِيئْنَاكَ نَسْأَلُ نايِلاً ... فأَعْوَزَنا مِن دُونِ نايِلِكَ البِشْرُ
فما بَرَقَتْ بالوَعْدِ مِنكَ غَمَامَةٌ ... يُرَجَّى بها مِن سَيْبِ نايِلِكَ القَطْرُ

فلو كُنْتَ تُعْطِينَا المُنَى وذيادَةً لنَغَّصَها منك التَجَبُّرُ والكِبْرُ

قالوا كان يحيى بنُ خالدِ بنِ بَرْمَكَ اذا استَعْظَمَ أَحَدٌ كَرَمَهُ وجُودَهُ قال لو رايتم الفَيْضَ لصَغُرَ مندكم أَمْرِى وفى الفَيْضِ يقول ابو الأَسْوَدِ الحِمّانيّ الشاعرُ يَمْدَحُهُ الطويل

ولَأئِمَةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ فى النَدَى
فقلتُ لها لَن يَقْدَحَ اللَوْمُ فى البَحْرِ
أَرَادَتْ ليَثْنِى الفَيْضَ عن سَنَنِ النَدَى
ومَن ذا الذى يَثْنِى السَحابَ عن القَطْرِ

مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فى كلِ بَلْدةٍ مَواقِعُ ماء المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ

كَأَنَّ وُفُودَ الفَيْضِ لَمَّا تَحَمَّلُوا الى الفَيْضِ وَافَوا عندَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

قالوا كان الفَيْضُ بن ابى صالح متوجِّهًا فى بعضِ الايامِ الى بعضِ أَغْراضه فصادَفَهُ صديقٌ له فسأَلَهُ الفَيْضُ الى أَيْنَ يَذْهَبُ فقال اِنَّ وَكيلَ السَيِّدَةِ أُمِّ جَعْفَرٍ زُبَيْدَةَ قد حَبَسَ فُلانًا على بقيَّةِ ضمانٍ مَبْلَغُها مِيَةُ الفِ دينارٍ وفلانٌ يَعْنِى المحبوسَ صديقى وصديقُكَ ايضًا وانا متوجِّهٌ الى الوَكيلِ المذكور لَأشْفَعَ فيه فهَلْ لكَ ان تَصِلَ جَناحِى وتُساعِدَنى على هذه المَكْرُمَةِ فقال الفَيْضُ اِىْ والله ثم مَضَى مَعَهُ فحضَرَا عند وكيل أُمِّ جَعْفَرٍ زُبَيْدَةَ وشَفِعَا فى الرَجُلِ المَحْبُوسِ فقال الوَكيلُ الأَمْرُ فى هذا اليها وما استطيعُ أَنْ أُفْرِجَ عنه اِلَّا بقَوْلِها ولَكِنِّى

أُخاطِبُهَا وأُحَسِّنُ لها الافْرَاجَ عنه ثم كتَبَ اليها شَيْئاً فخرجَ الجَوَابُ
انه لا بُدَّ من استيفاء هذا المال مِنْهُ ولا سَبِيلَ الى قَبولِ شَفاعَة فى
هذا البابِ فاعْتَذَرَ الوكيلُ اليهما واراهما الخَطَّ فقالَ الرجُلُ للفَيْضِ
قُمْ حتى نَمْضِىَ فقد فَعَلْنا ما يَجِبُ علينا فقال الفَيْضُ لا واللهِ ما
فَعَلْنا ما يَجِبُ علينا فكانَّنَا ما جِئْنا الى هُنا الا لنُوَكِّدَ حَبْسَ
صاحِبِنا قال الرَجُلُ فما نَصْنَعُ قال الفَيْضُ حيثُ قد تَعَذَّرَ علينا
خَلاصُه مِن هذه الجِهَةِ نُؤَدِّى عنه هذا المالَ مِن خاصِّنا ونُخْرِجُهُ
أَنْتَ نِصْفَهُ وانا نِصْفَهُ فاجابَ الرَجُلُ الى ذلك فقالاَ للوكيلِ كم
لك عليه قال مِيئَةُ أَلْفِ دينارٍ قالاَ هى علينا وهذا خَطُّنَا بها فادْفَعْ
الينا صاحِبَنا قال هذا ايضا لا أَقْدِر ان افعله حتى أُعْلِمها بالحالِ
قالاَ فاَعْلِمْها فكَتَبَ اليها الوكيلُ يخبرُها بما قال الفَيْضُ ويصوِّرُهُ الحالَ
فخرَجَ الخادِمُ وقال لا يكُونُ الفيضُ اكْرَمَ منا قد وَهَبْناه المِيئَةَ الألفِ
فادْفَعْ اليهم صاحِبَهم فخَذَاهُ وخرَجَا وكان الفَيْضُ قد وُصِفَ
للمهدى لمّا عزمَ على يَعْقوبَ بنِ داوُدَ فلما قبَضَ عليه احْضَرَ الفَيْضَ
واستَوْزَرَهُ وفوّضَ الامورَ اليه ومات المهدىُّ وهو وزيرُهُ فلما وَلِىَ الهادِى
لم يَسْتَوْزِرْهُ وبَقِىَ الفَيْضُ الى اوّلِ ايامِ الرشيدِ ثم مات وذلك فى
سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ ومِيئَةٍ انقَضت ايام المهدِى ووُزَرَائِهِ ☆

ثم ملك بعده ابنه موسى الهادى بُويِعَ له بالخلافة فى سنةِ تِسْعٍ

وسِتّين ومِئةٍ كان الهادى مُتيقّظًا غيورًا كريمًا شَهْمًا أيّدًا شديدَ البَطْشِ جَرِىَّ القَلْبِ مُجْتَمِعَ الحِسّ ذا اِقْدامٍ وعَزْمٍ وحَزْمٍ، حدث عَبْدُ اللهِ بنُ مالكٍ وكان يتولّى شُرْطَةَ المَهْدِىّ قال كان المهدىُّ يأمُرُنى بضَرْبِ نُدَماء الهادِى ومُغَنّيه وحَبْسِهم صِيانةً لـه عَنْهم فكُنْتُ أفْعَـلُ مـا يامُرُنى به المهدىُّ وكان الهادِى يُرْسِلُ اِلَىَّ فى التَخْفيفِ عنهم فلا أفْعَـلُ فلما مات المهدىُّ ووَلِىَ الهادِى أيْقَنْتُ بالتَلَفِ فاستحْضَرَنى يَوْمًـا فدَخَلْتُ عليه وهو جالِسٌ على كُرْسِىٍّ والسيفُ والنَطْعُ بين يـديـه فسَلّمْتُ فقـال لا سَلّمَ اللـهُ عليك اتَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتُ اليك فى أمْرِ الحَرّانِىِّ وضَرْبِـه فلم تَقْبَـلْ قولى وكذلك فَعَلْتَ فى فلانٍ وفلانٍ وعَدّدَ نُدمـاءهُ فَلَمْ تَلْتَفِتْ الى قولى قلتُ نَعَمْ أفتأذَنُ فى ذِكْرِ الحُجّة قال نَعَمْ قُلْتُ ناشَدْتُكَ اللهَ لو انك قَلّدتَنِى مـا قَلّدَنى المهدىُّ وامرتَنى بمـا أمَرَ فبَعَثَ الىَّ بعضُ بَنيكَ بما يُخالِفُ أمْرَكَ فاتّبَعْتُ قَوْلَهُ وتَرَكْتُ قولَكَ اكان يَسُرُّكَ ذلك قـال لا قلتُ فكذلـك انـا لَكَ وكذلـك كنتُ لابيكَ فاستَدْناني فقَبّلْتُ يَدَهُ ثُمَّ أمَرَ لى بالخِلَع وقـال وَلّيْتُكَ ما كُنْتَ تَتَوَلّاه فـامْضِ راشِدًا فمضيتُ مُنْكِرًا فى أمْرِى وأمْرِه وقلتُ حَدَثٌ يَشْرَبُ والقَوْمُ الذين عَصَيْتُـهُ فى أمْرِهم هم نُدماءُهُ ووُزراؤه وكُتّابُه وكانّى بهم حينَ يَغْلِبُ الشَرابُ عليه يَغْلِبُون على رايه ويُحَسّنون لـه

هِلاكِى قال فانى لجالسٌ وعندِى بُنَيَّةٌ لى والكانونُ بين يَدَىَّ وقُدّامِى رُقـاقٌ وكامِخٌ وانـا أَشْطُرُه بالكامِخِ وأُسَخِّنُهُ بالنارِ وآكُل وأُطْعِمُ الصَغيرةَ واذا بوَقْعِ حَوافِرِ الخَيْلِ فظَنَنْتُ انَّ الدنيا قد زُلْزِلَتْ فقلْتُ هذا ما كُنْتُ اخافُهُ واذا البابُ قد فُتِحَ واذا الخَدَمُ قد دَخَلُوا والهادى فى وَسَطِهِم على دابّتِهِ فلما رايتُـه وَثَبْتُ فقَبَّلْتُ يَدَهُ ورِجْلَهُ وحافِرَ فَرَسِهِ فقال لى يا عبدَ اللهِ انى فَكَّرْتُ فى أَمْرِك فقُلْتُ رُبَّمَا سَبَقَ الى ذِهْنِـكَ انّى اذا شَرِبْتُ وحَوْلِى اَعْدآؤُك أزالُـوا حُسْنَ رايِى فيك فَيُقْلِقُكَ ذلك فصِرتُ الى منزلِكَ لِأُونِسَك وأُعْلِمَك أَنَّ مـا كانَ عندى من الحِقْدِ عَلَيْكَ قد زال جميعُهُ فهاتِ وأَطْعِمْنِى مما كُنْتَ تَأْكُلُ لِتَعْلَمَ انى قد تَحَرَّمتُ بطَعامِك فيزولُ خَوْفُكَ فـادْنَيْتُ اليـه من ذلك الرُقـاقِ والكامِخ فاكَلَ ثم قال هاتُوا ما صَحِبْناه لِعَبْدِ اللهِ فدَخَـلَ اربعُ مِيـَةِ بَغْلٍ موقَرَةً دراهِمَ وغيرها فقال هذه لك فاستَغْنِ بها على أَمْرِكَ واحْفَظْ هذه البغالَ عندك لَعَلّى احتاجُ اليها لبَعْضِ اسْفارِى ثم انصَرَفَ ومن كلامه ما قالَهُ لابرهيمَ بن مُسْلِمِ بن قُتَيْبَةَ وقَدْ مات لـه وَلَدٌ فجاءَ الهادِى يُعَزِّيـه وكانَ عِنْدَهُ بمنزلةٍ عظيمةٍ فقال له يا ابرهيمُ سَرَّكَ ابْنُكَ وهو عَدُوٌّ وفِتْنَةٌ وحَزَنَكَ وهو صَلَوةٌ ورَحْمَةٌ فقـال ابرهيمُ يا اميرَ المومنين ما بَقِىَ مِنّى جُزْءٌ فيه حُزْنٌ الّا وقد امْتَلَأَ عَزآءً فى ايامهِ خَرَجَ صاحبُ فَخٍّ وهو الحُسَيْنُ بن

عليّ بن الحَسَنِ بن الحَسَنِ بن عليّ بن ابى طالبٍ عمر '

شرح كيفيـة الوقعـة بفخ كان الحُسَيْن بن عَلِيّ مِن رِجالِ بنى هاشِمٍ وسادَتِهم وفُضلايِهم وكان قد عَزَمَ على الخُروج واتّفق مَعَهُ جَمَاعَـةٌ من اعيانِ أهْـلِ بَيْتِهِ ثم وَقَعَ من عامِلِ المدينَة تَهَضُّمٌ لبَعْضِ آل عَلِيّ عمر فثارَ آلُ ابى طالِبٍ بسَبَبِ ذلك واجتَمَعَ اليهم نـاسٌ كثيرون وقَصَدُوا دارَ الامـارة فتَحصَّنَ منهم عامِلُها فكسَرُوا السجُونَ واخرجوا مَن بهـا وبويعَ الحَسَيْنُ بنُ عليٍّ عمر ثم نَمَى أمْرُهُم فأرسَـلَ اليهم محمدُ بن سليمنَ وقالوا سليمنُ بنُ المنصورِ فى عَسْكَرٍ فـالتَقَوا بموضِع يُقالُ له فَخّ بينَ مكةَ والمدينةِ فاقتتلوا قِتالا شَديدًا ثم قُتِلَ الحَسَيْنُ بن عليٍّ وحُمِلَ راسُه الى مُوسَى الهادِى فلما وُضِعَ الراسُ بين يَدَيْـهِ قـال لِمَنْ احضَرَهُ كانّكم قد جِئتُم براسِ طاغوتٍ من الطَوَاغِيتِ انَّ أقَـلَّ ما أَجْزِيكُم به حِرْمانُكم ولم يُطْلِقْ لهم شيًا وكان الحُسَيْنُ بن عليٍّ صاحبُ فَخّ شُجاعـًا كريمًا قَدِمَ على المهدىّ فاعطاه اربعين أَلْفَ دينارٍ ففرّقَها فى الناسِ ببغداذ والكوفة وخَرَجَ من الكوفة لا يَمْلِكُ ما يَلْبِسُهُ الا فَرْوًا ما تَحْتَهُ قَميصٌ رحمـهُ اللهُ وسلّمَ عليـه" ولم تَطُلْ مُدّةُ الهادِى فيقال انَّ أُمَّـهُ الخَيْزرانَ امَرَتْ جَوارِيَها بقَتْلِه فجَلَسُوا على وَجْهِهِ حتى ماتَ وسَبَبُ ذلك قد اختُلِفَ فيه فقيل انَّ الخَيْزُرانَ كانت مُتَبَسِّطَةً فى دولـة

المهدىِّ تأمُرُ وتَنْهَى وتَشْفَعُ وتُبْرِمُ وتَنْقِضُ والمواكِبُ تَرُوحُ وتَغْدُو الى بابِها فلما وَلِىَ الهادى وكان شديدَ الغَيْرَةِ كَرِهَ ذلك وقال لها ما هذه المواكِبُ التى تبلُغنى انها تَغْدُوا وتَرُوحُ الى بابِكِ امَا لَكِ مِغْزَلٌ يَشْغَلُكِ او مُصْحَفٌ يُذَكِّرُكِ او بَيْتٌ يَصُونُكِ واللهِ والا انا نَفِىٌّ مِن قَرابَةِ رسولِ اللهِ صلعم لَئِن بَلَغَنى انه وَقَفَ ببابِكِ أَحَدٌ من قُوّادِى وخاصَّتِى لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ولَأَقْبِضَنَّ مالَهُ ثم قالَ لاصحابِهِ أَيُّهُمَا خيرٌ انا وأُمّى أَمْ أَنْتُم وَأُمّهاتكم قالوا بل انت وَأُمُّك قال فَأَيُّكم يُحِبُّ ان يَتَحَدَّثَ الرجالُ بخَبَرِ أُمِّهِ فيقالُ فَعَلَتْ أُمُّ فلانٍ وصَنَعَتْ أُمُّ فلانٍ قالوا لا نُحِبُّ ذلك قال فما بالكم تَأْتُون أُمّى فتتحدَّثُونَ بحديثها فلما سَمِعُوا ذلك انقطَعُوا عنها ثم بعَثَ لها طَعامًا مسمومًا فلم تاكُلْ منه ثم قَتَلَتْهُ وقيلَ بل السَبَبُ أَنَّ الهادىَ عزَمَ على خَلْعِ أَخِيهِ هرونَ الرشيدِ والبَيْعَةِ لابنِهِ جعفرٍ فخافَت الخَيْزُرانُ على هرونَ وكانت تُحِبُّهُ ففعَلَتْ بالهادِى ما فعَلَتْ ومات الهادِى فى سنةِ سبعينَ ومِئَةٍ والليلةُ التى مات فيها هى ليلةٌ مات فيها خليفةٌ وجلَسَ خليفةٌ ووُلِدَ خليفةٌ وقد كانوا يُحدّثون انه سيَكونُ ليلةٌ كذلك فالخليفةُ الذى مات فيها هو الهادى والذى جَلَسَ فيها على سريرِ الخلافةِ هو الرشيدُ والذى وُلِدَ فيها هو المامونُ شرح حال الوزارة فى ايامه لما بُويِعَ بالخلافةِ استوزَرَ الربيعَ

بنَ يونس وقد سَبَقَ شَرْحُ طَرَفٍ من سِيرَتهِ ونَسَبِهِ، ثم استوزر بعده ابرهيمَ بنَ ذكوان الحرّانيّ، وزارة ابرهيم بن ذكوان الحرّانيّ للهادى كان ابرهيم قد اتَّصَلَ بالهادِى فى ايام حَداثته كان يَدْخُلُ اليه مع مُعَلّم كان مُعَلّمَ الهَادى فخَفّ ابرهيمُ على قَلْبِ الهادِى وأَلِفَهُ وصار لا يَصْبِرُ عنه ثم سُعِىَ به الى المهدىّ فكرِه لابْنِهِ صُحْبَتَهُ فنهاهُ عنه فما انتَهَى فتَهَدَّدَهُ بالقَتْلِ والهادِى لا يباعِدُهُ فاشتَدَّت به السِعاياتُ الى المَهْدِيّ فأَرْسَلَ الى ابنهِ الهادى أَنْ أَرْسِلْ اليَّ ابرهيمَ الحرّانيّ والاّ خَلَعْتُكَ مِن الخلافةِ فارْسَلَهُ اليه صُحْبَةَ بَعْضِ خَدَمِهِ مُرَفَّهًا فوَصَلَ اليه والمهدىُّ يُرِيدُ الركوبَ الى الصَيْدِ فلما رآهُ قال يا أَبْرَهِيمُ واللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ واللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ واللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ ثم قال احْفَظُوهُ حتى أَعُودَ مِن الصَيْدِ فَأَقْبَلَ على الدعاء والتضرُّع فاتَّفَقَ ان المهدىَ اكل الطَعامَ المسمومَ كما تقدّمَ شَرْحُه فمات من ساعتهِ وتخلَّصَ الحَرّانيُّ وجلَسَ الهادِى على سرير الخِلافة ثم بعد ذلك بمُدَّيْدَةٍ استوزَرَ الحرانِيَّ ولم تَطُلِ الايامُ حتى مات الهادِى، انقضت ايامُ الهادِى ووزرآيه" ثم ملك بعده اخوه هرونُ الرشيدُ،

خلافة هرون الرشيدِ بويعَ بالخلافةِ فى سنةِ سبعين ومِيَةٍ، كان الرشيدُ من افاضلِ الخلفاء وفُصَحايهم وعلمايهم وكرمايهم كان

يَحُجُّ سنةً ويَغْزو سَنَةً كذلك مُدَّةُ خِلافَتِهِ الّا سَنِينَ قليلةً قالوا وكان يُصَلِّي فى كل يوم مِئةَ رَكْعَةٍ وحَجَّ ماشِيًا ولم يحجّ خليفةٌ ماشيًا غيرُهُ وكان اذا حَجَّ حَجَّ معه مِئةٌ من الفقهاء وابناوهم واذا لم يَحُجَّ أَحَجَّ ثَلَاثَمِئةِ رَجُلٍ بالنَّفَقَةِ السابغةِ والكُسْوَةِ الظاهِرَةِ وكان يَتَشَبَّهُ فى افعاله بالمَنْصورِ الى فى بَذْلِ المالِ فانه لم يُرَ خليفةٌ أَسْمَحَ منه بالمالِ وكان لا يَضِيعُ عنده اِحْسَانُ مُحْسِنٍ ولا يُوَخِّرُ وكانَ يُحِبُّ الشِعْرَ والشُعَرَاء ويَمِيلُ الى أَهْلِ الأَدَبِ والفِقْهِ ويَكْرَهُ المِرَآءَ فى الدين وكان يُحِبُّ المديحَ لا سِيَّمَا مِن شاعِرٍ فَصِيحٍ ويُجْزِلُ العَطَاءَ عليه قال الأَصْمَعِيُّ صَنَعَ الرشيدُ طَعَامًا وزَخْرَفَ مجالِسَهُ واحْضَرَ ابا العتاهِيَّةِ وقال له صِفْ لنا ما نَحْنُ فيه مِن نَعِيمِ هذا الدنيا فقال ابو العَتَاهِيَّةِ — الكامل

عِشْ ما بَدَا لَكَ سالِمًا — فى ظِلِّ شاهِقَةِ القُصُورِ

فقال الرشيدُ أَحْسَنْتَ ثم ما ذا فقال

يُسْعَى عَلَيْكَ بما اشْتَهَيْتَ — لَدَى الرَوَاحِ اَوِ البُكُورِ

فقال حَسَنٌ ثم ما ذا فقال

فاذا النفوسُ تقعْقَعَتْ — فى ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُدُورِ

فَهُناكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا — ما كُنْتَ اِلا فى غُرُورِ

فبكَى الرشيدُ فقال الفَضْلُ بن يحيى بَعَثَ اليك اميرُ المومنين لِتَسُرَّهُ

فحزنتُه فقال الرشيدُ دَعْهُ فانّه رآنا فى عمّى فكرِه أن يزيدنا منه

وكان الرشيدُ يتواضعُ للعلماء قال ابو معوية الضريرُ وكان من علماء الناسِ اكلْتُ مع الرشيدِ يومًا فصَبَّ على يدى الماء رَجُلٌ فقال لى يا ابا مُعوِيَةَ أتدرِى مَنْ صَبَّ الماء على يدك فقلتُ لا يا اميرَ المومنين قال انا فقلتُ يا اميرَ المومنين انت تفعَلُ هذا اجلالًا للعلم قال نَعَمْ "فى ايامهِ خَرَجَ يحيى بنُ عبد اللهِ بن حَسَن بن حَسَن

شرح كيفية الحالِ فى خروج يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن ابى طالبٍ عمّ كان يحيى بن عبد الله قد خاف ممّا جَرَى على أخَوَيه النفْسِ الزكيّة وابرهيم قتيل باخمْرى فمَضى الى الدَيْلَمِ فاعْتَقَدُوا فيه استحقاقَ الأمانة وبايَعُوه واجْتمعَ اليه الناسُ من الأمْصارِ وقويت شوكتُه فاغتمّ الرشيدُ لذلك ونَدَبَ اليه الفضْلَ بنَ يحيى فى خمسين الفًا وولّاه جُرْجانَ وطبرستانَ والرَىَّ وغيرَ ذلك فتوجّهَ يحيى بالجنودِ فلَطُفَ بِيَحْيَى بنِ عبدِ اللهِ وحَذّرَهُ وخوّفَهُ ورغّبَهُ فمال يَحْيَى الى الصُلحِ وطَلَبَ أمانًا بخطِّ الرشيدِ وأنْ يُشْهِدَ عليه فيه القُضاةَ والفُقَهاءَ وجِلّةَ بنى هاشمٍ فاجابَهُ الرشيدُ الى ذلك وسُرَّ به وكتَبَ له أمانًا بليغًا بخطّه وشَهِدَ عليه فيه القُضاةُ والفُقَهاءُ ومَشايخُ بنى هاشمٍ وسيّرَ الأمانَ مع هَدَايا وتُحَفٍ فقدِمَ يحيى مع الفضْلِ فلَقِيَهُ الرشيدُ فى أوّلِ

الامرِ بكُلّما اَحَبَّ ثم حَبَسَهُ عِنْدَهُ واستَفْتَى الفقهاءَ فى نَقْضِ الأمانِ فمنهم مَنْ اَفْتَى بِصِحَّتِهِ فحاجَهُ ومنهم من اَفْتَى بِبُطْلانِهِ فاَبْطَلَهُ ثم قَتَلَهُ بعد ظُهُورِ آيةٍ لهُ عَظيمةٍ، شرح الاية التى ظهرت فى قصيَّةِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ حَضَرَ رَجُلٌ من آل الزُبَيْرِ بنِ العَوَّامِ عند الرشيدِ وسَعَى بيحيى وقال انه بعد الأمانِ فَعَلَ وصَنَعَ ودَعَا الناسَ الى نَفْسِهِ فاحْضَرَهُ الرشيدُ مِن مَحْبَسِهِ وجَمَعَ بينه وبين الزُبَيْرِيّ وسَأَلَهُ عن ذلك فأنْكَرَ فواقَفَهُ الزبيريُّ فقال له يحيى ان كُنْتَ صادقًا فاَحْلِفْ فقال الزبيريُّ واللهِ الطالبِ الغالبِ واراد اَنْ يُتَمِّمَ اليمينَ فقال له يحيى دَعْ هذه اليَمينَ فانَّ اللهَ تعالى اذا مَجَّدَه العَبْدُ لم يُعَجِّلْ عُقُوبَتَهُ ولكن احْلِف له بيمينِ البَرآءة وهى يمينٌ عُظْمَى صُورَتُها ان يَقُولَ عَن نَفْسِهِ بَرِئٌ مِن حَوْلِ اللهِ وقُوَّتِه ودخَلَ فى حَوْلِ نَفْسِهِ وقُوَّتِها اِن كان كذا وكذا فلما سَمِعَ الزُبَيْرِيُّ هذه اليَمينَ ارتاعَ لها وقال ما هذه اليَمينُ الغريبةُ وامتَنَعَ مِن الحَلِفِ بها فقال له الرشيدُ ما مَعْنَى امتناعِكَ ان كُنْتَ صادقًا فيما تقولُ فما خَوْفُكَ من هذه اليمينِ فحَلَفَ بها فما خرجَ مِنَ المجلسِ حتى ضَرَبَ بِرِجْلِهِ وماتَ، وقيلَ ما انْقَضَى النهارُ حتى مات فحَمَلُوه الى القَبْرِ وحَطُّوهُ فيه وارادوا ان يَطُمُّوا القَبْرَ بالتُرابِ فكانوا كلما جَعَلُوا التُرابَ فيه ذَهَبَ التُرابُ ولا يَنْطَمُّ القَبْرُ فعَلِمُوا انها آيَةٌ سماويَّةٌ فسَقَّفُوا القَبْرَ وراحُوا

والى ذلك اشار ابو فراس ابن حَمْدَانَ فى ميميّتهِ بقولهِ — البسيط

يـا جـاهِدًا فى مَسَـاوِيهم يُكَتِّمُهَـا
غَدْرُ الرشيدِ بيَحْيَى كيف يَنْكَتِمُ
ذاقَ الزُبَيْرِىُّ غِبَّ الحِنْثِ وَٱنْكَشَفَتْ
عَنِ ابنِ فـاطِمَـةَ الاقوالُ والتُهَمُ

ومع ظُهُورِ مثلِ هذه الآيةِ العَظيمةِ قُتِلَ يحيى فى الحَبْسِ ثمّ قَتْلَهُ ، وكانت دَوْلَةُ الرشيدِ من أَحْسَنِ الدُوَلِ واكثرِها وَقارًا ورَوْنَقًا وخيْرًا واوسَعِها رُقْعَةَ مملكةٍ جَبَى الرشيدُ مُعْظَمَ الدُنْيا وكانَ أَحَدَ عُمّالِهِ صاحبُ مِصْرَ ولم يَجْتَمِعْ على بـابِ خليفـةٍ من العلماء والشعراء والفقهاء والقُرّاء والقُضاةِ والكُتّابِ والندماء المُغَنّينَ ما اجتَمَعَ على باب الرشيدِ وكان يَصِلُ كلَّ واحدٍ منهم أَجْزَلَ صِلَةٍ ويَرْفَعُهُ الى أَعْلَى دَرَجَةٍ وكان فاضلا شاعِرًا راوِيَةً لِلأَخْبارِ والآثارِ والاشعارِ صحيحَ الذَوْقِ والتمييزِ مَهيبًا عند الخاصّـةِ والعامّـةِ ، قَبَضَ على مُوسَى بن جعفرٍ عليهمـا السَلَمُ واحضَرَهُ فى قُبَّـةٍ الى بَغْدادَ فحَبَسَهُ بدار السِنْدِىِّ ابن شاهِكَ ثم قُتِلَ وَأَظْهَرَ انـه مـاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ، شرح كيفيةِ الحالِ فى ذلك كان بعضُ حُسّادِ مُوسَى ابنِ جَعْفَرٍ من أَقاربِهِ قد وَشَى بـه الى الرشيدِ وقـالَ لَهُ انَّ الناسَ يَحْمِلُونَ الى مُوسَى خُمْسَ أَمْوالِهم وَيَعْتَقِدُونَ امامَتَـهُ وانه على عَزْمِ الخروجِ عليك وكَثَّرَ فى

القولِ فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أَهَمَّهُ وأَقْلَقَهُ ثم أَعْطَى الواشىَ مالاً أَحَالَهُ به على البلادِ فلم يَسْتَمْتِعْ به وما وَصَلَ المالُ من البلاد الا وقد مَرِضَ مَرْضَةً شديدَةً ومَاتَ فيها واما الرشيدُ فانه حَجَّ فى تلك السَنَةِ فلما وَرَدَ المدينةَ قَبِضَ على مُوسَى بن جَعْفَرٍ عليهما السَلَمُ وحَمَلَهُ فى قُبَّةٍ الى بغدادَ فحَبَسَهُ عند السِنْدِىّ ابنِ شاهك وكان الرشيدُ بالرَقَّةِ فامَرَ بقتْلِهِ فقُتِلَ قَتْلاً خَفِيًّا ثم ادخَلُوا عليه جَماعَةً مِن العُدُولِ بالكَرْخِ لِيُشاهِدُوهُ اِظهارًا انه ماتَ حَتْفَ أَنْفِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عليه وسَلامُهُ ومات الرشيدُ بِطُوسَ وكان خَرَجَ الى خُراسانَ لمحارَبَةِ رافِع بنِ اللَيْثِ بنِ نَصْرِ بن سَيَّار وكان هذا رافِعٌ قد خَرَجَ وخَلَعَ الطاعةَ وتَغَلَّبَ على سَمَرْقَنْدَ وقَتَلَ عامِلَها وملَكَها وقويَت شوكَتُه فخرَجَ الرشيدُ بنفسِهِ اليه فماتَ بطُوسَ فى سنةِ ثلاثٍ وتسعين ومِئَةٍ

شرح حال الوزارة فى ايامه لما بُويِعَ بالخلافةِ استوزَرَ كاتِبَهُ قَبْلَ الخلافةِ يحيى بنَ خالدِ بنِ بَرْمَكٍ وظَهَرَتْ دولةُ بنى بَرْمَكٍ مُذْ حينئِذٍ

شرح احوال الدولة البرمكية وذكر مَبْدَأها ومَآلها كانوا قديمًا على دِينِ المَجُوسِ ثم أَسْلَمَ مَن أَسْلَمَ مِنْهُم وحَسُنَ اِسْلامُهُم وقد ذكرنا وِزارةَ جَدِّهِم خالد بن بَرْمَكٍ فى ايام المَنْصُور ونذكر

هاهُنَا وزارةَ الباقينَ وقبْلَ الخَوْضِ فى ذلك فهذه كَلِمَاتٌ تُعْرَفُ منها نُبْذَةٌ من احوال هذه الدولـةِ اِعْلَمْ أنَّ هذه الدولةَ كانت غُرَّةً فى جَبْهَةِ الدَهْرِ وتـاجًا على مَفْرِقِ العَصْرِ ضُرِبَتْ بمكارمها الامثالُ وشُدَّتْ اليها الرِحَالُ ونيطَتْ بها الآمـالُ وبذَلَتْ لها الدنيا أَفْلاذَ اكْبادِها ومَنَحَتْها أَوْفَرَ اِسْعادِها فكان يحيى وبَنُوهُ كالنُجُومِ زاهِرَةً والبُحورِ زاخِرَةً والسُيولِ دافِعَـةً والغُيوثِ ماطِرَةً اَسْوَاقُ الآدابِ عِنْدَهم نافِقَـةٌ ومَرَاتِبُ ذَوِى الحُرُماتِ عندهُمْ عالِيَةٌ والدنيـا فى ايامِهم عامِرَةٌ وأُبَّهَةُ المملكةِ ظاهِرَةٌ وهم مَلْجَأُ اللَهيفِ ومُعْتَصَمُ الطَريدِ ولهم يَقُولُ ابو نُوَاسٍ الطويل

سلامٌ على الدنيا اذاما فُقِدْتُمُ بَنِى بَرْمَكٍ مِن رايحين وغـادِ

ذِكر وزارة يحيى بنِ خالِدٍ للرشيدِ لما جَلَسَ الرشيدُ على سرير المملكـةِ استَوْزَرَ يحيى بنَ خالِد بن بَرْمَكٍ وكان كاتِبَهُ ونايِبَهُ ووزيرَهُ قبـلَ الخِلافَـةِ فنهَضَ يحيى بنُ خالد باعباء الدولةِ اَتَمَّ نُهُوضٍ وسَدَّ الثُغُورَ وتَدارَكَ الخَلَلَ وجَبَى الاموالَ وعَمَّرَ الاطرافَ وأَظْهَرَ رَوْنَقَ الخِلافَـةِ تَصَدَّى لمُهِمّاتِ المملكةِ وكان كاتبًا بليغا لَبيبًا اَديبـًا سَدِيدًا صايبَ الاراء حَسَنَ التدبيرِ ضابطـًا لِمَا تَحْتَ يَدِهِ قَوِيًّا على الأُمورِ جَوَادًا يُبَارِى الريحَ كَرَمـًا وَجُودًا مُمَدَّحًا بكل لسان حليمًا عفيفا وَقورا مَهيبًا وله يقول القايلُ الخفيف

لا تَراني مُصافِحًا كَفَّ يَحْيَى انَّني اِن فَعَلْتُ ضَيَّعْتُ مالي
لو يَمَسُّ البَخيلُ راحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ النَوالِ

ومِنْ آراء يحيى السديدة ما قاله للهادِى وقد عَزَمَ على أَنْ يَخْلَعَ أَخاهُ هٰرُونَ مِنَ الخِلافةِ ويُبايِعَ لابنهِ جعفرِ بن الهادِى وكان يحيى كاتِبَ الرشيدِ وهو يترجَّى أَنْ يَتَوَلَّى هرونُ الخِلافةَ فيَصيرَ هو وزيرَ الدولةِ فخَلا الهادِى بيحيى ووَهَبَ له عِشرِينَ أَلْفَ دينارٍ وحادَثَهُ فى خَلْعِ هٰرُونَ أَخيهِ والمُبايَعَةِ لجعفرٍ ابنهِ فقال له يحيى يا اميرَ المومنين اِنْ فَعَلْتَ حَمَلْتَ الناسَ على نَكْثِ الأَيْمانِ ونَقْضِ العُهُودِ وتَجَرَّأَ الناسُ على مِثْلِ ذلِكَ ولو تَرَكْتَ أَخاكَ هرونَ على ولاية العَهْدِ ثم بايَعْتَ لجعفرٍ بَعْدَهُ كان ذلِكَ أَوْكَدَ فى بَيْعَتهِ فتَرَكَ الهادِى ذلك مُدَّةً ثم غَلَبَ عليه حُبُّ الوَلَدِ فاحْضَرَ يحيى مَرَّةً ثانيةً وفاوَضَهُ فى ذلك فقال له يحيى يا اميرَ المومنين لو حَدَثَ بك حادثُ المَوْتِ وقد خَلَعْتَ أخاكَ وبايَعْتَ لابنِكَ جَعْفرٍ وهو صَغيرٌ دونَ البُلُوغ أَفَتَرَى كانت خِلافَتُهُ تَصِحُّ وكان مَشايخُ بنى هاشمٍ يَرْضَونَ ذلك ويسلمون الخِلافةَ اليه قال لا قال يحيى فَدَعْ هذا الأَمْرَ حتى تَأتِيَهُ عَفْوًا ولو لم يَكُنْ المَهْدِىُّ بايَعَ لِهَرُونَ لَوَجَبَ ان تُبايِعَ أَنْتَ لَهُ لِيلَّا تَخْرُجَ الخلافةُ من بنى ابيك فصَوَّبَ الهادِى رايَهُ وكان الرشيدُ بعد ذلك يَرَى هذه من أَعْظَمِ ايادِى يحيى

ابنِ خالدٍ عندَه ومن مكارمهِ قيلَ انّ الرشيدَ لما نَكَبَ البرامكةَ واستاصَلَ شَأْفتَهم حَرَّمَ على الشعراء ان يَرْثُوهم وامَرَ بالمُؤاخذةِ على ذلك فاجتاز بَعْضُ الحَرَسِ ببَعْضِ الخربات فراى انْسانًا واقفًا وفى يَدِه رُقْعَةٌ فيها شِعرٌ يَتَضَمَّنُ رثاء البرامكةِ وهو يُنْشِدُه ويَبْكى فاخَذَه الحرسُ فاتى به الى الرشيدِ وقَصَّ عليه الصُورَةَ فاستحضَرَه الرشيد وساله عن ذلك فاعْتَرَفَ به فقال له الرشيدُ أمَا سَمِعْتَ تَحْرِيمى لرثايهم لأَفْعَلَنَّ بك ولَاصْنَعَنَّ فقال يا اميرَ المومنين ان اَذِنْتَ لى فى حِكايةِ حالى حَكَيْتُها ثم بعدَ ذلك اَنْتَ وَرأْيُك قال قُلْ قال انّى كُنْتُ من اَصْغرِ كُتّابِ يحيى بنِ خالدٍ وأَرَقِّهم حالًا فقال لى يومًا أُرِيدُ ان تُضيفَنى فى دارِكَ يَوْمًا فقُلْتُ يا مولانا انا دون ذلك ودارى لا تَصْلُحُ لهذا قال لا بُدَّ من ذلك قُلْتُ فانْ كان لا بُدَّ فامْهِلْنِى مُدَّةً حتى أُصْلِحَ شانى ومَنْزِلى ثم بعد ذلك انتَ ورَاْيُك قال كم امهلكَ قلتُ سَنَةً قال كثيرٌ قلتُ فشهُورًا قال نَعم فمَضَيْتُ وشرَعْتُ فى اِصْلاحِ المَنْزِلِ وتَهْيِئَةِ اسبابِ الدَعْوَةِ فلما تَهَيَّأَتِ الاسبابُ اعْلَمْتُ الوَزِيرَ بذلك فقال نحن غدًا عندك فمَضَيْتُ وتَهَيّأْتُ فى الطعمِ والشَراب وما يحتاج اليه فحضَرَ الوزيرُ فى غَدٍ ومعَهُ ابناه جعفرٌ والفَضْلُ وعِدّةٌ يسيرةٌ من خواصّ اَتْباعهِ فنزل عن دابّتِه ونزَلَ وقال يا فلانُ انا

جايعٌ فعَجِّلْ لى بشىءٍ فقال لى الفَضْـلُ ابنـه الوزير بُجبٍّ الفَرَارِيجَ المَشْوِيَّةَ فعَجِّلْ منها ما حَضَرَ فدخَلْتُ واحضَرْتُ منها شيًا فاكل الوزيـرُ ثم قـام يتمَشَّى فى الدارِ وقال يا فلانُ فَرِّجْنا فى دارِكَ فقلتُ يا مولانا هذه هِىَ دارى ليس لى غيرُها قـال بَلى لك غيرُها قلتُ واللهِ ما أَمْلكُ سِواها فقال هاتُوا بَنّاءً فلما حَضَرَ قـال له افْتَحْ فى هذا الحايطِ بابًا فمَضَى ليفْتَحَ فقلتُ يـا مولانا كيف يَجُوزُ ان يُفْتَحَ بابٌ الى بيوتِ الجيرانِ واللهُ أَوْصَى بحفْظِ الجارِ قال لا باسَ فى ذلك ثم فتَحَ البابَ فقام الوزيرُ وابناءه فدخلوا فيه وانـا مَعَهُم فخرجوا منه الى بستانٍ حَسَنٍ كثيرِ الاَشْجارِ والماءُ يَتَدَفَّقُ فيه وبه مِنَ المَقاصيرِ والمَساكِنِ مـا يَرُوقُ كلَّ نـاظرٍ وفيه مِنَ الآلاتِ والفُرُشِ والخَدَمِ والجَـوارى كلُ جميـلٍ بَديعٍ فقـال هذا المَنْزِلُ وجميع مـا فيه لك فقَبَّلْتُ يَدَهُ ودَعَوْتُ لـه فقال لابنه جَعْفرٍ يا بُنَىَّ هذا مَنْزِلٌ وعِيَـالٌ فالمادَّةُ مِنْ أَيْنَ تَكُونُ له قال جعفرٌ قد أَعْطَيْتُهُ الضَيْعَةَ الفُلانيَّةَ بمـا فيها وساكْتُبُ له بذلك كتابًا فالتَفَتَ الى الفَضْلِ وقـال له يا بُنَىَّ فمِنْ الآنِ الى أَنْ يَدْخُلَ دَخْلُ هذه الضَيْعَةِ ما الذى يُنْفِقُ فقالُ الفَضْلُ عَلَىَّ عَشَرةُ آلْف دينارٍ احْمِلُها اليه فقال فعجِلا لـه ما قُلْتُما فكَتَبَ لى جَعْفَرٌ بالضَيْعَةِ وحَمَلَ الفَضْلُ الىَّ المالَ فاثريت وارْتَفَعَتْ حالِى وكَسِبْتُ بَعْدَ ذلك مَعَهُ مـالاً طايلاً انـا

أَتَقَلَّبُ فيه الى اليَوْمِ فوالله يا اميرَ المومنين ما أَجِدُ فُرْصَةً أَتَمَكَّنُ فيها مِنَ الثناء عليهم والدُعآء لها الا انْتَهَزْتُها مُكافاة لَهُمْ على احسانهم ولَنْ اَقْدِرَ على مُكافاته فان كُنْتَ قاتلي على ذلك فافعَلْ ما بَدَا لَكَ فرَقَّ الرشيدُ لذلك واطلَقَهُ وأَذِنَ لجميع الناسِ فى رثايهم

قيلَ انّ هرونَ الرشيد حَجَّ ومعه يحيى بنُ خالدِ بن برمكٍ ومَعَهُ وَلَداه الفضْلُ وجعفرٌ فلما وصَلُوا الى مدينة الرسولِ صلواتُ الله عليه جَلَسَ الرشيدُ ومعه يحيى فأَعْطيَا الناس وجَلَسَ الامينُ ومَعَهُ الفَضْلُ بن يحيى فاعطيَا الناس وجلس المامون ومعه جعفرٌ فاعطيا الناس فاعْطوا فى تلك السنة ثلاث اعطيات ضُرِبَت بكَثْرتها الأمْثَالُ وكانوا يُسَمُّونَهُ عامَ الأُعْطَيَاتِ الثلَثِ وأَثْرَى الناسُ بسَبَبِ ذلك وفى ذلك يقول الشاعِرُ الطويل

اتانا بنو الآمالِ مِن آلِ بَرْمَكِ
فيا طِيبَ أَخْبارٍ ويا حُسْنَ مَنْظَرِ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فى كل عامٍ الى العِدَى
وأُخْرَى الى البَيْتِ العتيق المُسَتَّرِ
اذا نَزَلُوا بَطْحَاء مكة أَشْرَقَتْ
بيحيى وبالفَضْلِ بن يحيى وجعْفَرِ
فَتُظْلِمُ بغدادٌ وتَجْلُو لنا الدُجَى

بمكّة ما تمحو ثلاثة أقمرِ
فما خُلقت الا لجُودٍ أكفُّهم
وأقدامُهم الا لأعوادِ منبرِ
اذا راضَ يحيى الأمرَ ذلّت صعابُه
وناهيك من راع له ومُدبّرِ

كان يحيى يقول ما خاطَبَنى أحدٌ الا هِبْتُهُ حتى يتكلّم فاذا تكلّم كان بين اثنتَيْنِ امّا أن تَزيدَ هَيْبَتُه او تَضْمَحِلّ، وكان يَقُول المواعيدُ شِباكُ الكِرامِ يَصيدُون بها مَحامِدَ الأحْرار، كان يحيى اذا رَكِبَ يُعِدُّ صُرَرًا فى كل صُرّةٍ مِئَتا دِرْهمٍ يَدْفَعُها الى المتَعَرِّضينَ له،

سيرة ولدِه الفضلِ بن يحيى، كان الفضْلُ مِن كِرامِ الدنيا وأجْوادِ أهْلِ عصرِه وكان قد أرْضَعَتْهُ امُّ هرونَ الرشيدِ وارْضعَتْ امُّهُ الرشيدَ وفى ذلك يقول مَرْوَنُ بن ابى حَفْصَةَ الطويل

كفى لك فخْرًا أنّ اكرمَ حُرّةٍ
غذَتْك بثَدْيٍ والخليفةَ واحدِ
لقد زِنْتَ يَحْيَى فى المَشاهِدِ كُلِّها
كما زانَ يَحْيَى خالِدًا فى المَشاهِدِ

وَلّاه الرشيدُ خراسانَ فخرَجَ اليه ابو الهَوْلِ الشاعرُ مادِحًا مُعْتَذِرًا

من شِعْرٍ كان هَجَاه به فَأنْشَدَه الطويل

سَرَى نَحْوَه مِن غَضْبةِ الفَضْلِ عارِضٌ
لَه نُجْنَةٌ فيها البوارِقُ والرَّعْدُ
وكيف يَنامُ اللَّيْلَ مُلْقٍ فِراشَه
على مَدْرَجٍ يَعْتادُه الأَسَدُ الوَرْدُ
وما لى الى الفضلِ بْنِ يَحْيَى بن خالِدٍ
مِن الجُرْمِ ما يُخْشَى على مِثلِهِ الحِقْدُ
فجُدْ بالرِضَى لا أَبْتَغِى منك غَيْرَه
ورأيُكَ فيما كُنْتَ عَوَّدْتَنِى بَعْدَ

فقال له الفَضْلُ لا أَحْتَمِلُ تفريقَكَ بين رِضاىَ وإحْسانِى وهُما مَقْرُونانِ فان أَرَدْتَهما مَعًا والا فدَعْهُمَا مَعًا ثم وَصَلَهُ ورَضِىَ عنه ٭ حدث اسحق بن ابرهيم الموصلى قال كُنْتُ قد رَبَّيْتُ جاريةً حَسَنَةَ الوَجْهِ وثَقَّفْتُها وعَلَّمْتُها حتى بَرَعَتْ ثم أَهْدَيْتُها الى الفَضْلِ بن يحيى فقال لى يا اسْحَقُ ان رسولَ صاحِبِ مِصْرَ قد وَرَدَ الىَّ يسألُنى حاجةً أقْتَرِحُها عليه فدَعْ هذه الجاريةَ عندكَ فاننى ساطْلُبُها وأُعْلِمُهُ انّى أُرِيدُها فانه سوف يَحْضُرُ اليك ويُسَاوِمُكَ فيها فلا تَأْخُذْ فيها أَقَلَّ مِن خَمْسِينَ أَلْفَ دينارٍ قال اسحاقُ فمَضَيْتُ بالجاريةِ الى منزلى فجاءَ الىَّ رسولُ صاحِبِ مِصْرَ وسَأَلَنِى عن الجاريةِ فاخرَجْتُها اليه

فبَذَلَ فيهـا عَشرة الفِ دينارٍ فـامتَنَعْتُ فصَعِدَ الى عِشرِينَ الفَ دينـارٍ فامتنعْتُ فصَعِدَ الى ثلاثينَ اَلْفاً فما مَلَكْتُ نَفْسِى حتى قُلْتُ لـه بِعْتُكَ وسلَّمْتُ الجارِيَةَ اليه وقَبَضْتُ منه المال ثم انّنى اتيتُ مِن الغَدِ الى الفَضْلِ بن يحيى فقال لى يا اسحاقُ بكَمْ بعتَ الجاريةَ قُلْتُ بثلاثين اَلْفَ دينارٍ قال اَلَمْ اقُـلْ لكَ لا تَأْخُذْ منه اقَلَّ مِن خمسين اَلْفاً قلتُ فَدَاكَ ابى وامّى واللهِ ما مَلَكْتُ نَفْسِى مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثلاثين اَلْفاً فتبسَّمَ ثم قـال انَّ رسولَ صاحِبِ الروم قد سالنى ايضا حاجَةً وساَقْتَرِحُ عليه هذه الجاريـة وَاَدُلُّهُ عليك فخُذْ جارِيَتَكَ وانْصَرِفْ الى منزِلكَ فاذا ساوَمَكَ فيها فلا تَأْخُذْ منه اَقَلَّ من خمسينَ اَلْفَ دينارٍ فاخذتُ الجاريـةَ وانصرفتُ الى منزلى فاتانى رسولُ صاحب الرومِ وساوَمَنِى فى الجاريـة فطلبتُ خمسين الفًا فقال هذا كثيرٌ ولكن تـاخُذُ مِنّى ثلاثين الفًا فواللهِ ما ملكتُ نَفْسِى مُنْذُ سَمِعتُ لَفْظَـة ثلاثين الفًا حتى قلتُ له قد بِعْتُكَ ثم قبَضْتُ المـالَ منه وسَلَّمْتُ الجاريةَ اليـه ومَضَيْتُ مِنَ الغَدِ الى الفَضْلِ بنِ يحيى فقال ما صَنَعْتَ وبكَمْ بِعْتَ الجاريـةَ يا اسحاقُ قلتُ بثلاثين اَلْفًا قال سُبْحانَ اللهِ ما اوْصَيْتُكَ ان لا تاخُذَ فيها اَقَلَّ من خمسينَ الفًـا قلتُ جُعِلْتُ فِداكَ واللهِ انّى لمـا سَمِعْتُ قولـه ثلاثينَ الفا استَرْخَتْ جميعُ اَعْضـائِى فضحِكَ وقـال خذ جارِيَتَكَ واذْهَبْ الى

منزلك ففى غدٍ يَجِيءُ اليك رَسُولُ صاحِبِ خراسانَ فقوِّ نَفْسَك
ولا تاخُذْ منه اقلَّ من خمسين الفا قال اسحاقُ فاخذتُ الجاريةَ
ومضَيْتُ الى منزلى فجاءنى رَسُولُ صاحب خراسانَ وساوَمَنى فيها فطلَبْتُ
خمسين الفا فقال لى هذا كثيرٌ ولكنْ تاخُذ ثلاثين اَلْفًا فقوَّيْتُ
نَفْسِى وامتنعْتُ فصَعِدَ مَعِى الى اربعِينَ الفَ دينارٍ فكادَ عَقلِى يَذْهَبُ
من الفرَح ولم اَتَمالَكْ ان قُلْتُ له بِعْتُك فاحْضَرَ المالَ واَقْبَضَنِيهِ
وسَلَّمْتُ الجارِيَةَ اليه ومضَيْتُ مِنَ الغَدِ الى الفَضْل فقال لى يا اسحاقُ
بكَمْ بِعْتَ الجارِيَةَ قلتُ باربعين اَلْفًا ووالله لما سَمِعْتُها منه فكادَ
عَقْلِى يَذْهَبُ وقد حَصَلَ عِنْدِى جُعِلْتُ فِداكَ مِيَّةُ الفِ دينارٍ ولم
يَبْقَ لى اَمَلٌ فاَحْسَنَ اللهُ جَزآءَكَ فامَرَ بالجارِيَةِ فاُخْرِجَت اِلَىَّ وقال
يا اسحاقُ خُذْ جارِيَتَك وانْصَرِفْ قال اسحاقُ فقلتُ هذه الجاريةُ
والله اعظَمُ الناسِ بركَةً فاَعْتَقْتُها وتزَوَّجْتُها فولَدَتْ لى اولادِى ،
قيلَ انَّ محمدَ بن ابرهيمَ الامامِ بن محمد بن علىّ بن عبد اللهِ
ابن العباسِ حَضَرَ يومًا عند الفَضْلِ بن يحيى ومَعَهُ سَفَطٌ فيه
جَوْهَرٌ وقال له اِنَّ حاصلى قد قَصُرَ عمّا اَحْتاجُ اليه وقد عَلانى دَيْنٌ
مَبْلَغُهُ اَلْفُ الفِ دِرْهَمٍ وانى استَحْيِى ان اُعْلِمَ اَحَدًا بذلك وآنَفُ
ان اَسْاَلَ اَحَدًا مِن التُجّارِ اَنْ يُقْرِضَنِى ذلك وان كانَ مَعِى رَهْنٌ يَفِى
بالقِيمَةِ واَنْتَ اَبْقاكَ اللهُ لك تجارٌ يُعامِلُونَك وانا اَسْاُلُكَ ان تقْتَرِضَ

لى مِن أَحَدِهِم هذا المَبْلَغ وتُعْطِيَهُ هذا الرَّهْنَ فقال له الفَضْلُ السَمْعُ والطاعــةُ ولكن نُجْحِ هذه الحاجــةِ أَنْ تُقيمَ عندى هذا اليَوْمَ فاقام عنده ثم انّ الفَضْـلَ اَخَذَ السَفَطَ منه وهو مَخْتُومٌ بخَتَمِهِ وأَرْسَلَ مَعَــهُ اَلْفَ اَلْفَ دِرْهَمٍ ونَقَّدَ الدراهِمَ والسَفَطَ الى منزِلِهِ واخَذَ خَطَّ وكيلِهِ بقَبْضِهِ واقامَ محمدٌ فى دار الفضلِ الى آخرِ النهارِ ثم انصَرَفَ الى دارِهِ فوجَدَ السَفَطَ ومعــه الفُ الفِ درهمٍ فسُرَّ بذلــك سرورًا عظيمًا فلما كانَ مِنَ الغَدِ بَكَّرَ الى الفَضْلِ ليَشْكُرَهُ على ذلك فوجَدَه قد بكَرَ الى دارِ الرشيدِ فمَضَى مُحَمَّد الى دار الرشيد فلما عَلِمَ الفَضْلُ به خرَجَ مِن بابٍ آخَرَ ومَضَى الى دارِ ابيه فمَضَى محمد اليه فحِين علم بــه خرَجَ ببابٍ آخَرَ ومضى الى منزِلِهِ فمَضَى محمد اليه واجتمَعَ بــه وشكَرَهُ على فِعْلِهِ وقال له انى بَكَرْتُ اليك لاَشْكُرَكَ على اِحْسانِكَ فقال له الفَضْــلُ انّى فكّرتُ فى امْرِكَ فرايتُ انَّ هذه الأَلْفَ الفِ الّتى حَمَلْتُها أَمْسِ اليك تَقْضِى بها دَيْنَكَ ثم تَحْتاجُ فتَقْتَرِضُ فبَعْدَ قليــلٍ يَعْلُوكَ مِثلُهَــا فبَكَرْتُ اليومَ الى اَمير المومنين وعَرَضْتُ عليه حالَك وأَخَذْتُ لك مِيئةَ أَلفِ الفِ دِرهمٍ أُخْرَى ولمــا حَضَرْتَ الى بــابِ امير المومنين خرَجْتُ انــا ببابٍ آخَرَ وكذلك فَعَلْتُ لمــا حَضَرْتَ الى بابِ ابى لانّى ما كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ أَلْقاكَ حتى يُحْمَلَ المــالُ الى منزِلِكَ وقد حُمِلَ فقال له محمدٌ بأَىِّ شىءٍ أُجازِيك

على هذا الاحسانِ ما عِنْدى شىءٌ أُجازِيكَ به الا أنّى ألْتزِمُ بالايمانِ المُؤكّدة وبالطلاقِ والعتاقِ والحجّ انى مـا أقِفُ على بابِ غيرِكَ ولا أسْأَلُ سِواكَ قـالوا وحلَفَ محمدٌ ايمانًا مُؤكّدةً وكتَبَ بها خَطَّهُ وأَشْهَدَ بها عليه انه لا يَقِفُ بباب غيرِ الفضْلِ بن يحيى فلما ذَهَبَتْ دَوْلَـةُ البَرامِكَةِ وتَوَلّى الفَضْلُ بنُ الربيع الوزارةَ بَعْدَهُمْ احتاجَ محمد فقالوا له لو رَكِبْتَ الى الفَضْلِ بن الربيع فلم يَفْعَلْ والتَزَمَ باليَمينِ فلم يَرْكَبْ الى أَحَدٍ ولم يَقِفْ على بـابِ أَحَدٍ حتى مات، سيرة

جعفر بن يحيى البرمكى كان جَعْفَرُ بنُ يحيى فصيحًا لبيبـا ذكيًّا فَطِنًا كريمًا حَليمًا وكان الرشيدُ يَأنَسُ به اكثَرَ من أُنْسِهِ بأخيهِ الفَضْلِ لسُهولةِ أَخْلاقِ جَعْفَرٍ وشَراسَةِ اخلاقِ الفَضْلِ قال الرشيدُ يومًا ليحيى يا أبي ما بالُ الناسِ يُسَمّون الفَضْلَ الوزيرَ الصَغيرَ ولا يُسَمّون جَعْفَرًا بذلك فقال يحيى لأنَّ الفَضْلَ يَخْلُفُنى قال فضُمَّ الى جَعْفَرٍ أَعْمالاً كاعمالِ الفَضْلِ فقـال يحيى ان خِدْمَتَك ومُنادَمَتَك يُشْغِلانهِ عن ذلك فجعَلَ اليه أَمْرَ دارِ الرشيدِ فَسُمّىَ بالوزيرِ الصَغيرِ ايضا قالَ الرشيدُ يَوْمًا ليحيى قد أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَ ديوانَ الخاتِمِ مِنَ الفَضْلِ الى جَعْفَرٍ وقد استَحْيَيْتُ مِن مكاتَبَتِهِ فى هذا المَعْنَى فاكْتُبْ أَنْتَ اليه فكتَبَ يحيى الى الفَضْـلِ، قد امَرَ اميرُ المومنين أَعْلَى اللهُ أَمْرَه ان تُحَوّلَ الخـاتِمَ مِن يَمينِكَ الى شمالِكَ فـاجابَهُ الفَضْلُ قد

سَمِعْتُ لِمَا أَمَرَ به اميرُ المومنين فى أَخِى وما انْتَقَلَتْ عَنّى نِعْمَةٌ صارت اليه ولا غَرَبَتْ عَنّى رُتْبَةٌ طَلَعَتْ عليه فقال جَعْفَرٌ لله دَرُّ أَخِى ما أَكْيَسَ نَفْسَهُ وأَظْهَرَ دَلايِلَ الفَضْلِ عليه وأَقْوَى مُنَّةَ العَقْلِ عندَهُ وأَوْسَعَ فى البَلاغةِ ذَرْعَهُ قِيلَ اِنَّ جعفرَ بنَ يحيى البرمكىّ جلَسَ يومًا للشُرْبِ واَحَبَّ الخَلْوَةَ فاَحْضَرَ نُدماءهُ الذين يَأْنَسُ بهم وجلَسَ مَعَهُمْ وقد هُيِّىء المَجْلِسُ ولَبِسُوا ثِيابَ المَصْبَغَةِ وكانوا اذا جَلَسُوا فى مجلِسِ الشرابِ واللَهْوِ لَبِسُوا الثِيابَ الحُمْرَ والصُفْرَ والخُضْرَ ثم انَّ جَعْفَرَ بنَ يحيى تقدَّمَ الى الحاجِبِ ان لاَ يَأْذَنَ لاَحَدٍ من خَلْقِ اللهِ تعالى سِوى رَجُلٍ مِن الندماء كان قد تاخَّرَ عنهم اسمُه عبدُ الملِكِ بنُ صالحٍ ثم جَلَسُوا يشربون ودارت الكاساتُ وخَفَقَتِ العِيدانُ وكان رجُلٌ مِن أَقارِبِ الخليفة يقال لـه عبدُ الملِكِ بن صالحِ بنِ علىّ بنِ عبد اللهِ بنِ العباسِ وكانَ شديدَ الوَقارِ والدينِ والحِشْمَةِ وكان الرَشيدُ قد التمَسَ منه أَنْ يُنادِمَهُ ويَشْرَبَ مَعَهُ وبَذَلَ له على ذلك اموالاً جليلةً فلم يَفْعَلْ فاتّفق ان هذا عبدَ الملك بنَ صالِحٍ حضَرَ الى بابِ جعفرِ بن يحيى لِيُخاطِبَهُ فى حوايِجَ له فظَنَّ الحاجِبُ انه هو عَبْدُ الملك بنُ صالِحٍ الذى تَقَدَّم جعفرُ بنُ يحيى بالاِذْنِ له وأَنْ لا يُدْخِلَ غَيْرَهُ فاَذِنَ الحاجِبُ له فدَخَلَ عبد الملِكِ بنُ صالح العبّاسىُّ على جعفرِ بن

يحيى فلما رآه جعفرٌ كادَ عقلُه يذهبُ مِنَ الحياء وفطن انّ القضيّة قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسمِ وفطنَ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ ايضًا للقصّةِ وظهرَ له التخجلُ فى وجهِ جعفرِ بنِ يحيى فانبسطَ عبدُ الملكِ وقال لا بأسَ عليكم احضِروا لنا من هذه الثيابِ المُصبَغةِ شيئًا فأُحضِرَ له قميصٌ مصبوغٌ فلبسَهُ وجلسَ يُباسِطُ جعفرَ بنَ يحيى ويُمازِحُهُ وقال اسقونا من شرابِكم فسقوه رِطْلًا وقال ارفقوا بنا فليس لنا عادةٌ بهذا ثم باسطَهم ومازحَهم وما زالَ حتى انبسطَ جعفرُ بنُ يحيى وزالَ انقباضُهُ وحياؤه ففرِحَ جعفرٌ بذلك فرحًا شديدًا وقال له ما حاجتُك قال جئتُ اصلحكَ الله فى ثلاثِ حوائجَ اُريدُ ان تخاطِبَ الخليفةَ فيها اوّلُها انّ عَلَيَّ دينًا مَبلَغُهُ الفُ الفِ درهمٍ اريدُ قضاءه وثانيها اريدُ ولايةً لابنى يَشرُفُ بها قَدْرُهُ وثالثُها اريدُ ان تُزوِّجَ وَلَدِى بابنةِ الخليفةِ فانها بنتُ عمّهِ وهو كُفْوٌ له فقال له جعفرُ بنُ يحيى قد قضَى اللهُ هذه الحوائجَ الثلاثَ امّا المالُ ففى هذه الساعةِ يُحمَلُ الى منزلِكَ وامّا الولايَةُ فقد ولّيتُ ابنَكَ مصرَ وامّا الزواجُ فقد زوّجتُهُ فلانةَ ابنةَ مولانا اميرِ المومنينَ على صَداقٍ مَبلَغُهُ كذى وكذى فانصَرِفْ فى امانِ الله فراحَ عبدُ الملكِ الى منزلِه فرأى المالَ قد سبقَهُ ولما كان مِن الغدِ حضرَ جعفرٌ عند الرشيد وعرّفَهُ ما جرَى وانه قد

ولّاهُ مِصْرَ وزوّجَهُ ابنتَهُ فعَجِبَ الرشيدُ مِن ذلك وأمْضَى العَقْدَ والولايةَ فما خرجَ جعفرٌ مِن دار الرشيدِ حتى كتبَ لَهُ التقليدَ بمِصْرَ وأحضرَ القُضاةَ والشُهُودَ وعقدَ العَقْدَ' وقيل انَّ جعفرَ بنَ يحيى كان بينه وبين صاحِب مصرَ عداوةٌ ووَحْشَةٌ وكان كلٌّ منهما مُجانبًا للآخَرِ فزوَّرَ بَعْضُ الناسِ كتابًا عن لسانِ جعفرِ بن يحيى الى صاحِبِ مِصْرَ مضمونُهُ انَّ حامِلَ هذا الكتابِ مِن أخَصِّ اصحابنا وقد آثرَ التَفَرُّجَ فى الدِيارِ المِصْرِيَّةِ فأُرِيدُ أنْ تُحْسِنَ الالتفاتَ اليه وبالغ فى الوَصِيَّةِ ثم أخَذَ الكتابَ ومَضَى الى مِصْرَ وعَرَضَهُ على صاحِبِها فلما وَقَفَ عليه تَعَجَّبَ منه وفَرِحَ بهِ الا انه حَصَلَ عنده ارتيابٌ وشَكٌّ فى الكتابِ فاكرَمَ الرَجُلَ وأنْزَلَهُ فى دارٍ حَسَنَةٍ واقامَ له ما يَحْتاجُ اليه واخَذَ الكتابَ منه وأرْسَلَهُ الى وكيلِهِ ببغداد وقال لهُ قد وَصَلَ شَخْصٌ مِن اصحابِ الوزيرِ بهذا الكتابِ وقد ارْتَبْتُ به فاريدُ ان تَتَفَحَّصَ لى عن حقيقةِ الحالِ فى ذلك وهل هذا خَطُّ الوزيرِ أمْ لا وأرْسَلَ كتابَ الوزيرِ صُحْبَةَ مكتوبِهِ الى وكيلهِ فجاء الوكيل الى وكيلِ الوزيرِ وحدَّثَهُ بالقِصَّةِ واراهُ الكتابَ فاخَذَهُ وكيلُ الوزيرِ ودخَلَ الى الوزيرِ وعَرَّفَهُ الحالَ فلما وقفَ جعفرُ بنُ يحيى على الكتابِ عَلِمَ أنَّهُ مُزَوَّرٌ عليه وكان عنده جَماعةٌ من ندمايهِ ونُوّابهِ فرَمَى الكتابَ عليهم وقال لهم هذا خَطّى فتأمَّلوهُ

وَأَنْكَرُوهُ كلهم وقالُوا هذا مُزَوَّرٌ على الوزيرِ فعرَّفَهُم صُورَةَ الحالِ وانّ الذى زَوَّرَ هذا الكتابَ موجودٌ بِمِصْرَ عند صاحِبِها وانه يَنتظِرُ عَوْدَ الجَوَابِ بتحقيقِ حالهِ وقال لهم ما تَرَوْنَ وكيف ينبغى ان نَفْعَلَ فى هذا فقال بَعْضُهُم ينبغِى ان يُقْتَلَ هذا الرَجُلُ حتى تَنْحَسِمَ هذه المادَّةُ ولا يَرْجِعُ أَحَدٌ يتجرّى على مثلِ هذا الفِعْلِ وقال آخَرُ ينبغى ان تُقْطَعَ عينُهُ التى زَوَّرَ بها هذا الخَطَّ وقال آخَرُ ينبغى ان يُوجَعَ ضَرْبًا ويُطْلَقَ حالُ سبيلهِ وكان احْسَنُهُم مَحْضَرًا من قال ينبغى ان تكونَ عُقوبتُه على هذا الفِعْلِ حِرْمانُهُ وأَنْ يُعَرَّفَ صاحبُ مِصْرَ بحالِهِ لِيَحْرِمَهُ فيَكْفِيهِ مِن العُقوبَةِ انه قد قطَعَ هذه المَسَافَةَ البعيدةَ مِن بغدادَ الى مِصْرَ ثم يَرْجِعُ خايبًا فلما فَرَغُوا مِن حديثهم قال جَعْفَرٌ سبحانَ اللهِ اليس فيكم رَجُلٌ رشيدٌ قد عَلِمْتُم ما كان بَيْنِى وبين صاحِبِ مِصْرَ مِن العَداوة والمُجَانَبَةِ وأَنَّ كُلَّ واحدٍ منّا كانت تَمْنَعُهُ عِزَّةُ النَفْسِ ان يَفْتَحَ بابَ الصُلْحِ فقد قيَّضَ اللهُ لنا رَجُلًا فتحَ بيننا بابَ المُصَالَحَةِ والمُكاتَبَةِ وأَزالَ بيننا تلك العَداوَةَ فكيف يكونُ جَزاءُهُ ما ذكرتم من الاساءَةِ ثم اخَذَ القَلَمَ وكتبَ على ظاهرِ الكتابِ الى صاحبِ مِصْرَ سبحانَ اللهِ كيف حَصَلَ لك الشَكُّ فى خَطّى هذا خَطُّ يَدِى والرَجُلُ مِن أَعَزِّ اصحابى وأُرِيدُ ان تُحْسِنَ اليه وتُعيدَه الىّ سَرِيعًا فانى مُشتاقٌ اليه محتاجٌ الى حُضورِهِ

فلما وَصَلَ الكتابُ وفي ظاهرِه خَطُّ الوزيرِ الى صاحبِ مِصْرَ كادَ يَطيرُ مِنَ الفَرَحِ وأَحْسَنَ الى الرَجُلِ غايَةَ الاحْسانِ ووَاصَلَهُ بمالٍ كَبيرٍ وتُحَفٍ جَميلَةٍ ثم انَّ الرَجُلَ رجَعَ الى بغدادَ وهو أَحْسَنُ الناسِ حالاً فحضَرَ الى مَجْلِسِ جَعْفَرِ بنِ يحيى فلما دخَلَ سلَّمَ عليه ووقَعَ يُقَبِّلُ الأَرْضَ ويَبْكِي فقال لَهُ جَعْفَرُ مَنْ انْتَ يا أَخِي قال يا مولانا انا عَبْدُكَ وصنيعَتُكَ المُزَوِّرُ الكَذّابُ المُتَجَرّى فعَرَفَهُ جَعْفَرُ وبَشَّ به وأَجْلَسَهُ بين يديه وسَأَلَهُ عَن حالِه وقال له كم وَصَلَ اليك منْهُ فقال مِيَةُ الفِ دينارٍ فاستقلَّها جَعْفَرُ وقال لازِمْنا حتى نُضاعِفَها لك فلازَمَهُ مُدَّةً فكسَبَ معه مثلَها ❊ وما زالت دولَةُ البرامكةِ في عُلُوٍّ وارتفاعٍ وتزايُدٍ حتى انحَرَفَتْ عنهم الدنيا "امارة تَدُلُّ على انْحِرافِ دولتِهم" حدَّثَ بَخْتيشُوعُ الطبيبُ قال دخَلْتُ يومًا على الرشيدِ وهو جالِسٌ في قَصْرِ الخُلْدِ مِن مدينةِ السَلمِ وكان البرامِكَةُ يَسْكُنُونَ بِحذائِهِ من الجانبِ الآخَرِ وبينهم وبينه عَرْضُ دِجْلَةَ قال فنظَرَ الرشيدُ فرأى اعتِراكَ الخُيُولِ وازدِحامَ الناسِ على بابِ يحيى بن خالدٍ فقال جَزَى الله يحيى خَيْرًا تَصَدَّى للامورِ واراحَنِي من الكَدِّ ووفَّرَ أَوْقاتِي على اللذّةِ ثم دخَلْتُ اليه بَعْدَ أَوْقاتٍ وقد شَرَعَ يتغَيَّرُ عليهم فنظَرَ فرأى الخُيُولَ كما رآها تلك المرةَ فقال استبَدَّ يحيى بالأُمُورِ دُونِي فالخلافَةُ على الحقيقةِ له وليس لى منها الا اسْمُها

قال فعَلِمْتُ انه سيَنْكُبُهُم عقيبَ ذلك، شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفيّة الحالِ في ذلك، اختلفَ اصحابُ السِيَرِ والتواريخ في السَبَبِ في ذلك فقيلَ اِنَّ الرشيدَ ما كانَ يَصْبِرُ عَنْ اُخْتِهِ عَبَّاسَةَ ولا عَنْ جَعْفَرِ بن يحيى فقال لـه اُزَوِّجُكَهَا حتى يَحِـلَّ لك النَظَرُ اليهـا ثم لا تَقْرَبْها فكانا يَجْتَمِعَان وهما شابّانِ ثم يَقُومُ الرشيدُ عنهما ويَخْلُوانِ بأنْفُسِهما فجامَعَها جَعْفَرٌ فحبلَتْ منه وولَدَتْ وَلَدَيْن وكَتَمَتِ الأمْرَ في ذلك حتى علم الرشيدُ فكان ذلك سَبَبَ نَكْبَةِ البرامكةِ وقيـل كان سَبَبُ ذلك ان الرشيد كَلَّفَ جَعْفَرَ بنَ يحيى قَتْـلَ رَجُلٍ من آل ابى طالبٍ فتَحَرَّجَ جَعْفَرٌ مِن ذلك واطْلَقَ الطالبيَّ وسُعِىَ الى الرشيدِ بجَعْفَرٍ فقال لـه مـا فَعَلَ الطالبيُّ قـال هو في الحَبْسِ قال الرشيدُ بحياتى ففَطِنَ جَعْفَرٌ فقال لا وحَياتِك ولكن أَطْلَقْتُهُ لانى عَلِمْتُ انـه ليس عندَهُ مكروهٌ فقال له الرشيدُ نِعْمَ مـا فَعَلْتَ فلما قام جَعْفَرٌ قـال الرشيدُ قتَلَنِى اللـهُ اِن لم اَقْتُلْكَ ثم نَكَبَهم وقيل انّ اعداءَ البرامكةِ مثـل الفَضْلِ بنِ الربيع ما زالوا يَسْعَوْنَ بهم الى الرشيدِ ويَذْكرون لـه استبْدادَهم بالمُلْكِ واحتِجانَهُم للاموالِ حتى اوغَرُوا صَدْره فـاوقَعَ بهم وقيل انّ جعفرًا والفَضْلَ ابنى يحيى بن خالدٍ ظَهَرَ منهما من الادلالِ ما لا تَحْتَمِلُه نفوسُ الملوك فنكبَهم لذلك وقيـل اِنَّ يحيى بنَ خالدٍ رُءِىَ وهُوَ بمكـةَ يَطُوفُ حَوْلَ البيت

ويَقُولُ اللهُمَّ إنْ كانَ رِضاكَ في أَنْ تَسْلُبَني نِعْمَتَكَ عندي وتَسْلُبَني اهلي ومالِي ووَلَدِي فاسْلُبْني الا الفَضْلَ وَلَدِي ثم وَلّى فلما مَشى قليلا عادَ وقال يا رَبِّ انه سَمِجٌ بمثلي ان يَسْتَثْنيَ عليكَ اللهُمَّ والفَضْلَ فنكبَهم الرَشيدُ بعد قليلٍ

شرح مقتلِ جعفرِ بنِ يحيى والقبْضِ على اَهْلِهِ كان الرشيد قد حَجَّ فلما عادَ مِنَ الحَجِّ سارَ مِنَ الحِيرَةِ الى الانْبارِ في السُفنِ وجَعَلَ يَشْرَبُ وركِبَ جعفرُ بنُ يحيى الى الصَيْدِ وجَعَلَ يَشْرَبُ تارةً ويَلْهو أُخْرى وتُحَفُ الرشيدِ وهَداياهُ تاتيهِ وعنده بَخْتيشوعُ الطبيبُ وابو زكّار الاَعْمى يُغَنّيه فلما اَظَلَّ المَساءُ دَعا الرشيدُ مسرورًا الخادِمَ وكان مُبْغِضًا لجَعْفرٍ وقال اذْهَبْ فَجِئْني براسِ جعفرٍ ولا تُراجِعْني فوافاهُ مسرورٌ بغَيْرِ اذْنٍ وهَجَمَ عليه وابو زكّارٍ يُغَنّيه الوافر

فلا تَبْعَدْ فكُلُّ فَتًى سَيَأْتي عليه المَوْتُ يَطْرُقُ او يُغادي

فلما دَخَلَ المسرور قال له جَعْفَرُ بنُ يحيى لقد سَرَرْتَني بمَجيئِكَ وسُؤْتَني بدُخولِكَ عَلَيَّ بغيرِ اذنٍ فقال الذى جِئْتُ له أَعْظَمُ أَجِبْ اَميرَ المومنين الى ما يُريدُ بكَ فوَقَعَ على رِجْلَيْهِ فقَبَّلَهما وقال له عاوِدْ اميرَ المومنين فانّ الشَرابَ قد حَمَلَهُ على ذلك وقال دَعْني اَدْخُلْ داري فاُوْصي فقال الدُخولُ لا سبيلَ اليه وَاَمّا الوصيّةُ فاَوْصِ بما بَدا لَكَ فاَوْصى ثم حَمَلَهُ الى منزلِ الرشيدِ وعَدَلَ به الى قُبّةٍ

وضَرَبَ عُنُقَهُ وأَتَى براسهِ على تُرْسٍ الى الرشيدِ وببَدْنه فى نطْعٍ ووجَّه الرشيدُ فقبَضَ على ابيه وإخْوَتِه وأَهْلِه واصحابه وحَبَسَهم بالرَقَّة واستاصَلَ شَافَتَهم ومن طَرِيفِ ما وَقَعَ فى ذلك ما رَوَاه العَمْرانىّ المُوَرِّخُ قال حَدَّثَ فلانٌ قال دَخَلْتُ الديوانَ فنَظَرْتُ فى بَعْضِ تذاكِرِ النُوّابِ فرايْتُ فيها أَرْبَعَ مِيئةِ الفِ دينارٍ ثَمَنَ خِلْعَةٍ لجعفرِ بن يحيى الوزيرِ ثم دَخَلْتُ بعدَ ايامٍ فرايتُ تحت ذلك عَشَرةَ قرارِيطَ ثَمَنَ نَفْطٍ وبوارِى لاِحْراقِ جُثَّةِ جَعْفَرِ بن يحيى فعجبْتُ من ذلك" ثم استَوْزَرَ الرشيدُ بعدَ البَرامِكَةِ الفَضْلَ بنَ الربيع وكان حاجِبَهُ ، وزارة ابى العباس الفضلِ بنِ الربيع قد مَضَى ذكرُ ابيهِ واَمّا الفَضْلُ فكان حاجبًا للمنصور والمهدىِّ والهادِى والرشيدِ فلما نَكَبَ الرشيدُ البَرامِكَةَ استوزره بعدَهم كان الفَضْلُ بنُ الربيع شَهْمًا خبيرا باحوالِ الملوكِ وآدابِهم ولما وَلِىَ الوزارةَ تَهَوَّسَ بالأَدَبِ وجَمَعَ اليه أَهْلَ العِلمِ فحصَّلَ منه ما ارادَ فى مُدّةٍ يَسيرةٍ وكان ابو نُوَاسٍ من شَعرايه المُنْقَطِعِين اليه فمنَ شعرِه فى آل الرَبيع الكامل

عَبّاسُ عَبّاسٌ اذا اضطَرَمَ الوَغا والفَضْلُ فَضْلٌ والربيعُ رَبيعُ

وما زال الفَضْلُ بنُ الربيع على وِزارتِه الى أن ماتَ الرشيدُ بطُوسَ فجمَعَ الفَضْلُ العَسْكَرَ وما فيه ورَجَعَ الى بغداد وسَيَرِدُ باقِى سِيرَتِه فى ايامِ الامينِ ، انقضت ايام الرشيد ،

ثم ملك بعده ابنه الامين محمد بن زبيده أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور وليس فى خلفاء بنى العباس من أمه وأبوه هاشميان سواه كان الامين كثير اللهو واللعب منقطعا الى ذلك مشتغلا به عن تدبير مملكته قال ابن الاثير المورخ الجزرى لم نجد للامين شيئا من سيرته نستحسنه فنذكره وقال غيره كان الامين فصيحا بليغا كريما وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه ويعرض بهجو المامون اخيه — الرمل

لم تلده أمة تعرف فى السوق التجارا

لا ولا حد ولا خا ن ولا فى الخزى جارى

يعرض بالمامون لان الرشيد كان قد حده فى جارية وجد معها اللهم أو فى خمر كان الرشيد قد بايع للامين بولاية العهد وللمامون بعده وكتب الكتب بذلك واشهد فيها الشهود وأرسل نسخها الى الامصار فعلقت نسخة من تلك النسخ على الكعبة واكد ذلك بكل ما اليه السبيل فلما مات بطوس كان المامون فى خراسان ومعه جماعة من اكابر القواد ووزيره الفضل بن سهل وكان الامين ببغداذ وكان الفضل بن الربيع وزير الرشيد مع الرشيد بطوس فلما مات الرشيد جمع الفضل جميع ما فى العسكر وكان الرشيد قد أوصى به للمامون وتوجه الفضل الى بغداذ فاستوزره

الامينُ ثم اشتغلَ الامينُ باللّهوِ واللّعبِ ومُعاشرة المُجّانِ فاشار الفَضْلُ ابنُ سَهْلٍ وزيرُ المامونِ على المامونِ باظهارِ الوَرَع والدينِ وحُسْنِ السيرةِ فاظْهَرَ المامونُ حُسْنَ السيرةِ واستمالَ القُوّادَ واَهْلَ خراسانَ وكان كلما اعتمَدَ الامينُ حركةً ناقصةً اعتمَدَ المامونُ حركةً شديدةً ثم نَشأت العَداوةُ بينهما وحسّنَ الفَضْلُ بنُ الربيع وغيرُه لـه ان يَخْلَعَ اخاه المامونَ من وِلايةِ العَهْدِ ويُبايعَ لابنـه موسى فخَلَعَهُ وبايعَ لابنهِ موسى وسَمّاهُ الناطقَ بالحَقّ وبسَبَبِ ذلك كانت الفِتْنَةُ ببغدادَ بين الامينِ والمامونِ وكان فى آخرِها قَتْلُ الأَمينِ

شرح الفتنـة بين الامين والمامون كان الفَضْـلُ بن الربيع وزيرُ الامين قد خاف المامونَ لِمَا فعَلَـهُ عند موت الرشيد بطوسَ مِن اِحْضارِ جميع ما كان فى عسكرِه الى الامينِ بعدَ انْ كان الرشيدُ قد اَشْهَدَ بهِ للمامُونِ فخـاف الفَضْلُ بن الربيع من المامونِ انـه اِن وَلِيَ الخِلافَةَ كافاهُ على فِعْلِه فحسّنَ للامينِ خَلْعَ المامونِ والبَيْعَةَ لابنـه موسَى واتّفقَ مع الفضلِ جَماعـةٌ على ذلك فمـال الامين الى اقوالهم ثم انه استشارَ عُقلاءَ اصحابه فنَهَوْهُ عن ذلك وحَذّروهُ عاقبَةَ البَغْيِ وَنَكْثَ العُهودِ والمَواثيقِ وقـالوا لـه لا تُجَرِّئ القُوّادَ على النَكْثِ للايمانِ وعلى الخَلْعِ فيَخْلَعُوكَ فلم يَلْتَفِتْ اليهم ومـالَ الى راى الفضـلِ بن الربيع وشَرَعَ فى خَدْعِ المامونِ باستدعايـه الى

بغدادَ فلم يَنْخدِعْ وكتبَ يعتذِرُ وتَرَدَّدت المُرَاسَلاتُ والمكاتَبات بينهما حتى رَقَّ المامونُ وعَزَمَ على الاجابةِ الى خَلْعِ نَفْسه ومُبايَعَة موسَى بن الامينِ فخَلَا به وزيرُهُ الفضلُ بن سَهْلٍ وشجَّعَهُ على الامتناع وضَمِنَ له الخلافةَ وقال هي في عُهْدَتِي فامتنعَ المامونُ ونهضَ الفضلُ بن سهلٍ بامرِ المامونِ واستمالَ له الناسَ وضَبَطَ له الثُغُورَ والامورَ واشتدّت العَداوةُ بين الاَخَوَيْن الامينِ والمامونِ وقُطِعَت الدُروبُ بينهما من بغدادَ الى خراسان وفُتِّشَت الكُتُب وصَعُبَ الأَمْرُ وقَطَعَ الامينُ خُطْبَةَ المامونِ ببغدادَ وقَبَضَ على وكلايه وكذلك فعلَ المامونُ بخراسانَ ونَمَى الشَرُّ بينهما وكان بقَدْرِ ما عِنْدَ المامونِ من التَيَقُّظِ والضَبْطِ عند الامينِ من الاهْمالِ والتَفْريطِ والغُفُولِ فممّا يُحْكَى من تفريطِ الامينِ وجَهْلِه انَّهُ كان قد أَرْسَلَ الى حَرْبِ أَخيه رجلا من اصحاب ابيه يُقالُ له عَلِيُّ بنُ عيسَى بنِ مَاهَانَ وأَرْسَلَ مَعَهُ خمسينَ أَلْفًا فيقالُ والله ما رُئِيَ قبل ذلك ببغداذ عسكرٌ اكثف منه وحَمَلَ معه السِلاحَ الكثيرَ والأَمْوالَ الوافِرَةَ وخرجَ مَعَهُ مشيِّعًا مُوَدِّعًا وكان أَوَّلَ بَعْثٍ بَعَثَهُ الى اخيه فمَضَى عليّ بنُ عِيسَى بن ماهانَ في ذَلِكَ العَسْكَرِ الكَثيفِ وكانَ شَيْخًا من شُيُوخِ الدولةِ جليلًا مَهِيبًا فالتَقَى بطاهِرِ بنِ الحُسَيْنِ طاهِرَ الرَيّ وعَسْكَرُ طاهرٍ حُدُودُ ارْبَعَةِ أَلْفِ فارِسٍ فاقتتلُوا قِتالاً شَدِيدًا كانت الغَلَبَةُ فيه لطاهِرٍ

وقُتِلَ علىُّ بنُ عيسَى وجِىء براسهِ الى طاهرٍ فكتبَ طاهرٌ الى المامونِ كتابا نُسْخَتُهُ أمّا بَعْدُ فهذا كتابى الى اميرِ المومنين اطالَ اللهُ بَقاءَهُ ورأْسُ علىّ بنِ عيسَى بين يَدَىَّ وخاتمُهُ فى يَدِى وجندُه تحت أمْرِى وسَلَمْ وارْسَلَ الكتابَ على البَرِيدِ فوصَلَ الى المامُونِ فى ثلاثةِ ايامٍ وبينهما مَسيرُ مِيئَتَيْنِ وخَمْسِينَ فَرْسَخًا ثم انّ نَعِىَّ علىّ بنِ عيسَى وَرَدَ الى الامين وهو يَصْطادُ السَّمَكَ فقال للذى اخبَرَه بذلك دَعْنِى فانّ كَوْثَرًا قد اصْطادَ سَمَكَتَيْنِ وانا الى الآن ما اصْطَدْتُ شَيْئًا وكان كَوْثَرٌ خادِمًا خَصِيًّا له وكان يُحِبُّه ولقد كانت امُّه زُبَيْدةُ أسَدَّ رايًا منه فانّ علىَّ بنَ عيسَى لما ارسَلَهُ الامينُ الى خراسانَ بالجيش حضَرَ الى باب زُبَيْدةَ ليُوَدِّعَها فقالَتْ له يا عَلِىُّ انّ اميرَ المومنين وان كان وَلَدِى والَيْهِ انتَهَتْ شَفَقَتِى فانّى على عبدِ اللهِ تعنِى المامونَ منعطِفَةٌ مشفقةٌ لما يَحْدُثُ عليه مِن مَكْرُوهٍ وأذًى وانما وَلَدِى مَلِكٌ نافَسَ اخاه فى سلطانهِ فاعْرِفْ لعَبْدِ اللهِ حقَّ وِلادتِه وأُخُوَّتِهِ ولا تَجْبَهْهُ بالكلامِ فانك لستَ نظيرًا لَهُ ولا تَقْتَسِرْهُ اقتسارَ العَبيدِ ولا تُوهِنْهُ بقَيْدٍ او غلٍّ ولا تَمْنَعْ عنه جاريةً او خادمًا ولا تَعْنَفْ عَلَيْهِ فى السَّيْرِ ولا تُسَاوِهِ فى المَسيرِ ولا تَرْكَبْ قَبْلَهُ وخُذْ بركابهِ اذا رَكِبَ وإن شَتَمَكَ فاحْتَمِلْ منه ثُمَّ دفَعَتْ اليه قَيْدًا مِن فِضّةٍ وقالت اذا صار اليك فَقَيِّدْهُ بهذا القَيْدِ فقال لها سأفْعَلُ

ما اَمَرْتِ بهٖ وكانَ الناسُ يَجْزِمونَ بنُصْرةِ عليّ بن عِيسَى استعظامًا لَهُ ولعسكرِهٖ واستِصْغارًا لمَنْ يَلْتَقيه مِن جُنْدِ المامونِ فقَدَّرَ اللهُ خِلافَ ما جَزَمُوا به وكان مِن الأَمْرِ ما كانَ وكانت تلك الايامُ ايامَ فِتَنٍ وحُرُوبٍ فممّا جَرَى مِن ذلك أَنّ الحُسَيْنَ بنَ عليّ بن عيسَى بنِ ماهانَ كانَ أَحَدَ الامراء شَغِبَ على الامينِ وخَلَعَهُ وحبَسَهُ وبايَعَ للمامون وتَبِعَهُ ناسٌ من العسكرِ فاجتمَعَ ناسٌ آخَرُونَ من العسكرِ وقالوا اِنْ كان الحُسَيْنُ بن عليّ بن عِيسَى يُرِيدُ أَنْ ياخُذَ وَجْهًا عند المامونِ بما فَعَلَ فلَنَأْخُذَنَّ نَحْنُ وَجْهًا عند خليفتِنا الامين بفكّهِ وتخليصِهِ واجْلاسِهِ على السريرِ فاقتَتَلَ الفريقانِ فغَلَبَ اصحابُ الامينِ فدَخَلُوا عليه مَحْبَسَهُ وَاَخْرَجُوهُ واجْلَسُوه على سريرِ الخِلافةِ وقاتَلُوا حُسَيْنًا وغَلَبُوا عليه واحضَرُوه اسيرًا الى الامينِ فعاتَبَهُ فاعتَذَرَ اليه وعفا عنه ثم خلَعَ عليه ووَلّاه العَسْكَرَ وامَرَه بمُحَارَبةِ المامونِ فخرَجَ وهرَبَ فارسَلَ الامينُ الجُنْدَ خَلْفَهُ فلَحِقُوه وقتلوه وحَمَلُوا راسَهُ الى الامين فما زال الشرُّ يَنْمى والاختلافُ يَزِيدُ حتى ارسَلَ المامون هرثمةَ وطاهرَ بنَ الحُسَيْنِ وهما من أَعْيان أُمرائِه بعسكرٍ كثيفٍ لمحاصرةِ بغدَاذَ ومحاربةِ الامينِ فحاصَرَا بغداذَ مُدّةً وقاتلا بعساكرِهما قِتالًا شديدًا وجَرَت بين القبيلَتَيْنِ وقايعُ كثيرةٌ كان فى آخِرِها الغَلَبَةُ لعسكرِ المامونِ وقُتِلَ الامينُ وحُمِلَ راسُه الى اخيه المامون بخراسانَ

وذلك فى سنةِ ثمانٍ وتسعين ومِيَةٍ وامّا حالُ الوزارة فى ايامه فانه لم يستوزِر غيرَ الفَضْلِ بنِ الربيع وزير ابيه وقد سَبَق شرحُ طَرَفٍ مِن سِيرتِهِ عند ذكرِ وزارتِهِ للرشيد انقضت ايامُ الأَمين ۞

ثم ملك بعده اخوه عبد الله المامون بُويعَ له البَيْعَةَ العامَّةَ ببغدادَ فى سَنَةِ ثمانٍ وتِسْعِين ومِيَةٍ كان المامون مِن افاضِلِ خُلَفَايِهِم وعلمايِهِم وحكمايِهِم وحلمايِهِم وكان فَطِنًا شَدِيدًا كريمًا حدث عنه انه لما كان بِدِمَشْقَ أَضاقَ اِضاقَةً شَدِيدَةً وقَلَّ المالُ عِنْدَهُ فشَكَى ذلك الى اخيه المُعْتَصِمِ وكان له بيدِه أَعْمالٌ فقال المُعْتَصِمُ يا اميرَ المومنين كانك بالمالِ وقد وافَاكَ بعد أُسْبُوعٍ فوَصَلَ فى تلك الايامِ مِن الاعمالِ الّتى كان المُعْتَصِمُ يتولّاها ثلاثون أَلْفَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهمٍ الالف مُكَرَّرَةٌ ثلاثَ مَرّاتٍ فقال ليحيى بنِ اكْثَمَ أُخْرُجْ بنا لِنَنْظُرَ الى هذا المالِ فخَرَجَ وخَرَجَ الناسُ وكان قد زُيِّنَ الحَمْلُ وزُخْرِفَ فنظَرَ المامونُ منه الى شىءٍ حَسَنٍ كثيرٍ فاستعظَمَ الناسُ ذلك واستَبْشَرُوا به فقال المامون انّ انصرافَنَا الى منازِلِنَا بهذا المالِ وانصرافَ الناسِ خايِبِينَ لُومٌ فامَرَ كاتبَهُ ان يُوقِّعَ لهذا بأَلْفِ أَلْفٍ ولذاكَ بمِثْلِها ولآخَرَ باكثرَ منها حتى فرَّقَ اربَعَةً وعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ الف درهمٍ الأَلْفُ مُكَرَّرَةٌ ثلاثَ مرّاتٍ ورِجْلُهُ فى الركاب ثم حَوَّلَ الباقِىَ على عارِضِ الجَيْشِ برَسْمِ مَصالِحِ الجُنْدِ واعْلَمْ انَّ المامونَ كان

من عُظَمَاء الخُلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة فى مملكته منها انه هو اوّلُ من فحَصَ منهم عن عُلومِ الحِكْمَة وحَصَّلَ كُتُبَهَا وأمَرَ بنَقْلها الى العَرَبيَّة وشَهَرَها وحَلَّ اقْلِيدَس ونظَرَ فى علومِ الاوايلِ وتكلَّمَ فى الطِبّ وقرَّبَ اهلَ الحِكْمة ومن اختراعاته مُقاسَمَةُ اَهْلِ السَوَادِ بالخَمْسِينَ وكانت المُقاسَمَةُ المعهودَةُ النِصْفَ ومن اختراعاته الزامُ الناسِ أن يقولوا بخَلْق القرانِ وفى ايامه نَشَأَتْ هذه المَقالَةُ ونُوظِرَ فيها اَحْمَدُ بن حَنْبَلٍ وغَيْرُهُ ولَمَّا مات المامونُ أوصَى اخاه المُعْتَصِمَ بها فلما وَلى المعتصم تكَلَّمَ فيها وضَرَبَ اَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ وسيَرِدُ خَبَرُ ذلك فى موضعه ومن اختراعاته نَقْلُ الدولةِ مِن بنى العباسِ الى بنى عليٍّ عمّ وتغييرُ الناسِ السَوادَ بلباسِ الخُضْرَةِ وقالوا هو لباسُ اهلِ الجَنَّة شرح الحال فى ذلك كان المامونُ قد فَكَّرَ فى حالِ الخِلافة بَعْدَهُ واراد اَنْ يَجْعَلَها فى رجُلٍ يَصْلُح لها لتَبْرَأَ ذِمَّتُه كذى زَعَمَ فذَكَرَ انه اعتبَرَ اَحْوالَ اعيانِ البيتينِ البيتِ العَبَّاسىّ والبيتِ العلوىّ فلم يرَ فيهما اَصْلَحَ ولا اَفْضَلَ ولا اَوْرَعَ ولا اَدْيَنَ مِن عليّ بنِ مُوسَى الرِضَى عليهما السَلَمُ فعَهِدَ اليه وكتَبَ بذلك كتابًا بخَطّه والْزَمَ الرضا عم بذلك فامتنَع ثم اجابَ ووضَعَ خَطَّهُ فى ظاهرِ كتابِ المامونِ بما مَعْناه انّى قد اَجَبْتُ امتثالا للاَمْرِ وان كان الجَفْرُ والجامِعَةُ يَدُلّانِ على ضِدّ ذلك وشَهِدَ

عليهما بذلك الشهود وكان الفضل بن سهل وزير المامون هو القايم بهذا الامر والمحسّن له فبايع الناس لعلى بن موسى من بعد المامون وسُمّى الرضى من آل محمد صلوات الله عليه وامر المامون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضرة وكان هذا فى خراسان فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المامون من نقل الخلافة من البيت العباسىّ الى البيت العلوىّ وتغيير لباس آبايه واجداده بلباس الخضرة انكروا ذلك وخلعوا المامون من الخلافة غضبا من فعله وبايعوا عمّه ابرهيم بن المهدى وكان فاضلا شاعرا فصيحا اديبا مُغنّيا حاذقا واليه اشار ابو فراس بن حمدان فى ميميّته بقوله

البسيط

منكم عليّة امْ منهم وكان لكم
شيخ المغنّين ابرهيم امْ لهم

وكانت تلك الايام ايام فتن ووقايع وحروب فلما بلغ المامون ذلك قام وقعد فقتل الفضل بن سهل ومات بعده علىّ بن موسى من اكل عنب فقيل انّ المامون رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بنى علىّ وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل ورأى الفتنة قايمة دسّ جماعة على الفضل بن سهل فقتلوه فى الحمّام ثم اخذهم وقدّمهم ليضرب اعناقهم فقالوا له انت امرتنا

بِذلك ثم تَقْتُلنا فقال لهم انـا أَقْتُلكم باقرارِكم واما ما ادّعَيْتُموه
عَلَيَّ مِن أَنّى أَمَرْتُكم بذلك فدَعْوَى ليس لها بَيِّنَةٌ ثم ضَرَبَ
اعناقَهم وحَمَلَ رُؤُسَهُم الى الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ وكَتَبَ يُعَزِّيه ويُوَلِّيه
مكانَهُ وانْضَمَّ الى ذلك أُمورٌ أُخَرُ سنَذْكرها عند ذكرِ وزارة الفضلِ
ثم دَسَّ الى علىّ بن موسَى الرِضَى عم سُمًّا فى عنَبٍ وكانَ يُحِبُّ
العنَبَ فاكَلَ منه واستكْثَرَ فماتَ من ساعَتِهِ ثم كَتَبَ الى بنى
العباسِ ببغداذ يقول لهم ان الذى أنْكرتموه مِن امرِ علىّ بنِ موسَى
قد زال وانَّ الرَجُلَ مات فاجابوه أَغْلَظَ جَوابٍ وكان الفضل بنُ
سَهْلٍ قد استولَى على المامونِ ومتَّ امْتاتًا كثيرًا بقيامهِ فى امرِهِ
واجتهادِه فى اخْذِ الخلافةِ له فكان قد قطَعَ الاخبارَ عنه ومتى
عَلِمَ انّ احَدًا قد دخَلَ عليه او اعلَمَهُ بخَبَرٍ سَعَى فى مكروهِهِ
وعاقبَهُ فامتنَعَ الناسُ من كلامِ المامونِ فانْطَوَتِ الاخبارُ عنه فلما
ثارَتِ الفِتْنَةُ ببغداذ وخُلِعَ المامونُ وبُويِعَ ابرهيمُ بن المهدىِ وانكرَ
العباسيونَ على المامونِ فِعْلَهُ كتَمَ الفضلُ بن سهل ذلك عن
المامون مُدّةً فدخَلَ عليه علىّ بنُ موسَى الرِضَى عم وقال له يا
اميرَ المومنين انّ الناسَ ببغداذَ قد انْكَروا عليك مُبَايَعَتِى بولايةِ
العَهْدِ وتَغْيِيرِ لباسِ السَوادِ وقد خَلَعُوكَ وبَايَعُوا عَمَّكَ ابرهيمَ
ابنَ المَهْدِىّ واحْضَرَ اليه جماعةً مِن القُوّادِ ليُخْبِروه بذلك فَلَمّا

سالهم المامون أَمْسَكُوا وقالوا نَخافُ مِن الفَضْلِ فإن كُنْتَ تُؤمِنُنا مِن شَرِّه أَخْبَرْناكَ فآمَنَهُم وكَتَبَ لهم خَطَّهُ فاخْبَرُوه بصُورةِ الحالِ وعَرَّفوه خيانَةَ الفَضْلِ وتَعْمِيَـةَ الامورِ عليه وسَتْرَهُ الأَخْبارَ عَنْهُ وقالوا له الرأىُ أَنْ تَسِيرَ بنَفْسِكَ الى بغدادَ وتَسْتَدْرِكَ أَمْرَكَ والا خَرَجَتِ الخِلافَـةُ مِن يَدِكَ فكان بعدَ هذا بقليلٍ قَتْلُ الفَضْلِ ومَوْتُ الرِضَى على مـا تقدّم شرحُـهُ ثُمَّ جَدَّ المـامون فى المَسِيرِ الى بغدادَ فوَصَلَها وقد هَرَبَ ابرهيمُ بنُ المهدىِّ والفَضْلُ بنُ الربيع فلما دخَلَ البَلَدَ تَلَقّـاهُ العَبّـاسِيُّونَ وكَلَّمُوه فى تَرْكِ لبـاسِ الخُضْرَةِ والعَوْدِ الى السوادِ واجتمعت بـه زَيْنَبُ بنتُ سليمنَ بنِ علىّ بن عبد اللهِ بن العباسِ وكانت فى طَبقَةِ المَنْصُورِ وكانَ بَنُو العبّاس يُعَظِّمُونهـا واليها يُنْسَبُ الزَيْنَبِيُّونَ فقالت له يا اميرَ المومنين مـا الذى دَعاكَ الى نَقْـلِ الخلافة من بَيْتِكَ الى بيت علىٍّ قال يا عَمّة انى رايتُ عليًّا حين وَلِىَ الخِلافةَ احْسَنَ الى بنى العباسِ فوَلّى عبدَ اللهِ البصرةَ وعُبَيْدَ الله اليَمَنَ وقُثَم سَمَرْقَنْدَ ومـا رايتُ احَدًا من اهلِ بيتى حينَ أَفْضَى الأَمْرُ اليهم كافَوهُ على فِعْلِـه فى وَلَدِه فاَحْبَبْتُ ان اكافِيَهُ على احسانه فقالت له يا امير المومنين اِنَّك على بِرِّ بنى علىٍّ والأمْرُ فيكَ اقدَرُ منك على بِرِّهم والأَمْرُ فيهم ثم سالَتْـه تغييرَ لباسِ الخُضْرَةِ فـاجابَها الى ذلك وامرَ الناسَ بتغييره والعَوْدِ الى لباسِ السَوادِ ثم

انَّ المامونَ عفا عن عَمّهِ ابرهيم بن المهدى ولم يُؤاخِذه واحْسَنَ اليه وصار من نُدمايه ولذلك فعل مع الفضل بنِ الربيع وكان حليمًا كان يقول لو عرفَ الناسُ حُبّى للعَفْوِ لتقرَّبُوا الىَّ بالذُنُوبِ،
فى ايامهِ خَرَجَ محمدُ بن جعفرٍ الصادِقِ عمّ بمكةَ وبُويِعَ بالخلافة وسَمّوهُ اميرَ المومنين وكان بَعْضُ اهلهِ قد حسَّنَ له ذلك حينَ راى كَثْرَةَ الاختلافِ ببغداذ وما بها مِن الفِتَنِ وخروجِ الخوارج وكان محمد بن جعفرٍ شَيْخًا من شيوخ آل ابى طالب يَقْرأُ عَلَيْهِ العِلْم وكان رَوى عَن ابيه عمّ عِلْمًا جَمًّا فمكَثَ بمكةَ مُدَّةً وكان الغالب على اَمْرِهِ ابْنُه وبعض بنى عَمّهِ فلم يحمَدْ سِيرتهما وارْسَلَ المامون اليهم عسكرًا فكانت الغَلْبَةُ له وظَفِرَ به المامونُ وعَفَا عنه،
وفى ايامه خَرَجَ ابو السَرَايا وقَوِيَتْ شوكَتُهُ ودَعا الى بَعْضِ اهل البَيْتِ فقاتَلَهُ الحَسَنُ بن سَهْلٍ فكانت الغَلْبَةُ للجَيْشِ المامونىّ وقُتِلَ ابو السرايا ثم صَفَا المُلْكُ بَعْدَ ذلك للمامون وسكنَتِ الفِتَنُ وقام المامونُ باَعْباء الخِلافَةِ وتدبيرِ المملكةِ قِيامَ حُزماء الملوكِ وفُضَلايهم وفى آخرها خرَجَ الى الثَغْرِ بِطَرَسُوسَ فمات به وذلك فى سنةِ ثمانى عشرة وميتَيْنِ وفيه يقول بَعْضُ الشعراء — الخفيف

ما راينا النجومَ اَغْنَتْ عن المَأْ ... مُونِ فى ظِلِّ مُلْكِهِ المحروسِ
غادَرُوهُ بعَرْصَتَى طَرَسُوسٍ ... مثلما غادَرُوا اباهُ بِطُوسِ

شرح حال الوزارة فى ايامه اوّلُ وزرايه بنو سَهْلٍ وكانت دولَتُهم فى جَبْهَـةِ الدَهْرِ غُرّةً وفى مَفْرِقِ العَصْرِ دُرّةً وكانت مُخْتَصِرَةَ الدولـةِ البرمكيّةِ وهم صَنايعُ البرامكَـةِ فالوزيرُ الاوّلُ للمامونِ منهم الفضْلُ بنُ سَهْلٍ وزارة ذى الرِياستينِ الفَضْـلِ بنِ سهلٍ للمامـونِ سُمّى ذا الرِياسَتَيْنِ لجَمْعِـهِ بين السيفِ والقَلَمِ قالوا كان الفَضْلُ بن سهلٍ من اولادِ ملوكِ الفُرْسِ المَجُوسِ وكان قَهْرمـانًا ليَحْيَى بنِ خالدٍ وكان اَبُوهُ سَهْلٌ مَجُوسيًّا فاسلَمَ فى ايامِ الرشيدِ قالوا لمـا راى الفضْلُ بنُ سهل نَجابَةَ المامونِ فى صِباهُ ونَظَرَ فى طالعهِ وكان خبيرًا بعلْمِ النُجُومِ فدَلَّتْهُ النُجُومُ على أنْ يَصيرَ خليفةً فلَزِمَ ناحِيَتَـهُ وخَدَمَهُ ودَبَّرَ اُمُورَهُ حتى اَفْضَتِ الخلافةُ اليه فاستوزره كان الفَضْلُ سَخيًّا كريمـًا يُجـارِى البَرامكَـةَ فى جُودِهِ شديدَ العقوبَـةِ سَهْلَ الانْعِطـافِ حَليمًا بليغًا عالمـا بـآدابِ الملوكِ بصيرًا بـالحِيَلِ جَيّدَ الحَدْسِ مُحَصّلاً للأَمْوالِ وكانَ يُقالُ له الوزيرُ الاميرُ كانَ مُسْلِمُ بنُ الوليدِ الشاعِرُ نديمًـا للفضـلِ بنِ سَهْلٍ قَبْـلَ وزارته وكان قد انشدَه قولَـهُ

السريع

وقايـلٍ لَيْسَتْ لـه هِمّةٌ　　كَلَّا ولَكِنْ ليسَ لى مالُ
لا جِدَةٌ يَنْهَضُ عَزْمى بها　　والنـاسُ سُـؤّالٌ وبُخّـالُ
فاصْبِرْ على الدَهْرِ الى دولةٍ　　يرفَعُ فيهـا حالَكَ الحالُ

فلما عَلَتْ حالُ الفَضْلِ وتَوَلَّى الوزارةَ قَصَدَه مُسلم بن الوليد فلما رآهُ سُرَّ به وقال له هذه الدَّوْلةُ الّتى يَرْفَعُ فيها حالَكَ الحالُ وامرَ له بثلاثين اَلْفَ دِرْهَمٍ وولّاه بَرِيدَ جُرْجانَ فاستفادَ مِنْ ثَمَّ مالاً طايلاً قالوا كانت هِمَّةُ ذى الرياستَيْنِ عاليةً جدًّا من قَبْلِ اَن يَعْظُمَ امرُهُ قال له مؤدِّبُ المامون يوما فى ايام الرشيدِ ان المامونَ لجميلُ الراىِ فيكَ وانى لا استَبْعِدُ ان يَحْصُلَ لك من جِهَتِهِ اَلْفُ الف درهمٍ فاغتاظ الفَضْلُ من ذلك وقال له لك علىَّ حِقْدٌ أَلِى اليك اساءة فقال لـه المؤدِّبُ لا واللهِ ما قلتُ هذا الّا مَحَبَّةً لك فقال اَتقولُ لى انّك تُحصِلُ معه الفَ اَلْفِ درهمٍ واللهِ ما صَحِبْتُه لاَكْتَسِبَ منه مالاً قَلَّ او جَلَّ ولكن صحِبْتُـه ليَمْضِىَ حُكْمُ خاتمِى هذا فى الشَّرْقِ والغَرْبِ قال فواللهِ ما طالَت المدّةُ حتى بَلَغَ ما اَمَّلَ وقُتِلَ الفضلُ بن سهلٍ على الصُورةِ الّتى تقدَّمَ شَرْحُها وذلك فى سنةِ اثنتين ومئتين وفيه يقول الشاعرُ المتقارب

لفَضْلِ بنِ سَهْلٍ يَدٌ　　يُقَصِّرُ عنها المَثَلْ
فباطِنُها للنَدَى　　وظاهِرُها للقُبَلْ
وبَسْطَتُها للغِنَى　　وسَطْوَتُها للاَجَلْ

وزارة اخيه الحسنِ بن سهل للمامون استوزَرَهُ المَأْمُونُ بَعْدَ اخيه الفَضْلِ ومال اليه وتَلَافاهُ جَبْرًا لمُصابِه بقَتْلِ أَخِيهِ وتَزَوَّجَ ابنتَهُ

بُورانَ وانحدَرَ فى أَهْلِهِ واصحابِـه وعساكِرِه وامـرايـه الى فم الصلح بواسِطَ فقـام الحَسَنُ بنُ سَهْلٍ فى انْزالِهِم قِيامًا عَظِيمًا وبَذَلَ مِنَ الاموالِ ونَثَرَ مِنَ الدُرَرِ ما يَفُوتُ حَدَّ الكَثْرَةِ حتى انه عَمِلَ بطاطيخ مِن عنبرٍ وجَعَـلَ فى وَسْطِ كل واحدَةٍ منها رُقْعَـة بِضَيْعَـةٍ مِن ضِياعِـهِ ونَثَرهـا فمَنْ وَقَعَتْ فى يَدِه بِطِّيخَةٌ منها فَتَحَها وتَسَلَّمَ الضَيْعَةَ التى فيها وكانت دَعْوَةً عظيمةً تَتَجاوَزُ حَدَّ التَجَمُّلِ والكثرة حتى انَّ المامون نَسَبَهُ فى ذلك الى السَرَفِ وقالوا جُمْلَةُ مـا أَخْرَجَ على دَعْوَةِ فم الصلحِ خمسون أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ كانَ الحَسَـنُ بنُ سَهْلٍ قد فَرَشَ للمامون حصيرًا مَنْسوجًا مِن ذَهَبٍ ونَثَرَ عليه أَلْفَ لولوةٍ من كِبارِ اللولو فلما رآه المامونُ قال قاتَلَ اللهُ ابا نُواسٍ كانه شاهَدَ مجلِسَنا هذا حيث يقول — البسيط

كانّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَوَاقِعِها حَصْباء دُرٍّ على أَرْضٍ من الذَهَبِ

قالوا قَدِمَ رجُلٌ الى بابِ الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ يَلْتَمِسُ صِلَتَهُ وعارِفَتَـهُ فاشتَغَلَ عنه مُدَيْدَةً فكَتَبَ اليه — البسيط

المالُ والعَقْلُ ممّا يُسْتَعانُ بـه على المَقامِ بابوابِ السَلاطِينِ
وانتَ تَعْلَمُ أَنّى منهما عُطُلٌ اذا تَأَمَّلْتَنى يا ابنَ الدَهاقِين
أَمَا تَـدُلُّكَ أَثْوابى على عَدَمِى والوَجْـهُ أَنّى رئيسٌ فى المجانين
واللهُ يَعْلَمُ ما للمُلْكِ من رجُلٍ سِواكَ يَصْلُحُ للدنيـا وللدين

فامرَ له بعَشرة اَلفِ درهمٍ ورقَّعَ فى رُقْعَتهِ الكامل

اَعْجَلْتَنا فـأَتاكَ عاجِـلُ بِرِّنـا قُلًّا ولو اَنْظَرْتَنـا لم يَقْلُـلِ
فخُذِ القَليلَ وكُنْ كانكَ لم تَسَلْ ونكون نَحْنُ كانَّنا لم نُسْأَلِ

وكان الحَسَنُ بنُ سَهْـلٍ اعظمَ الناسِ منزلةً عند المامونِ وكان المامونُ شديدَ المَحَبّةِ لمُفاوَضَتهِ فكان اذا حَضَرَ عِنْدَهُ طاوَلَهُ فى الحديث وكلما ارادَ الانصرافَ مَنَعَهُ فانقطَعَ زَمانُ الحَسَنِ بذلك وثَقُلَتْ عليه المُلازَمَةُ فصار يتراخَى عن الحُضورِ بمجلسِ المامون ويستخلفُ اَحَدَ كتّابه كاَحْمَدِ بْنِ ابى خالدٍ واَحْمَدَ بنِ يُوسُفَ وغيرِهما ثم عَرَضَتْ له سوداء كان اَصْلُها جَزَعُهُ على اَخيه فانقطع بدارِه ليتطبَّبَ واحْتَجبَ عن الناسِ الا انه اعلى الخَلْقِ مكانةً واستوزر المامُونُ احمَدَ بنَ ابى خالدٍ فكان احمَدُ فى كُلِّ وَقْتٍ يَقْصِدُ خِدْمَةَ الحَسَنِ بنِ سهلٍ واذا حَضَرَ الحَسَنُ دارَ المامُون كان اعلى الناسِ مَكانَةً ولما انقطَعَ الحَسَنُ بنُ سهلٍ بمنزلهِ هَجاهُ بَعْضُ الشعراء بقولهِ الوافر

تولَّتْ دولةُ الحَسَنِ بن سَهْلٍ ولم اَبْلُلْ لَهاتى من نَداها
فلا تَجْزَعْ على مـا فاتَ منها واَبْكَى اللهُ عيـنى مَن بَكاها

ومات الحَسَنُ بنُ سهل فى سنةِ ستٍّ وثمانين ومئتَيْنِ فى ايام المتوكّلِ

وزارة احمد بنِ ابى خالدٍ الاجول للمامون هو من الموالى كان احْمَدُ جليلَ القَدْرِ من عقلاء الرجالِ وكان كاتبا شديدًا فصيحا

لبيبا بصيرا بالامور قال له المامون ان الحَسَن بن سَهْل قد لَزِمَ مَنْزِلَهُ واننى أُرِيدُ أَنْ استَوْزِرَكَ فتَنَصَّلَ احْمَدُ من الوزارة وقال يا اميرَ المومنين اعْفِنِى من التسَمِّى بالوزارةِ وطالِبْنِى بالواجبِ فيها واجْعَلْ بينى وبين العامَّةِ مَنْزِلةً يرجُونى لها صديقى ويَخَافُنِى لها عَدُوِّى فما بَعْدَ الغايات الّا الآفاتُ فاستحسَنَ المامونُ جَوابَه وقال لا بُدَّ من ذلك واستوزَرَهُ ' كان المامونُ لما وَلّى طاهِرَ بنَ الحسَيْنِ خراسانَ استشارَ فيه احْمَدَ بنَ ابى خالِدٍ فصَوَّبَ اَحْمَدُ الراىَ فى تَوْلِيَةِ طاهِرٍ فقال المامونُ لِاَحْمَدَ انّى اخافُ اَنْ يغْدِرَ ويَخْلَعَ ويُفارِقَ الطاعَةَ فقال اَحْمَدُ الدَرَكُ فى ذلك عَلَىَّ فوَلَّاهُ المامونُ فلما كان بعد مُدَّةٍ اَنْكَرَ المامونُ عليه أُمُورًا وكتَبَ اليه كِتَابًا يَتَهَدَّدُه فيه فكتَبَ طاهِرٌ جَوابًا اَغْلَظَ فيه للمامونِ ثم قطَعَ اسْمَهُ مِن الخُطْبَةِ ثلاث جُمَعٍ فبَلَغَ ذلك المامونَ فقال لِاَحْمَد بن ابى خالِدٍ اَنْتَ الذى اَشارَ بتَوْلِيَةِ طاهِرٍ وضَمِنْتَ ما يَصْدُرُ منه وقد ترَى ما صَدَرَ منه مِنْ قَطْعِ الخُطْبَةِ ومُفارَقَةِ الطاعةِ فواللهِ لَئِنْ لم تَتَلَدَّفْ لهذا الأَمْرِ وتُصْلِحْهُ كما اَفْسَدْتَهُ والا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ فقال اَحْمَدُ يا اميرَ المومنين طِبْ نَفْسًا فبَعْدَ ايامٍ ياتيك البريدُ بهَلاكِهِ ثم انّ اَحْمَدَ بنَ ابى خالِدٍ اَهْدَى لطاهِرٍ هَدايا فيها كوامِخُ مسمومةٌ وكان طاهِرٌ يُحِبُّ الكامِخَ فاكَلَ مِنْها

فمـات من ساعتـه وقيـل ان احمد بن ابى خالد لما تولّى طاهر خراسان حسب هذا الحساب فوهبه خادمًا وناوله سمًّا وقال لـه متى قطع خطبة المامون فاجعل له هذا السمّ فى بعض ما يحبّ من المآكل فلما قطع طاهر خطبة المامون جعل له الخادم السمّ فى كامخ فاكل منه فمات فى ساعته ووصل الخبر على البريد بموته الى المامون بعد ايام فكان ذلك مما عظم به امر احمد بن ابى خالد ومـات احمد حتف انفه سنـة عشرة ومئتين وزارة احمد بن يوسف بن القسم للمامون كان من الموالى وكان كاتبًا فاضلًا اديبا شاعرًا فطنا بصيرًا بـادوات الملك وآداب السلاطين قالوا لما مـات احمد بن ابى خالد استشار المامون الحسن بن سهـل فيمن يوليه الوزارة فاشار عليه باحمد بن يوسف وابى عبّاد بن يحيى وقال همـا أعرف الناس بطبع امير المومنين فقال لـه اختر لى أحدهما فاختار لـه احمد بن يوسف ففوّض المامون اليـه وزارته استشار المامون احمد بن يوسف فى رجل فوصفـه احمد بن يوسف وذكر محاسنه فقال لـه المامون يـا احمد لقد مدحته على سوء رايك فيه ومعاداته لك فقال احمد لانى لك كما قال الشاعر الوافر

كفى ثمنـًا بمـا اسديت انّى صدقتك فى الصديق وفى عدائى
وانّى حين تندبنى لامرٍ يكون هواك اغلب من هوائى

ولهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ فمنها — الكامل

قَلْبِي يُحِبُّكَ يَا مُنَى قَلْبِي وَيُبْغِضُ مَن يُحِبُّكْ
لأكُونَ فَرْدًا فِي هَوَا كَ فَلَيْتَ شِعْرِي كيف قَلْبُكْ

وأَهْدَى يَوْمَ نَوْرُوز الى المامونِ هَدِيَّةً قِيمَتُها أَلْفُ الفِ دِرْهَمٍ وكَتَبَ مَعَهَا — الطويل

على العَبْدِ حَقٌّ فَهْوَ لا بُدَّ فاعِلُهْ وان عَظُمَ المَوْلَى وجلَّتْ فواضِلُهْ
أَلَمْ تَرَنَا نُهْدِي الى اللهِ ما لَهُ وان كانَ عنهُ ذا غِنًى فهو قابِلُهْ

فقال المامونُ عاقِلٌ أَهْدَى حَسَنًا وكان سبب موتهِ انه دخَلَ يومًا الى المامون والمامونُ يَتَبَخَّرُ فاخْرَجَ المامون المَجْمَرَةَ من تَحْتِهِ وقال اجْعَلُوها تحتَ احْمَدَ تَكْرِمَةً له فنقَلَ اعداوه الى المامون انه قال ما هذا البُخْلُ بالبُخُورِ هَلَّا أَمَرَ لى ببخورٍ مستانفٍ فاغتاظ المامونُ لذلك وقال يَنْسُبُنِى الى البُخْلِ وقد عَلِمَ انَّ نَفَقَتِى فى كل يوم سِتَّةُ أَلْفِ دينارٍ وانما أَرَدتُ اِكرامَه بما كان تَحْتَ ثيابى ثم دخَلَ عليهِ وهو يتبخَّرُ مرّةً أُخْرَى فقال المامونُ اجعَلُوا تَحْتَهُ فى مَجْمَرةٍ قِطَعَ عَنْبَرٍ وضَمُّوا عليهِ شيْئًا يَمْنَعُ البُخارَ أَنْ يَخْرُجَ ففعلوا ذلك به فصَبَرَ عليه حتى غَلَبَهُ الأَمْرُ فصاحَ المَوْتَ المَوْتَ فكَشَفُوا عنه وقد غُشِىَ عليهِ فانصَرَفَ الى منزلِهِ فمكَثَ فيه شُهُورًا عَليلاً مِنَ ضيقِ النَفْسِ حتى مات بهذه العِلَّةِ وقيلَ بل مات كَمَدًا لِبادِرَةٍ

بَدَرَتْ منه فاطَّرَحَهُ المامونُ لأَجْلِها ؛ وزارة ابى عباد ثابتِ بن يحيى بن يسارٍ الرازيّ للمامونِ ؛ كان ابو عَبَّادٍ كاتبًا حاذقًا بالحِسابِ سريعَ الحَرَكاتِ أَهْوَجَ مُحَمَّقًا قالوا كانَ المامونُ يُنْشِدُ اذا رآهُ مُقْبِلاً قَوْلَ دِعْبِلٍ فيه الكامل

وكأنه مِن دَيْرِ هِرْقَلَ مُفْلَتٌ حَرِبٌ يَجُرُّ سَلاَسِلَ الأَقْيَادِ

قيلَ للمامون ان دِعْبَلاً الشاعرَ هجاكَ فقالَ مَن اَقْدَمَ على هجاء ابى عَبَّادٍ كيف لا يَهْجونى ومعنَى هذا الكلامِ مَن اقدمَ على هجاء ابى عَبَّادٍ مع هَوَجِهِ وجُنُونِهِ وحِدَّتِه كيف لا يُقْدِمُ على هجاءى مع حِلْمِى ومَحَبَّتِى للصَّفْحِ ؛ وكان ابو عَبَّادٍ شديدَ الحِدَّةِ سريعَ الغَضَبِ رُبَّمَا اغتاظ من بعضِ مَن يكونُ بين يديه فرَمَاه بدَواتِه او شَتَمَهُ فاَفْحَشَ فدخل اليه الغالبىُّ الشاعرُ وانشدَهُ الكامل

لَمَّا أَتَخْنا بالوزيرِ رِكابَنا مستَعْصِمينَ بجُودِهِ أَعْطانا
ثَبَتَتْ رَحا مُلْكِ الامامِ بثابتٍ وافاضَ فينا العَدْلَ والاحْسانا
يَقْرِى الوُفودَ طَلاَقَةً وسَماحَةً والناكِثِين مُهَنَّدًا وسِنانا
مَن لَمْ يَزَلْ للناسِ غَيْثًا مُمْرِعًا مُتَخَرِّقًا فى جودِهِ مِعْوانا

فلما وصَلَ الى قولِه فى جُودِهِ وقَفَ وأُرْتِجَ عليه وصار يُكَرِّرُ فى جُودِهِ فى جُودِهِ مِرارًا حتى ضَجِرَ ابو عَبَّادٍ وغَلَبَتْ عليه السَّوْداءُ فقال يا شيخُ قُلْ قَرَنَانًا او صَفْعَانًا وخَلِّصْنا فضحكَ جميعُ مَن كانَ بالمَجْلِسِ

وذهب غَيْظُهُ هو ايْضًا فضَحِكَ مع النّاسِ واتمّ الغالبيُّ قافيَتَهُ بقولِهِ مِعْوانـا ثم وصَلَهُ وزارة ابى عبدِ اللهِ محمد بن يَزْداد بن سُوَيْد للمامون وهو آخِرُ وزرايه هُمْ من خراسان كانوا مَجُوسًا ثم اَسْلَمُوا واتَّصَلُوا بالخُلفاء وسُوَيْدٌ اَوّلُ مَنْ اَسْلَمَ منهم وكانَ قد مات ابوه وهو صَغِيرٌ فاَسْلَمَتْهُ اُمُّهُ الى بعض كُتّابِ العَجَمِ فنَفَذَ نَفاذًا محمودًا وتَعَلَّمَ آدابـا كثيرةً من آدابِ الفُرْسِ ثم واظَبَ على مُلازَمَـةِ الديـوانِ بمَرْوَ فحضَرَ صاحِبُ الديـوانِ فى يومٍ مَطِيرٍ وتَخَلَّف جميعُ الكتّـاب والنوّابِ من الحضورِ وكان سُوَيْدٌ جَدُّ محمّدٍ حـاضِرًا فاحتاجَ صاحِبُ الديوانِ الى عَمَلِ حَسْبَةٍ فلم يَكُنْ عِنْدَهُ بالديوانِ كاتبٌ فتَوَلّى هو عَمَلَها بنَفْسِـه وشَرَعَ فيهـا فكَتَبَ بَعْضَها ثم غلَبَهُ نُعاسٌ وحانَتْ منـه التفاتَـةٌ فراى سُوَيْدًا فسَلَّمَ الحَسْبَـةَ اليه وقالَ له احْتَفِظْ بها حتى اَنْتَبِهَ ثم نـام صاحِبُ الديوان فتَصَفَّحَ سُوَيْدٌ الحسبَةَ وتَمَّمَها وبَيَّضَهـا فى نُسْخَـةٍ حَسَنَـةٍ بخَطٍّ مَليحٍ وضَبْطٍ صحيحٍ واَنْتَبَـهَ صاحبُ الديوانِ وطلَبَ منـه الحَسْبَـةَ فدَفَعَهـا اليـه فوجَدَهـا مَفْرُوغًا منهـا على اَتَمِّ قاعِدَةٍ واحْسَنِ وَجْهٍ فقال يا صَبِىُّ من عَمِـلَ هذه الحَسْبَةَ قـال اَنَا قال اَفَتُحْسِنُ الكتابَةَ قال نَعَمْ فامَرَهُ بلزومِ سُدَّتِـهِ الّتى كانَ فيها حِسابُهُ واُصُولُ اَعْمالِهِ وما يَجِبُ ان يَحْتَفِظَ به وقَرَّرَ له مَعِيشَةً وتَنَقَّلَ فى الخَدَمات

حتى حَصَّلَ اَمْوالًا جليلةً وارتَفَعَ قَدْرُه ثم تأدَّبَ محمّدٌ وبَرَعَ فى كلِ شىء فاستوزره المامونُ وفوَّضَ اليه جميعَ الامورِ وكان محمدٌ شاعِرًا فصيحًا فمن شعره الوافر

لقد فَتَنَتْ بمُقْلَتِها فَتُونُ وخانَتْ فى الهوَى مَن لا يَخُونُ
وتَزْعُمُ انّنى اَهْوَى سِواها فكيف وما تَخَطَّتْهَا العيونُ
اَيا مَن حُبُّها فى القلبِ مِنّى مكانَ الروحِ مُسْتَتِرٌ كَمِينُ
ويا مَنْ تَدَّعِى اَنّى خَؤُونٌ وهذا فى هواها لا يَكُونُ
خُذِى عَهْدِى على عَيْنِى وطَرفِى وحَسْبُكِ ضامِنًا اَنّى اَمِينُ

ومات المامونُ وهو وزيره انقضت ايامُ المامون ووزرايه ✿

ثم ملك بعده اخوه المعتصم ابو اسحق مُحَمَّدٌ بويِعَ يَوْمَ وَفاةِ المامونِ وقد تقدّم ذِكرُ السَنَة كان المعتصِمُ سديدَ الراىِ شديدَ المُنَّةِ يَحمِلُ اَلْفَ رِطْلٍ ويَمْشِى بها خَطَواتٍ وكان موصوفًا بالشجاعَةِ وسُمِّىَ المُثَمَّن مِن اَحَدَ عَشَرَ وَجْهًا هو الثامنُ مِن وَلَدِ العبّاسِ الثامنُ من الخُلفاءِ وتَوَلَّى الخلافةَ وعُمْرُهُ ثمانِى عَشرَةَ سَنَةً وكانت خِلافَتُهُ ثمانى سنينَ وثمانيَةَ اَشْهُرٍ وتُوُفّىَ وله ثمانٍ واربعون سَنَةً ووُلِدَ فى شَعْبانَ وهو الشهرُ الثامنُ وخَلَّفَ ثمانيةَ ذكورٍ وثمانِىَ بناتٍ وغَزا ثمانى غَزَواتٍ وخَلَّفَ ثمانِيَةَ اَلْفِ اَلْفِ دِرْهَمٍ كانت

ايامُ المعتصمِ ايامُ فُتوحٍ وحُروبٍ هو الذى فتح عَمُّورِيَّةَ، شرحُ الحالِ فى ذلك كان السبَبُ فى غزْوِ المعتَصِمِ عمورِيةَ انّ مَلِكَ الرومِ خرج الى بِلادِ المسلمين فنهَبَ حِصْنًا من حصونهم يقال لـه زِبَطْرَة وقتَلَ مَن به من الرجال وسَبَى الذُرِّيَّةَ والنساء فيقال انه كان فى جُمْلةِ السَبْىِ امرأةٌ هاشِمِيّةٌ فسُمِعَتْ وهى تقولُ وَا مُعْتَصِمَاه فبلَغَ المعتَصِمَ ما فَعَلَهُ ملكُ الرومِ بالمسلمين فـاستعظَمَهُ وكَبُرَ عليه وبلَغَهُ ما قالت الهاشميةُ فقال وهو فى مجلسهِ لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ ونَهَضَ من ساعتهِ وصاحَ فى قَصْرِه الرحيلَ الرحيلَ ثم رَكِبَ دابّتَهُ وسمَّطَ خَلْفَهُ شِكالًا وسِكَّةَ حَديدٍ وحَقِيبَةً فيها زادُهُ ثم بَرَزَ وامَرَ العساكِرَ بالتَبْريزِ وتَجَهَّزَ تَجَهُّزًا لم يتجهَّزْ بمثله خليفةٌ فلما اجتمعت عساكِرُه وفَرغ من تجهيزِه وعزَمَ على المَسيرِ احْضَرَ القُضاةَ والشُهُودَ فاشْهَدَهُم انــه قد وَقَفَ أَمْلاكَهُ وأَمْوالَــهُ على ثلاثةِ أثلاثٍ ثُلْثٍ للّه تعالى وثُلْثٍ لوَلَدِه وأقاربِهِ وثُلْثٍ لمواليهِ ثم سارَ فظفِرَ ببَعْضِ أَهْلِ الرومِ فسالَـهُ عن أَحْصَنِ مُدُنِهِم وأَعْظَمِها وأَعَزِّها عندهم فقال له الرومىُّ انّ عَمُّورِيَّــةَ هِىَ عَيْنُ بلادِهم فتوجَّهَ المعتصِمُ اليها وجَمَعَ عساكِرَهُ عليها وحاصَرَهــا ثم فتحها ودَخَلَ اليها وقَتَــلَ فيها وفى بلادِهم وسَبَى وأَسَرَ وبـالَغَ فى ذلك حتى هدَمَ عَمُّورِيَّةَ وعَفَّى آثارَهَا وأَخَذَ بابًا مِن ابوابها وهو بابُ حديدٍ عظيمُ الحَجْمِ فاحضَرَهُ الى بغدادَ

وهو الآنَ على أَحَدِ ابوابِ دارِ الخلافـةِ يُسَمَّى بابَ العامَّة وكان قد صحِبَـهُ ابو تمَّـامٍ الطَّائىُّ فمدَحَـهُ بقصيدتـهِ البائيَّـةِ التى أوَّلُها

البسيط

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبـاءً من الكُتُبِ
فى حَدِّهِ الحَـدُّ بَيْنَ الجِـدِّ واللَّعِبِ

وفيها يقول للمعتصِمِ

خليفةَ اللـهِ جازَى اللـهُ سَعْيَكَ عَنْ
جُرْثُومَـةِ الدينِ والاسـلامِ والحَسَبِ
بَصُرْتَ بـالراحَةِ الكُبْرَى فلم ترَهـا
تُنـالُ الاّ على جَسْـرٍ مِـنَ التَعَبِ

ومن جُمْلَتِها ما يُشِيرُ به الى مبالغةِ المعتصِمِ فى قتالِهم واستيصالِهم ايّـاهُم

لم تَطْلُع الشَمْسُ مِنْهُم يومَ ذاك على
بَـانٍ بـأَهْلٍ ولم تَغْرُبْ على عَزَبِ

ومن جملتها ما يَدُلُّ على شِدَّةِ ما كان عندهم من الحِقْدِ عَلَيْهِم وهو قولهُ

مـا رَبْـعُ مَيَّـةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بـه
غَيْلانُ أَبْهَى رُبًـا مِن رَبْعِكِ الخَرِبِ
ولا الخُـدُودُ وان أُدْمِينَ مِن خَجَلٍ

أَشْهَى الى ناظِرِى مِن خَدِّكِ التَرِبِ

وكانَت وَقْعَةُ عَمُّورِيَّـةَ فى سَنَةِ ثلاث وعشرِينَ ومِيتَين، والمُعْتَصِمُ هو الذى بَنَى سُرَّ مَنْ رَأَى، شرح السببِ فى بِنـاء سامرا وكيفيةِ الحالِ فى ذلـك، كانت بَغْدانُ دارَ المُلْكِ وبها سريرُ الخلافَـةِ مِن بَعْدِ المَنْصُورِ الّا انّ هرونَ الرشيدَ أَحَبَّ الرَقَّـةَ بالشامِ فاقامَ بها ومَعَ ذلك فكانت الرَقّةُ له كالمتنزّه وقُصُورُه وخزاينُهُ ونساؤُه واولادُه ببغدانَ بقَصْرِ الخُلْدِ ومَن وَلِيَ بَعْدَه مِن الخلفاء كان سَرِيرُ مُلْكِهم ببغدانَ فلما كانت ايـامُ المعتصِمِ خافَ مَن بها من العسكرِ ولم يَثِقْ بهم فقال اطْلُبُوا لى موضِعًا أَخْرُجُ اليه وأَبْنِى فيه مدينةً وأُعَسْكِرُ بـه فـان رابَنِى مِن عساكرِ بغدانَ حادثٌ كنتُ بنَجْوَةٍ وكنتُ قـادِرًا على أَن آتِيَهُم فى البَرِّ وفى المـاء فوقَعَ اختيارُه على سامَرًّا فبَنَاهـا وخَرَجَ اليها وقيلَ اِنَّ المعتصِمَ استكثَرَ مِن المماليكِ فضاقت بهم بغدانُ وتناذَّى بهم الناسُ وزاحَمُوهم فى دُورِهم وتَعَرَّضوا بالنساء فكان فى كل يوم ربما قُتِلَ منهم جَماعَةٌ فرَكِبَ المعتصِمُ يومًـا فلَقِيَه رَجُلٌ شَيْخٌ فقال للمعتصِمِ يا ابـا اسْحَقَ فاراد الجُنْدُ ضَرْبَه فمَنَعَهم المعتصِمُ وقال لـه ما لك يا شَيْخُ فقال لَا جَزاكَ اللهُ خَيْرًا عن الجِوارِ جـاوَرْتَنـا مُدّةً فرأَيْناك شرَّ جارٍ جِيتَنَـا بهـاولاء العُلُوجِ مِن غلمانك الاتراكِ فأَسْكَنْتَهم بيننا فـأَيْتَمْتَ بهم صِبْيانَنَا

وَأَرْمَلْتَ نساءنا واللهِ لنقاتلَنَّكَ بسهامِ السَّحَرِ يعني الدُّعَاء والمُعْتَصِمُ يَسْمَعُ ذلك فدخَلَ منزِلَهُ ولم يُرَ راكبًا الا في يوم مثلِ ذلك اليوم فركِبَ وصَلَّى بالناسِ العيدَ وسارَ الى مَوْضِعِ سامَرَّا فبَنَاها وكان ذلك في سنة احدى وعشرِينَ ومِيتَيْنِ ولما مرِض المعتصم مرْضَتَهُ التى مات فيها نَزَلَ في سَفِينَةٍ ومَعَهُ زُنامٌ الزامِرُ وكانَ أَوْحَدَ وَقْتِهِ فجَعَلَ يَجْتازُ على قُصورِهِ وبساتينِهِ بشاطئِ دِجْلَةَ ويَقُولُ لزُنامٍ أَزْمُرْ السريع

يا منزِلاً لم تَبْلَ أَطْلالُهُ حاشَى لأَطْلالِكَ ان تَبْلَى
لم أَبْكِ أَطْلالَكَ لكنَّنِي بَكَيْتُ عَيشِي فيكَ اذْ وَلَّى
والعَيْشُ أَحْلَى ما بَكاهُ الفَتَى لا بُدَّ للمحزون أَنْ يَسْلَى

وَلَمَّا احْتُضِرَ جَعَلَ يَقُولُ ذَهَبَتِ الحِيَلُ لَيْسَتْ حِيلَةٌ ثم ماتَ وذلك في سنةِ سبعٍ وعشرين وميتين

شرح حالِ الوزارةِ في ايامه اوَّلُ وزرايه كاتِبُهُ قَبْلَ الخلافةِ الفَضْلُ ابنُ مروانَ كان مِن البَرَدانِ وكان عامّيًّا لا عِلْمَ عندَهُ ولا معرِفَةَ وكانَ رَدِىَّ السيرةِ جَهُولاً بالأُمورِ وفيه يقول بعضُ شعراء عَصْرِهِ الطويل

تَفَرْعَنْتَ يا فَضْلَ بْنَ مَرْوَنَ فاعْتَبِرْ
فقَبْلَكَ كانَ الفَضْلُ والفَضْلُ والفَضْلُ
ثلاثَةُ أَمْلاكٍ مَضَوا لِسَبِيلِهِم

ابـادهم التقييد والأسر والقـتـل

الثلاثة هم الفضـل بن يحيى بن خالد والفضل بن سهل والفضل ابن الربيع وكان الفضل بن مروان قد تمكّن من المعتصم وحسده الناس على منزلتـه عنده ثم نكبه وأخذ جميع امواله وعفّ عن نفسه فبقى مدّةً يتنقّل فى الخدمات حتى مـات فى ايام المستعين

وزارة احمد بن عمار بن سادى للمعتصم ثم وزر له احمد بن عمّار كان رجلا موسرًا من اهـل المذار فانتقل الى البصرة واشترى بها أملاكًا وكثر مالـه وكان طحّانـا ثم أصعد الى بغداد واتّسع بها حاله فقالوا كان يُخرج فى الصدقة كل يوم مئة دينار وكان الفضل بن مروان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم فلما نكب الفضل لم يقع نظر المعتصم على غير احمد بن عمّـار فـاستوزره وكان جاهلا بآداب الوزارة وفيه يقول بعض شعرآء عصره — السريع

سُبحانَ ربّى الخالقِ البارى　　صرتَ وزيرًا يـا ابنَ عمّارِ
وكنتَ طحّانًا على بغلـةٍ　　بغيـرِ دُكّانٍ ولا دارِ
كفرتَ بالمقدارِ ان لم تكن　　قد جُزتَ فى ذا كلّ مقدارِ

فمكث مُدّةً فى وزارة المعتصم حتى وَرَد كتابٌ من بعض العُمّال يذكر فيـه خِصْب الناحية وكثرة الكلأ فسال المعتصم أحمد بن عمّـار عن الكلأ فلم يدرِ مـا يقول فدعـا محمد بن عبد الملك

الزيّاتِ وكان أحَدَ خواصّه وأتْباعه فسألَهُ عن الكَلَأ فقال أوّلُ النبات يُسَمّى بَقْلًا فاذا طال قليلًا فهو الكَلَأُ فاذا يَبِسَ وجَفّ فهو الحشيش فقال المعتَصِمُ لاحمدَ بنِ عمّارٍ أنْظُرْ انتَ في الدواوينِ وهذا يَعْرِض عَلَيَّ الكُتُبَ ثم استوزَرَهُ وصَرَفَ ابنَ عمّارٍ صَرْفًا جميلًا وِزارة محمد ابن عبد الملكِ الزياتِ للمعتصمِ كان ابوه تاجرًا في ايامِ المامونِ مُوسِرًا ونَشأَ محمّدٌ فتادَّبَ وقَرَأَ وفَهِمَ وكانَ ذكيًّا فبَرَعَ في كُلِّ شيء حتى صار نادِرَةَ وَقْتِهِ عَقْلًا وفَهْمًا وذكاءً وكِتابةً وشعرًا وأدَبًا وخِبْرَةً بآدابِ الرياسَةِ وقواعدِ الملوكِ حتى كانت ايامُ المعتصمِ فاستوزَرَهُ على ما تقدّمَ شَرْحُهُ فنَهَضَ بأعْباء الوزارةِ نُهوضًا لم يكُنْ لمن تَقَدَّمَهُ من أضْرابِهِ وكان جَبّارًا متكَبِّرًا فَظًّا غليظَ القَلْبِ خَشِنَ الجانبِ مُبَغَّضًا الى الخَلْقِ وماتَ المعتصمُ وهو وزيرُهُ وكان المعتصمُ قد أمَرَ لابنِهِ الواثقِ بمالٍ وأحالَهُ به على ابنِ الزيّاتِ فمنَعَهُ وأشارَ على المُعْتَصِمِ أنْ لا يُعْطِيَهُ شيئًا فقَبِلَ المعتصمُ قولَهُ ورجَعَ فيما كان أمَرَ به للواثقِ من ذلك فكَتَبَ بخَطِّهِ كتابًا وحَلَفَ فيه بالحَجِّ والعتْقِ والصَدَقةِ انه ان وَلِيَ الخلافَةَ ليَقْتُلَنَّ ابنَ الزياتِ شَرَّ قِتْلةٍ فلما ماتَ المُعْتَصِمُ وجلسَ الواثقُ على سريرِ الخلافة ذكرَ حديثَ ابنِ الزيّاتِ فارادَ ان يُعاجِلَهُ فخافَ أنْ لا يَجِدَ مِثْلَهُ فقالَ للحاجِبِ أدْخِلْ اليَّ عشرةً من الكتّاب فلما دخلوا عليه اختبرَهم فما

كان فيهم من أرضاه فقال للحاجب أدخل من الملك محتاج اليه محمد بن الزيّات فدخله فوقف بين يديه خايفا فقال لخادم أحضر الى المكتوب الفلاني فاحضر له الكتاب الذى كان كتبه وحلف فيه ليقتلنّ ابن الزيّات فدفعه الى ابن الزيّات وقال اقرأه فلما قرأه قال يا امير المومنين انا عبد ان عاقبته فانت حاكم فيه وان كفرت عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك فقال الواثق والله ما أبقيتك الا خوفا من خلوّ الدولة من مثلك وسأكفّر عن يميني فانّى أجد عن المال عوضا ولا أجد عن مثلك عوضا ثم كفّر عن يمينه واستوزره وقدّمه وفوّض الأمور اليه وكان ابن الزيّات شاعرا مجيدا فمن شعره يرثي المعتصم ويمدح الواثق — المنسرح

قد قلت اذ غيّبوك واصطفقت عليك أيد بالماء والطين
اذهب فنعم المعين انت على الدنيا ونعم المعين للدين
لا يجبر الله أمّة فقدت مثلك الا بمثل هرون

ثم انّ محمد بن عبد الملك الزيّات مكث فى وزارة الواثق مدّة خلافته لم يستوزر غيره حتى مات الواثق وولى اخوه المتوكّل فقبض عليه وقتله قيل انّ ابن الزيّات عمل تنّورا من حديد ومسامير الى داخل ليعذّب به من يريد عذابه فكان هو أوّل من جعل فيه وقيل له ذق ما كنت تذيق الناس انقضت ايام

المعتصم ووزرايه ۞

ثم ملك بعده ابنه هرون الواثق بويع سنةَ سَبْع وعشرينَ ومايتين كان الواثق من افاضل خلفايهم وكان فاضلاً لبيبا فطنا فصيحا شاعرًا وكان يتشبّهُ بالمامون فى حركاته وسكناته ولمّا وَلِيَ الخلافةَ احْسَنَ الى بنى عمّه الطالبيينَ وبَرَّهم ولم يَقَعْ فى ايامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يُوثَرُ ومات الواثق فى سَنَة ثلاث وثلاثين ومايتين ۞

شرح حال الوزارة فى ايامه لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عَبْد الملك الزيّات وزير ابيه وقد سَبَقَ طَرَفٌ من حاله ومات الواثق وهو وزيره انقضت ايام الواثق ۞

ثم ملك بعده اخوه جعفر المتوكل كانَ المتوكّلُ شديدَ الانحراف عَن آل عَليّ عم وفَعَلَ مِنْ حَرْث قَبْرِ الحُسَيْن عم ما فَعَلَ وابَى اللهُ الا اَن يُتمّ نُورَهُ وقال مَنْ يَعْتَذِرُ له انه كان كاخيه وكالمامون فى المَيْل الى بنى عليّ عم وانما كان حولَهُ جَماعةٌ منحرفون عن اَهْل البيت عليهم السّلمُ فكانوا دايما يَحْمِلُونه على الوقيعة فيهم والاوّل اصحُّ ولا رَيْبَ انه كان شديدَ الانحراف عن هذه الطايفة ولذلك قتَلَهُ ابنُه غَيْرَةً وحَمِيّةً شرح مقتله على سبيل الاختصار كانت بَيْنَهُ وبين ابنه المُنْتَصِر مُبايَنَةٌ وكان كُلٌّ منهما

يَكْرَهُ الآخَرَ ويُوذِيهِ فاتَّفَقَ المُنْتَصِرُ مع جماعةٍ من الامراء على قَتْله وقتلِ الفَتْحِ بنِ خاقانَ وكان اكْبَرَ امرايه وافْضَلَهُم فهَجَمُوا عليه وهو يَشْرَبُ فخَبَطُوا بالسيوف فقتلوه وقتلوا الفتحَ معه واشاعوا انّ الفَتْحَ قَتَلَهُ فقَتَلْناه بـه وجلَسَ ابنه على السرير بَعْدَه وذلك فى سنة سبع واربعين ومِيتَين شرح حال الوزارة فى ايامه لما بويع بالخلافة استوزَرَ محمدَ بنَ عَبْدِ الملكِ الزيّات ايامـا ثم نكبَـهُ وقَبَضَ عليه وقتله كما تقدّم شرحُه ثم استكتب رجُلاً من كُتّابه يقال له ابو الوزير مِن غيرِ ان يُسَمّيَهُ بالوزارة فكتَبَ له مُدَيْدَةً يَسيرَةً ثم نَكبَهُ واخَذَ منه مِيتَىْ أَلْفِ دينارٍ واستوزَرَ الجَرْجَرائىَّ وزارة ابى جعفرٍ محمد بن الفضـل الجرجراى للمتوكّل كان شَيْخًا ظَرِيفًا حسنَ الادبِ عالمًا بالغناء مشتَهِرًا به فخَفَّ على قَلْبِ المتوكلِ فاستوزَرَهُ مُدَيْدَةً ثم كثُرَت السعاياتُ بـه فعزَلَهُ المتوكل وقال قد ضَجِرْتُ مِن المشايخ اُرِيدُ حَدَثًا استوزِرُهُ فاُشِيرَ عليه بعُبَيْد الله بنِ يحيى ابن خاقان وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان عبيدُ الله حَسَنَ الخَطِّ وله معرفةٌ بالحساب والاستيفاء الا انه كان مُخَلِّطًا وكان مَجْدُودًا فكانت سعادَتُهُ تُغَطّى عُيُوبَهُ وكانَ كريمًا حَسَنَ الاَخْلاقِ وكان كَرَمُـه أيْضًا يَسْتُر كثيرًا من عُيوبـه وكان فيه تَعَفُّفٌ قيلَ ان صاحبَ مِصْرَ حَمَلَ اليه مِيتَىْ الف دينارٍ وثلاثين سَفَطًا من

الثيابِ المصْرِيَّةِ فلمَّا أُحْضِرَت بين يدَيْهِ قال لوكيلِ صاحب مِصْرَ لا واللهِ لا اَقْبَلُها ولا أُثقِلُ عليه بذلك ثم فَتَحَ الأسْفاطَ واخَذَ منها مِنْديلاً لطيفا وضَعَهُ تحت فَخِذِهِ وأَمَرَ بالمال فحُمِلَ الى خِزانةِ الديوانِ وصُحِّحَ بها واَخَذَ بـه زُوراً لصاحبِ مِصْرَ وكانت سيرةُ عُبَيْدِ الله هَيِّنَةً والجُنْدُ يُحِبُّونَـهُ فلَمَّا جَرَتْ الفِتْنَةُ عند قَتْلِ المتوكِّلِ خاف عبيدُ اللهِ فاجتمَعَ الجُنْدُ على بابهِ وقالوا له انت احسَنْتَ الينا فى حالِ وزارتِكَ واَقَلّ ما يَجِبُ لك علينا ان نَحْتَفِظَ بك ونَحْرُسَكَ فى مثـلِ هذه الفِتْنَـةِ ولازَمُوا بابَهُ وحَفَظُوه ومات المتوكلُ وهو وزيرُه، انقضت ايام المتوكل ووزرايه۞

ثم ملك بعده ابنه محمد المنتصِر بويعَ فى صَبيحَةِ الليلة التى قُتِلَ ابوه بها، كان المنتصِرُ شَهْمًـا فاتكـا سفّاكا للدَم لما قتَلَ اباه تحدَّثَ الناسُ بانـه لا يَطُول له العُمْرُ بعْدَهُ وشبّهوهُ بِشِرَوَيْـه بنِ كِسْرَى حِينَ قتَلَ اَبَاهُ ولم يَستمتع بالمُلْكِ بعدَهُ قالوا لما قتل المنتصرُ ابـاه وبويعَ لـه بالخلافة جلَسَ على بِساطٍ لم يَرَ الناسُ مثلَهُ وعليه كِتابةٌ عجيبةٌ بالفارسيّةِ فنظر اليها المنتَصِرُ واستَحْسَنَها وقال لمَنْ حَضَرَ هل تَعْرِفونَ مَعْنَاهَا فاَحْجَمُوا وقالوا لا نَعْرِفُ فاستَحْضَرَ رجُلاً عَجَمِيًّا غَرِيبًا واَمَرَهُ بقِراءتها فاَحْجَم الرجُلُ فقال له المنتَصِرُ قُلْ ومـا عليك بَـاسٌ فليس لك ذَنْبٌ فقال الرَّجُلُ على هذا البِسَاطِ

مَكْتُوبٌ انا شِيرَوَيْه بنُ كِسْرَى قَتَلْتُ ابى فَلَمْ أَتمَتَّعْ بالمُلكِ بعده الا سِتّةَ اشهرٍ فتطيَّرَ المنتصرُ من ذلك ونَهَضَ من مجلسه مُغْضَبًا فلم تَتِمَّ سِتَّةُ اشهرٍ حتى مات وذلك فى سَنَةِ ثمانٍ واربَعين ومِئتين ❊ شرحُ حالِ الوزارة فى ايامه لما بُويِعَ بالخلافة استوزَرَ كاتِبَهُ أَحْمَدَ بنَ الخَصِيبِ ❊ وزارة احمد بنِ الخَصيبِ للمنتصرِ كان احمدُ مُقَصِّرًا فى صِناعتِه مَطْعُونًا عليه فى عَقْلِه وكانت فيه مُرُوَّة وحِدَّة وطَيْشٌ فَمَن احتمَلَهُ بلَغَ منه ما أرادَ فعَرَضَ له رجُلٌ مِن اربابِ الحوائجِ وألحَّ عليه حتى ضايَقَهُ وضَغَطَ رِجْلَهُ بالرِكابِ فاحْتَدَّ أَحْمَدُ وأَخْرَجَ رِجْلَهُ من الرِكابِ وركَلَهُ بها فى صَدْرِه فقال فيه بعضُ الشعراء

الكامل

قُلْ للخليفةِ يا ابنَ عَمِّ محمّدٍ أُشْكُلْ وزيرَكَ انّه ركّالُ

قد نالَ من أَعْراضِنا بِلِسانِهِ ولِرِجْلِهِ عند الصُدُورِ مَجالُ

ومات المنتَصِرُ واحمَدُ بنُ الخَصِيبِ وزيرُه ❊ انقضت ايام المنتَصِرِ.

ثم ملك بعده المستعين هو احمَدُ بنُ محمد بنِ المعتصِمِ لما مات المنتصر اجتمع الامراءُ واكابرُ المماليك وقالوا متى ولَّينا احَدًا من وُلْدِ المتوكلِ طالبَنَا بدَمِهِ واهْلَكَنا فاَجْمَعُوا على مُبايَعةِ المستعينِ وقالوا هو ابنُ ابنِ مولانا المعتصِمِ فاذا بايعناه لم تَخْرُجِ الخلافةُ من وَلَدِ المعتصِمِ فبايَعُوهُ فى سنةِ ثمان واربَعينَ ومِئتين وكانت

تلك الايام ايام فتنٍ وحروبٍ وخروج خوارجَ فممّن خرجَ فيها
قتيل شاهي ابو الحُسَيْن يحيى بن عُمَر بن يحيى بن الحسين بن زيد
ابن علىّ بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلم ' شرح
الحال فى ذلك كان يحيى بن عُمَرَ قتيلُ شاهي قَدِمَ مِن خُراسانَ
فى ايامِ المتوكّلِ وهو فى ضايقةٍ وعليه دَيْنٌ فكلّمَ بعضَ اكابرِ
اصحاب المتوكّل فى ذلك فاغْلَظَ له وحَبَسَهُ بسامرّا ثم كفلَهُ أهْلُهُ
فاطلَقَ وانْحَدَرَ الى بغدادَ فاقامَ بها مُدّةً على حالٍ غيرِ مرضيّةٍ مِن
الفَقْرِ وكان رحمَهُ اللهُ دَيِّنًا خَيِّرًا عمّالاً حَسَنَ السيرَةِ فرَجَعَ الى
سامرّا مرّةً ثانيةً وكلّم بعْضَ امراء المتوكل فى حالهِ فاغْلَظَ له
وقال لاىّ حالٍ يُعْطَى مِثْلُك فرَجَعَ الى بغْدادَ وانحدَرَ منها الى
الكوفةِ ودَعَا الناس الى الرِضَى من آل محمد فتَبِعَهُ ناسٌ مِن أهْلِ
الكُوفةِ مِن ذَوِى البصايرِ فى التَشَيُّع وناسٌ من الأعْرابِ ووَثَبَ فى
الكُوفةِ واخذَ ما فى بيت المالِ ففرّقهُ على اصحابهِ واخرجَ من فى
السُجُونِ وطرَدَ عن الكوفةِ عامِلَها وكثُرَت جموعُهُ فارسَلَ اليه أميرُ
بَغْدادَ وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بن طاهرٍ عَسْكرًا فالتَقَوا بشاهي وهِيَ
قَرْيةٌ قريبةٌ من الكوفةِ فكانت الغلبَةُ لعسكرِ ابن طاهر وانكشفَ
الغُبارُ ويَحْيَى بن عُمَر قتيل فحُمِلَ راسُهُ الى محمد بن عبدِ اللهِ بن
طاهرٍ ببغدادَ فجلَسَ محمدُ بنُ عبد اللهِ بنُ طاهرٍ للهناء بذلك

فدخل عليه الناس أفواجًا يهنّئونه وفى جملتهم رجلٌ من ولد جعفر ابن ابى طالب عمر فقال له ايها الامير انّك لتهنّأ بقتل رجل لو كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلّم حيًّا لَعُزّى به فاطرق محمد بن عبدِ اللــه ساعةً ثم نهض وصرف الناس ورثاه الشعراء فممن رثاه ابن الرومى بجيميّته التى أوّلها — الطويل

أمامَكَ فانظُرْ اىّ نهجَيك تنهجُ طريقانِ شتّى مستقيمٌ وأعوجُ

منها

سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحمةٌ عليك وممدودٌ من الظلّ سجسجُ
ولا برح القاعُ الذى انت جارهُ يرفّ عليه الاقحوانُ المفلّجُ

وهى قصيدةٌ ساعرةٌ تناولَ فيها بنى العبّاس بأشياء تركناها تحرّجًا وكانت وقعةُ شاهى فى سنةِ خمسين ومئتين وخرج عليه غيرُه من الطالبيّين فكانت الغلبةُ فى جميع تلك الحروب له، واعلم أنّ المستعين كانَ مستضعفًا فى رايه وعقله وتدبيره وكانت ايامُه كثيرةَ الفتنِ ودولتُه شديدةَ الاضطرابِ ولم يكُنْ فيه من الخصالِ المحمودةِ الا انه كانَ كريمًا وهوبًا خُلِعَ فى سنةِ اثنتين وخمسين ومئتين ثم قُتِلَ بعد ذلك، شرح حال الوزارة فى ايامه لما وَلِىَ المستعينُ أقرّ احمدَ بنَ الخصيب على وزارته شهرَيْنِ ثم استوزر بعدَه ابا صالح عبدَ اللهِ بن محمد بن يزداد، وزارة ابى صالح محمد

ابن يزداد كانَ عنده ادَبٌ وفضْلٌ وكانت تَوْقيعاتُــه وأَجْوِبَتُهُ من احسَنِ التوقيعاتِ والأَجْوِبَــةِ ومن توقيعاتــه الى رجُلٍ ليس عليكَ بَــأْسٌ مــا لم يكُنْ منْكَ بَأْسٌ قالُوا ولما تَوَلّى ابو صالح بن يَزْداد الوزارةَ للمستعين ضَبَطَ الأموال فصَعُبَ ذلك على امراء الدولة وكان قد ضَيَّقَ عليهم فتهدَّدُوهُ بــالقَتْلِ فهرب ثم اخْتَلَفَت الأَحْوالُ واستَكْتَبَ المستعينُ تــارةً محمدَ بن الفَضْــل الجرجرائيّ وشجاع بن القسيم لكن لم يَتَسَمَّ احَدٌ منهما بــالوزارة ولم تَطُــلْ تلك الايــامُ وكانت ذاتَ فِتَنٍ وحُرُوبٍ واختلافٍ كثيرٍ انقضت ايام المستعينِ ووزرآيه ۞

ثم ملك بعده المعتز بالله هو ابو عبدِ الله محمدُ بنُ المتوكل بويع بالخلافةِ سنةَ اثنتين وخمسين ومئتينِ عَقيبَ خَلْعِ المستعينِ وكانَ المعتزُّ جَميلَ الشَخْصِ حَسَنَ الصُورَةِ ولم يَكُنْ بسيرتهِ ورايهِ وعَقْلِهِ بــاسٌ الا انَّ الأتراكَ كانُوا قد استَوْلوا مُنْذُ قُتِلَ المتوكِّلُ على المملكة واستَضْعَفُوا الخلفاء فكان الخليفــةُ في يَدِهِم كالاسيرِ ان شاءوا أَبْقَوه وان شاءوا خَلَعُوه وان شاءوا قَتَلُوه لما جَلَسَ المستعينُ على سريرِ الخِلافة قعَدَ خواصُّه واحْضَرُوا المُنَجِّمينَ وقالوا لَهُم أُنْظُرُوا كم يَعيشُ وكم يَبْقَى في الخِلافةِ وكان بالمَجْلِسِ بَعْضُ الظرفاء فقال انا أَعْرَفُ مِن هاولاء بِمقدارِ عُمْرِهِ وخلافتهِ فقالوا له فكم تقولُ

انه يَعيشُ وكم يَمْلِكُ قال مَهْمَا اراد الأَتْراكُ فلم يَبْقَ فى المجلس الا مَنْ ضَحِكَ " وفى ايـامِ المعتزِ ظَهَـرَ يعقوبُ بنُ اللَّيْثِ الصَّفّارُ واستَوْلَى على فـارس وجَمَعَ جُمُوعًـا كثيرةً ولم يَقْدِرْ المعتزُّ على مُقاوَمَتهِ ثم انَّ الاتراك ثارُوا بالمعتزّ وطَلَبُوا منه مَالاً فاعتَذَرَ اليهم وقال ليس فى الخزاينِ شىءٌ فاتَّفقُوا على خَلْعِهِ وقَتْلِهِ فحضَرُوا الى بابه وارسلُوا اليه وقالوا لـه اخْرُجِ الينا فاعتذَرَ بانه شَرِبَ دَوَاءً فهَجَمُوا عليه وضَرَبُوهُ بالدَبابيسِ وخرَّقُوا قَميصَه واقـاموه فى الشمس فكان يرفَعُ رِجْلاً ويَضَعُ أُخْرَى بشِدَّة الحَرّ وكان بَعْضُهم يَلْطِمُه وهو يتَّقِى بيدِهِ ثم جَعَلُوهُ فى بيتٍ وسَدُّوا بابَهُ حتى ماتَ بعدَ ان اشهَدُوا عليه انـه خلَعَ نَفْسَـهُ وذاك فى سَنَةِ خَمْسٍ وخمسين ومِئتين شرح حال الوزارة فى ايـامـه اوَّلُ وزرايـه ابو الفَضْلِ جَعْفَرِ بنُ محمودٍ الاسْكافِىُّ وزارة الاسكافى للمعتزِ لم يَكُنْ له عِلْمٌ ولا أَدَبٌ ولكنَّهُ كان يستميلُ القلوبَ بالمَواهبِ والعطايا وكان المعتزُّ يَكْرَهُهُ وكانوا يَنْسُبُونَهُ الى التَشَيُّع ومال اليه بَعْضُ الاتراك وكَرِهَهُ البعضُ الآخرُ وثارت بسَبَبِهِ فِتْنَةٌ فعزَلَهُ المعتزُّ وزارة ابى موسى عيسى بن فرخان شاه للمعتزِ كان كريمًـا قيل عنه انـه كانَ قَبْلَ الوزارة يَتَوَلَّى بعضَ الدواوينِ فعُزِلَ عنه وله به استحقاقٌ مَبْلَغُهُ أَلْفُ دينارٍ فتَلَطَّفَ بالذى تولّى بَعْدَه حتى كَتَبَ له وأَحالَهُ بذلك على بَعْضِ النُوَّاب

فلما حَصَلَ المالُ كتَبَ ذلك النايُبُ الى عيسَى بن فرّخان شاه يُعْلِمُهُ انّ المالَ قد حَصَلَ ويستَأذنُه فى حَمْلِه اليه وكانَ صديقا له فكتَبَ اليه انّ فلانًا الشاعِرَ لازَمَنى مُدّةً وما حَصَلَ له مِن جِهتى شىءٌ فادْفَعْ هذا المالَ اليه فدَفَعَ المالَ الى الشاعِرِ فاخَذَه وانْصَرَفَ وجرت بسببه ايضا فتنةٌ بين الاتراكِ فعزَلَهُ المعتزُّ، وزارة ابى جعفرٍ احمد بنِ اسرائيل الانبارِى للمعتزِ كانَ اَحَدَ الكُتّابِ الحُذّاقِ الاذكياء قالوا كان يَحْفَظُ وُجُوهَ المالِ جميعَها دَخْلاً وخَرْجًا على ذِهْنِه وقالوا انه ضاعَتْ مَرّةً حَسْبَةٌ مِن الديوانِ فاوْرَدَها مِن خاطِرِه فلما وُجِدَت الحَسْبَةُ كانت كما قال مِن غَيْرِ زيادةٍ ولا نقيصَةٍ ثم انّ الاَتْرَاكَ وَثَبُوا على احْمَدَ بن اسرائيلَ فاخَذُوه وضَرَبُوه واستَصْفَوا اموالَهُ وشَفَعَ فيه المعتزُّ وامُّهُ الى متَقَدّمِ الاتراك وهو صالحُ بنُ وَصيفٍ فلم يلتفت اليهما وحبَسَهُ وضَرَبَهُ بعد ذلك فى ايام المُهْتَدى حتى مات، ولما فعل صالحُ بنُ وصيفٍ باحمدَ بنِ اسرائيلَ ما فَعَلَ استحضَرَ جعفر بنَ محمودٍ الاسكافىَّ واستوزَرَهُ للمعتزِ ثانيَةً وقد سَبَقَ ذكرُهُ ولما تَوَلّى الوزارة فى المرّةَ الثانيَةِ قال بَعْضُ الشعراء المنسرح

يا نَفْسِ لا تُولِعى بِتَفْنيدِ وعَلّلى القلبَ بالمواعيدِ
وانتظِرى قد رايتِ ما ساقَهُ اللهُ الى جَعْفرِ بنِ محمودِ

انقَضَتْ ايامُ المعتزِّ ووزرايه ✿

ثم ملك بعده المهتدى بالله هو ابو عبد الله محمد بن الواثق
كان المُهْتَدِى من اَحْسَنِ الخلفاء مَذْهَبًا واجملهم طريقةً وسيرةً
وأظهرهم وَرَعًا واكثرهم عبادةً كان يتشبّهُ بعُمَرَ بن عبدِ العزيز
ويقول انى اَسْتَحْيِى أن يَكونَ فى بنى اُمَيَّةَ مثلُه ولا يَكونُ مثلُه فى
بنى العباسِ وكان يَجْلِسُ للمظالمِ فيحكم حُكْمًا يَرْتَضِيه الناسُ
وكان يتقلَّلُ فى مَأكولِهِ ومَلْبوسِهِ حَدَّثَ بَعْضُ الهاشميّينَ قال
كنتُ عند المهتدى فى بعض ليالى رَمَضانَ فقمتُ لأَنْصَرِفَ فامَرَنى
بالجلوسِ فجَلَسْتُ حتى صَلَّى المهتدى بنا المَغْرِبَ ثم أمَرَ باحضارِ
الطَّعامِ فأُحْضِرَ طَبَقُ خِلافٍ وعَلَيْهِ رُغْفانٌ وفى اِناءٍ ملحٌ وفى اناءٍ
خَلٌّ فاكَلَ واكَلْتُ أكْلاً مُقْصِرًا ظَنًّا منّى انه يَحْضُرُ طَعامٌ أجْوَدُ
مِن ذلك فلما راى أكْلِي كذلك قال امَا كُنْتَ صائِمًا قُلتُ بَلَى
قال أفَلَسْتَ تريدُ الصَوْمَ غَدًا قُلتُ وكيف لا وهو شَهرُ رَمَضانَ
فقال كُلْ واستَوْفِ عَشاءَك فلَيْسَ هاهنا غيْرُ ما تَرَى فَتَعجّبْتُ وقلتُ
لِمَ ذلك يا امير المومنين وقد أَسْبَغَ اللهُ عليك نِعَمَهُ ووسَّعَ رِزْقَهُ
فقال انَّ الأمْرَ كما تقولُ والحمدُ للهِ ولكنى كَرِهْتُ ان يَكونَ
فى بنى اميَّةَ مثلَ عُمَرَ بن عبدِ العزيز وأنْ لا يكونَ فى بنى العباس
مثلُهُ وكان المهتدى قد اطَّرَحَ المَلاهِي وحَرَّمَ الغِناء والشَرابَ ومنَعَ
اصحابَهُ من الظُلْمِ والتَعَدّى فى ايامِ المهتدى خرج صاحبُ الزَنْجِ

وسَيَرِدُ خَبَرُه فى ايام المعتمِد ان شاء الله تعالى كان المهتدى قتل بعض المـوالى فشَغَبَ عليه الاتراكُ وهـاجوا واخذوهُ اسيرًا وعذّبوهُ ليَخْلَعَ نَفْسَهُ فلم يَفْعَـلْ فخَلَعُوه ثم ومـات وذلك فى سنـة ستّ وخمسين ومئتين شرح حال الوزارة فى ايامـه لما بُويعَ بالخلافة أَقَرَّ جَعْفَرَ بنَ محمودٍ الاسْكافِىَّ على وزارته ثم عزَلَهُ واستوزرَ سليمنَ بنَ وَهْب وزارة سليمن بنِ وهبِ بن سعيد للمهتدى هم مِن قَرْيَـةٍ مِن أَعْمالِ واسِطَ وكانَتْ لهم تَنايَةٌ وكانوا نَصارَى ثم أَسْلَمُوا وخَدَمُوا فى الدواوين حتى آلَتْ بهم الحالُ الى ما آلَتْ كان ابو ايوبَ سليمنُ بنُ وَهْبٍ أَحَدَ كُتّابِ الدنيـا وروسايها فَضْلاً وأَدَبًا وكتابةً فى الدرجِ والدستورِ وأَحَدَ عقلاء العالَمِ وذوى الراى منهم حدث ابنه عُبَيْدُ الله قالَ حدثنى ابى قال كان مَبْدَأُ سعادتى انى كُنْتُ وانا صبىٌّ بين يَدَى محمد بن يَزْدادَ وزيرِ المـامونِ وكُنّا جَماعَـةً مِن الصِبْيانِ بين يَدَيْه اذا راحَ فى الليلِ الى دارِه باتَ واحِدٌ منّا فى دارِ المامونِ بالنَوْبَةِ لمُهِمٍّ عَساهُ يَعْرِضُ فى الليلِ قال فكانت ليلة نوبَتى فخرَجَ خادمٌ وقال هاهُنا أَحَدٌ من نُوّابِ محمد بن يَزْدادَ فقال الحُجّابُ لـه نَعَمْ ها هُوَ ذا فادْخَلَنى الى المـامونِ فقال لى اعمَلْ نُسْخَةً فى المَعْنَى الفُلانىّ ووَسِّعْ بين سُطورِهـا وأَحْضِرْها لأُصْلِحَ منها مـا أُرِيدُ اصْلاحَهُ قـال فخرَجْتُ سريعا وكتَبْتُ الكتـابَ بغَيْرِ نُسْخَةٍ وبيّضْتُه

واحضرْتــهُ اليه فلما رانى قال كتبتَ النُسْخَةَ قُلْتُ بــل كتبْتُ الكتابَ فقال بيّضتَهُ قلتُ نَعم فزاد فى نَظَرِه الَيَّ كالمتعجّب منى فلما قرأهُ تبيّنْتُ الاستحسانَ على وَجْهِهِ ورفَعَ راسَهُ الَىَّ وقــال ما اَحْسَنَ ما كتبْتَ يا صَبِىُّ ولكنْ اريدُ ان تُقدّمَ هذا السَطْرَ وتُوخّرَ هذا السَطْرَ وخَطَّ عليهما بقلمِــهِ فــاخَذْتُ الكتابَ وخرَجْتُ وجَلَسْتُ ناحِيَةً ثم مَحَوْتُ السطرَيْنِ وعَمِلْتُ ما ارادَ وجِئْتُه بالكتاب وكان قد ظَنَّ انّى اُبَطّلُه واكتُبُ غيْرَهُ فلما قرأهُ لم يَعْرِفْ موضعَ المَحْوِ فاستحسَنَهُ وقــال يــا صَبِىُّ لا اَدْرِى مِن اَىِّ شىء اَعْجَبُ أَمِنْ جَوْدَةِ مَحْوِكَ ام مِن سُرْعَةِ فَهْمِكَ ام مِن حُسْنِ خَطِّكَ ام من سُرْعَتِكَ بارَكَ اللهُ فيكَ فقبَّلْتُ يَدَهُ وخرَجْتُ وكان ذلك اوّلَ عُلُوّ مَنْزِلَتى وصار المامون لا يَجْرِى مُهِمٌّ الا قال هاتُوا سليمنَ بنَ وَهْبٍ ولما جرت له هذه القضيّةُ كتَبَ اليه بعضُ الشعراء البسيط

اَبُوكَ كَلَّفَكَ الشَأْوَ البَعيدَ كما قدْمًــا تكلّفهُ وَهْبٌ ابو حَسَنِ
فلَسْتَ تَحْمَدُ اِنْ اَدْرَكْتَ غايَتَهُ ولَسْتَ تُعْذَرُ مَسْبوقًا فلا تَهِنِ

قالوا كان سليمنُ بن وهبٍ يتعشّقُ ابرهيمَ بنَ مَيْمُونَ وكان ابرهيمُ بنُ مَيْمون يتعشّقُ مُغَنّيَةً اسْمُها خَلاصُ فاجتمعوا كلهم على شرابٍ فسكرَ ابرهيمُ فاكَبَّ سليمنُ بنُ وَهْبٍ يَلْثمُهُ ويترشَّفُهُ وخَلاصُ تَنْظُرُ اليه فلما صَحَا ابرهيمُ عرَّفَتْه خلاصُ ما فَعَلَ به سليمنُ

وقالت له كيف يَصْفو قلبى لكَ وأنْتَ يُصْنَعُ بكَ مِثْلُ هذا فانقطَعَ ابرهيمُ عَن سليمنَ وغَضِبَ عليه فكتب سليمنُ بن وَهْبٍ اليه المجتثّ

قُلْ لِلَّذِى لَيْسَ يُرْجَى　　لِعَاشِقِيهِ خَلاصُ
أَالْآنَ لَتَمْتُكَ سِرًّا　　فَأَبْصَرْتَنِى خَلاصُ
هَجَرْتَنِى وَأَتَتْنِى　　شَتِيمَةٌ وَانْتِقاصُ
وَسَمَّ ذاكَ أُناسًا　　لَهُمْ عَلَيْنا اخْتِراصُ
وَساعَدَتْهُمْ وُشاةٌ　　على أذانَا حِراصُ
فَهاكَ فاقتَصَّ مِنِّى　　انَّ الجُرُوحَ قِصاص

حَدَّثَ احمدُ بنُ المُدَبِّرِ قال كُنَّا فى حَبْسِ الواثِقِ انا وسليمَنُ بنُ وَهْبٍ واحْمَدُ بنُ اسرييلَ مُطَالَبِينَ بالأَمْوالِ فقال لنا سليمنُ بن وَهْبٍ يومًا قد رايتُ فى المَنامِ كانَّ قايلاً يقول لى يَمُوتُ الواثقُ بعدَ شَهْرٍ فاستغاثَ احمَدُ ابن اسرايِيلَ وقال له واللهِ لا تَزالُ حتى تُسْفَكَ دِماءُنَا وخافَ أَشَدَّ خَوْفٍ ان يَشيعَ هذا الحديثُ عنّا قال ابنُ المُدَبِّرِ فعَدَدْتُ من ذلكَ اليومِ ثلاثين يومًا فلما كان يومُ ثلاثين قال لى احْمَدُ بن اسرايِيلَ أَيْنَ مِصْداقُ القَوْلِ وصِحَّةُ المَنَامِ وكان قد حضَرَ التارِيخُ وحَسَبَ ونَحْنُ لا نَعْلَمُ فقال له سليمنُ بن وُهْبٍ الرُّويا تَصْدُقُ وتَكْذِبُ فلما كانت العشاءُ الآخِرةُ طُرِقَ الباب علينا طَرْقًا شديدًا وصايحٌ يَصيحُ البِشارَةُ البِشارَةُ مات الواثقُ فاخْرَجوا ابنَ

شِيئتُم فضحِكَ أَحْمَدُ بنُ اسرييلَ وقال قُومُوا فقد تحققت الرُؤيا وجاء الفَرَجُ فقال سليمنُ بن وَهْبٍ كيف نَقْدِرُ أن نَمْشِيَ مُشاةً ومَنازِلُنا بعيدة ولكنْ نَبْعَثُ فنُحْضِرُ دَوَابَّ نَرْكَبُها فاغتاظ أَحْمَدُ بنُ اسرييل وقويَتِ السَوْداء عليه وكان شَكِسَ الأَخْلاقِ وقال له وَيْحَكَ يا سليمن تَنْتَظِرُ مَجِيَّ فَرَسِكَ حتى يتولّى خليفةٌ آخَرُ فيقال له فى الحَبْسِ جماعةٌ من الكُتّابِ فيقول يُتْرَكُونَ على حالِهم حتى نَنْظُرَ فى امورِهم فنَلْبَثُ فى الحُبوسِ زيادةً على هذا ويكون سَبَبَ ذلك توجُّهُكَ راكِبًا الى مَنْزِلِكَ يا فاعِلُ يا صانِعُ فضَحِكْنا وخرَجْنا مُشاةً فى الليلِ وأَجْمَعَ رايُنا على أَنْ نَسْتَتِرَ عندَ بَعْضِ اصحابِنا حتى يتحقّقَ الاخبارُ فواللهِ لقد راينا فى طريقنا رجُلَيْنِ يقول احَدُهما للآخَرِ اِنَّ هذا الخليفةَ الجَديدَ قد عُرِّفَ أَحْوالَ المُحَبَّسينَ من الكتّاب واصحاب الجَرايمِ فقال لا يُفْرَجُ عن أَحَدٍ حتى أَنْظُرَ فى حالِهِ فتَخَفَّيْنا الى ان مَنَّ اللهُ تعالى فى أَسْرَعِ وَقْتٍ وله الحَمْدُ ومن شِعْرِهِ المنسرح

نَوايِبُ الدَهْرِ أَدَّبَتْنى وانما يُوعَظُ الأَديبُ
قد ذُقْتُ حُلْوًا وذُقْتُ مُرًّا كذاكَ عَيْشُ الفتى ضُروبُ
ما مَرَّ بُوسٌ ولا نَعيمٌ اِلّا ولى مِنْهُما نَصيبُ

وكانَ بنو وَهْبٍ من روساء النّاسِ وحُذّاقِهم وفُضلايِهم وكرمايِهم وكانت دولَتُهم ناضِرَةً وايّامُهم مُشْرِقَةً والأَدَبُ فى زمانِهم قايمُ المَواسِمِ

والكرم واضح المعالم وخلع المهتدى وهو وزيره، انقضت ايام المهتدى بالله ووزرآيه ✿

ثم ملك بعده المعتمد على الله هو ابو العباس احمد بن المتوكل بويع سنة ست وخمسين ومئتين كان المعتمد مستضعفا وكان اخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على اموره وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع كان هو واخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بامرة المومنين ولاخيه طلحة الامر والنهى وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته، وفى تلك الايام كانت وقايع صاحب الزنج، شرح حال صاحب الزنج ونسبه وما آل امره عليه، ظهر فى تلك الايام رجل يقال له على ابن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب فاما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الادعياء واما حاله فانه كان رجلا فاضلا فصيحا بليغا لبيبا استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها فاجتمع اليه منهم خلق كثيرون وناس آخرون من غيرهم وعظم شانه وقويت شوكته وكان فى مبدأ حاله فقيرا لا يملك سوى ثلاثة اسياف حتى انه اهدى له فرس فلم يكن له لجام ولا سرج يركبه

بهما فركبه بحبل فاتّفقت له حروب وغزوات نصر فيها فاثرى بسببها وعظم حاله ونهبه وانبثّ عسكره السودان فى البلاد العراقيّة والبحرين وهجر ونهد اليه الموفّق طلحة بعساكر كثيفة فالتقيا بين البصرة وواسط ودامت الحرب بينهما سنين كثيرة وبنوا مداين هناك واقام كلّ من الفريقين يرابط الفريق الآخر وفى آخر الامر كانت الغلبة للجيش العباسىّ فابادوهم قتلًا واسرًا وقتل صاحب الزنج وانتهبت مدينته وكان قد بناها وسمّاها المختارة وحمل راسه الى بغداذ وكان يومًا مشهودًا، وقيل انّ عدد القتلى فى تلك الوقايع كان الفى الف وخمس مية الف انسان ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومايتين، شرح حال الوزارة فى ايامه قد تقدّم انّ اخاه الموفّق كان هو المستولى على الخلافة فكان يعزل الوزراء ويولّيهم، وزارة ابى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان للمعتمد لما ولى الخلافة المعتمد اتّفقت الآراء على عبيد الله بن يحيى بن خاقان فاحضر واستوزر على كره شديد منه وتقعّص وتنصّل وكان عبيد الله خبيرًا باحوال الرعايا والاعمال ضابطًا للاموال وقد تقدّم ذكره فى خلافة المتوكل، وزارة الحسن بن مخلد للمعتمد وزر له لما مات عبيد الله بن يحيى استوزر المعتمد الحسن بن مخلد وكان كاتبًا لاخيه الموفّق فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفّق كان

الحَسَنُ بنُ مَخْلَدٍ مِن دَيْرِ قُنّى ويقالُ انّ اباهُ كانَ معْبَرانيًّا فخرجَ من ابنهِ ما خرجَ وكان الحَسَنُ احَدَ كتّابِ الدُنْيَا قالوا كانَ له دفترٌ صَغيرٌ يعْمَلُه بيَدهِ فيه اصُولُ امْوالِ الممالكِ ومحمولاتُها بتواريخها فلا يَنامُ كلَّ ليلةٍ حتى يَقْرأه ويتحقّقَ ما فيه بحَيْثُ لو سُئِلَ فى الغَدِ على أيّ شىء كانَ منهُ اجابَ من خاطرِه بغَيْرِ تَوَقُّفٍ ولا مُراجعةِ دَسْتُورٍ قالَ الحسَنُ بنُ مَخْلَدٍ كنتُ مرّةً واقفًا بَيْنَ يَدَى المُوَفَّقِ ابنِ المتوكّلِ فرايتُه يَلْمَسُ ثَوْبَهُ بيَدِه وقال لى يا حسَنُ قد اجْتَبَى هذا الثَوْبُ كم عِنْدَنا فى الخَزَاينِ منه فاخْرَجْتُ فى الحالِ مِن خُفّى دَسْتُورًا فيه جُمَلُ ما فى الخزاينِ من الأَمْتِعَةِ والثِيابِ مفَصَّلةً فوجَدْتُ فيها مِن جِنْسِ ذلك الثوبِ ستةَ الفِ ثوبٍ فقال لى يا حَسَنُ نحنُ عُرَاةٌ اُكْتُبْ الى البلادِ فى استعمالِ ثلاثين اَلْفَ ثوبٍ مِن جِنْسِهِ وحَمْلِها فى اَسْرَعِ مُدّةٍ ثم عَزَلَهُ المعتمدُ واستَوْزَرَ سليمنَ بنَ وَهْبٍ وقد سَبَقَ وَصْفُ طَرَفٍ مِن حالِهِ وشرَعَتْ من تلك الايامِ دولةُ بنى وَهْبٍ تَنْبَغُ وزارةُ ابى الصقرِ اسمعيلَ بنِ بُلْبُلٍ استوزره الموَفّقُ لاخيه المعتمدِ وكان ابو الصَقْرِ كريمًا مِطْعامًا متجمّلا بَلَغَ من الوزارةِ مَبْلغًا عظيمًا وجُمِعَ لهُ السَيْفُ والقَلَمُ فنظَرَ فى اَمْرِ العساكرِ ايضا وسُمّى الوزيرَ الشَكُورَ كان فى صِبَاهُ على طريقةٍ غيرِ مرضيّةٍ فبلَغَ ما بَلَغَ ومدَحَهُ الشعراءُ كالبُحْتُرىّ وابنِ الرُومىّ

وغيرِهما وهَجَوْهُ وكان ابو الصَقْرِ ينتَسِبُ الى بني شَيْبانَ ورايتُ نَسَبَهُ مرفوعًا الى شَيْبانَ بخَطِّ بعضِ النُسّابِ وقومٌ غمزُوه وقالوا هو دَعِيٌّ

وكان ابنُ الروميّ قد مدَحَهُ بقصيدهٍ نُونيّةٍ طويلةٍ اوّلُها — البسيط

أَجْنَتْ لكَ الوَصْلَ اَغْصانٌ وكُثْبانُ فيهنَّ نَوْعانِ تُفّاحٌ ورُمّانُ

غُصُونُ بانٍ عليها الدَهْرَ فاكِهَةٌ وما الفواكهُ مما يَحْمِل البَانُ

فسَمّى الناسُ هذه القصيدة دارَ البِطّيخِ لكَثْرَةِ ما فيها من ذِكْرِ الفواكِهِ وكان الموضعُ الذى تُباعُ فيه الفواكهُ يُسَمَّى دارَ البِطّيخِ

ومن جملَةِ هذه القَصيدَةِ

قالوا أَبُو الصَقْرِ مِن شَيْبَانَ قُلْتُ لَهُمْ
كَلّا لَعَمْرِى ولكن منهُ شَيْبانُ
كَمْ مِن أَبٍ قد عَلا بابنٍ له شَرَفًا
كما عَلَا برسولِ اللهِ عَدْنانُ

فلما سَمِعَ ابو الصَقْرِ قولَهُ قالوا "ابو الصَقْرِ مِن شَيْبانَ قُلْتُ لهم كَلّا" ظَنَّ أَنَّ ابنَ الروميّ قد هَجَاهُ بهذا باطِنًا وانّهُ عَرَّضَ بانّهُ دَعِيٌّ واشتَبَهَ عَلَى أَبِي الصَقْرِ الأَمْرُ فاستَحْكَمَ ظَنُّهُ واعْرَضَ عنه وتوصّلَ ابنُ الروميّ الى افْهامِهِ صُورَةَ الحالِ فلم يَقْبَلْ فى ذلك قَوْلَ قايلٍ وقيلَ له يا سبحانَ اللهِ فانظُرْ الى البيتِ الثانى وحُسْنِ معناهُ فانه معنى مخترعٌ ما مُدِحَ اَحَدٌ بمثلهِ قَبْلَكَ فلم يُصْغِ وجَزَمَ بانّ ابنَ

الرومىّ هجاه وحَرَمَهُ فهجاه ابن الرومىّ وأَفْحَشَ فى هِجَايه فمما هجاه به قوله الخفيف

عَجِبَ الناسُ مِن ابى الصَقْرِ اذْ وُلِّـــىَ بَعْـدَ الاجــارَةِ الديوانــا
اِنَّ لِلحَظِّ كِيمِيَاءَ اِذامَــا مَسَّ كَلْبًا أَصارَهُ انْسانــا

وقوله السريع

مَهْـلاً ابا الصَقْرِ فَكَمْ طايِرٍ خَرَّ صَرِيعًــا بَعْــدَ تَحْلِيقِ
زُوِّجْتَ نُعْمَى لم تَكُنْ كُفْوَهَا فصَانَهــا اللــهُ بتَطْلِيقِ
لا قُدِّسَتْ نُعْمَى تَسَرْبَلْتَهــا كم حُجَّـةٍ فيها لِزِنْدِيقِ

ومن غريب قوله فيه البسيط

ما بــالُ فَرْخٍ ابــوه بُلْبُــلٌ رَجٌ
يُكْنَى ابا الصَقْرِ يا أَهْلَ الدَوَاوِينِ
عَرَّوهُ مِن كُنْيَةٍ لَيْسَتْ تَلِيقُ بِـهِ
يُدْعَى ابا الصَقْرِ مَنْ كانَ ابنَ شاهِينِ

وقَبَضَ عليه المعتَضِدُ وحبَسَهُ وعاقبَهُ ثم قَتَلَهُ فى مَحْبَسِهِ واستَصْفَى أَمْوالَـهُ واعْلَمْ أَنَّ هؤلآء وزراء المعتمد كالحَسَنِ بنِ مَخلدٍ وسليمَنَ بنِ وَهْبٍ وابى الصَقْرِ بنِ بُلْبُلٍ تَوَلَّوا الوزارةَ وعُزِلُوا مِرارًا مَرَّتَيْنِ وثلاثَةً

وزارة احمد بنِ صالح بنِ شِيرزاد القطربلي للمعتمد استوزره الموفَّق لاخيهِ المعتمِدِ وكان أَحْمَدُ كاتِبًا بليغا فاضِلا عارِفا بما يَلْزَمُ مِثْلَهُ

مَعْرِفَتُهُ مُجِيدًا فى النَظْمِ والنَثْرِ وَصَفَ أَحْمَدُ امرأةً كاتبةً فقال كَأَنَّ خَطَّها حُسْنُ صُورَتِها وكأنَّ مِدادَها سَوادُ شَعْرِها وكَأَنَّ قِرْطاسَها أَدِيمُ وَجْهِها وكَأَنَّ قَلَمَها بَعْضُ انامِلِها وكأنَّ بَيانَها سِحْرُ مُقْلَتِها وكَأَنَّ سِكِّينَها غُنْجُ لَحْظِها وكأنَّ مِقَطَّها قَلْبُ عاشِقِها، ومَكَثَ أَحْمَدُ بْنُ شِيرزاد فى وِزارته نَحْوًا من شَهْرٍ ثم مَرِضَ ومات وذلك فى سنةِ سِتٍّ وسِتّين ومِئتين، وزارة عبيد الله بن سليمن بن وهب للمعتمِدِ كان عبيد الله بنُ سليمنَ مِن كبار الوزراء ومَشايِخِ الكُتّاب وكان بارِعًا فى صِناعَتِهِ حاذِقًا ماهِرًا لبيبا جليلا ماتت للمعتضِد جاريـةٌ كان يُحِبّها فجزِعَ عليها فقال لـه عُبَيْدُ الله بن سليمن مِثْلُك يـا اميرَ المومنين تَهُونُ المصايبُ عليه لانك تَجِدُ مِن كل مفقودٍ عِوَضًـا ولا يَجِدُ أَحَدٌ مِنْكَ عِوَضًـا وكأنَّ الشاعرَ عَنـاكَ بقولـه — البسيط

يُبْكَى عَلَيْنا ولا نَبْكِى على أَحَدٍ ... لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبـادًا من الابِلِ

وفى عبيد الله بن سليمن يقول الشاعِرُ — البسيط

اذا ابو قـاسِمٍ جادَت يَداهُ لَنَـا ... لم يُحْمَدِ الأَجْوَدانِ البَحْرُ والمَـطَرُ
وإن مَضَى رايُـه او حَدُّ عَزْمَتِـهِ ... تـأَخَّرَ الماضِيـانِ السَيْفُ والقَدَرُ

وان أضاءت لنا أضواء غرّته
تضاءل النيّران الشمس والقمر
من لم يبت حذراً من حدّ صولته
لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
ينال بالظنّ ما يعيى العيان له
والشاهدان عليه العين والأثر

ومات عبيد الله فى سنة ثمان وثمانين ومئتين انقضت ايام المعتمد ووزرآيه ☆

ثم ملك بعده المعتضد ابن اخيه هو ابو العبّاس احمد بن الموفّق طلحة بن المتوكّل بويع فى سنة تسع وسبعين ومئتين كان المعتضد شهمًا عاقلا فاضلا حمدت سيرته ولى والدنيا خراب والثغور مهملة فقام قيامًا مرضيًّا حتى عمرت مملكته وكثرت الاموال وضبطت الثغور وكان قوىّ السياسة شديدًا على اهل الفساد حاسمًا لموادّ أطماع عساكره عن أذى الرعيّة محسنًا الى بنى عمّه من آل ابى طالب وكانت ايامه ايام فتوق وخوارج كثيرين منهم عمرو بن الليث الصفّار كان قد عظم شانه وفخم أمره واستولى على اكثر بلاد العجم وكان يقول لو شئت أن أعقد على نهر بلخ جسرًا من ذهب لفعلت وكان مطبخه يحمل على ستّمية جمل فآلت عاقبته

الى القَيْدِ والأَسْرِ والذُلِّ فقام المعتضِدُ فى اِصْلاحِ المتشَعِّبِ من مَمْلَكَتِهِ والعَدْلِ فى رعيّتِهِ حتى مات وفى الخزاين بضعَةَ عشرَ ألفَ الفِ دينارٍ الألْفُ مُكرّرةٌ مرّتَيْنِ ومات سنةَ تسعٍ وثمانين وميتين، شرح الوزارة فى ايامه أقرّ عُبَيْدَ الله بنَ سليمنَ على وزارتهِ وقد مضى نُبْذَةٌ من اخباره فلما مات عُبَيْدُ اللهِ عَزَمَ المعتضِدُ على ان يَستَأْصِلَ شأفَةَ اولادِهِ ويستَصْفِيَ أموالَهم فحضَرَ القَسِمُ بن عبيد اللهِ واستعانَ ببَدْرٍ المعتضديِّ وكتبَ خطًّا بألْفَى الفِ دينارٍ فاستوزَرَهُ المعتَضِدُ، وزارة القسِمِ بنِ عبيد الله بن سليمن بن وهبٍ كان القسِمُ بنُ عبيدِ اللهِ مِن دُهاةِ العالَمِ ومن افاضلِ الوزراء وكان شَهْمًا فاضلًا لبيبًا مُحَصِّلا كريمًا مَهيبا جَبّارا وكان يُطْعَنُ فى دينِهِ وهو الذى قتَلَ ابنَ الروميِّ بالسُمِّ وكان ابنُ الروميِّ مُنْقَطِعًا اليهم يَمْدَحُهم وكانوا يُقَصِّرون فى حَقِّهِ فى بعض الاوقاتِ فهجاهم وكان هَجّاءً وفى بنى وَهْبٍ يقول ابن المعتزّ الطويل

لآلِ سُلَيْمَنَ بنِ وَهْبٍ صَنايعٌ لَدَىَّ ومعروفٌ اِلَيَّ تَقَدَّمَا
هُمُ ذَلَّلُوا لى الدَهْرَ بعدَ شِماسِهِ وهم غَسَلُوا من ثوبِ وَالِدِىَ الدَمَا

وفى هجايهم يقول بعضُ الشُعَراء البسيط

اذا رايتَ بنى وَهْبٍ بمنزلةٍ لم تَدْرِ أَيُّهُمُ الأُنْثى مِنَ الذَكَرِ
قَمِيصُ أُنْثاهُمُ يَنْقَدُّ مِن قُبُلٍ وقُمْصُ ذُكْرانِهِم تَنْقَدُّ مِن دُبُرِ

ومات المعتضد وهو وزيره، انقضت ايام المعتضد ووزرايه ۞

ثم ملك بعده ابنه المكتفى بالله هو ابو محمد عَلىٌّ بنُ المعتضد بويع فى سنة تسع وثمانين ومئتين، كان المُكْتَفِى من افاضل الخُلفاء هو الذى بَنَى المسجدَ الجامعَ بالرَحْبَة ببغداذ وفى ايام المُكْتَفى ظهرَ القرامطةُ وهم قومٌ من الخوارج خرجوا وقطعوا الدَرْبَ على الحاجّ واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مَقْتَلَةً عظيمةً وسرّح المكتفى اليهم جيوشًا كثيرةً فأوقع بهم وقتل بعض زُعَمَايهم، والمكتفى هو الذى بَنَى التاجَ بالدارِ الشاطِيَة ببغداذ وكانت وفاةُ المكتفى سَنَةَ خَمْسٍ وتسعينَ ومئتين، شرح حال الوزارة فى ايامه لما مات المعتضد كان المكتفى بالرَقّة فقام الوزيرُ القسمُ بنُ عبيد الله بأخذ البَيْعَة للمكتفى القيامَ المَرْضىّ وكتبَ اليه يُعْلِمُهُ ذلك ووجّه اليه بالبُرْدَة والقضيب فجاء المكتفى الى بغداذ وأقرّهُ على الوزارة ولقّبهُ ألقابًا وجَلّ أمرُ القسم فى ايام المكتفى وعظُمَ شانُهُ فلما ادركَتْهُ الوفاةُ اشار على المكتفى بالعباس بن الحَسَن فاستوزره، وزارة العباس بن الحسن قال الصُولىُّ من أعجب ما شاهدتُ من تقلّب الدنيا وتصاريف الامور اننى رايت العبّاسَ بنَ الحسَن فى اوّل الأربعاء قبْلَ أنْ يموتَ الوزيرُ القسمُ بن عُبَيْد الله وقد حضرَ الى داره وقبّل يدَ ولَدِه ثم فى آخرِ اليوم المذكور مات القسمُ وخَلَعَ المكتفى على العباسِ بنِ

الحَسَنِ واستوزره فجاء وَلَدُ الوزيرِ القَسِمِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ فقبَّلَ يَدَه، كانَ العَبَّاسُ بن الحَسَنِ ذا دَهَاءٍ ومَكْرٍ وأدَبٍ وافرٍ وكان ضعيفا فى الحِساب ولم تكُنْ سيرتُه محمودةً وكانَ عاكفًا على لَذّاته والامورُ مُهْمَلَةٌ وكان يقولُ لنُوّابِه بالأعْمالِ انا أُوَقّعُ اليكم وانتم افْعَلُوا ما فيه المَصْلَحَةُ ولم تَزَلِ الامورُ تَضْطَرِبُ فى ايامهِ حتى وَثَبَ عليه الحُسَيْنُ بنُ حَمْدان وجَماعَةٌ من الجُنْدِ فقتلوه وذلك فى ايام المقتدرِ، انقضت ايام المكتفى ووزرايه ۞

ثم ملك بعده المقتدر بالله هو ابو الفَضْلِ جَعْفَرُ بنُ المعتضد بُويِعَ له بالخلافة فى سنة خمسٍ وتسعين ومِئتَيْن وعُمْرُهُ ثلاث عَشْرَةَ سَنَةً وكان المُقْتَدِرُ سَمْحًا كريما كثيرَ الانفاقِ رَدَّ رُسُومَ الخلافة من التجمُّلِ وسَعَةِ الادْراراتِ والمعاشِ وكَثْرَةِ الخِلَعِ والصِلاتِ كان فى دارِه أَحَدَ عشَرَ ألْفَ خادِمٍ خَصِيٍّ من الرومِ والسُودانِ وكانت خِزانةُ الجَوْهَرِ فى ايامهِ مُتْرَعَةً بالجواهر النفيسة فمِنْ جُمْلَتِها الفَصُّ الياقوتُ الذى اشتراهُ الرشيدُ بثلثمِئةِ ألْفِ دينارٍ والدُرّةُ اليتيمةُ التى كانَ وَزْنُها ثلاثَةَ مَثاقِيلَ الى غيرِ ذلك من الجواهرِ النفيسةِ ففرَّقَهُ جميعَه وأتْلَفَهُ فى أيْسَرِ مُدّةٍ، فى ايامه قُتِلَ الحَلّاجُ، شرح الحالِ فى ذلك كان الحَلّاجُ واسمُهُ الحُسَيْنُ بن منصورٍ ويُكَنّى ابا الغَيْثِ أَصْلُهُ مَجوسيٌّ من أَهْلِ فارِسَ ونَشَأَ بِواسِطَ وقيل بتُسْتَرَ

وخالَطَ الصُوفيّةَ وتَتَلْمَذَ لِسَهْلِ التُسْتَرىّ ثم قَدِمَ بغدادَ ولَقِىَ ابا القسمِ الجُنَيْدَ وكان الحَلّاجُ مُخَلِّطًا يَلْبَسُ الصُوفَ والمُسُوحَ تارَةً والثيابَ المُصَبَّغَةَ تارَةً والعمامَةَ الكَبيرَةَ والدَرّاعَةَ تارةً والقَباءَ وزِىَّ الجُنْدِ تارةً وطافَ بالبلادِ ثم قَدِمَ فى آخِرِ الأَمْرِ بَغْدادَ وبَنَى بها دارًا واختلفت ارآءُ الناسِ واعتِقاداتُهم فيه وظَهَرَ منهُ تَخْليطٌ وتنَقَّلَ مِن مَذْهَبٍ الى مَذْهَبٍ واستَغْوَى العامّةَ بمَخارِيقَ كان يَعْتَمِدُها منها انه كان يَحْفِرُ فى بَعْضِ قَوارِعِ الطُرُقاتِ مَوْضِعًا ويَضَعُ فيه زِقًّا فيه ماءٌ ثم يَحْفِرُ فى موضعٍ أَخَرَ ويَضَعُ فيه طَعامًا ثم يَمُرُّ بذلك المَوْضِعِ ومَعَهُ أَصْحابُهُ فيَحْتاجُونَ هُناكَ اِلَى ماءٍ يَشْرَبُونَهُ ويَتَوَضَّؤُونَ بهِ فيأتِى هو الى ذلك الموضعِ الذى قد حَفَرَهُ ويَنْبُشُ فيه بِعُكّازٍ فيَخْرُجُ الماءُ فيَشْرَبُون ويَتَوَضَّؤُونَ ثم يَفْعَلُ كذلك فى الموضعِ الآخَرِ عند جُوعِهم فيُخْرِجُ الطَعامَ من بَطْنِ الأَرْضِ يُوهِمُهم انّ ذلك مِن كراماتِ الاولياء وكذلك كان يَصْنَعُ بالفواكهِ يَدَّخِرُها ويَحْفَظُهَا ويُخْرِجُها فى غيرِ وَقْتِها فَشَعِفَ الناسُ به وتكلَّمَ بكلامِ الصَوفَةِ وكان يَخْلُطه بما لا يَجُوزُ ذِكرُهُ مِن الحُلُولِ المَحْضِ وله اشعارٌ فمنها

الهزج

حَبيبِى غَيْرُ منسوبٍ الى شىءٍ مِنَ الحَيْفِ
سَقانى مِثْلَما يَشْرَ بُ فِعلَ الضَيْفِ بالضَيْفِ

فلمّا دارت الكاس دَعَا بالنِطْع والسَيْف
كَذَى مَن يَشْرَبُ الراحَ مَعَ التِنّين فى الصَيْف

وكَثُرَ شَغَفُ الناسِ به ومَيْلُهم اليه حتى كانت العامّةُ تَسْتَشْفِى ببُولِهِ وكان يقول لاصحابه انتم مُوسَى وعيسَى ومحمّدٌ وآدَمُ انْتَقَلَتْ أَرْواحُهُم اليكم فلما نَمَى هذا الفَسَادُ منه تقدّمَ المقتدرُ الى وزيره حامِدِ بن العباسِ بإحْضارِه ومُناظَرَتِهِ فأَحْضَرَهُ الوَزِيرُ وجمع له القُضاةَ والأَيِمَّةَ ونُوظِرَ فاعْتَرَفَ بأشْياءَ أَوْجَبَتْ قَتْلَهُ فضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ على ان يَمُوتَ فما ماتَ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ ورِجْلاه وحُزَّ راسُهُ وأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ وقال لاصحابه عند قَتْلِهِ لا يَهُولَنَّكُم هذا فانّى اعودُ اليكم بعدَ شهرٍ، قالوا وانشَدَ قبْلَ قَتْلِهِ الوافر

طَلَبْتُ المستَقَرَّ بكلّ ارضٍ فلم أَرَ لى بأَرْضٍ مستَقَرّا
أَطَعْتُ مَطامِعِى فاستَعْبَدَتْنِى ولو أَنّى قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرّا

وذلك فى سَنَةِ تِسْعٍ وثلثميةٍ وقَبْرُهُ ببَغْدادَ بالجانِبِ الغَرْبِىّ قَرِيبٌ من مَشْهَدِ معروفٍ بالكَرْخِىّ رضىّ الله عنه، وفى تلك الايام اقتلَعَ القَرامِطَةُ الحَجَرَ الأَسْوَدَ ومَكَثَ فى ايديهم اكثرَ من عِشرين سَنَةً حتى رُدَّ على يَدِ الشريف يحيى بنِ الحُسَيْنِ بنِ أَحْمَدَ بن عُمَرَ بن يحيى ابن الحسَيْن بن زَيْد بن علىّ بن الحسَيْنِ بن علىّ بن ابى طالب عليهم السلَمُ، واعلَمْ أَنَّ دولةَ المقتدر كانت دولةً ذاتَ تَخْلِيطٍ

كثيرٍ لصِغَرِ سِنِّهِ ولاستيلاء أُمّهِ ونسايه وخَدَمه عليه فكانت دولته تَدُورُ امورُها على تدبيرِ النساء والخَدَمِ وهو مشغولٌ بلَذّته فخَرِبَتِ الدنيا فى ايامِهِ وخَلَتْ بُيوتُ الاموالِ واخْتَلَفَتِ الكَلِمَةُ فخُلِعَ ثم أُعيدَ ثم قُتِلَ، وفى تلك الايام نَبَعَتِ الدولةُ الفاطميّةُ بالمَغْرِبِ،

شرح حالِ الدولةِ العلويةِ وابتدايها وانتهايها على سبيل الاختصارِ،

هذه دولةٌ اتّسَعَت أَكْنَافُ مملكتها وطالَت مُدّتُها فكانَ ابتداءها حِينَ ظهرَ المَهْدِىُّ بالمَغْرِبِ فى سَنَةِ ستٍّ وتسعينَ ومِئتين وانتهاءها فى سنةِ سَبْعٍ وستّينَ وخَمْسِ مِيَةٍ وكادَت هذه الدولةُ أَنْ تَمْلِكَ مُلْكًا عامًّا وأَنْ تَدِينَ الأُمَمُ لها واليها اشارَ الرَضِىُّ المُوسَوِىُّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ بقَوْلِهِ الخفيف

ما مَقامِى عَلَى الهَوانِ وعِنْدِى ... مِقْوَلٌ قاطِعٌ وأَنْفٌ حَمِىُّ
وابآءٌ مُحَلِّقٌ بى عَنِ الضَيْمِ ... كَمَا زاغَ طايِرٌ وَحْشِىُّ
أَحْمِلُ الضَيْمَ فى بلاد الاعادِى ... وَبِمِصْرَ الخليفةُ العَلَوِىُّ
مَنْ أَبُوهُ أَبِى ومَولاه مَولا ... ىَ اذا ضامَنِى البَعيدُ القَصِىُّ
لَفَّ عِرْقِى بعِرْقِهِ سيّدُ النّاسِ جميعا محمّدٌ وعَلِىُّ
اِنَّ ذُلّى بذلك الجَوِّ عِزٌّ ... وأُوَامِى بذلك الرَبْعِ رِىُّ

شرح ابتداء هذه الدولةِ اوّلُ خُلَفَآيِهم المهدى بالله وهو ابو مُحمّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بنُ احْمَدَ عاقِلَيْنِ بنِ اسْمَعيلَ الثالثِ بنِ احمَدَ بن اسمَعيلَ

الثانى بن محمّد بن اسمعيل الأعرج بن جعفر الصادق عليهم السلم وقد روى نسبهم على صورة أخرى وفيه اختلاف كثير والصحيح انهم علويّون اسماعيليون صحيحوا الاتّصال وهذه الصورة التى اوردتها هاهنا هى المعوّل عليها وبها خطوط مشايخ النسّابين وكان المهدىّ من رجال بنى هاشم فى عصره قيل انه ولد ببغداذ سنة ستين ومئتين وقيل ولد بسلميّة ثم وصل الى مصر فى زىّ التجار واظهر امره بالمغرب ودعا الناس الى نفسه فمالوا اليه وتبعه خلق كثيرون وسلّموا عليه بالخلافة وقويت شوكته وعظم حاله ثم انفصل الى ارض القيروان وبنى مدينة سمّاها المهديّة واستقرّ بها وملك افريقيّة وبلاد المغرب وتلك النواحى جميعها ثم ملك الاسكندريّة وجبى خراجها وخراج بعض الصعيد وتوفّى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مية ثم تسلّم الخلافة منه واحد بعد واحد حتى انتهت النوبة الى العاضد آخر خلفايهم وهو ابو محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله شرح انتهايها بويع العاضد فى سنة خمس وخمسين وخمس مية وهو طفل فقام بامر دولته الامراء والوزراء حتى توجّه اسد الدين شيركوه عمّ صلاح الدين يوسف بن ايّوب الى مصر لمّا ظهر من اختلال احوال الدولة لصغر الخليفة واختلاف آراء وزرايه وامرآيه وسار صلاح الدين مع عمّه

أَسَدِ الدين شيركُوه كارِهًا فلم تَطُلْ مُدّةُ أسَد الدين شيركوه فمات فاستولى صَلاحَ الدين على المملكة واستوزرَهُ العاضِدُ وخَلَع عليه خِلَعَ الوزارةِ فى سَنَةِ أربع وستين وخَمْسِ مية وتمكّن صلاحُ الدين مِن الدولة وقدمَ عليه أهْلُهُ فاقْطَعَهم الاقطاعات السنيّةَ وازالَ أيْدى اصحابِ العاضِدِ وتَفَرّدَ بالحُكْمِ ومَرِضَ العاضِدُ وتطاوَلَتْ أمراضُهُ ثم ماتَ فى سَنَةِ سَبْع وستّين وخَمْسِ مية وأحْجم الناسُ فيمَن يُدْعَى لــه بالخلافة عَلَى المنابِرِ فلما كانَ يَوْمُ الجُمْعَةِ صَعِدَ رَجُلٌ أَعْجَمِىٌّ الى المِنْبَرِ وخَطَبَ وذَكَرَ الخليفَةَ المستَضِىء فلم يُنْكِرْ أحَدٌ عليه واستمرّ الحالُ فى مِصْرَ بالخُطْبَةِ للعباسيّينَ وانْقَرَضَتْ دولةُ الفاطميينَ منها واستقَلّ صَلاحُ الدين يُوسُفُ بنُ أيّوبَ بملكِ مِصْرَ من غَيْرِ مُنازِعٍ وحَبَسَ مَنْ كانَ تَخَلّفَ مِن اقارِبِ العاضِدِ وقَبَضَ على الخزاينِ والاموالِ ومِن جُمْلَتِها الجَبَلُ الياقُوتُ وَزْنُــه سِتّةَ عَشَرَ مِثقالا قال ابنُ الاثير المُؤَرِّخُ انا رايتُه ووَزَنْتُه ومِن جُمْلَتِها نِصابُ زُمرّدٍ طُولُــه أَرْبَعُ أَصَابِعَ فى عَرْضِ عَقْدٍ ووجَدُوا طَبْلاً بــالقُرْبِ من مَوْضع العاضِدِ فظَنّوه عُمِلَ لللَعِبِ فسَخِرُوا مِن العاضِدِ فضَرَبَهُ انْسانٌ فضَرِطَ ثم ضَرَبَ به آخَرُ فجَرَى له كما جَرَى لصاحبِهِ فصار كلُّ مَن ضَرَبَه ضَرِطَ فألقاه أَحَدُهم مِن يَدِه فكَسَرَهُ واذا الطَبْلُ قد عُمِلَ لأَجْــلِ القُولَنْج فندِمُوا على كَسْرِهِ وكان ذلك فى ايــام الخليفةِ

المستضىء من بَنى العَبّاس فورَدَت البَشايرُ اليه بفَتْح مصْرَ وباقامة الخُطْبَة له بها فاظْهرَ السُرُورَ ببغداذ وهَنَّاه الشعراء وارْسَلَ المستضىءُ تَقْليدَ السَلْطَنَة الى صَلاح الدين بالتفويض والتحكيم فسُبْحانَ مَن يُؤتى المُلْكَ مَنْ يَشاء وينْزِعُ المُلْكَ ممن يشاء رَجَعْنا الى تَتِمّة خلافة المقتدرِ وخُلِعَ المقتدِرُ وبُويعَ عبْدُ الله بنُ المعتزّ فمكثَ يومًا واحدًا فى الخلافة ثم استَظْهرَ المقتدرُ عليه فاخَذَهُ وقتَلَه ولم يُعَدّ عبدُ اللـه بن المعتزّ فى الخُلفاء لقَصْرِ الزمانِ الذى تَوَلّى فيه وجرت بين المقتدرِ وبين مُونس المُظَفّرِ اميرِ الجيوش مُنافَرَة أَدّتْ الى حَرْبٍ قُتِلَ فيهـا المقتدرُ وقُطِعَ راسُهُ وحُمِلَ الى بَيْنِ يَدَى مُونس المُظَفّرِ ومَكَثَتْ جُثّتُه مَرْميّةً على قارِعَة الطريق فيقالُ انـه اجتازَ بـه رجلٌ شَوْكىّ فرأى سَوْتَه باديـةً فألْقى عليها حُزْمَةَ شَوْكٍ فغطّاها بها وذلك فى سَنـة عشرينَ وثلثمية شرح حالِ الوزارة فى ايامه لما جلسَ المقتدرُ على سرير الخلافـة أَقرّ العَبّاسَ بنَ الحَسَنِ وزيرَ اخيه المكْتَفى على وزرايه فلما قُتِلَ العباسُ بن الحَسَنِ وجَرَت الفِتْنَةُ بين المقتدِرِ وبين عَبْد اللهِ بنِ المعتزّ واستَظْهرَ المُقْتدِرُ أَحْضَرَ ابنَ الفُرات واستَوْزرَه وزارة ابنِ الفراتِ قـال الصُولىُّ هُمْ مِن صَريفين مِن أعمالِ دُجَيْلٍ قال وبَنُو الفُراتِ مِن أَجَلّ الناسِ فَضْلاً وكَرَمـا ونُبْلاً ووَفاءً ومُرُوّةً وكان هذا ابو الحَسَنِ علىُّ بنُ الفُراتِ مِن أَجَـلّ الناسِ وأعْظَمِهم كَرَمًا

وجُودًا وكانت أيّامه مَواسِمَ للناسِ وكان المقتدرُ لما جرت له الفِتْنَةُ وخُلِعَ وبُويعَ ابنُ المُعْتَزّ ثم استَظْهَرَ المُقْتَدِرُ عليه واستقرّت الخِلافةُ للمقتدرِ راسَلَ الى ابى الحَسَن علىّ بن الفُراتِ فاحْضَرَهُ واستوزرَهُ وخَلَعَ عليه فنَهَضَ بتَسْكينِ الفِتْنَةِ أحْسَنَ نُهُوضٍ ودَبّرَ الدولةَ فى يَوْمٍ واحدٍ وقَرّرَ القواعِدَ واستمالَ الناسَ ولم يَبِتْ تلك الليلةَ الا والامورُ مستقيمةٌ للمقتدرِ واحوالُ دولتهِ قد تَمَهّدَتْ، وفى تلك يقول بعض شعراء الدولة المقتدرِيّة — المتقارب

دَبّرْتَ فى ساعةٍ دَوْلَةً تَميلُ بغَيْرِكَ فى أشْهُرِ

وتوَلّى ابنُ الفُراتِ الوزارةَ ثلاثَ دَفَعاتٍ للمقتدر قالوا كان اذا وَلِىَ ابنُ الفُراتِ الوزارةَ يَغْلُو الشَمْعُ والثَلْجُ والكاغدُ لكَثْرَةِ استعماله لذلك لانه ما كانَ يَشْرَبُ أحَدٌ كائنًا مَن كانَ فى دارِه فى الفُصُولِ الثلاثةِ الا الماء المثلوجَ ولا كان أحَدٌ يَخْرُجُ من عِنْدِه بعدَ المَغْرِبِ الّا وبين يديه شَمْعَةٌ كبيرةٌ نَقِيّةٌ صَغيرا كانَ او كبيرًا وكان فى دارِه حُجْرةٌ معروفةٌ بحُجْرَةِ الكاغدِ كلُّ مَن دَخَلَ واحتاجَ الى شىْءٍ من الكاغدِ اخَذَ حاجَتَهُ منها، حدث عنه انه قال ما رايتُ أحَدًا ببابى من اربابِ الحوائج الا كان اهتمامى بالاحسانِ اليه اشَدَّ من اهتمامه قال وكان قَبْلَ الوزارةِ يَجْعَلُ لجُلسايه ونُدمايه مَخادًّا يتّكِئون عليها فلما وَلِىَ الوزارةَ لم يُحْضِرِ الفَرّاشون للنُدماء والجلساء تلك

المحادَّ فأنْكَرَ ذلك عليهم وأَمَرَ بإحْضارِ المحادّ وقال لا يرانى اللهُ يَرْتَفِعُ شانى بحَطِّ منزلةِ أَصْحابى ولما جَرَت فِتْنَةُ ابنِ المعتزّ واستَظْهَرَ المقتدرُ واستوزَرَ ابا الحَسَنِ بنَ الفُراتِ أُحْضِرَتْ الى ابنِ الفُراتِ رِقاعٌ مِن جماعةِ اربابِ الدولةِ تَنْطِقُ بمَيْلِهم الى ابنِ المعتزّ وانحرافهم عن المقتدرِ فاشارَ عليه بَعْضُ الحاضِرين بأَنْ يَفْتَحَها ويُطالِعَها ليَعْرِفَ بها العَدُوَّ مِن الصَدِيقِ فامَرَ ابنُ الفُراتِ باحضارِ الكانُونِ وفيه نارٌ فلما أُحْضِرَ جَعَلَ تلك الرقاعَ فيه بِمَحْضَرٍ مِن الناسِ ولم يَقِفْ على شىءٍ منها وقال للحاضِرينَ هذه رِقاعُ اربابِ الدولةِ فلو وَقَفْنا عليها تَغَيَّرَتْ نِيّاتُنا لهم ونِيّاتُهم لنا فان عاقَبْناهم أَهْلَكنا رِجالَ الدولةِ وكان فى ذلك اتَمُّ الوَهْنِ على المملكةِ وإنْ تَرَكْناهم كُنَّا قد تَرَكْناهم ونياتُهم متغيّرةٌ وكذلك نِيّاتُنا فلا نَنْتَفِعُ بهم وما زالَ ابْنُ الفُراتِ يَنْتَقِلُ فى الوزارة الى المرّة الثالثة فقُبِضَ عليه وقُتِلَ وذلك فى سنةِ اثْنَتَى عَشْرَةَ وثلاثِ مِئةٍ وزارة الخاقانى هو ابو علىّ محمدُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ يحيى بنِ خاقانَ لمّا قَبَضَ المقتدرُ على ابن الفُراتِ فى المرّة الاولى احْضَرَه وكانَ خايفًا من ابن الفُراتِ تَطَيَّبَ قَلْبُهُ واستوزَرَهُ وخَلَعَ عليه خِلعَ الوزارةِ كان الخاقانىُّ سَيِّئَ السِيرةِ والتدبيرِ كثيرَ التَوْلِيَةِ والعَزْلِ قِيلَ انه وَلَّى فى يَوْمٍ واحِدٍ تِسْعَةَ عَشَرَ ناظِرًا للكوفةِ واخَذَ مِن كلّ واحِدٍ رِشْوَةً فانحَدَرَ واحِدٌ واحِدٌ حتى اجتمعوا

جَميعُهُم فى بَعْضِ الطريق فقالوا كيف نَصْنَعُ فقال احَدُهم اِن أَرَدْتُم النَصَفَةَ فينْبَغِى ان يَنْحَدِرَ الى الكوفةِ آخِرنا عَهْدًا بالوزيرِ فهو الذى وِلايتُه صحيحةٌ لانه لم ياتِ بَعْدَه أَحَدٌ فاتَّفَقُوا على ذلك فتوجَّهَ الرَجُلُ الذى جاء فى الاخيرِ نَحْوَ الكُوفَةِ وعاد الباقُونَ الى الوزير ففرَّقَهُم فى عِدَّةِ أَعْمالٍ، وهجاهُ الشعراء فمما قيل فيه — الخفيف

لِلمداوِينِ مُذْ وَلِيتَ عَوِيلُ ... ولمالِ الخَراجِ سُقْمٌ طَوِيلُ
يَتَلَقَّى الخطوبُ حِينَ أَلَمَّتْ ... منك راىٌ غَثٌّ وعَقْلٌ ضَئِيلُ
اِن سَمِنْتُم مِنَ الخِيانَةِ والجَوْ ... رِ فلِلاِرْتِفاعِ جِسْمٌ نَحِيلُ

ومما قيل فيه — الوافر

وزيرٌ لا يَمَلُّ من الرَقاعَهْ ... يُوَلِّى ثم يَعْزِلُ بعد ساعَهْ
ويُدْنِى مَنْ تَعَجَّلَ منه مالٌ ... ويُبْعِدُ مَن تَوَسَّلَ بالشفاعَهْ
اذا أَهْلُ الرِشا صارُوا اليه ... فأَحْظَى القومِ أَوْفَرُهُم بِضاعَهْ

وقَبَضَ المقتدِرُ عليه وحبَسَهُ واستوزَرَ علىَّ بنَ عيسَى بنِ الجَرّاحِ،

وزارة على بن عيسى للمقتدر كان علىّ بن عِيسَى شيخًا مِن شيوخِ الكُتّابِ فاضلا دَيِّنًا وَرِعًا مُتَزَهِّدًا متوَرِّعًا قال الصُولِىُّ وما أَعْلَمُ انه وَزَرَ لبنى العَبّاسِ وزيرٌ يُشْبِهُ عَلِىَّ بنَ عِيسَى فى زُهْدِه وعِفَّتِه وحِفْظِه للقرآنِ وعِلْمِه بمعانِيهِ وكِتابَتِه وحِسَابِه وصَدَقاتِه ومَبَرّاتِه، قالوا كان دَخْلُ علِىّ بنِ عِيسَى من ضِياعِه فى كل سنة

نَيِّفًا وثمانين أَلْفَ دينارٍ يُنْفِقُ نِصْفَها على الفُقَراء والضُعَفاء ونِصْفَها على نَفْسِهِ وعلى عيالِهِ واصحابه ونهَضَ بامورِ الوزارة وضَبَطَ الدَّواوينَ والاعمالَ وقَرَّرَ القواعِدَ وكانَتْ ايامُهُ أَحْسَنَ ايامِ وزيرٍ، قالوا ما كان يُعابُ عليُّ بنُ عيسَى بشَىْءٍ اكثَرَ من قولهم انه كان يَنْظُرُ كثيرًا فى جُزْئِيّاتِ الامورِ فَرُبَّما شَغَلَتْهُ عَنِ الكُلّياتِ ولما وَلِيَ الوزارةَ فَشَتْ صَدَقاتُهُ ومَبَرّاته ووَقَفَ وُقوفًا كثيرةً من ضِياع السلطانِ وأَفْرَدَ لها ديوانًا سَمّاهُ ديوانَ البِرِّ جعل حاصِلَهُ لِاصْلاحِ الثغورِ ولِلحَرَمَيْنِ الشريفَيْنِ وكان يَجْلِسُ لِرَدِّ المَظالِمِ من الفَجْرِ الى العَصْرِ واقْتَصَرَ على أَقَلِّ الطَعامِ وأَخْشَنِ المَلْبوسِ ووَلِيَ الوزارةَ للمقتدرِ مرارًا كان هو وابو الحسن عليّ بن الفُراتِ يَتَناوَبانِ الوزارةَ مرّةً هذا ومَرّةً ذاك، وزارة حامدِ بن العباسِ كان حامدٌ يتولّى دايمًا اعمالَ السَوادِ ولم يكُنْ لـه خِبْرَةٌ باعمالِ الحَضْرَةِ وكان كريمًا مِفْضالا متجمّلاً جَميلَ الحاشِيَةِ رييسًا فى نفسه غزيرَ المُرُوَّةِ قاسِيَ القلبِ فى استِخْراجِ المالِ قليلَ التَثَبُّتِ سريعَ الطَيْشِ والحِدَّةِ الا انّ كرمَهُ كانَ يُغَطِّى على ذلك، حدث عنه انه دَخَلَ مَرَّةً الى دارِ المقتدرِ فطلَبَ منه بَعْضُ خواصِّ الخليفةِ شَعيرًا لِدَوابِّه فاخَذَ الدَواةَ ووقَّعَ له بِمِيَةِ كُرٍّ فقال له آخَرُ مِنَ الخواصِّ انا ايضا محتاجٌ الى عَليقٍ لِدوابى فَوَقَّعَ له بمِيَةِ كُرٍّ وما زالَ يَطْلُبُ منه واحدٌ واحِدٌ مِن خواصِّ

الخليفـــة وهو يُوَقِّعُ حتى فَرَّقَ أَلْفَ كُرٍّ فى ساعةٍ واحدةٍ ولمّا عَرَفَ المقتدِرُ قِلَّةَ فَهْمِ حامدٍ وقِلَّةَ خِبْرَتِهِ بامور الوزارة أَخْرَجَ اليه عليَّ ابن عيسَى بن الجَرّاح مِنَ الحَبْسِ وضَمَّهُ اليه وجَعَلَهُ كالنايب لــه فكانَ عليُّ بنُ عيسَى لخبرتِهِ هو الأَصْلَ فكلما يَعْقِدُه يَنْعَقِدُ وكلُ ما يَحُلُّه يَنْحَلُّ وكانَ اسْمُ الوزارة لحامدٍ وحَقِيقَتُهَا لعَلِيّ بن عِيسَى حتى قال بعْضُ الشُعراء

الكامل

قل لابنِ عِيسَى قَوْلَةً يَرْضَى بها ابنُ مُجَاهِدِ
انـــتَ الـــوزيرُ وانمـا سَخِرُوا بلِحْيَــةِ حامدِ
جَعَلُوه عندَكَ سُتْرَةً لصَلاحِ أَمْــرٍ فـــاسدِ
مَهْمَا شَكَكْتَ فقُلْ لــه كمْ واحِدًا فى واحِدِ

وكان حـــامِدٌ يَلْبَسُ السَوَادَ ويَجْلِسُ فى دَسْتِ الـــوزارةِ وعَلِيُّ بنُ عيسَى يَجْلِسُ بين يديه كالنايبِ وليس عليه سَوَادٌ ولا شئٌ من زِيِّ الوزراء الّا انه هو الوزيرُ على الحقيقة فقال بَعْضُ الشُعَرَاء

المنسرح

أَعْجَبُ مِن كلّ ما رَأَيْنَا أَنَّ وزيـــرَيْنِ فى بِـــلادِ
هذا سَوَادٌ بِـــلاَ وَزِيـــرٍ وذا وزيـــرٌ بـــلا سَوَادِ

ثم عُزِلَ حامِدٌ واستوزَرَ المقتدرُ بَعْدَهُ عليَّ بن الفُرات وسلَّمَهُ اليه فقَتَلَهُ سِرًّا، وزارة ابى القسمِ عبيدِ الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقـــان لم تَطُلْ ايامهُ ولم تَكُنْ له سيرةٌ تُوثَرُ وتُسْطَرُ

واخْتَلَّت الامورُ عليه فصُودِرَ وعُزِلَ ثم تُـوُفّى فى سنـة اثنتى عَشْرَةَ

وثـلاثِ مِيَـةٍ ٬ وزارة ابى العباسِ احمد بنِ عبيد الله بن احمد بنِ الخصيبِ للمقتدر كان صالحَ الأدبِ جَيّدَ العقـلِ مَليحَ الخطّ بليغا يُذاكِرُ بجميل الاخبارِ والاشعارِ كان السَّبَبُ فى ولايَتِهِ أمْرًا عجيبًا وهو ان ابا العبّاسِ المذكور كان يُـلاطِفُ اصحابَ المقتدرِ ويَتَوَدَّدُ اليهم ويُهادِيهِم وكانوا يُحِبُّونَـهُ ويَتَعَصَّبون له دايمًا ويَصِفُونَهُ عند المقتدِرِ فاتَّفَقَ أن حَصَـلَ فَتْقٌ مِنَ الفتوقِ ببَعْضِ الجِهاتِ فجَهَّزَ المقتدِرُ جَيْشًا وأرْسَلَهُ صُحْبَةَ بَعْضِ امرايه الى تلك الجِهةِ ثم كان المُقْتَدِرُ شَديدَ التطَلُّعِ الى اخبارِ هذا الجَيْشِ فـأرْسَلَ ابنُ الخصيب طُيُورًا صُحْبَـةَ بعضِ ثِقاتهِ مع الجيش وقال لصاحبهِ سَرِّحْ كلَّ يومٍ طُيُورًا وعليها الأخْبارُ ساعةً فساعةً فكانتْ تَرِدُ الاخبارُ على الطيور الى احمدَ بنِ عبيد اللهِ بنِ الخصيبِ فيَعْرِضُها على المقتدِرِ ساعةً بعدَ ساعـةٍ حتى انّ المقتدِرَ لم يَفُتْـهُ من أمْرِ الجَيْشِ شىءٌ فتعجَّبَ المقتدرُ من ذلك وقـال مِن أيْن يَعْلَمُ احمدُ بنُ الخصيبِ اخبارَ هذا الجيش فعُرِّفَ الصورة وقيـل له مَن تَسْمو هِمَّتُهُ الى مثل هذا وليس له تعلُّقٌ بهذه القَضِيَّةِ فكيف يكون جِدُّه واجتهادُه اذا صار وزيرًا فاستوزَرَهُ ٬ قالوا وكان ابو العباس احمدُ بنُ عُبَيْدِ الله بن الخَصِيبِ عفيفا متورّعًا عن مالِ السلطانِ والرعيةِ مُجانبًا للخيانة

مُحافظًا على الامانة ثم ضَعُفَ امْرُه وانحرفت عنه السيّدةُ أمُّ المقتدرِ وكان كاتبَها قبل الوزارةِ فعُزِلَ وقُبِضَت اموالُهُ وذلك فى سنة اربعَ عَشْرَةَ وثلثمية

وزارة ابى على محمد بنِ على بن مقلة للمقتدر هو صاحِبُ الخطِّ الحَسَنِ المَشْهُورِ الذى تُضْرَبُ بحُسْنِهِ الامثالُ وهو اوّلُ من استخرجَ هذا الخَطَّ ونَقَلَهُ مِنَ الوَضْع الكُوفِىّ الى هذا الوَضْع وتَبِعَهُ بَعْدَه ابنُ البَوّابِ كان فى ابتداء امْرِهِ يَخْدُمُ فى بَعْض الدواوينِ فى كل شهرٍ بستّةِ دنانيرَ ثم انه تَعَلَّقَ بابى الحَسَنِ بن الفُراتِ الوَزِيرِ واختَصَّ بِهِ وكانَ ابنُ الفراتِ كالبَحْرِ سَماحًا وجُودًا فرفَعَ مِن قَدْرِه وأَعْلَى مِن شانِه فمكّنَ بين يديه يَعْرِضُ عليه رِقاعًا فى مُهِمّاتِ الناسِ ويَنْتَفِعُ بسَبَبِ ذلك وكان ابنُ الفُراتِ يامُرُه بالتَحْصيلِ مِن هذه الجِهَةِ ايثارًا لنَفْعه فما زال على ذلك حتى عَلَتْ حالُهُ وكَثُرَ مالُه ولَمّا وَلِىَ ابنُ الفُراتِ الوزارةَ الثانيَةَ تَمَكَّنَ ابنُ مُقْلَةَ فى دولتِهِ ونَبَغَتْ حالُه وعَرُضَ جاهُهُ ثم انَّ الشيطانَ نَزَغَ بينه وبين ابى الحَسَنِ علىّ بن الفُراتِ فاستَوْحَشَ كُلٌّ منهما من صاحبِهِ فكَفَرَ ابنُ مُقْلَةَ احْسانَ ابنِ الفُراتِ ودَخَلَ فى جُمْلَةِ اعدايه والسُعاةِ عليه حتى جَرَت النَكْبَةُ على ابنِ الفُراتِ فلما رَجَعَ ابنُ الفراتِ الى الوزارةِ قَبَضَ عليه وصادَرَهُ على مِيَةِ أَلْفِ دينارٍ أَدَّتْها عنه زَوْجَتُهُ وكانت ذاتَ مالٍ طايلٍ وكانت لابنِ مُقْلَةَ يَدٌ طُولَى فى

الكتابة والانشاء وكانت توقيعاته غير مذمومة فى فنّها وله شعر فمنه

السريع

جرّبنى الدهرُ على صرفه فلمْ أخرْ عند التصاريف

أَلِفْتُ يومى به ويا رُبّما يُؤلَف شئٌ غير مألوف

حدّث ابو عبد الله احمدُ بنُ اسمعيلَ المعروفُ بزنجى كاتبُ ابنِ الفراتِ قال لمّا نُكِبَ ابنُ مُقْلَةَ وحُبِسَ لم أَدْخُلْ اليه فى محبسه ولا كاتبْتُهُ ولا توجّعْتُ له على ما بينى وبينه من المودّة والصداقة خوفًا من ابن الفراتِ فلما طالتْ به المِحْنَةُ كتَبَ الىّ رُقْعةً فيها

الطويل

تُرى حُرِمَتْ كُتْبُ الأخلّاءِ بينَهم
أَبِنْ لى أَمِ القرطاسُ أَصْبَحَ غاليا
فما كان لو سَايَلْتَنا كيفَ حالُنا
وقد دَهِمَتْنا نَكْبَةٌ هِىَ ما هِيَا
صَديقُكَ مَنْ رَاعاكَ فى كُلِّ شِدّةٍ
وكُلًّا تَراهُ فى الرخاء مُرَاعِيا
فَحَبْكَ عَدُوّى لا صَديقى فانّنى
رايتُ الاعادِى يرْحَمُونَ الاعادِيَا

ومن شِعرِه ما كتبَ به الى وَلَدِه وقد مَرِضَ — الكامل

لَقّاكَ رَبُّكَ صِحّةً وسَلامَةً وَوَقاكَ بى مِن طارِقِ الأَهْواء
ذُكِرَت شَكاتُكَ لى وكَأْسِى فى يَدِى فمزَجْتُها دَمْعِى مَكانَ الماء

ومن شِعرِه — الخفيف

لَسْتُ ذا ذِلَّةٍ اذا عَضَّنِى الدَهْرُ ولا سَامِحًا اذا ما أَتانِى
انا نارٌ فى مُرْتَقَى نَفَسِ الحا سِدِ ماءٌ جارٍ معَ الاِخْوانِ

استوزَرَهُ المقتدرُ وخَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارةِ فى سنةِ سِتَّ عَشْرَةَ ثلثمية واستَقَلَّ بأَعْباء الوزارةِ أَمْرًا ونَهْيًا وبَذَلَ فيها ما مَبْلَغُهُ خَمْسُ ميةِ أَلْفِ دينارٍ ثم عُزِلَ وقُبِضَ عَلَيْهِ ثم أُعِيدَ وما زالَ تَتَقَلَّبُ به الأَحْوالُ حتى استوزَرَهُ الراضِى ثم جَرَت خُطُوبٌ أَوْجَبَتْ انَّ الراضِىَ حبَسَهُ بدارِه وضَيَّقَ عليه وسَعَى به اعداؤُه الى الراضِى وخَوَّفوه مِن غايلتِهِ فقطَعَ يَدَه اليُمْنَى ومكَثَ فى الحَبْسِ مُدّةً مقطوعَ اليدِ وكان يَنُوحُ على يَدِهِ ويقول يَدٌ كتَبْتُ بها كذى وكذى مُصْحَفًا وكذى وكذى حديثًا من احاديثِ الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم ووقَّعتْ الى شَرْقِ الارضِ وغَرْبِها تُقْطَعُ كما تُقْطَعُ ايدى اللُصُوصِ ومِن شعرِه يُشيرُ الى قطعِ يَدِه — الخفيف

ما مَلِلتُ الحياةَ لكنْ تَوَثَّقْتُ بأَيْمانِهِم فبانَتْ يَمِينِى
ثم اَحْسَنْتُ ما استَطَعْتُ بجُهْدِى حِفْظَ أَرْواحِهِم فما حَفِظُونِى

لَيْسَ بَعْدَ اليمينِ لَـذَّةُ عَيْشٍ يـا حَياتى بـانَتْ يَمينى فَبِينى

وفى ذلك يقول بعض الشعراء الطويل

لَئِنْ قَطَعُوا اِحْدَى يَدَيْهِ مَخافَةً لأَقْلامِـهِ لا للسيوفِ الصَوارِمِ

فما قَطَعُوا رايًا اذا ما أَجالَـهُ رايتَ الرَدَى بين اللَهَا والغَلاصمِ

ولما قطَعَ الراضِى يَدَ ابنِ مُقْلَةَ كَتَبَ باليَسارِ مِثْلَما كان يَكْتُبُ باليمين ثم شَدّ على يَدِه المقطوعَةِ قَلَمًا وكتَبَ بِها فلم يُفَرِّقْ بين خَطِهِ قَبْلَ قَطْعِها وبَعْدَهُ ومن الاتفاقاتِ العجيبةِ انه تَوَلَّى الوزارةَ ثـلاث دَفَعاتٍ وسافَرَ ثـلاثَ دَفَعاتٍ ودُفِنَ ثـلاثَ دَفَعاتٍ دُفِنَ بدارِ الخليفة لمّا قُتِـلَ بها وذلك بعد قَطْعِ يَدِه بمُدَيْدَةٍ ثم سأَلَ اَهْلُه تَسْلِيمَه اِلَيْهم فَنُبِش وسُلِّمَ اليهم فدَفَنُوه ثم طَلَبَتْه زَوْجَتُـهُ فنَبَشَتْهُ ودَفَنَتْهُ بدارِها وزارة ابى القسِمِ سليمن بن الحسنِ بن مَخلدٍ للمقتدر لم يكن له سِيرَةٌ تُوثَرُ وتُرْوَى ولم يَكُنْ مِن ذَوِى اللُبِّ وانما نال ما نالَ بالجَدِّ والبَخْتِ قيلَ انه دَخَلَ مرّةً على القَسِمِ بن عبيد الله وزيرِ المعتَضِدِ والمكتفِى فرَحَّبَ به الوزيرُ وأَقْبَلَ عليه بوَجْهِهِ واكْرَمَهُ اكرامًا خارِجًا عن العادةِ لِأَمْثالِهِ فسُئِلَ الوزيرُ عن سَبَبِ ذلك فقالَ رايتُ فى مَنامى كانّ على راسِى قَلَنْسُوَةً وقد اخَذَها هذا وجعَلَها على راسه ولا بُدّ انّ هذا الفتَى يَلِى الوزارة فكان كما قـال ولم تُحْمَدْ سيرتُـه فى وزارته وكانَ المقتدرُ لما عزَلَ ابنَ مُقْلَةَ استشار عَلِىَّ

ابنَ عيسَى بنِ الجرّاح فيمن يستوزِرُه فاشارَ عليه بهذا فاستوزره فى سنـة ثمانى عشرةَ وثلثميئةٍ ثم قبَض عليه واستوزر الكَلْوذانِىّ، وزارة

ابى القسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى للمقتدر لم تَطُلْ ايامه ولم يتمكّنْ مما اراد وكثُرت المُصَادراتُ فى ايامه وشَغَبَ الجُنْدُ عليه وشَتَمُوه ورَجَمُوه وهو فى السفينة فحلَفَ انّـهُ لا يَدْخُلُ بَعْدَ ذلك فى الوزارةِ وانْقطَعَ بداره واغْلَقَ بابَهُ فكانت وزارته مُدّةَ شَهْرَيْن،

وزارة الحسينِ بن القسم بنِ عبيدِ اللـه بن سليمن بن وهبٍ للمقتدر كان يقال له ابو الجمالِ قيلَ انه أعْرَقُ الناسِ فى الوزارةِ هو وزيرُ المقتدرِ وابوهُ القسمُ وزيرُ المعتضدِ والمكتفى وجَدّه عبيد الله وزيرُ المعتضدِ وابو جَدّه سليمنُ بن وهبٍ وزيرُ المهتدى وفى ذلك يقول الشاعر له — الرمل

يا وزيرَ بنَ وزيرٍ بـن وزيـرٍ بنِ وزيـرٍ

نَسَقًا كالدُرّ اذ نُـظِمَ فى عِقْدِ النُحُورِ

لم يكن الحُسَيْنُ بنُ القَسِمِ بـارِعًا فى صناعتـهِ ولا شُكِرَت سيرتُه فى وزارتـه ولم تَطُلْ لـه المُدّةُ حتى عَجَزَ واخْتَلّت الأحْوالُ عليه، مَدَحَهُ عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن طاهرٍ بقوله — الخفيف

إنْ أكُنْ مُهْدِيًا لكَ الشِعْرَ انّى لابْنُ بَيْتٍ تُهْدَى لَـهُ الأشْعارُ

غيرَ أنّى أرَاكَ مِن اَهْـلِ بيتٍ ما على المَرْءِ أن يَسُودُوه عـارُ

وهَجَاهُ جَحْظَةُ بقوله — الوافر

اذا كان الوزيرُ ابا الجِمَالِ — ومُحْتَسِبَ البِلادِ الدّانيَالِى
فَعَدِّ عن البِلادِ فعَنْ قَليلٍ — تَرَى الايامَ فى صُوَرِ اللّيَالِى
تَقَضَّتْ بَهْجَةُ الدنيا ووَلَّتْ — وآذَنَ كُلُّ شىْءٍ بِٱرْتِحَالِ

ولما ظَهَرَ للمقتدر نَقْصُه وعَجْزُه قبَضَ عليه وصادَرَه ثم بَقِى الى ايامِ الراضى وأُبْعِدَ عن العِراق فلما توَلّى ابْنُ مُقْلَةَ الوزارة تقدّمَ بقتْله وارْسَلَ اليه مَنْ قطع راسَهُ وحُمِلَ راسُه الى دار الخِلافة فى سَفَطٍ فجُعِلَ السَفَطُ فى الخِزانةِ وكانت لهم عادَةٌ بمثلِ ذلك فحُدِّثَ انه لما وقَعَت الفِتْنَةُ ببغداد فى ايـام المُتَّقِى أُخْرِجَ من الخِزانـة سَفَطٌ فيه يَدٌ مقطوعةٌ وراسٌ مقطوعٌ وعلى اليَدِ رُقْعَةٌ مُلْصَقَةٌ عليها مكتوبٌ هذه اليَدُ يَدُ ابى علىّ بن مُقْلـةَ وهذا الراس راسُ الحسَيْنِ بن القسمِ وهذه اليَدُ هى التى وقّعت بقَطْع هذا الراسِ فعَجِبَ الناسُ من ذلك

وزارة ابى الفضلِ جعفرِ بن الفراتِ لم تَطُلْ ايامُـهُ ولم يَكُنْ لـه سيرةٌ مـأْثورةٌ وقُتِـلَ المقتدرُ وهو وزيره فاستَتَر انقضت ايـام المقتدرِ ووزرايه ✿

ثم ملك بعده اخوه القاهر هو ابو منصور محمد بن المعتضد بويعَ سنَةَ عِشرِين وثلثمية وكان مَهيبًا مِقْدامًـا على سَفْكِ الدماء اَهْوَجَ مُحِبًّا لِجَمْع الاموالِ رَدِىَّ السياسـةِ صادَرَ جماعَـةً من أُمَّهَاتِ اولادِ

المقتدر وصادَرَ امَّ المقتدرِ فعلّقها بِرِجْلٍ واحِدَةٍ مُنكّسَةَ الراسِ وعذّبها بصُنُوفٍ عظيمةٍ من الضَرْبِ والاهانةِ واستخرَجَ منها مِيَةً وثلاثين ألْفَ دينارٍ وبَقِيَت بعد ذلك ايــامًا قليلةً وماتت حُزْنًا على وَلَدِها ومِمّا جَرَى عليها مِنَ العَذَابِ وفى سنــةِ اثنتين وعشرين وثلثمية خُلِعَ القاهِرُ وكان سَبَبُ ذلك أنَّ وزيرَه ابن مُقْلَةَ كان قد استَتَرَ خَوْفًا منه فكان يُفْسِدُ عليه قلوبَ الجُنْدِ ويُحَذِّرُهُمْ منه وحَسَّنَ لهم أن يَهْجُموا عليه وخَلَعُوه وسَمَلُوه حتى سالت عيناه على خَدَّيْهِ ثم حُبِسَ فى دار السَلْطَنَةِ ومَكَثَ فى الحَبْسِ مُدّةً ثم أُخْرِجَ منه عند تقَلُّبِ الأحوالِ وكان مرَّةً يُحْبَسُ ومرَّةً يُفَرَّجُ عنه فخرج يَوْمًا ووَقَفَ بجامع المنصورِ يَطْلُبُ الصَدَقَةَ مِن الناسِ وقصَدَ بذلك التشنيعَ على المستَكْفِى فرآهُ بعضُ الهاشميين فمَنَعَهُ مِن ذلك واعطاه خَمْسَ ميــةِ دِرْهَمٍ ولم يَجْرِ فى ايامه من الحوادثِ المشهورة ما يُوثَرُ

شرح حالِ الوزارة فى ايامهِ استوزَرَ ابن مقلةَ وزيرَ اخيه وهى الوزارةُ الثانيةُ وقد تقدَّمَ شَرْحُ طَرَفٍ من سيرتهِ فلا حاجةَ الى اعادتهِ ثم استوزر محمد بن القسمِ بنِ عُبَيْد اللهِ بنِ سليمنَ بن وَهْبٍ ولم يَتَمَكّنْ مِن الوزارةِ ولا طالت ايامُه ثم قَبَضَ عليه ونَكَبَه واتّفَق ان عرَضَ لــه قُولَنْجٌ فمات بعقب ذلك انقضت ايام القاهرِ ووزرايه ☆

شرح حال دولةِ ال بويه فى تلك الايــامِ نَبَغَتِ الدولةُ البُوَيْهِيّةُ

وابتدايها وانتهايها ٬ امـا نَسَبُهم فيرتفع من بُوَيْه الى واحد واحد من ملوك الفُرْسِ حتى يتّصـل بيَهُوذا بن يَعْقوبَ بنِ اسحاق بن ابرهيمَ الخليـل عم وكذلـك الى آدمَ ابى البَشَرِ ولَيْسُوا من الدَيْلَمِ وانما سُمّوا بالدَيْلَم لانهم سكَنُوا بلادَ الدَيْلَمِ ٬ اما ابتداءها فـانها دولة نبَعَتْ بما لَمْ يَكُنْ فى حِسابِ الناسِ ولم يَخْطُرْ بَعْضه ببالِ اَحَد فدَوَّخت الأُمَمَ وأذلّت العالمَ واستولَتْ على الخلافـة فعزَلت الخلفاء ووَلّتْهم واستوزرت الوزراء وصرَفتْهم وانقادتْ لأحْكامها أُمورُ بلادِ العَجَمِ وأُمورُ العِراقِ واطاعَتْهم رجالُ الدولةِ بالاتفاقِ هذا بَعْدَ الضيقِ والفقْرِ والذُلّ والمَسْكَنَةِ ومُعاناة الحاجةِ والاضْطهادِ فانّ جَدَّهم ابـا شُجاع بُوَيْه واباه وجَدّهُ كانوا كآحادِ الرعيةِ الفُقَراء ببلادِ الديلم وكان بُوَيْه صَيّادَ السَمَكِ وقد كان مُعِزُّ الدولـةِ بعد تَمَلُّكِه البلادَ يَعْتَرِفُ بنعْمةِ اللهِ تعالى ويقول كنتُ أحْتَطِبُ الحَطَبَ على راسِى فكان مِن مَبْدَأ دَوْلَتِهم ما حَدَّث بـه شَهْرِيار بنُ رُسْتم الدَيْلِمىّ قال كان ابو شُجاع بُوَيه فى مَبْدَأ أمْرِه صَديقًا لى فدخَلْتُ عليه يومًا وقد ماتت زوجتُه امّ اولاده الثلاثةِ الذين تَمَلَّكوا البلادَ وهم عِمادُ الدولـة ابو الحَسَنِ علىٌّ وركْنُ الدولة ابو علىّ الحَسَنُ ومُعِزّ الدولة ابو الحُسَيْنِ احمَدُ وقد اشتدَّ حُزْنُ ابى شُجاع بُوَيْه على زوجته فعزيْتـهُ وسكّنْتُ قَلَقَهُ ونَقَلْتُه الى منزِلى واحضَرْتُ لـه طعامًا

وجَمَعْتُ اليه اولادَهُ الثلاثةَ فبَيْناهم عندى اذ مَرَّ بالباب شخصٌ يقول
المُنَجِّمُ المُعَزِّمُ مُفَسِّرُ المنامات كاتبُ الرُقا والطِّلَّسْمات فاستدعاه
ابو شجاع بُوَيْهِ وقال له قد رايتُ البارحةَ رؤيـا ففَسِّرْها لى رَأَيْتُ
كأنى أَبُولُ ويخرُجُ من ذَكَرِى نارٌ عظيمٌ ثم انها استطالتْ وعَلَتْ
حتى كادَتْ تَبْلُغُ السماء ثم انْفَرَجَتْ فصارَتْ ثلاثَ شُعَبٍ وتَوَلَّدَ
من تلك الشُعَبِ عدّةُ شُعَبٍ فاضاءت الدنيا بتلك النِيرانِ فقال
المُنَجِّمُ هذا مَنامٌ عَظيمٌ ولا أُفَسِّرُهُ الا بخِلْعَةٍ وفَرَسٍ فقال له بُوَيْهِ
واللهِ ما أَمْلِكُ الا الثِيابَ التى على جَسَدِى وان أَعْطَيْتُكَ اياها
بَقِيتُ عُرْيانَ قال المُنَجِّمُ فعَشَرَةُ دنانيرَ فقال له بُوَيْهِ واللهِ ما أَمْلِكُ
دينارَيْنِ فكيف عَشَرَةً ثم انه اعطاه شَيْئًا يسيرًا فقال المُنَجِّمُ
اعْلَمْ انه يكونُ لك ثلاثةُ اولادٍ يَمْلِكون الأَرْضَ ومَنْ عليها ويَعْلو
ذِكْرُهُم فى الآفاقِ كما عَلَتْ تِلْكَ النارُ ويُولَدُ لهم جماعةٌ ملوكٌ
بقَدْرِ ما رايتَ من تلك الشُعَبِ المتفرِّقةِ فقال له بُوَيْهِ اما تَسْتَحْيِى
تَسْخَرُ بنا انا رَجُلٌ فقيرٌ مُضْطَرٌّ واولادِى هاؤلاء فُقَراءُ مَساكِينُ فمِنْ
أَيْنَ هم والمُلْكُ فقال له المُنَجِّمُ فأَخْبِرْنى عن وَقْتِ وِلادةِ واحدٍ واحدٍ
من اولادِكَ فأَخْبَرَهُ بُوَيْهِ بذلك فجعَلَ يَنْظُرُ فى أَصْطُرْلابِهِ وتَقاوِيمِهِ
ثم نَهَضَ المُنَجِّمُ وقَبَّلَ يَدَ عمادِ الدولةِ ابى الحَسَنِ علىّ وقال
هذا واللهِ الذى يَمْلِكُ البِلادَ ثم يَمْلِكُ هذا من بَعْدِهِ وقَبَضَ على

يدِ اخيه ابى علىّ الحَسَنِ فاغتاظَ منه ابو شُجاع بُوَيْه وقال لاولاده اصْفعُوهُ فقد أَفْرَطَ فى السخرِيّة بنا فصَفَعُوه ونَحْنُ نَضْحَكُ منه فقالَ المنجمُ لا باسَ بهذا اذا ذكرتُم لى هذا الحالَ عند وِلايتكُم فأَعْطاه ابو شُجاعٍ عشرةَ دراهِمَ وانْصَرَفَ وأَمَّا تَرَقّى اولاد أَبى شجاع بُوَيْه فانهم دَخَلُوا فى زِىّ الاجنادِ وانضافُوا الى العساكرِ وما زالوا ينتَقلُون فى خدمةِ مُلوكِ العَجمِ من وَاحدٍ الى وَاحدٍ ومن حالٍ الى حالٍ حتى ارتَفَعَ حالُ عمادِ الدَّوْلَةِ وتَوَلَّى الكَرْخَ ولّاه اياها مَرْدَاوِيجُ ثم تنقَّلَ منها الى غَيْرِها حتى تَمَلَّكَ قِطْعةً من اعمالِ فارسَ ثم عَرَضَتْ مملكَتُه حتى كتَبَ الى الراضى الخليفةِ يَسْأَلُهُ ان يُقاطِعَهُ على اعمالِ فارِسَ فى كل سَنَةٍ بَعْدَ النَفَقاتِ والاطلاقاتِ بما يَحملُه الى دار الخلافة وهو ثمانى مِئةِ أَلْفِ أَلْفِ درهمٍ على ان يبعَثَ الخليفةُ اليه بخِلْعَةِ السلطنةِ والمَنْشُور فَبَعَثَ الراضى اليه بذلك على يد رَسُولٍ أَرْسَلَه اليه وأَوْصَاهُ أَلّا يُسَلِّمَ الخِلْعةَ والمنشورَ اليه حتى يَقْبِضَ منه المالَ فلما وَصَلَ الرَسُولُ اليه غالَطَهُ واخَذَ الخِلْعَةَ منه فلَبِسَها المنشورَ فقراهُ على رووس الأَشْهادِ وقويَتْ نَفْسُهُ بذلك ووعَدَ الرسولَ بالمالِ ودافَعَهُ مُدَّةً فماتَ الرسولُ عنده وتقلَّبَتِ الاحوالُ بالخلافةِ فكسَرَ المالَ واستبدَّ بالأَمْرِ وكان عِمادُ الدولةِ أَوَّلَ مُلوكِهم ثم ملك منهم واحدٌ بعد واحدٍ حتى انقضت دولتهم وامّا انتهاؤها ففى آخِرِ أَمْرِها ضَعُفَ حالُها

وما زالَ يتزايَدُ ضَعْفُها حتى انْتَهَتْ نَوْبَةُ المُلْكِ الى عزّ الدولةِ بن جَلالِ الدولـةِ ابى طاهرٍ فجَرَى بينه وبين كاليجار حروبٌ أفْضَت الى انه هَرَبَ منه واقامَ بشيرازَ ومات فى سنة احدَى واربعين واربع مية وعليه انقرضَ مُلْكُهم ❁

ثمر ملك بعد القاهر اخوه الراضى بالله هو ابو العباسِ محمدُ بنُ المعتضدِ بويعَ فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمية كان شاعرًا فصيحا لبيبا خَتَمَ الخلفاء فى اشياء منها انـه آخِرُ خليفةٍ دُوِّنَ له شِعرٌ وآخِرُ خليفةٍ انفرَدَ بتدبيرِ المُلكِ وآخِرُ خليفةٍ خَطَبَ على منبرٍ يومَ الجُمْعَةِ وآخِرُ خليفة جالَسَ النُدماءَ ووصَلَ اليه العُلماءُ وآخِرُ خليفة كانَتْ مراتِبُهُ وجَوايزُهُ وخَدَمُهُ وحُجّابُـه تجْرِى على قواعدِ الخلفاء المُتقدّمينَ، وفى ايامه سنةَ اثنتين وعشرينَ وثلثمية عَظُمَ امْرُ مَرْداوِيجَ باصبهانَ وهو رجُلٌ خرَجَ بتلك النَوَاحِى وقيل انه يُرِيدُ ان ياخُذَ بغْدادَ ويَنْقُلَ الدولـةَ الى الفُرْسِ ويُبْطِلَ دولةَ العرَبِ فوردَ الخَبَرُ فى ايـامِ الراضِى بانّ غلمان مَرْداوِيجَ اتّفقُوا عليه فقَتَلُوهُ، وفى ايـامِ الراضِى ارتفَعَ أمْرُ ابى الحَسَنِ علىّ بن بُوَيْهْ، وفى ايامِ الراضى ضَعُفَ أمْرُ الخلافـةِ العبّاسيّةِ فكانت فارِسُ فى يَدِ علىّ بن بُوَيْـهِ والرىّ واصفهانُ والجَبَلُ فى يدِ اخيه الحَسَنِ بنِ بُوَيْهِ والمَوْصلُ وديارُ بَكْرٍ وديارُ رَبيعَةَ ومُضَر فى ايدى بنى حمدانَ ومِصْرُ والشامُ فى يد محمد

ابن طُغْج ثم فى ايدى الفاطميين والاندلس فى يد عبد الرحمن ابن محمد الأُمَوىّ وخراسان والبلادُ الشَرْقيّةُ فى يدِ نَصْرِ بن احْمَد السامانىّ، وكانت وَفاةُ الراضى فى سنة تسع وعشرين وثلثمية، شرح حال الوزارة فى ايامه اولُ وزرايه ابو على بن مقلة وهى الوزارةُ الثالثةُ مِن وزارات ابن مقلة بَذَلَ فيها خَمس مية أَلْفِ دينارٍ حتّى استوزره الراضى ثم شَغَبَ الجُنْد وجَرَت فتنةٌ أَوْجَبَت عَزْلَهُ فعَزَلَهُ الراضى واستوزر عبد الرَحْمانِ بن عيسَى بن داوُدَ بن الجَرّاحِ وقد مَضَى مِن أَخْبارِ ابن مقلة ما فيه كِفايَةٌ، وزارة عبدِ الرحمنِ بن عيسى بن الجراح للراضى لما قَبَضَ الراضى على ابن مقلة احْضَرَ علىّ ابن عيسَى بن الجَرّاح وارادَهُ على الوزارةِ فأَبَى وامتَنَعَ وأَظْهَرَ العَجْزَ فاستشارَهُ فيمن يُوَلّيهِ فاشارَ باخيهِ عبدِ الرَحْمنِ بن عيسَى فاحضَرَه وقَلَّدَه الوزارة ورَكِبَ والمَوكب بين يديه ثم لم تَطُلْ ايامه واخْتَلَّتِ الامور عليه فاستَعْفَى من الوزارة فقَبَضَ عليه ولم يكن له سِيرَةٌ تُوثَرُ، وزارة ابى جعفر محمد بن القسم الكرخى للراضى بالله لما قَبَضَ الراضى على عبد الرحمن بن عيسَى استوزَرَ ابا جعفرٍ محمدَ بنَ القَسِم الكَرْخِىّ وكانَ قَصِيرًا جِدًّا فى غايةِ القِصَرِ فاحتاجُوا انهم قَطَعُوا من قوايمِ سريرِ الخِلافَةِ أَرْبَعَ اصابعَ حتى يَتَمَكَّنَ الكرخىُّ الوزيرُ من مُشاوَرَةِ الخليفةِ وتَطَيَّرَ الناسُ من ذلك

وقـالوا هذا مُوذِنٌ بنَقْصِ الدولةِ فكان الأَمْرُ كما قالوا واخْتَلَفَت الأَحْوالُ عليه واضطرَبَتِ الامورُ لَدَيْـه فاستَتَرَ قالوا لما اراد الاستتارَ قلعَ راسَ مزمَّلَةٍ وجَلَسَ فيها واخْرِجَت المزمَّلة على انها مُزمّلة وهو فى وَسَطِها وما زال مسْتَتِرًا حتى ظَهَرَ وصُودِرَ ثم خَلَصَ، وزارة سليمن ابن الحسنِ بن مخلد للراضى بالله لمـا عجُزَ الكرخىُّ عَن النهوضِ باعباء الوزارةِ واستتَرَ احْضَرَ الراضى بـالله سليمنَ بن الحسن بن مَخْلَد واستوزره وخَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارة ثم انـه عجَزَ عن تدبيرِ الامور لتَغَلُّبِ اصحاب السيوف على المملكةِ فلما راى الخليفةُ الراضى عجْزَ وزيرِه سليمن بن الحسن بن مَخْلد ارْسَـلَ الى ابن رايق وهو اكبَرُ الامراء فاستمالَـهُ وسَلَّمَ الامورَ اليه ورتَّبَهُ اميرَ الامراء وكلَّفَهُ تدبيرَ المملكةِ فانضمّ اليه امراء العسكرِ وصاروا حِزْبًا واحدًا وحَضَرُوا بين يَدَى الخليفةِ فـأَجْلَسَهُم فوق الوزيرِ واستبَدَّ ابنُ رايِقٍ أَميرِ الامراء بالامورِ ووَلَّى النُظّارَ والعُمّالَ ورُفِعَتِ المُطالعات اِلَيْهِ ورُدَّ الحُكم فى جميع الامورِ الى نَظَرِه ولم يَبْقَ للوزيرِ سِوَى الاسمِ مِن غيرِ حُكْمٍ ولا تدبيرٍ، ومن تلك الايـامِ اُضْطُهِدَتِ الخلافـةُ العباسيّةُ وخرجَت الامورُ منها واستَوْلَى الاعاجمُ والامراء وارباب السيوف على الدولةِ وجَبَوا الاموالَ وكَفُّوا يَدَ الخليفةِ وقَرَّرُوا له شَيْـئًا يَسيرًا وبُلْغَةً قـاصِرَةً ووَهَنَ من يومئذٍ أَمْرُ الخِلافَـة، وِزارة ابى الفتحِ الفضلِ بنِ

جعفرِ بنِ الفراتِ للراضى بالله لما استولى أميرُ الامراء ابنُ رائقٍ على الأمور أشارَ على الراضى بالله بان يُوَلّى الوزارةَ الفضل بن جعفر بن الفراتِ ظنًّا منه أنّهُ يجتذبُ له الاموالَ فاحضَرَهُ الراضى وقلّده الوزارةَ حدّث ابو الحسنِ بنُ ثابتِ بن سنان عن ابى الحُسَيْنِ علىّ بن هشام قال لما تقلّدَ الفضلُ بن جعفرِ بنِ الفراتِ الوزارةَ لقيتُ ابنَ مُقْلَةَ وكانَ معزولاً مستترًا فقلتُ له يَقْبحُ بكَ يا سيّدنا أنْ تتأخّرَ عن لقاء هذا الوزيرِ وتهنئته بوزارته فقال ما آمَنُه ولا لى حاجةٌ الى الاجتماع به فقلتُ ينبغى ان تكتبَ اليه رُقْعَةً تعتذرُ فيها عن تأخّرِكَ وتهنيه تهنيةً تقومُ مقامَ حُضُورِكَ فقال أخافُ ان يجيبنى بما يستدعى حضورى وأنشدنى لنفسه المتقارب

وقايلةٍ قد أضعتَ الصوابَ بتركِكَ هذا الوزيرَ الجديدَا

فقلتُ لها لا عداكِ السرورُ ولا كان قولُكِ الا سديدَا

أمثلى تطاوعُهُ نفسُهُ على أنْ يرَى خاضعًا مستزيدا

كان رجلاً متهوّرًا وسيعَ الصدرِ شريفَ النفسِ عالىَ الهمّة تنقّلَ فى الخدماتِ وتقلّبتْ به الاحوالُ من عسرٍ ويسرٍ ومصادرةٍ وعزلٍ حتى أدّى به سعةُ صدرِه وقوّةُ نفسِه وكِبَرُ همّتِه الى جمعِ العساكرِ وركوبِ الاخطارِ ثم تغلّبَ على اعمالِ خوزستان والبصرة فاستوزرهُ الراضى ثم عزلَهُ وقلّد الوزارةَ سليمن بن الحسن بن مخلد وقد

مَرّ ذِكرُهُ فلا حاجةَ الى إعادتهِ وهو آخِر وزرايه انقضت ايام الراضى بالله بن المُقْتَدِرِ ووزرايه ✿

ثم ملك بعده اخوه المتقى لله ابو اسحاق ابرهيمُ بنُ المقتدرِ بالله بُويعَ له سنةَ تسعٍ وعِشْرِينَ وثلاثِ ميةٍ ولم يكن له من السيرةِ ما يُوثَرُ واضطربتْ عليه الامورُ واستولى عليه رَجُلٌ من امرآء الدَيْلَم يقالُ له تُوزُونُ فهربَ المُتقِى ومعه ابنُه واهلُه الى المَوْصِلِ خَوْفًا على نَفْسِهِ مِن حَرْبٍ ببغدادَ وجَرَتْ فى تلك الايام حروبٌ وفِتَنٌ ونُهِبَتْ دارُ الخلافة وأُخِذَ ما كانَ بها ثم انّ تُوزُونَ كتبَ الى المُتَّقِى يَسْتَمِيلُهُ وحَلَفَ له أَيْمانًا غليظةً انّه لا يَنالُه مكْرُوهٌ من جِهْتِه فاغْتَرَّ المتقى بذلك وانحَدَرَ من الموصِلِ الى بغدادَ ووَصَلَ الى السِنْدِيَّةِ من نَهْرِ عِيسَى فخرَجَ تُوزُونُ الى تَلَقِّيهِ والناسُ كافّةً فلما رآه توزون قَبَّلَ الأرْضَ وكان قد أوْصَى جَماعةً من اصحابهِ سِرًّا أن يَحْتاطُوا به فاحتاطوا به وأدْخَلُوهُ الى خَيْمَتهِ ثم قبَض عليه وسَمَلَ عينَيْه وخَلَعَهُ وبايَعَ المستكْفى وماتَ المتّقِى فى سنةِ خمسين وثلثمية

شرح حال الوزارة فى ايامه أَقرَّ سليمن بن الحسن بن مَخْلَد على وزارتهِ اربعةَ أشْهُرٍ ثم استوزرَ ابا الخيرِ احمد بن محمد بن ميمون ولم يكن له سِوَى الاسم من الوزارة ولم يكن له سيرة تُوثَرُ ثم جرَت امورٌ أدّت الى انقبض عليه والى عَزْلهِ وزارة ابى عبد الله

البريدي للمتقى قد سَبَق حالُ تغلّبه وقوّةُ نفسه وجَمْعه للعساكر ثم انه فى ايام المتقى وصَلَ الى بغداذ ومعه جموعٌ كثيرةٌ فاظهر المتقى السرورَ به ثم استوزرَهُ وهو كارهٌ لذلك وجرت بينه وبين المتقى مُراسَلاتٌ اَدَّتْ الى انه اَرْهَبَهُ واَفْزَعَهُ فحمَلَ اليه خَمْسَ مِيَة الفِ دينارٍ ووقَعت حروبٌ بين البريدىّ وامراء العسكر فنَهَبوا دارَهُ وانهزمَ الى واسطَ فكان وُقوعُ اسمِ الوزارة عليه دون شهرٍ، وزارة ابى اسحاق محمد بن ابرهيم الاسكافىّ المعروف بالقَراريطىّ للمتّقى لم تَطُلْ ايامُهُ فلبِثَ فى الوزارة حُدُودَ اَرْبَعين يَوْمًا وكانَ سَبَبُ وزارتهِ انه حضرَ يومًا مجلسَ اميرِ الامراء وهو يُصادرُ قومًا من الكتّاب ويَعْسِفهم وهم يَلِطّونَ عليه فخَلاَ القراريطىُّ ببعضِ اصحابِ اميرِ الامراء وقال له اِن استوزرَنى الاميرُ نهضتُ له باَضْعافِ هذا وجمعتُ له الاموال وما اَحْوَجَه الى هذا الصُداعِ فاستوزَرَهُ توزونُ بعد يومَيْنِ ثم بعد ايامٍ قبَضَ عليه واستوزرَ الكرخىَّ فلم تَطُلْ ايامُهُ ايضا ولَبِثَ فيها نحو خَمْسِينَ يومًا، وزارة البريدى مَرّةً ثالثةً استوزره المُتّقِى وكاتَبَهُ بالاِصْعادِ الى بغداذَ فاَصْعَدَ مِن واسِطَ فاستُوزِرَ ومكَثَ فى الوزارة دُون شهرٍ ولم يَسْتَتِبَّ له اَمْرٌ وجرَتْ بينه وبين المُتّقِى حروبٌ وكانت تلك الايامُ ايامَ فِتَنٍ" ولما توَلّى ابو عبد الله البريدىّ الوزارةَ هجاهُ ابو الفَرَج الاصفهانىّ مُصَنّفُ كتابِ الاغانى

بقصيدة طويلة أوّلها — الخفيف

يا سَماءُ أَسْقُطِى ويا أَرْضُ مِيدِى قد تَوَلَّى الوزارةَ ابنُ البَرِيدِى

منها

يـا لَقَوْمِى لِحَرِّ صَدْرِى وعَوْلِى وغَليـلِى وقَلْـبِىَ المَعْمُـودِ
حِينَ سارَ الخَمِيسُ يَوْمَ خَمِيسٍ بـالبرِيدِىّ فى ثِيـابٍ سُودِ
قد حَبَاهُ بها الإمامُ اصْطِفاءً واعتمـادًا منـه لغَيْرِ عَمِيدِ
خِلَـعٌ تَخْلَـعُ العُـلَى ولِـوَاءٌ عَقْـدُهُ حَـلَّ عُقْدَةِ المَعْقُودِ

وزارة ابى العبـاس احمد بن عبيد اللـه الاصفهانى للمتقى مكث فى الوزارة حُدُودَ خمسين يَوْمًـا ولم يكن لـه عِلْمٌ ولا نَظَرٌ فى الامورِ وضَعُفَ امرُ الوزارة والوزراء فى تلك الايـام ضَعْفـا كثيرًا

وزارة ابى الحسين على بن ابى على محمد بن مُقْلَـةَ للمتقى استوزره المتقى ولم تَطُـلْ ايامُهُ وخُلِعَ المتقى وَهُوَ وزيرُهُ انقضت ايـام المتقى ووزرآيه ✿

ثم ملك بعده ابو القسم عبد اللـه المستكفى بنُ المُكْتَفِى بنِ المعتضد بويعَ له سنة ثلاثٍ وثلاثين وثلثمية ورد الخَبَرُ اليه بوُصولِ مُعِزِّ الدولةِ بنِ بُوَيهِ فخاف خوفا شديدًا واضْطَربَ الناسُ وأَهْدَى المستكفى الى معزّ الدولة أَلْطافًا وفاكِهَةً ووصَلَ معزّ الدولة الى حَضْرَةِ المستكفى فرَدَّ اليه إمـارةَ الأُمَراء وأَعْطاه الطَوْقَ والسِوارَ وآلَةَ السلطنةِ وعقد

لـه لِوآءٌ وهو اوّلُ ملوكِ بَنى بُوَيْـه فى الحَضْرَة الخليفية وهو الذى لَقّبَهُ مُعِزَّ الدولـةِ ولَقّبَ اخاه رُكْنَ الدولةِ ولَقّبَ اخاه الآخَرَ عِمادَ الدولةِ وامرَ ان تُضْرَبَ اَلْقابُهم على الدينارِ والدِرهمِ ونَزلَت الدَيْلَمُ دُورَ الناسِ ببَغْدادَ ولم يكن يُعْرَفُ ذلك مِن قَبْـلُ ثم انّ مُعِزَّ الدولةِ رَكِبَ يَوْمًا الى دارِ الخلافةِ وسَلَّمَ على المستَكْفِى وقَبَّلَ الأَرْضَ بين يَدَيْه وامرَ المستكفى فطُرِحَ كُرْسِىٌّ فجلَسَ عليه معزُّ الدولةِ ثم تقدَّم الى المستكفِى رَجُلانِ مِن الدَيْلَمِ بمُواطأة مُعِزّ الدولـة فمَدّا ايديهمـا نَحْوَه فظَنَّ المستَكْفِى انهما يُرِيدانِ تقبيلَ يَدِه فمَدَّ يَدَهُ فجذباها ونكّساه مِن السريرِ ووضعا عمامتَهُ فى عُنُقه وسَحباه ونَهَضَ معِزّ الدولةِ وضُرِبَت البوقاتُ والطُبول واختلَطَ الناسُ ودَخَلَ الدَيْلَمُ الى حُرَمِ الخَليفَةِ وحُمِلَ المستَكْفِى الى دارِ مُعِزّ الدولة فاعْتُقِلَ بها وخُلِعَ مِن الخِلافـة ونُهِبَتْ دارُهُ وسُمِلَت عيناه ولم يَزَلْ فى دارِ السلطنةِ مُعْتَقَلًا حتى تُوُفّى سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلثمية، شرح حال الوزارة فى ايامـه اوّلُ وزرايه السامَرّىُّ ابو الفَرَج محمد بنُ علىّ لم يكُنْ له حُكْمٌ ولا استبدادٌ ولم تَطُلْ ايامُهُ وقُبِضَ عليه وهجاه بعض الشعراء بقَوْلِه الكامل

الآنَ ان كَفَرَ المُقْـتِرُ رِزْقَـه قالوا كَفَرْتَ فخَفَّ عِقابُ النارِ
الكونُ رِجْلِى مَرْكَبِى وجَنيبتى خُفّى على ذُلٍّ بـذاك وعَـارِ

والسُّرُّ مَنْ رَأَيٌ فى اصْطَبْلِهِ مَيِّتًا عَتيقَ فارِهٍ مُخْتار
كَلْبٌ حِمارٌ بالخُيولِ وكاتبٌ فَطِنٌ يَضيقُ بهِ كِراءُ حِمارِ
أَنَا قَدْ دُهِشْتُ فعَرِّفُونى أَنْتُمُ هذا من الانْصافِ فى الأَقْدارِ

ثمّ اضطربَتْ احوالُ الخلافةِ ولم يَبْقَ لها رونقٌ ولا وزارةٌ وتَمَلَّكَ البُوَيْهِيُّونَ وصارت الوزارةُ من جهتهم والأَعمالُ اليهم وقُرِّرَ للخلفاء شىءٌ طفيفٌ برَسْمِ اخْراجاتهم، انقضت ايامُ المستكفى ووزارِيهِ ✿

ثمّ ملك بعده المطيع للهِ ابو القسمِ الفَضْلُ بنُ المقتدرِ بويع سَنَةَ اربع وثلاثين وثلثميةٍ وكان أَمْرُه ضعيفًا، فى ايامِه رُدَّ الحَجَرُ الاسودُ الى مكانِهِ وكانت القَرامطةُ الخوارجُ قد اخَذُوه ثمّ رَدُّوه وقالوا قد أَخَذْناه بأمْرٍ ورَدَدْناه بأمْرٍ وقَوِىَ الفالِجُ على الطايع وثَقُلَ لسانُه فدَخَلَ عليه سُبُكْتِكِين حاجِبُ مُعِزّ الدَوْلةِ فدَعاه الى خَلْعِ نَفْسِهِ ومُبايَعةِ وَلَدِهِ الطايع ففعل ذلك وعَقَدَ الأمْرَ لولَدِهِ وخَلَع نَفْسَهُ ومات فى سنةِ اربَعٍ وستّين وثلثميةٍ ✿

ثمّ ملك بعده ابنه عبد الكريم ابو بكرٍ الطايع لامرِ اللهِ بويع له سَنَةَ ثلاثٍ وستّين وثلاثِ مِيَةٍ، كان الطايعُ شديدَ المُنّةِ كان قد استَفْحَلَ عِنْدَهُ فى البستانِ كَبْشٌ جَبَلِىٌّ وما جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ منه فخَرَجَ الطايعُ اليه فحَمَلَ الكَبْشُ عليه فثَبَتَ له حتى مَكَّنَ يَدَيهِ من قَرْنَيْه ثمّ استَدْعَى نَجّارًا وامَرَه بقَطْعِ قَرْنَيْهِ بالميشارِ

فقطعهما التجار وهو فى يد الطايع، وفى ايامه قويت شوكة آل بويه ووصل عضد الدولة الى بغداد وانتشر حكم البويهيين ثم قبض البويهيون على الطايع فى سنة احدى وثمانين وثلثمية وبويع بعده للقادر، انقضت ايام الطايع لله ۞

ثم ملك بعده القادر ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر بويع له سنة احدى وثمانين وثلثمية، كان القادر من افاضل خلفايهم حسن الطريقة والسمت كثير الخير والدين والمعروف والعبادة تزوج بنت بهاء الدولة بن عضد الدولة على صداق مبلغه مية ألف دينار، وفى ايامه تراجع وقار الدولة العباسية ونمى رونقها واخذت امورها فى القوة ومكث القادر فى الخلافة مدة طويلة ومات فى سنة اثنتين وعشرين واربع مية ۞

ثم ملك بعده ابنه ابو جعفر عبد الله القايم بامر الله بويع فى سنة اثنتين وعشرين واربع مية، كان القايم من افاضل خلفايهم وصلحايهم وطالت مدته فى الخلافة وزاد به وقار الدولة ونمت قوتها، وفى ايامه انقرضت دولة بنى بويه وظهرت دولة بنى سلجوق،

شرح حال الدولة السلجوقية وابتدايها وانتهايها، هذه دولة قويت شوكتها وعرضت مملكتها ونفذت تقدماتها فى الحضرة الخليفية واستولت على الخلافة وخطب لها على المنابر وضربت اسماء ملوكها

على الدِرْهَم والدينارِ ذكر ابتداء حالهم هُمْ قَوْمٌ أَصْلُهم من التُرْكِ الخَزَرِ وكانوا يَخْدِمُونَ مع ملوكِ التُرْك ونَشَأَ جَدُّهم سَلْجُوقُ وكانت امارَاتُ النَجابَةِ لايِحَةً عليه ودلايلُ السعادةِ ظاهِرَةٌ على حَرَكاتِهِ فقرَّبَهُ مَلِكُ التُرْكِ واخْتَصَّ به ولقَّبَهُ شَباشِى ومَعْناهُ فى لُغَتِهم قايدُ الجَيْشِ فنَبَغ سَلْجُوقُ بعُلُوِّ هِمَّتِهِ واستمالَ قلوبَ الرجالِ بِكَرَمِهِ وعَقْلِهِ وانْقادَتِ الاكابِرُ اليْهِ فيقالُ انَّ زَوْجَةَ مَلِكِ التُرْكِ قالت لزَوْجِها انّى اتَوَسَّمُ فى سَلْجُوقَ تَغَلُّبا عليكَ والراىُ عندى أَن تَقْتُلَهُ فقد كَثُرَ مَيْلُ الناسِ اليه فقال لها سَوْفَ أَبْصَرُ ما أَصْنَعُ فى امْرِهِ ثم احَسَّ سَلْجُوقُ بشىءٍ من ذلك العَزْمِ وظَهَرَ له التَغَيُّرُ فجَمَعَ عَشِيرَتَهُ ومَن تَبِعَهُ وحالَفَهم واستَجْلَبَ مَن اطاعَهُ وصارَ قايِدًا مُعَظَّمًا لِلْغَزِّ ونَفَرَ بهم من بلادِ التُرْكِ الى بلادِ المسلمين فلما دخَلَها أَظْهَرَ الاسلامَ ليَكُونَ المسلمون عَوْنًا له وليُمَكِّنُوه من المَراعِى والمَساكِن فنزَلَ بالجُنْدِ وشَرَعَ فى غَزْوِ مَنْ قارَبَهُ مِن أَصْنافِ التُرْكِ وكانَ لملكِ التُرْكِ اِتاوَةٌ على تلك البلادِ المُتاخِمَةِ له فقَطَعَها سَلْجُوقُ وطَرَدَ نُوّابَهُ ومات سَلْجُوقُ وعُمْرُهُ مِيَةٌ سَنَةٍ ثم نَشَأَ اولادُهُ فى القُوَّةِ والنِعْمَةِ والدولةِ فاستَوْلَوا على كل مَوْضِعٍ استَضْعَفُوهُ مِن بلادِ العَجَمِ وما زال أَمْرُهم يَنْمِى حتى مَلَكَ طُغْرُلْبَكَ وهو أَوَّلُ سَلاطينهم طايفةً من بلاد العَجَمِ وما زال أَمْرُهُ يَقْوَى حتى تَغَلَّبَ البَسَاسِيرِىّ على بغداذَ ونَهَبَها وقَتَلَ مَنْ بها

وأَخْرَجَ الخليفةَ القايمَ فحبَسَهُ بقَلْعَةِ الحَدِيثَةِ وكانت فِتْنَةُ البَسَاسِيرِىّ فِتْنةً عَظِيمَةً فحينئذٍ كَتَبَ القايمُ الى طغْرلبك السلطان يستدعيه الى بغداذ ليَنْصُرَهُ على البَسَاسِيرِىّ فسار طغرلبك بعساكره الى بغداذ فلما سَمِعَ البَسَاسِيرِىُّ بذلك انتقَضَ عليه أَمْرُه وفارَقَ بغداذَ ودخَلَ طغرلبك الى بغداذ واعاد رَوْنَقَ الدولةِ الخليفتيّةِ وخُطِبَ له بالسَّلْطَنَةِ على مَنابِرِ بغداذ وكان ذلك أَوَّلَ سَلْطَنَتِهِم بالحَضْرَةِ، واما انتهاءها فانها ما زالت امورُها تَضْعُفُ حتى انْقَرَضَتْ بالكُلِّيَّةِ فى ايامِ الناصرِ وذلك فى سَنَةِ تسعين وخَمْسِ مِيَةٍ فتعالى اللهُ، ومات القايمُ فى سَنَةِ سَبْعٍ وسِتِّين وأَرْبَعِ مِيَةٍ،

شرح حالِ الوزارة فى ايامه وَزَرَ له فخْرُ الدولةِ ابو نَصْرٍ محمدُ بنُ محمد بن جَهِير، وزارة ابنِ جهير كان فَخْرُ الدولة من عُقَلاء الرِجالِ ودُهاتِهِم كان فى ابتداء أَمْرِهِ فقيرًا مُدْقِعًا وتَرامَتْ به الاسبابُ فمن مَبادِيها انه كانَ جالِسًا بالكَرْخِ يومًا فعبَرَ عليه غَسّالٌ ممّن يَغْسِلُ بالخَرِبَاتِ ومَعَهُ فُصُوصٌ عُتُقٌ قد استحالت الوانُها فاشتراها منه بثلاثةِ دَنانيرَ وجَلا بَعْضَها فخَرَجَ أَحَدُها ياقوتًا أَحْمَرَ وخرج الاخَرُ فَيْرُوزجًا جَيِّدًا فصاغَ لكلّ واحدٍ منهما خاتمًا من ذَهَبٍ ثم انه تقَلّبت به الامورُ حتى مَضَى فى رِسالةٍ الى مَلِكِ الروم فمَدَّ له الخاتَمَيْنِ فاعطاه عشرينَ أَلْفَ دينارٍ فكانت أَصْلَ غِناهُ ونِعْمَتِهِ ثم

تَنَقَّلَ فى الخِدَمَاتِ حتى اتَّصَلَ بابنِ مَرْوَنَ صاحِبِ ديارِ بكرٍ فخدمَهُ مُدَّةً واثْرَى عِنْدَهُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً فسَمَتْ هِمَّتُهُ الى وزارةِ الخليفة فارسَلَ سِرًّا الى القايمِ وعَرَضَ عليه نَفْسَهُ وبَذَلَ له ثلاثينَ اَلْفَ دينارٍ فارْسَلَ القايمُ بَعْضَ خواصّهِ فى رسالةٍ الى ابن مروَنَ وكان غَرَضُهُ من اِرْسالِ ذلك الرسولِ أن يَجْتَمِعَ بفخرِ الدولةِ ويُقَرِّرَ مَعَهُ اَمْرَ الوزارة فاجتمعَ الرسولُ بفخرِ الدولةِ سِرًّا وَقَرَّرَ معه ما ارادَ ثُمَّ لما ارادَ الرسولُ الرُجُوعَ الى بغداذ خرجَ فخرُ الدولةِ كانه يُوَدِّعُهُ فانحدرَ مَعَهُ الى بغداذ وكان قَبْلَ ذلك قد فَرَّقَ اموالَهُ بالبلادِ وَاَنْفَذَ منها شَيْـًٔا الى بَغْدَاذَ فلمّا وصَلَ الرسول الى بغداذ وصْحْبَتَه فخرُ الدولةِ ارسَلَ القايمُ اليه اصحابَهُ يَتَلَقَّونَه ثم خَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارةِ ونهَضَ فخرُ الدولةِ بامورِ الوزارة احْسَنَ نُهُوضٍ وكانت الاطرافُ المتاخِمَةُ للعِرَاقِ عاصِيَةً على الخليفةِ وكان ملوكُها اَصْدِقاء فخرِ الدولةِ فكاتَبَهم وراسَلَهم واستمالهم فدخَلُوا فى طاعة الخليفةِ ثم عُزِلَ فخرُ الدولةِ عن الوزارةِ بسَبَبِ كَدَرٍ جرى بينه وبينِ نظامِ المُلْكِ وزيرِ السلطانِ ثم أُعيدَ فخرُ الدولةِ الى الوزارةِ ولما اعيدَ الى مَنْصِبِه قال ابنُ الفضلِ الشاعرُ يَمْدَحُهُ — الرجز

قد رَجَعَ الحَقُّ الى نِصابِهِ وَاَنْتَ مِن دُونِ الوَرَى اَوْلَى به
ما كُنْتَ اِلّا السَيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثم اعادَتْهُ الى قِرابِهِ

ولما عادَ الى الوزارة فَرِحَ الناسُ به فرحًا شديدًا فيقالُ إنّ سَقّاءً ذَبحَ ثَوْرًا لهُ لم يكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَهُ وتَصَدَّقَ بلَحْمِه فاعطاه الوزيرُ بَغْلاً بآلَتِه واعطاهُ مَعَهُ شَيْئًا من الذَّهَبِ ولَمَّا مات القايمُ قام الوزيرُ فَخْرُ الدولة بأَخْذِ البَيْعَة للمُقْتَدى أَحْسَنَ قيامٍ وكانت مُدَّةُ وزارتِه للخليفتَيْنِ القايمِ والمقتدى خَمْسَةَ عَشرةَ سَنَةً وشَهرًا ومات بعد ذلك فى سنة ثلاثٍ وثمانينَ واربعَ مِيَّةٍ، وزارة رييس الروساء على بن الحسين بن احمد بن محمد بن عُمَرَ بن المُسْلِمَة كان وزيرَ القايمِ قَبْلَ ابنِ جهيرٍ ومِن أَجْلِه وقَعَتْ فِتْنَةُ البَسَاسِيرِىّ وكانَ قَبْلَ الوزارة أَحَدَ المُعَدَّلِينَ ببغدادَ ومِمَّنْ له معرفةٌ بالفِقْه وأُنْسٌ بالعِلْمِ وروايةِ الحديث وجَلَّ أَمْرُهُ وعَظُمَت مَنْزِلَتُهُ ووقع بينه شَرٌّ وبين البَسَاسِيرِىّ ابى الحَرِث التركىّ وكان أَحَدَ الامراء فاقتضى الحالُ ان البَسَاسِيرِىَّ هَرَبَ ثم جمعَ الجُمُوعَ ووَرَدَ الى بغداد واستَوْلَى عليها ثم ظَفِرَ بابن المُسْلِمَةِ رييس الروساء فمثَّل به فمِنْ جُمْلَة ما فَعَلَ به انه حَبَسَهُ ثم خَرَجَهُ مقيَّدًا وعليه جُبَّةُ صُوفٍ وطُنْطُورٌ مِن لِبْدٍ أَحْمَرَ وفى رَقَبَتِه مِخْنَقَةٌ فيها جُلودٌ مقطَّعَةٌ شَبيهةٌ بالتَعاوِيذِ وأُرْكِبَ حِمارًا وطِيفَ به فى المَحَالّ ووَرَاءَهُ مَنْ يَضْرِبُه بجِلْدٍ ويُنادِى عليه ورييس الروساء يَقرَأُ قُلِ اللّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤتِى المُلْكَ مَنْ تَشاء وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشاء وشَهَّرَهُ فى البَلَدِ فلما اجتازَ بالكَرْخِ

نَثَرَ عليه اَهْلُ الكَرْخِ المَداساتِ الخُلَّعَ وبَصَقُوا فى وَجْهِه ووُقِفَ بازآءِ دار الخلافةِ من الجانبِ الغربىّ ثمّ اعيدَ وقد نُصِبَتْ له خَشَبَةٌ فى بابِ خراسانَ فأُنْزِلَ عن الحمار وخُيِّطَ عليه جلد ثَوْرٍ قد سُلِخَ فى الحالِ وجُعِلَت قُرُونُه على راسِهِ وعُلِّقَ بكُلّابٍ فى حَلْقِهِ واستُبْقِى فى الخَشَبَةِ حَيًّا الى أن ماتَ مِن يومِهِ ، انقضت ايامُ القايمِ بامرِ الله ووزرآيِه ☆

ثمّ ملك بعده ابن ابنه المقتدى بامرِ اللهِ وهو ابو القَسِمِ عبدُ اللهِ بنِ الذخيرة بن القايم بويع فى سنةِ سَبْعٍ وستين واربَعِ مِيَةٍ ، كان المقتدى عالِىَ الهِمَّةِ خبيرًا بالامور من افاضلِ خلفايهم اتَّفَقَ له مَعَ السلطان مَلِكشاه واقعةٌ عجيبةٌ كان السلطانُ ملكشاه قد قَصَدَ بغدادَ فوصَلَها فى سنةِ خمسٍ وثمانين واربَعِ مِيَةٍ وقد تَغَيَّرت نِيَّتُهُ على المُقْتَدِى فـأرْسَلَ ملكشاه الى المقتدى يقول له تَخرُجُ من بغدادَ وتَسْكُنُ اَىَّ بَلَدٍ شِئْتَ فانزَعَجَ المقتدى مِن ذلك وطَلَبَ منه ان يُمْهِلَهُ شَهْرًا فقال مَلِكشاه ولا ساعةً واحدةً وتَرَدَّدَتِ الرسُلُ بينهما ثمّ استقَرَّتِ الحالُ بوساطةِ تاجِ الملكِ ابى الغَنايمِ وزيرِ ملكشاه أَنْ يؤَخِّرَهُ عَشَرَةَ اَيّامٍ فقال ملكشاه يَجُوزُ ففى عيدِ الفطرِ صَلّى السلطانُ وخَرَجَ الى الصَيْدِ فَحُمَّ واقتَصَدَ فتُوُفِّىَ فى نِصْفِ شـوّالٍ وضَبَطَتْ زوجتُه زُبَيْدَةُ خاتونُ العسكرَ بعد موتِهِ واستقرَّ مع المقتدى ترتيبُ

ابنها محمود فى السَلطنة وعُمْرُه يومئذ سِتّ سِنينَ فخُطِبَ له وخَلَعَ المقتدى عليه وخرجَ العسكرُ وخاتونُ وابنُ ملكشاه محمود بن ملكشاه الى اصفهانَ وكَفَى اللهُ المقتدى شرَّ ملكشاه وتُوُفّى المقتدى فُجاءةً فى سنة سبع وثمانين وأربع مِئة شرح حال الوزارة فى ايامه لما بويع المقتدى بالخلافة أقرّ فخرَ الدولة بنَ جهير وزيرَ ابيه على وزارته وقد مَضَى من سيرته ما يُغْنِى عن ذِكْرِ شىء آخَرَ وزارة ابنه عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير للمقتدى كان القايمُ والمقتدى يُرسِلانه فى رسايلَ الى السَلاطين فتَنْجَحُ على يَدِه وكان فاضلًا حصيفًا فاستحلاه نِظامُ الملك وزيرُ السلطانِ وكان يَعْجَبُ منه ويقول وَدِدْتُ انّى وَلَدْتُ مِثْلَه ثم زَوَّجَه ابنتَهُ واستوزرَهُ المقتدى وفَوَّضَ الأُمورَ اليه ثم عزَلَهُ فشَفِعَ له نظامُ الملك فأُعيدَ الى الوزارة فقال ابنُ الهَبّاريّة الشاعرُ فى ذلك يَهْجُو عَميدَ الدَوْلة

البسيط

لو لا صَفِيّةُ ما استُوزِرْتَ ثانيَةً فاشكُرْ حِرًا صِرْتَ مَوْلانا الوزيرَ بِهِ

صَفِيّةُ هِىَ بنتُ نِظامِ المُلْكِ الوزيرِ الّتى تزوّجها عَميدُ الدولة ثم وَقَعَ بين عَميد الدولة وبين سَلاطين العَجَمِ وقعةٌ فطَلَبُوا من الخليفة عَزْلَهُ واشارَ اصحابُ الخليفةِ بذلك فعَزَلَهُ وحُبِسَ بباطِنِ دارِ الخِلافة ثم أُخْرِجَ مَيّتًا ودُفِنَ وكانَ يقول الشِعْرَ فمن شِعْرِه

البسيط

الى مَتى أَنْتَ فى حَلّ وترحالِ تبغى العُلى والمَعالى مَهرُها غالِ
يا طالبَ المجدِ دون المجدِ ملحمةٌ فى طيّها خطرٌ بالنفسِ والمالِ
ولليالى صُروفٌ قلّما انجذبتْ الى مُرادِ امرءٍ يسعى بلا مالِ

وزارة ابى شجاع ظهيرِ الدينِ محمد بن الحسينِ الهمذانى للمقتدى

كان رجلا ديّنا خيّرا كثيرَ الخيرِ والبرّ والصدقة وقفَ له على ثَبْتٍ خَرج على وجوهِ البرّ والصدقات خاصّةً بما قدرُه مئةٌ وعشرون ألفَ دينارٍ وكانَ الذى أوردَ هذا الثبتَ كاتبًا مِن جُملةِ عشرةِ كتبةٍ يكتبون صدقاتِه خاصّةً ولما وَلى ظهيرُ الدين المذكورُ الوزارةَ كتب اليه ابنُ الحريرىّ صاحبِ المقاماتِ — المتقارب

هَنيئًا لكَ الفخرُ فافخرْ هَنيّا كما قد رُزقتَ مكانًا عليّا
وبِتَّ كآبائِكَ الأكرمينَ لدَسْتِ الوزارةِ كُفْوًا رَضيّا
تحمّلتَ أعباءها يافعًا كما أوتىَ الحُكمَ يحيى صَبيّا

كان يُصلّى الظهرَ ويَجلِس لكشفِ المَظالِمِ الى وَقتِ العصرِ وكان الحُجّابُ يُنادُونَ فى الناسِ مَنْ كانتْ لَهُ حاجةٌ فليَعرِضْها ومِنْ مَناقبِه انه لما وقعتِ الفتنُ بينَ السُّنّةِ والشيعةِ بالكرخِ وبابِ البَصْرةِ من مدينةِ السلامِ تَغاضى عن إراقةِ الدماءِ غايةَ التغاضى حتى قال لـه المُقتدى انّ الأمورَ لا تمشى بهذا اللينِ الذى تستعملُه وقد أطمعتَ الناسَ بحِلمِكَ وتجاوُزِكَ ولا بُدّ من نَقضِ دُورِ عَشرةٍ من

كبارِ اهــلِ المحالِ حتى تقومَ السياسةُ وتسْكُنَ هذه الفتنُ فارْسَلَ الوزيرُ الى المُحْتَسِب وقال لــه قد تقدّمَ الخليفة بنَقْضِ دُورِ عشرةٍ من كبارِ اهلِ المحالِ ولا تُمكنُنى المُراجعةُ فيهم وما آمَنُ أنْ يكونَ فيهم أحَدٌ غيرُ مستحَقٍّ للمُؤاخذةِ او أنْ يكونَ المُلْكُ ليسَ له فاُرِيدُ ان تَبْعَثَ ثِقاتِكَ الى هذه المحالِ وتَشْتَرِى أمْلاكَ هــاولاء المُتّهَمين فاذا صارَت الاملاكُ لى نقَضْتُها وأسْلَمُ بذلك من الأثْمِ ومن سَخَطِ الخليفةِ ونقَدَهُ الثمَنَ فى الحالِ ففعَلَ المُحْتَسِبُ ذلك ثم بعد ذلك ارسَلَ ونقَضَها وحجّ بَيْتَ اللهِ تعالى ولم يُؤرَّخْ عن وزيرٍ انه حجّ فى ايامِ وزارتــه الا هذا فان الوزراءَ قبله كانوا يَحُجّون بعد خُلُوّهم من الـوزارة الا البَرامكةَ فانهم حَجُّوا فى حالِ وزارتهم وطَلَبَ السلطانُ جَـلالُ الدولــةِ ملكشاهُ من المقتدى عَزْلَ هذا الوزيرِ فخرجَ تَوْقِيعُ المقتدى بعَزْلــهِ على حالةٍ جميلةٍ ثم يُصْرَفُ بمثلها وزيرٌ وانصَرَفَ الى داره وهو يُنْشِدُ الوافر

تولّاهــا وليسَ لــه عَدُوٌّ وفارَقَها ولَيْسَ له صَدِيقُ

ثم اعْتَزَلَ وتزَهّدَ ولَبِسَ ثيابَ القُطْنِ وتوجّهَ الى الحجّ واقـامَ بمدينةِ الرسول صلواتُ اللــهِ عليه وسلامُــه فكان يَكْنُسُ المَسْجِدَ النَبَوِىَّ ويَفْرِشُ الحُصْرَ ويُشْعِلُ المَصابيحَ وعليه ثوبٌ من غليظ الخامِ وبَدَأ بحِفْظِ القرانِ وخَتَمَهُ هُناكَ وله شِعْرٌ لا باسَ به فمنه قَوْلُه الخفيف

إِنَّ مَنْ شَتَّتَ الجميعَ مِنَ الشَمْلِ قديرٌ بأَنْ يُجَمِّعَ أَهْلا
لَسْتُ مُسْتَيْئِسًا وَإِنْ طال هجرٌ رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ عُقْبَاهُ وَصْلا
واذا أَعْقَبَ الوِصَالُ فِراقًا كان ذاك الوِصالُ فى القَلْبِ أَحْلَى

ومات رَحِمَهُ اللهُ فى سنة ثلاثَ عشرةَ وخَمْسِ مِيَةٍ، انقضت ايام المقتدى بامرِ الله ووزرايه ۞

ثم ملك بعده ابنه المستظهر بالله ابو العباسِ أَحْمَدُ، بويعَ له بالخلافة فى سنة سبع وثمانين واربَع مِيَّةٍ، كان المستظهرُ كريمًا وَصولا حسَنَ الاخلاقِ كبيرَ الهمَّةِ سَهْلَ العَرِيكَةِ مُهَذَّبَ الخِلالِ مُحِبًّا للخَيْرِ مُبْغِضًا للظُلْمِ، فى ايامهِ تفاقَمَ حالُ الباطنيَّةِ واستَوْلَوا على المَعَاقِلِ والحُصُونِ بخراسانَ وكان أَصْلَ دَعْوَتِهِم بخرسانَ الحسَنُ ابن صَبَّاح وهو رَجُلٌ أَصْلُه مِن مَرْوَ وسافَرَ الى مِصْرَ وأَخَذَ من دُعاةِ آلِ ابى طالِبٍ بها المَذاهِبَ وكان رَجُلاً ذا دَهاءٍ وصاحِبَ حِيَلٍ ثم انه رَجَعَ مِن مِصْرَ الى خراسانَ وصار داعيًا لآلِ ابى طالِبٍ وتَوصَّلَ بانواع التَوَصُّلاتِ حتى مَلكَ قَلْعَةً من بلادِ الدَيْلَمِ يُعْرَفُ بالرُوذبارِ فلما مَلَكَها قَوِيَ أَمْرُهُ واستَغْوَى طَوايِفَ من الناسِ وفَشا مَذْهَبُ الباطنيَّةِ ونَمى واعْتَقَدَهُ خَلْقٌ من الاكابِرِ فى باطِنِ الأَمْرِ وما زال يَسْتَفْحِلُ أَمْرُهُمْ الى أَنْ قَصَدَتِ العَسَاكِرُ المُغُولِيَّةُ قِلاعَهُم وفَعَلَتْ بها ما فَعَلَتْ ومات المستظْهِرُ فى سنة اثْنَتَى عشرةَ وخمس مِيَّة،

شرح حال الوزارة فى ايامــه لم يكن للوزارة فى ايامه كبيرُ اُبَّهَةٍ فمن وزرايــه زَعيمُ الـرُؤَسَآء ابـو القَسِم علىُّ بنُ فَخْرِ الدولة بن جهير لم تَطُلْ ايامُه ولم يَكُنْ له مِنَ السيرة ما يُوثَر وبعد يَسيرٍ من وزارته عُزِلَ وقُبِضَ عليه ؛ وزارة ابى المعالى هِبَة الله بن محمد بن المُطَّلِب للمستظهِرِ كان رجُلًا كافيًا من كُفاة الدولـة العباسية استوزَرَهُ المستظهرُ بعدَ زَعيمِ الروساء بن جهير وكان قَبْلَ الوزارة يَتَوَلَّى ديوانَ الزِمامِ فحَدَّثَ عنه بعضُ اصحابه قال دَخَلْتُ يوما اليه قبل الوزارة وهو صاحِبُ دِيوانٍ فرايتُه مُفْكِرًا مُضْطرِبَ الخاطِرِ فسَأَلْتُه عن السببِ فقال كُنْتُ قد أَنْهَيْتُ الى المستَظْهِرِ فى السنة الحالية اجتهادى فى عمارة البلادِ وضَبْطى للارتِفاع وتثميرى للحاصِلِ وقُلْتُ قد حَصَلَ فى هذه السَنَة اثنا عشرَ اَلْفَ كُرٍّ وفى السَنَة المستَقْبَلَة يَحْصُـل عِشْرونَ اَلْفَ كُرٍّ فخَرَجَ جَوابُهُ يَشْكُرُنى ويُثْنِى عَلَىَّ وشَرَّفنى بشىء من ثيابهِ فسُرِرْتُ وقُلْتُ هذه ثَمَرَةُ الاجتهادِ ثم جَرَّدْتُ هِمَّتى للعمارةِ وانبعَثْتُ بجُهْدى وطاقتى فى عمارة المستَقْبَل فاتَّفَقَ أَنِ انْحَجَمَ بثْقٌ فتَلِفَ مِن الارتفـاع شىءٌ كثيرٌ وجَرَت احـوالٌ أُخَرُ اقتَضَتْ خُفُوقَ الارتفاع بحيثُ نَقَصَ عن اِرْتفاع السَنَة الحالية جُمْلَةً فكتَبْتُ مُطالعَةً الى الخليفة أُعَرِّفُـهُ فيها بخُفوقِ الارْتِفاع وذَكَرْتُ لَهُ كَمِيَّةَ الحاصِـلِ ولم أَشْرَحْ له السَبَبَ فى نَقيصَة الارْتفاع وقلتُ فى نَفْسى

ان سألنى عن السَبَب شرحْتهُ له فخرَجَ جَوابُهُ الىَّ يَشْكُرُنى ويُثْنى علىَّ وشَرَّفَنى بشىءٍ من ثِيَابه كما فعَلَ فى السَنَة الحالِيَة فقلت فى نَفْسى وَاوَيْلَاهُ هذا حالى مَعَهُ فى حالة الاجتهاد والتَقْصير وقد شكَرَنى على الحالتَيْن المُتَنَاقِضَتَيْنِ وهذا يَدُلُّ على انه لا يفكِّرُ فيما يقُولُهُ ويَفْعَله فما يُؤمِنُنى أنَّ بَعْضَ مَن هو قريبٌ اليه من اعدائى يُعْرِضُ عليه فى أمْرِى ما يَكُونُ سبَبًا لهَلَاكى فلا يَتَأمَّلُ القَضِيَّةَ بل يتقدَّمُ بما يُوافِقُ غَرَضَ العَدُوِّ قال الحاكى فقُلْتُ له يُعيذُكَ اللهُ ويَقيكَ ممّا تحْذَرُ ومما برِحْتُ حتى سَلَّيتُهُ وأَزَلْتُ غَمَّهُ وكان هذا ابو المعالى ابن المُطَّلِبِ من علماء الوزراء فافاضلهم وأخْيارِهِمْ انقضت ايام المستظهر بالله ووزرايه ✿

ثم ملك بعده ابنه المسترشد ابو منصورٍ الفَضْلُ بنُ المستَظْهِرِ بالله بويعَ فى سَنَة اثنتى عشرة وخمس مية كان المسترشِدُ رجلاً فاضلا ولما بويعَ بالخلافة هَرَبَ اخوهُ الاميرُ ابو الحَسَنِ وأخْفَى نَفْسَهُ ومَضَى الى الحِلَّة مستجيرًا بدُبَيْسِ بن صَدَقَةَ صاحِبِ الحِلَّة وكان دُبَيْسُ ابنُ صَدَقَةَ أحَدَ أجْوادِ الدنيا كان صاحبَ الدارِ والجارِ والحِمَى والذمارِ وكانت ايامُهُ أعْيادًا وكانت الحِلَّةُ فى زمانه محَطَّ الرجالِ ومَلْجأَ بنى الآمالِ ومأْوَى الطريدِ ومُعْتَصَمَ الخايفِ الشريدِ فاكْرَمَهُ دُبَيْسٌ اكرامًا زايدًا عَنِ الحَدِّ وأفْرَدَ له دارًا واكرَمَهُ اكرامًا كثيرًا

ومكث عِنْدَهُ مُدَّةً على احْسَنِ حالٍ فلما عَلِمَ اَخُوهُ المسترشِدُ باللهِ انــه عند دُبَيْسٍ قَلِقَ لذلك وخاف من اَمْرٍ يَحْدُث من نــاحيَتِهِ فبعَثَ نَقيبَ النُقباء عليَّ بنَ طرادٍ الزَيْنَبِيَّ الى الحِلَّةِ بخاتمهِ وامانــه وامَرَهُ ان ياخُذَ البَيْعَــةَ على دُبَيْسٍ ويَطْلُبَ منــه ان يُسَلِّمَ اليه الاميرَ ابــا الحَسَنِ فقال دُبَيْسٌ اَمَّا البَيْعةُ فالسَمْعُ والطاعةُ لامرِ اميرِ المومنين وبــايَعَ وَاَمَّا تَسْليمُ جارِى فلا واللهِ لا أُسَلِّمُهُ اليكم وهو جارِى ونَزِيلِى ولو قُتِلْتُ دُونَــهُ الّا انِ اختارَ فــأَبَى الاميرُ ابُو الحَسَنِ التوَجُّهَ صُحْبَةَ النَقيبِ الى اخِيهِ فمَضَى النَقيبُ وَحْدَه ثم بعد ذلك ظَفِرَ بــه المسترشِدُ فسَجَنَهُ فى بعض دُورِه على حالَةٍ جميلةٍ، وجَرَت بين الخليفــةِ المسترشِدِ وبين السلطانِ مَسْعُودٍ وَحْشَةٌ تَفاقَمَ الأَمْرُ فيها وَاَفْضَى الحالُ الى الحربِ فتوجَّهَ الخليفةُ المسترشِدُ وصُحْبَتَه العسكَرُ وارْبــابُ الدولــةِ وتَجَهَّزَ مسعودٌ للقايهِم فلما التَقَوا والتَحَمَ القتالُ انكسَرَ عسكرُ المسترشِدِ واستظهرَ السلطانُ مسعودٌ عليهم ونهَبَ عَسْكَرُه مِن العسكَرِ الخليفتِىّ اَموالاً عظيمةً فيقال انَّ صَناديقَ المالِ كانت على ميــةٍ وسبعينَ بَغْلًا وَهِىَ ارْبَعَةُ آلْفِ اَلْفِ دينارٍ وكان الرَحْلُ على خَمْسِ مِيَةِ جَمَلٍ وكان معه عَشَرَةَ آلْفِ عمامةٍ وعشرةُ آلْفِ جُبَّةٍ وعشرَةُ آلْفِ قباءٍ كل ذلك مِن فاخِرِ الثيابِ كان قد اعَدَّها للتَشْريفاتِ ان ظَفِرَ فيقال انَّ جُمْلَةَ ما نُهِبَ عَشَرَةُ الفِ الفِ

دينارٍ ونهى مسعودٌ عن اراقةِ الدماء وقبض على اصحاب الخليفة وحملهم الى القلعةِ واما الخليفةُ فافرد له خيمةً ووكّل به جماعةً وسار مسعودٌ والخليفةُ معه الى مراغة فوصل كتابُ السلطانِ سنجر الى مسعودٍ يأمره بالاحسانِ الى الخليفةِ واعادته الى بغداذ مكرّما معزّزا وان يتلافى الحالَ معه وان يردّ عليه امواله وان يجعل له من الحَشَمِ والبَرْك والاسباب أعظمَ واجملَ ممّا ذهب منه ويعيده الى بغداذ على اتمّ حالٍ فامتثل مسعودٌ جميعَ ذلك وصنع له من البَرْكِ والاسرّة والخيمِ والحمولِ اشياء جميلةً ووقع العزمُ على العودِ الى بغداذ واتّفقت غفلةٌ من مسعودٍ والعسكرِ فهجم جماعةٌ من الباطنيّةِ على المسترشدِ فضربوه بالسكاكين فى مخيّمه بقريةٍ بينها وبين مراغة فرسخٌ واحدٌ وقتلوا معه جماعةً من اصحابه وحين علم مسعودٌ بذلك ركب منزعجا مظهرا للجزع واخذ القومَ فقتلهم ثم نُقل المسترشدُ على روؤس العلماء والامراء الى مراغة فدُفن بها وقبره الآن بها معروفٌ تحت قبّةٍ حسنةٍ رايتها عند وصولى الى مراغة فى سنة سبعٍ وتسعين وستّمية واختلف الناس عند قتل المسترشدِ فى سبب قتله فقال قومٌ انّ مسعودًا لم يعلم بذلك ولا رضى به وقال قومٌ بل مسعودٌ هو الذى واطأ الباطنيّةَ على قتله وامرهم بذلك لانه خافه حيث قويت نفسه على جمع الجموع وجرّ الجيوش ولم

يُمْكِنْهُ قَتْلُهُ ظاهِرًا ففعَلَ ما فَعَل مِن الاحسانِ اليه ظاهِرًا ثم قَتَلَهُ باطِنًا ثم انه اَخْرَجَ جَمَاعَةً مِن اَهْلِ الجرايمِ فقتَلَهم وأَوْهَمَ الناسَ انه قد قتَلَ قَتَلَتَهُ ثم اَطْلَقَهُمْ سِرًّا وذلك فى سنة تسع وعشرين وخمس مية٭ شرح حال الوزارة فى ايامه٭ مِن افاضلِ وزرايه ابو على الحسن بنُ عَلِيّ بنِ صَدَقَةَ كان فاضلا نِحْرِيرًا عالِمًا بقوانينِ الرياسة خَيِّرًا استَوْزَرَهُ المسترشِدُ سَنَةَ ثلاثَ عشرةَ وخمسِ ميّةٍ ولقّبَهُ بجَلالِ الدين سَيّدِ الوزراء صَدْرِ الشَّرْقِ والغَرْبِ ظَهيرِ اميرِ المومنين وكانَتْ له مَعْرِفَةٌ بالحِسابِ وأَعْمالِ السَّوادِ غَيْرَ انّهُ لا يُنْسَبُ اليه شىء من الكَرَمِ٭ ثم انّ المسترشِدَ قَبَضَ عليه وعزَلَهُ عن الوزارة ولم يكن ذلك عن ارادةٍ من المسترشِدِ وانما دَعَتْهُ الضرورةُ الى القَبْضِ عليه لانّ وزيرَ السلطان كانَ يَتَعَصَّبُ عليه ثم بعد ذلك بمُدَيْدَةٍ زال المانِعُ فاعادَهُ المسترشِدُ الى وزارتِهِ وخلع عليه خِلَعَ الوزارة وتقدَّمَ الى أَرْبابِ الدولةِ بالسَّعْيِ بين يدَيْه الى الديوانِ٭ وهو أَوّلُ وزيرٍ مَشَى اربابُ الدولةِ بين يديه رَجّالةً٭ كانَ الوزير ابنُ صَدَقَةَ يومًا جالِسًا فى دَسْتِ الوزارة فدَخَلَ عليه سَديدُ الدَّوْلَةِ بنُ الانبارِىّ كاتبُ الانْشاء وفى كُمّه اَبْياتٌ قد هَجَا فيها الوزيرَ فسَقَطتِ الرُّقْعَةُ مِن كُمّه فمَدَّ الوَزيرُ يَدَهُ سَرِيعًا وتَناوَلَها فكان فيها مِن جُمْلَةِ الابيات البسيط

أَنْتَ الذى كَوْنُهُ فَسَادٌ فى عالَمِ الكَوْنِ والفَسَادِ

فلمّا رآها سَدِيدُ الدولةِ فى يَدِ الوزيرِ سَقَطَتْ قُوَّتُه خَوْفًا وتَجَلّا فلما قَرَأَها الوزيرُ فَطِنَ القِصَّةَ وصَرَفَ الهَجْوَ عن نفسِه الى سديدِ الدولةِ وقال أَعْرِفُ هذه الابياتِ ومن جُمْلَتِها

ولَقَّبُوهُ السديدَ جَهْلاً وهو بَرِئٌ مِنَ السَدَادِ

ونظمَ الوزيرُ هذا البَيْتَ فى الحالِ فاستَحْيى السَدِيدُ بنُ الأَنْبارِىّ وامْسَكَ عن الجَوَابِ ولمّا عَزَمَ السلطانُ سَنْجَرُ على الوُصُولِ الى بَغْدادَ وتَوَعَّدَ الخليفةَ كَتَبَ اليه الوزيرُ ابنُ صَدَقَةَ واللهِ لَئِن تحَرَّكْتَ لأَقْطَعَنَّ جميعَ ما وَرآكَ عَنْكَ وَأَقْطَعُكَ عنه ولَئِنْ سِرْتَ فَرْسَخًا لأَسِيرَنَّ اليكَ فَرْسَخَيْنِ ومَرِضَ الوزيرُ أَبُو علىّ بن صدقةَ فى آخرِ ايامِه فعادَهُ المسترشِدُ وانْشَدَه الطويل

دَفَعْنا بِكَ الآفاتِ حتى اذا أَتَتْ

تُرِيدُكَ لم نَسْطِعْ لَهَا عنكَ مَدْفَعَا

ولم يَزَلْ أَمْرُه يَضْمَحِلُّ حتى تُوُفِّىَ فى سنةِ اثنتين وعشرين وخمس مِيَةٍ، وزارةُ الشريفِ ابى القسمِ على بن طراد الزَينبىّ هو ابو القسمِ على بنُ طِرادِ بنِ محمدٍ نَقِيبِ النُقباءِ بن ابى القَسمِ على نقيبِ النُقباءِ بن الحسن بن محمدِ بن عبدِ الوَهّابِ بنِ سُلَيْمَنَ بن عبدِ اللهِ بن محمد بن ابرهيم الامام بن محمد بن علىّ بن عبد اللـه بن

العباس وانما عُرِفُوا بالزَّيْنَبِيِّينَ لانّ أُمَّهُمْ زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَنَ بنِ علىّ بن عبد الله بن العباس عُرِفُوا بها كَانَ مُتَرَوِّيًا من المعرفة بقوانين الوزارة واسباب الرياسة وهو الذى جَمَعَ الناسَ على خَلْع الراشد وقام فى خَلْعِهِ وأَخَذَ البَيْعَةَ للمُقْتَفِى القيامَ العَظِيمَ واتَّفَقَ مع السلطانِ مسعودٍ على ذلك ووَزَرَ لِخَلِيفَتَيْنِ المسترْشِدِ والمقتفى، ولما استوزَرَهُ المسترشِدُ وشافَهَهُ بالولاية قال لَهُ كلُّ مَن رُدَّت اليه الوزارةُ شَرُفَ بها الا أَنْتَ فانّ الوزارةَ شَرُفت بك، وحُمِلَ اليه الدَّسْتُ الكامِلُ مِن دارِ الخليفة وتقدَّمَ الى اربابِ المناصِبِ بالسَّعْىِ بين يَدَيْهِ الى الديوانِ ومكَثَ على ذلك مُدَيْدَةً ثم قبَضَ عليه المسترشدُ وعَزَلَهُ ثم اعادَهُ الى أَجْمَلِ ما كان عليه فلما خرَجَ المسترشِدُ الى حَرْبِ مَسْعُودٍ كما تقدَّمَ شرْحُهُ خرَجَ الوزيرُ معه فلما جَرَى على المسترشدِ ما جَرَى حَظِىَ الوزيرُ عند السلطانِ مسعودٍ وقرَّبَه وأَعْلَى مَحَلَّهُ واستَصْحَبَهُ صُحْبَتَهُ الى بَغْدادَ وقامَ الوزيرُ بين يدَيْهِ فى خَلْعِ الراشِدِ واجْلاسِ المُقْتَفِى القيامَ الذى عرَّفَهُ لَهُ مَسْعُودٌ وشكَرَهُ عليه وباقى اخبارِهِ تَرِدُ عِنْدَ ذِكْرِ وزارتِهِ للمقتفى، وزارة الوزيرِ ابى نصر احْمَدَ ابنِ الوزيرِ نِظامِ المُلْكِ للمسترشِدِ، كان كريمًا جميلَ الصُورة وَزَرَ للمسترْشِدِ بالله فشُكِرَتْ سِيرَتُه لمَّا عزَمَ المسترشِدُ على عِمارَةِ سُورِ بغدادَ قسَّطَ على الناسِ خمسَةَ عشَرَ أَلْفَ دينارٍ فقامَ الوزيرُ ابو

نَصَرٍ بها وأَدّاها عن الناسِ من مالهِ ولم تَطُلْ ايامُهُ فتوفّى فى سنة اربَع واربعين وخمسِ مِيئةٍ ، وزارة انوشروان بن خالد بن محمد القاشانىّ للمسترشد ، كان رجلا من افاضل الناسِ وأَعْيانهم وأَخْيارهم تَوَلَّى الوزارة للسّلاطين وللخلفاء وكان يَسْتَقيل من الوزارة فيُجاب الى ذلك ثم يُخْطَبُ لها فيُجِيبُ كارِهًا هُوَ الذى صَنَّفَ له ابن الحريرى المقامات الحريريّةَ واليه اشارَ فى أَوّلها بقوله فَاَشَارَ مَنْ اشارَتُهُ حُكْمٌ وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ ، طَلَبَ الارجانىُّ الشاعرُ مِن الوزيرِ أَنوشَرْوان خَيْمَةً وقد عَزَمَ على بَعْضِ الأسْفارِ فلم يَكُنْ عند انوشَرْوانَ خَيْمَةٌ فأَرْسَلَ اليه بدَنانيرَ كثيرةٍ وقال له اشْتَرِ بها خَيْمَةً فقال الارجانىُّ فى ذلك — المنسرح

للّهِ دَرُّ ابنِ خالِدٍ رَجُلاً ... أَحْيَى لنا الجُودَ بَعْدَ ما ذَهَبا
سَأَلْتُهُ خَيْمَةً أَلُوذُ بها ... فجادَ لِى مِلْءَ خَيْمَةٍ ذَهَبا

وكان أَنُوشَرْوانُ بن خالدٍ كثيرَ التواضُعِ مشهورًا بذلك يَقُومُ لكل مَنْ يَدْخُلُ عليه فهَجَاهُ ابنُ الهَبّاريّةِ الشاعرُ بقولهِ — البسيط

هَذا تَواضُعُكَ المشهورُ عَنْ ضَعَةٍ ... تَبْدُو فمِنْ أَجْلِها بالكِبْرِ تُتَّهَمُ
قَعَدْتَ عَن صِلَةِ الراجى وقُمْتَ لَهُ ... فذا وُثُوبٌ على الطُّلّابِ لا لَهُمُ

وفيه يقول ايضًا يُشيرُ الى كَثْرَةِ قيامهِ — البسيط

رأَيْتُ مَشْروبَهُ يُعَبَّى ... مُزاوِدًا فى يَدِ الغُلامِ

فَقُلْتُ لا يَعْرِضَنْ لِشُرْبِ الـــدَوَاءِ مِن غَيْرِ ما سَقامِ

فَمَا بِـهِ حاجَةٌ اليـه فانـه دايمُ القيـامِ

وكان بين انوشَرْوانَ بن خالدٍ وبينَ الوزيرِ الزَيْنَبيّ عَدَاوَةٌ وتَباغُضٌ وتَنافُسٌ على الوزارة فعزلَ الوزيرُ الزينبيَّ وتَوَلَّى انـوشروانُ بنُ خالدٍ فتقرَّبَ الناسُ اليه بثَلْبِ الزينبيِّ فدخَلَ الحَيْصُ بَيْصُ الشاعرُ عليـه وأَنْشَدَه قصيدةً اولها — الكامل

شُكْرًا لدَهْرِى بالضَميرِ وبالفَمِ لَمَّا أَعَاضَ بمُنْعِمٍ عن مُنْعِمِ

يُشِيرُ الى انوشروانَ والى الزينبيّ فاستحْسَنَ الناسُ منه ذلك واستدَلُّوا بـه على وَفَآيِـه وحُرِّيَّتِهِ ثم اِنَّ انوشَرْوانَ بنَ خالدٍ مـاتَ وأُعِيدَ الزينبيُّ الى الوزارةِ فتقرَّبَ الناسُ اليه بمَسَبَّةِ انوشروانَ فدخَـلَ عليه الحَيْص بَيْص وأَنْشَدَه — الطويل

بَقِيتَ ولا زَلَّتْ بـك النَعْـلُ انَّنى

فَقَدْتُ ٱصْطبارِى يَوْمَ فَقْدِ ابنِ خالدِ

ومات أَنُوشروانَ فى سَنَـةِ اثنتين وثلاثين وخمسٍ مِيَةٍ انقضت ايامُ المسترشِدِ بالله ووزرايه ✿

ثم ملك بعده ابنـه الراشد بالله ابو جعفرٍ مَنْصُورُ بن المسترشدِ بُويِعَ لـه بالخلافةِ عَقِيبَ وصولِ الخَبَرِ بقَتْلِ ابيه سَنَةَ تسع وعشرين وخمسِ مِيَةٍ وجَهَّزَ الراشدُ عسكرًا كثيفا وتوجَّهَ لمحاربة مَسْعودٍ وتوجَّهَ

مَسْعُودٌ نَحْوَ العِراقِ طالبا لتملكه فوصَلَ الى بغداذ فى خمسةِ آلفِ فارسٍ ودَخَلَها فكَفَّ الراشدُ عَنْ حَرْبِهِ وخَرَجَ منها مُتوجِّهًا الى المَوْصِلِ ودَخَلَ السلطانُ مسعودٌ بغداذَ واستبَدَّ بتدبيرِ الامورِ فيها واَظْهَرَ العَدْلَ ومَنَعَ الجُنْدَ من الاَذَى وجَمعَ القُضاة والشُهُود واخَذَ خُطُوطَهُمْ بالقَدْحِ فى الراشدِ وكَتَبَ مَحْضَرًا بخَلْعِ الراشدِ واَثْبَتَهُ على القضاة وتوَلَّى ذلك لَهُ الوزيرُ الزينبىُّ وكان مسعودٌ قد استشارَ الزينبىَّ فيمن يُوَلِّيهِ الخِلافَةَ فقال له يا مَوْلانا هُناكَ رَجُلٌ يَصْلُحُ لها فسأَلَهُ عَنِ اسمِهِ فقال لَهُ يا مولانا اِن سَمَّيْتُهُ اخافُ ان يُقْتَلَ ولكنْ اِذا دَخَلْنا بَغْداذَ سَمَّيْتُهُ لَكَ فلما احتاجُوا الى اِجْلاسِ خليفةٍ سَمَّى الزينبىُّ له ابا عبدِ اللهِ مُحمدًا المقتفى عَمَّ الراشدِ فبايَعَ لَهُ واَجْلَسَهُ على سريرِ الخلافةِ ثم اَنَّ الراشدَ لم يَتِمَّ لَهُ بالمَوْصِلِ اَمْرٌ فسارَ عنها الى اصْفَهانَ فوَثَبَ عليه جَماعةٌ مِن المَلاحِدَةِ فقَتَلُوهُ على بابِ اصفهانَ وذلك فى سَنَةِ اثنتين وثلاثين وخمسِ مِيةٍ وقَبْرُهُ هُناكَ مَعْرُوفٌ ❊ شرح حال الوزارةِ فى ايامِهِ لما اَفْضَتِ الخِلافةُ اليه استوزر جَلالَ الدين ابا الرِضَى مُحَمَّدَ بن صَدَقَةَ ولم تَطُلْ ايامُهُ وخافَ مِمّا جَرَى فالتَجَأَ الى زَنْكِيّ بنِ اَقْسُنْقُرَ صاحبِ الموصلِ فاجارَهُ واَصْلَحَ امرَهُ ثم لَمّا خرَجَ الراشدُ مِن بغداذ استَخْدَمَ هذا ابو الرِضَى فى بعضِ الخَدَماتِ غيرِ الوزارةِ وماتَ فى سنةِ ستٍّ وخمسين

وخمس مِيَةٍ ولم يَكُنْ له مِن السيرةِ ما يُوثَر انقضت ايامُ الراشدِ ووزرايه ۞

ثم ملك بعده عمه المقتفى لامرِ الله ابو عبد الله محمدُ بن المستظهرِ بويعَ له بالخلافةِ سنةَ ثلاثين وخَمْسِ مِيَةٍ كان المقتفى من افاضلِ الخلفاء ولما اجْلَسَهُ مَسْعُودٌ وبايَعَ له وكان قد اخَذَ جَميعَ ما بدارِ الخلافةِ من ذَهَبٍ او أَثاثٍ ورَحْلٍ وغَيْرِ ذلك وتَصَرَّفَ نُوّابُهُ فى جَميع أَعْمالِ العراقِ ارْسَلَ الى المُقْتَفِى يقولُ له اذكُرْ ما تحتاجُ اليه أَنْتَ وكلُّ مَن يَتَعَلَّقُ بك حتى أُعيّنَ لك به اقطاعاتٍ فأرْسَلَ اليه المقتفِى يقول عِنْدَنا بالدارِ ثمانون بَغْلاً تَنْقُلُ الماء من دِجْلَةَ لِيَشْرَبَه عيالُنَا فانْظُرْ أَنْتَ كم يَحْتاجُ اليه مَن يَشْرَبُ فى كل يومٍ ماءٍ يَحْمِلُهُ ثمانون بَغْلاً فقال مسعودٌ لقد اجْلَسْنا فى الخِلافةِ رجُلاً عظيمًا فالله تعالى يَكْفِينا شَرَّهُ وجرت فى ايامه فِتَنٌ وحروبٌ بينه وبين سَلاطِينِ العَجمِ كانت الغَلَبَةُ فيها له وثارَ فى ايامه العَيّارُونَ والمُفْسِدُونَ فنَهَضَ بقَمْعِهِم أَتَمَّ نهوضٍ وتُوُفّى المُقْتَفِى فى سَنَةِ خمسٍ وخمسين وخمسميةٍ شرح حال الوزارة فى ايامه أَوَّلُ وزرايه الزينبىّ ابو القسمِ عَلِىُّ بن طِرادٍ العبّاسىُّ وزيرُ اخيه المسترشدِ استوزَرَهُ حين بُويعَ لانه هو الذى قام فى بَيْعَتِهِ واشارَ على مسعودٍ به ومَكَثَ مُدّةً فى وزارةِ المقتفى ثم جَرَت بينه وبينه وَحْشَةٌ خاف

فيها منه فاستجارَ بدارِ السلطان واقام بها مُدَّةً مُعْتَصِمًا من المقتفى الى أنْ رُوسِلَ الخليفةُ من جِهَةِ السلطانِ فى معناه فأَذِنَ فى عَوْدِهِ الى دارِهِ مكرَّمًا فانصَرَفَ الى دارِهِ واقامَ بها على قَدَمِ البَطالَةِ واضْمَحَلَّ أَمْرُهُ ورَقَّ حالُــهُ ولَقِىَ شقاءً عظيمًا وضايقَةً شديدةً حتى انه مَرِضَ فاشْتَهَتْ نَفْسُهُ شيئًا مِن المَشْمُومِ فلم يَقْدِر على ثَمَنِهِ وقد كان أَنْفَقَ اكثرَ مالِهِ لمّا كان مستجيرًا بدارِ السلطانِ على خَوَاتِينِهِ وأَتْباعِهِ وارباب دولتهِ وكانت مواهِبُه دارَّةً على اكثرِ اربابِ الدولةِ وغيرهم من العلماء والوافدين الطالبين ولمــا مَرِضَ مَرْضَتَهُ التى مات فيها كتَبَ اليه المقتفى رُقْعَةً يَسْتَمِيلهُ فيها ويَعِدُه بكلِ جميلٍ فتمثَّلَ الوَزِيرُ الطويل

أَتَتْ وحِيــاضُ الموتِ بينى وبينها
وجادَت بوَصْلٍ حِينَ لا يَنْفَعُ الوَصْلُ

وقال وَصِيَّتِى حِفْظُ حُرَمِى وأَطْفالِى فلما تُوُفِّى قـامَ المقتفى بجميع ما يحتاجُ اليه اولادُه وصِغارُه وأَجْرَى عليهم الجِرايات الكثيرةَ وزارةُ نِظامِ الــدين ابى نَصْرٍ المظَفَّــرِ بنِ علىّ بن محمد بن جهيـرٍ البغدادىّ للمقتفى كان لــه أُنْسٌ بالعُلُومِ وخاصّةً بالحديثِ النَبَوىِّ صلواتُ اللهِ على صاحِبِه ولم تَطُلْ ايّامُه ولم يَكُنْ له من السِيرة ما يوثَر وزارة موتمنِ الدولة ابى القسمِ علىّ بن صَدَقَةَ للمقتفى بينه بيت

مَشْهورٌ بالوزارة معروف بالرياسة وكان مُؤتمَنُ الدولة حسَنَ الصورة والخُلُق لكنْ لا عِلْمَ عنده بقوانين الوزارة وكان كثيرَ التعبُّد والصَدَقة استوزره الخليفةُ المقتفى لامر الله فلوا كان هذا مُؤتمَن الدين الوزيرُ قليلَ الاشتغال بالعلم وكان ضعيفَ القِرآءة فى الكُتُب وكان قد أَدْمَنَ فى قِرآءة جُزْء واحِد من أَجْزاء القُرْآنِ وفى كتاب واحِد من كُتُبِ الأدَب فكان لا يَزالُ الجُزْء المذكور والكتاب بين يديه يَقْرأُ فيهما قِرآءةً جَيّدَةً فخَفِىَ عَلَى الناسِ حالُهُ مُدّةَ وِزارته فلما مـات ظَهَرَ ذلك عنه ولم يكنْ له مِنَ السيرَة ما يُؤثَر وزارة عونِ الدينِ ابى المُظَفَّرِ يحيى بن هُبَيْرَةَ للمُقْتَفى أَوَّلُ مَنْشـاه من قَرْيَـة تُعْرَف بالدُورِ من أَعْمالِ دُجَيْلٍ تُعْرَفُ اليومَ بدُورِ الوزيرِ نِسْبَةً الى ابنِ هُبَيْرَة وكانَ أَبوهُ أَكّاراً بالقَرْيَة المذكورة وكان يَحُثُّ وَلَدَهُ على تَحْصيـلِ الأدَبِ وادْراكِ الفَوايد وكانَ يُرَدّدُهُ صغيراً الى بغدادَ ويُحْضِرُه الى مَجالِسِ الصُدورِ وصدورِ المجالِسِ وكانَ هو كما قيلَ ولها من نَفْسِها طَرَبٌ ومـاتَ ابوهُ وهو صَبِىٌّ يَنْفَرِد بالاشتغال وتقلَّبَتْ بـه تَصاريفُ الأمورِ ومَرّتْ عليـه شَدايِدُ وكابَدَ مِنَ الفَقْرِ أَهْوالاً وتَنَقَّلَ فى الخَدَمات فكان لا يَنْتَقِلُ من خِدْمَة الاّ الى أَكْبَرَ منها ومـا زالَ يَنْتَقِلُ من خِدْمَـة الى أُخْرَى ارفَعَ منها حتى تَقَلَّدَ الوزارةَ للمقتفى فمكث فيها مُدّةً ومُشاهَرَتُه فى كل سنة مِيةُ أَلْفِ

دينارٍ وكان كَرِيمًا جَوَادًا سَمْحًا لا تَخْرُجُ السَّنَةُ وفى خِزانتِهِ منها دِرْهَمٌ واحِدٌ وكان المقتفِى والْمُسْتَنْجِدُ يقولانِ ما وَزَرَ لِبَنِى العَبّاسِ كيَحْيَى بن هُبَيْرَةَ فى جميع أَحْوالـه وكانت له فى قَمْعِ الدولةِ السلجوقيّةِ يَدٌ قويّةٌ وحِيَلٌ مَرْضِيّةٌ وكان وَقُورًا حَلِيمًا متواضعًا لمّا تَوَلّى الوزارة دَخَلَ الديوانَ وعليـه الخِلَعُ فرأى غُلامـًا مِن غِلْمانِ الديوانِ واقِفًا عن بُعْدٍ فاستَدْناه وتَبَسَّمَ فى وَجْهِهِ وأَمَرَ له بذهبٍ وكُسْوةٍ ثم قال لا إِلَهَ الا اللهُ أَذْكُرُ مرّةً وقد دَخَلْتُ هذا الديوانَ وجَلَسْتُ فى بَعْضِ المجالِسِ فجاء هذا الغُلامُ وجَذَبَنى بيدى وقال قُمْ فلَيْسَ هذا مَكانَكَ وقد رايتُه الساعةَ واقفـًا وأَثَرُ الخَوْفِ ظاهِرٌ عليه فأَحْبَبْتُ أَن أُوانِسَهُ وأُزِيلَ رُعْبَهُ ورأى يومًا فى الديوانِ جُنْدِيًّا فقال لحاجِبِهِ أَعْطِ هذا الجُنْدِىَّ عِشْرِينَ دينارًا وكُرَّ حِنْطَةٍ وقُـلْ لـه لا يدْخُلُ الديوانَ ولا يُرِينا وَجْهَهُ فتغـامَزَ الناسُ وتشَوَّفوا الى معرِفـةِ السَّبَبِ فى ذلك وفَطِنَ الوزيرُ لذلك فقال لهم كان هذا الجُنْدِىُّ شِحْنَـةً فى قَرْيَتِنا فقُتِـلَ شَخْصٌ من أَهْلِ القَرْيةِ فجاء هذا الشِّحْنة وأَخَذَ جماعَـةً من أَهْلِ القَرْيَـة وأَخَذَنى مَعَهُمْ مكْتُوفًا فى عَرْضِ الفرسِ وبالَغَ فى أَذاىَ وضَرْبِى ثم أَخَذَ من كلِ واحِدٍ منهم شَيْـًٔا وأَطْلَقَهُم وبَقِيتُ انا مَعَهُ فقال لى أَعْطِنى شَيْـًٔا أُخْلِصْكَ فقُلْتُ واللهِ مـا أَمْلِكُ شيـًٔا فأَعادَ عَلَىَّ الضَرْبَ والاهانَةَ ثم قال لى اذْهَبْ

الى لَعْنَةِ اللـهِ ثمّ أَطْلَقَنِى فانا لا أُحِبُّ أَنْ أَرَى صُورَةَ وجْهِهِ ، ومِن افكارِهِ اللطيفةِ أَنَّ الوزراء كانوا قَبْلَهُ يُلَقَّبُون أَلْقابًا من جُمْلَتِها سَيِّد الوزراء فتقدّمَ هو الى الكُتّابِ أَن لا يَكْتبوا هذا اللَقَب فى أَلْقابِهِ وقال اننى افْتَكَرْتُ فى هذا فرأَيْتُ اللهَ تعالَى قد سَمَّى هٰرُونَ وَزِيرًا حتى قالَ عزّ من قايلٍ حكايةً عَنْ مُوسَى عم وَاْجْعَلْ لِى وَزِيرًا مِن أَهْلِى هٰرُونَ أَخِى اْشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وسَمِعْتُ عن النبىّ عم انه قال لى وزيرانِ مِن اهلِ السَماء جَبْرَئِيلُ وميكَائِيلُ ووَزِيرانِ من اهلِ الأَرْضِ ابو بكرٍ وعُمَرُ وقال عم انّ الله تعالى اختارَ لى أَصْحابا فجعَلَهُم وُزَرَآءَ وَاَنْصارًا ، وحدثَ عنه بَعْضُ مُجَالِسِيه قال كُنَّا يَوْمًا عنده فدخَلَ الحاجِبُ وقال يا مولانا بالبابِ رجُلٌ سَوادِىٌّ يَذْكُرُ انه فُلانُ بنُ فُلانٍ ومَعَهُ شَمْلَةٌ مُكَوَّرَةٌ وهو يَطْلُبُ الحُضُورَ بين يَدَيك فعَرفَهُ الوزيرُ وقال له أَدْخِلْهُ قال فدخَلَ شيخٌ طويلٌ من أَهْلِ السَوادِ عليه ثِيابٌ غَليظَةٌ من القُطْنِ وعِمامةٌ فُوَطٍ مُلَوَّنَةٍ وفى رِجْلِه جُمْجُمَانِ فَسَلَّمَ على الوزيرِ وقال يا سَيِّدِى أُمُّ . الصُغَيِّرَاتِ يعنى زَوْجَتَهُ لمّا عَلِمت انى أَجِىءُ الى بغدادَ قالت لى سَلِّمْ على الشيخ يحيى بن هُبَيْرَةَ وَاْسْتَوْحِشْ له وقد خَبَزَتْ لكَ هذا الخُبَيْزَ على اسْمِكَ فتبسَّمَ الوزيرُ وهَشَّ به وقال جزاها اللهُ خَيْرًا وحَلَّ تلك الشَمْلَةَ فاذا فيها خُبْزُ شَعِيرٍ مشطُورٌ بكامِخِ التُوثِ فـاخذَ الوزيرُ منه رَغِيفَيْنِ وقال

هذا نَصيبى من هذه الهَدِيَّـةِ وفَرَّقَ الباقىَ على الصُدُورِ الحاضِرِينَ وسألَ الرَجُـلَ عن حَوايِجِـهِ وحَوايجِ زوجتـهِ فقضاها وقال للحاضرينَ هذا كان جارِى فى قَرْيَتِى وشَرِيكِى فى زُرَيْع واعْرِفُ منه الأَمَانَةَ، ومن حيلهِ انه كان ببَعْضِ بلادِ العَجَمِ رَجُلٌ كلما أُقيمَت الخُطْبَةُ يومَ الجُمْعَةِ فى الجامعِ يقومُ ويَذُمُّ الخليفةَ ويَدْعو للسلطانِ فاتَّصَلَ ذلك بـالوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ فاَحْضَرَ شَخْصًا مِن اَهْلِ بغدادَ وأَمَرَهُ ان يُسافِرَ الى تلك البَلْدَةِ وأَعْطاهُ عَشَرَةَ دَنانيرَ ذَهَبًا وقارُورَةً فيها خِطْرٌ وقال لـهُ اذا دخَلْتَ ذلك البَلَدَ وحَضَرْتَ يومَ الجُمْعَةِ فى الجامِعِ ورايتَ الرجُلَ الذى يَسُبُّ الخليفةَ فانْهَضْ اليه وأَنْتَ على زِىِّ التجارِ وامِنْ على كلامِـهِ وأَظْهِرِ البكاءَ عند مَسَبَّةِ الخليفةِ وقُلْ اى واللهِ فعَلَ اللهُ به وصنَعَ وهَلْ غَرَّبَنِى عن عِيالى ووَطَنِى وأَفْقَرَنِى غيرُهُ ثم افْعَـلْ فى الجُمْعَةِ الثانِيَةِ كذلك وقُلْ له قد حَلَفْتُ انى أَمْلأُ فَمَكَ دَنانيرَ وضَعْ هذه الدنانيرَ حَشْوَ فَمِهِ وأَخْرُجْ عنـه وبادِرْ الى استعمالِ هذا الخِطْرِ على وَجْهِكَ ولِحْيَتِكَ فانـه يُحْدِثُ فى الوَجْهِ سُمْرَةً وفى شَيْبِ اللِحْيَـةِ سَوَادًا وغَيِّرْ زِيَّكَ حتى لا تُعْرَفَ فتَهْلِكَ ففَعَلَ الرَجُلُ ذلك وكانت الدَنانيرُ مسمومةً فلما راح ذلك الرَجُلُ الى بيتهِ مـا زال يَتَقَلْقَـلُ حتى ماتَ مِن يَوْمِهِ واستَعْمَلَ الرَجُلُ المُنَفَّذُ الصِبْغَ فاَخْفَى بـهِ نَفْسَه ورجَعَ الى بَغْدادَ، ومن حيلهِ انـه كان يَكْتُبُ الى مُلوكِ

الأَطْرافِ مُلَطَّفاتٍ صِغارًا فى رِقٍّ خَفيفٍ ويَشُقُّ فى جِلْدِ ساقِ الركابِيِّ بمِقْدارِ ما يُدْخِلُها فيه ثمّ يَتْرُكُهُ حتى يَلْتَحِمَ ويُسَيِّرَهُ الى حيثُ اراد، ومِن قُوَّةِ جاشِهِ وثَباتِه كان يومًا جالسًا بالديوان وبين يَدَيْهِ الامراءُ والصدورُ والاكابرُ فسقطَتْ مِن السَّقْفِ حَيَّةٌ كبيرةٌ فوقعَتْ على كَتِفِ الوزيرِ وسَرَحَتْ مِن كَتِفِهِ الى حِجْرِهِ فنَفَرَ كلُّ مَن كان هُناكَ مِن أَرْبابِ الدولةِ عن مستَقَرِّهِ وانْزَعَجُوا عن مَراتِبِهم والوزيرُ جالِسٌ لم يَتَحَرَّكْ عن مكانه ولا تَغَيَّرَ مِن دَسْتِهِ ما كَأَنَّ وَقَعَ عليه شىءٌ ثم أَمَرَ المماليكَ بقتلها فقُتِلَتْ بين يديه، وفى الجُمْلةِ فكانَ ابنُ هُبَيْرَةَ مِن افاضلِ الوزراءِ وأَعْيانِهم واماجِدِهم له فى تدبيرِ الدولةِ وضَبْطِ المملكةِ اليَدُ الطُولَى وله فى العُلُومِ والتَصانيفِ التَبْرِيزُ على أَهْلِ عَصْرِهِ ولَهُ اشعارٌ كثيرةٌ فمِنْها

الطويل

يَقِينُ الفَتَى يُزْرِى بِحالَةِ حِرْصِهِ ... فقُوَّةُ ذا عن ضَعْفِ ذا تَتَحَصَّلُ

اذا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صَديقُهُ ... وقُبِّحَ منه كُلُّ ما كان يُجْمَلُ

وفى اخرِ ايامهِ عَرَضَ له تزايُدُ البَلْغَمِ فماتَ وهو ساجِدٌ وذلك فى سنةِ ستّين وخمسِ مِيَةٍ، انقضت ايامُ المقتفى لامرِ اللهِ ووزرآئه ۞

ثم ملك بعده ابنه المستنجد بالله ابو المُظَفَّرِ يُوسُفُ بويعَ عَقِيبَ مَوْتِ أَبيهِ فى سَنَةِ خَمْسٍ وخَمْسينَ وخمسِ مِيَةٍ، كان المستَنْجِدُ شَهْمًا عارِفًا بالأُمورِ لَمَّا وَلِىَ الخلافةَ ازال المُكُوسَ والمظالمَ الّا انه

فَعَلَ فَعْلَةً قَبِيحَةً حَلَّ المُقاطَعَاتِ واعادَها الى الخَراجِ فشَقَّ ذلك على العَلَوِيّين بالكُوفةِ والمَشاهِدِ مَشَقَّةً عَظيمَةً ونَسَبُوا هذا الفِعْلَ الى ابنِ هُبَيْرَةَ ولَعَنُوه بالمشاهِدِ، وفى ايامه ابتدآء فَتْحِ مِصْرَ وضَعُفَتْ دولةُ الفاطِمِيّينَ بها وفى ايامِ وَلَدِه المستَضِىء تكامَلَ فَتْحُها على يَدِ صَلاحِ الدينِ يوسُفَ بنِ أَيُّوبَ، ومـاتَ المستَنْجِدُ مَخْنُوقًا فى الحَمّامِ خَنَقَهُ اكابِرُ دولتِهِ عَقِيبَ مَرْضَةٍ صَعْبَةٍ كانت قد عَرَضَتْ له لانهم خافُوهُ على أَنْفُسِهم وذلك فى سَنَةِ ستٍّ وستّين وخمسِ مِيَةٍ، شرح حال الوزارةِ فى ايامه لما بويعَ بالخلافةِ أَقَرَّ ابنَ هُبَيْرَةَ وزيرَ ابيه على وزرآئِهِ وزادَ فى رَفْعِ منزلتِهِ وقد مَضَى من سِيرَةِ ابنِ هُبَيْرَةَ ما يُغْنِى عَنِ الاعادَةِ، وزارةُ وَلَدِهِ محمدِ بن يحيى بن هُبَيْرَةَ لَقَبُهُ عِزُّ الدينِ نابَ عن الوزارةِ بعد وفاةِ والدِهِ وكان فاضلا رييسًا عَبِقًا بالسيادَةِ شاعرًا رَشيقَ المَعَانِي خبيرًا بـالأَدَبِ والحَدِيثِ النَبَوِيِّ وحُبِسَ بعد موتِ ابيه ولم يُعْلَمْ خَبَرُه بعدَ الحَبْسِ ورُوِيَ عنه هذان البيتانِ أَنَّهُمَا لَهُ

الخفيف

كَمْ مَنَحْتُ الأَحْداثَ صَبْرًا جَمِيلاً
وَلَكَمْ خِلْتُ صابَهـا سَلْسَبِيلاَ
وَلَكَمْ قُلْتُ للذى ظَـلَّ يَلْحَا
نِى عَلَى الوَجْدِ والأَسَى سَـلْ سَبِيلاَ

وزارة شرف الدين ابى جعفر محمد بن ابى الفتح بن البلدىّ للمستنجد بالله، كان قبل الوزارة ناظرًا بواسط فأبان فى مدّة ولايته عليها عن قوة وجلادة وارتفاعات نامية وحلوم دارّة فعظمت منزلته عند المستنجد وكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقتضى أن يكون وزيره وتأكّد الحال فى ذلك فحكم حكم الوزراء وهو بواسط ووقّع وكاتب ملوك الاطراف وهو بواسط ثم أصعد الى بغداذ فخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع اعيان الدولة وكان عضد الدين ابو الفرج محمد بن رئيس الرؤساء أستاذ الدار بينه وبين ابن البلدىّ كدر فكره عضد الدين الخروج الى تلقيه وقد كان الخليفة تقدّم اليه بالخروج فبذل خمسة الف دينار على أن يعفى من الخروج اليه فقال الخليفة ان تحملها نقدًا أعفيته من الخروج فوزنت فى الحال وحملت فلما صارت فى الخزن تقدّم الخليفة اليه بالخروج لتلقى الوزير وقيل له هذا المال جناية عن كونك تكره ما نؤثر وتراجع فى التقدّمات الشريفة فذهب المال منه وخرج عابرًا الى الجانب الغربىّ صحبة الموكب ومضى الناس كلهم الى صرصر فتلقوه هناك فلما وقعت عين عضد الدين استاذ الدار على الوزير اراد عضد الدين ان يترجّل فصاح به الوزير والله لئن ترجّلت ترجّلت انا أيضًا فخدمه ثم اعتنقا على ظهور الدوابّ وسار بين يديه ووصل

الوزيرُ الى مُحاذاة التاج وعَبَرَ فى سَفينةٍ وحَضَرَ بَيْنَ يَدَى الخليفة فشافَهَهُ بالوزارة وخُلِعَتْ عليه خِلَعُ الوزارة وأُكِّدَ عليه النُهوضَ بالمَهامِّ الديوانية فنَهَضَ باعْباء الوزارة وما زال أمْرُهُ على السَداد الى ان جَرَى للمستنجد ما جَرَى من تَغَلُّبِ عضُدِ الدين أُسْتاذِ الدار واكابرِ الامراء عليه وادْخالِهِ الحَمّامَ وهو مَرِيضٌ حتى مات من الحرارةِ ثم انَّ عضُدَ الدين أُسْتاذَ الدارِ أَخْرَجَ ولدَهُ المستَضىء وبايَعَهُ وشرَطَ عليه شروطا واحلَفَهُ عليها اَيْمانًا مُؤكَّدةً منها أَن يكونَ هو وزيرًا وأَن يكون ولدُهُ أُسْتاذَ الدارِ وفلان اميرَ العسكرِ وفُلان كَذَى وكَذَى فالتزمَ المستَضىء لهم بذلك وحَلَفَ اَيْمانًا غليظةً ثم بُويِعَ المستضىءُ فى باطنِ الدارِ البيعةَ الخاصّةَ واستُدعِىَ الوزيرُ ابنُ البَلَدىِّ ليُبايِعَ فلما حَضَرَ الدارَ عُدِلَ به الى مَكانٍ وضُرِبت فيه عُنُقُهُ وأُخْرِجَ فرُمِىَ على مَزْبَلَةٍ ببابِ المَرَاتِب ثمَّ سُحِبَ وأُلْقِىَ فى دِجلَةَ وكانَ حَسَنَ الطريقةِ مشكورَ الأخْلاقِ، انقضت ايام المستنجد بالله ووزرايه ✿

ثم ملك بعده ولده المستضى ابو محمد الحَسَنُ بنُ المستنجِد بالله بُويِعَ فى سنة ستّ وستّين وخمْسِ مية لم يَكُنْ بسيرته بَاسٌ، فى ايامه وَرَدَت البَشايرُ الى بغداد بفَتْح مِصْرَ وانقراض الدَوْلَة الفاطميّة، ولمّا جلَسَ على سَرِيرِ الخليفة تقدّم بقَتْلِ ابن البَلَدىِّ وزيرِ ابيه وتُوُفّى فى سنة خمسٍ وسبعين وخمسِ ميةٍ، شرح حال الوزارة فى ايامه أَوّلُ

وزرايه عضدُ الدينِ ابو الفَرَج محمدُ بنُ ابى الفُتُوح عبد الله بن رييس الروساء الذى كان قبل ذلك استاذ الدار، كان عضدُ الدين من افاضلِ الناسِ وأَعْيانهم وكان أُسْتاذ الدارِ فى ايام المستَنْجِدِ فلما جَرَى للمستنجدِ ما جَرَى استَوْلَى عضدُ الدين ونهَضَ فى اِخْراجِ المستضِىء من الحَبْسِ ومُبايَعتهِ واحْلافه فاستوزَرَهُ المستضىء ونهَضَ عضدُ الدين بأَعْباء الوزارة نُهوضًا مَرْضيًّا وفَرَّقَ فى يوم جلوسه فى دَسْتِ الوزارةِ ذَهَبًا كثيرًا وحِنْطَةً على المُقيمينَ بالمَشاهدِ والجوامعِ والمَدارِسِ والرُبْطِ وتَلَطَّفَ بالامورِ تَلَطُّفًا لم يكن فى حساب الناسِ وبَيْتُهُ بيتٌ مشهورٌ بالرِياسة يُعْرَفُونَ قديما ببيتِ الرُفَيْلِ وكان ابنُ التعاويذىّ الشاعرُ البغدادىّ شاعرَهم ومنقطعًا اليهم واتَّفَقَ جُلُّ عُمْرِه معهم ولهم يُخاطِبُ بقوله

السريع

قَضَّيْتُ شَطْرَ العُمْرِ فى مَدْحِكُمْ ظَنًّا بِكُم أَنَّكُمُ أَهْلُهُ

وعُدْتُ أُفْنِيهِ هجاءً لكمْ فَضاعَ فيكُم عُمْرِى كُلُّهُ

ولهم فيهم مَدايحُ كثيرةٌ فمن جُمْلَتِها

الطويل

ومـا زِلْتُ فى آلِ الرُفَيْلِ بِمَعْزِلٍ عَنِ الجَوْرِ مَبْذُولاً لِىَ الأَمْنُ والخِصْبُ

فـان أَقْتَرِفْ ذَنْبًا بِمَدْحِ سِوَاهُمُ فانَّ خِماصَ الطَيْرِ يَقْنِصُها الحَبُّ

وانْ عادَ لى عَطْفُ الوَزيرِ مُحَمَّدٍ فقد أَكْثَبَ النَآءِى ولانَ لِىَ الصَعْبُ

وزيرٌ اذا اَعْتَلَّ الزمانُ فرَأْيُهُ هِناءٌ بِهِ تُطْلَى خَلايِقُهُ الجُرْبُ

وما زال أَمْرُ عضُدِ الدينِ يجْرِى على السَداد حتى عزَلَه المستضىء وقبَض عليه وصورَةُ عزْلِه كان يوْمًا جالسًا فى الدَسْت فهجَم عليه خادمٌ مِن خدَم الخليفة فقال له قد استغْنِى عَنْكَ ثم أطْبَق دَواتَهُ ودخَل الأتراكُ والجُنْدُ الى دُورِه فنَهَبُوا ما بها ودخَل العَوامُّ ايضا وكُسِّرَت الصَناديقُ الآبَنوسُ والعاجُ بالدبابيسِ وأُخِذَ جميعُ ما كانَ بها فخَرَجَ عضُدُ الدين وهو يَتشاهَدُ ويقول للاتراك أما تَسْتَحْيُونَ منّى أمـا دخَلْتم دارِى أما اكلتم زادِى فلم يَنْفَعْهُ ذلك فلم يَمْضِ الا ساعةٌ واحِدةٌ حتى صارت دارُه بَلاقِعَ ثم حُمِلَ الى الحَريمِ ووُكِّلَ به هُناك مُدَّةً ثم أعادَهُ المستضىءُ الى الوزارة وحكَّمَهُ وبَسَطَهُ فصَفَتْ له الدُنيا وعَظُمَ شانُه وكَثُرَت خَيْراتُه وهِباتُه وأَحَبَّهُ الناسُ وكانَ سَخِيًّا وَهُوبًا شريفَ النَفْسِ قيل انه ما اشتَرَى لِدارِه قَطُّ سُكَّرًا بِاَقَلّ مِن اَلْفِ دينارٍ حدَّثَ عنه بعضُ مَماليكه قال احتاجَ مرّةً الى اَلْفِ دينارٍ فانَفَتْ نَفْسُه اَن يَقْتَرِضَها مِن اولادِه او مِن غيرِهم وكان يَأنَسُ بى فقال لى يا وَلَدِى قد احْتَجْتُ الى اَلْفِ دينارٍ اعيدُها عليكَ بعد ايامٍ فقلْتُ السَمْعُ والطاعَةُ يا مولاىَ ثم مَضَيْتُ واحضرت له خَمْسَةَ اَلْفِ دينارٍ وقُلْتُ يا مَوْلاى هذه واللهِ اكتَسَبْتُها منْكَ فخُذْ منها ما شِئْتَ فأطْرَقَ ساعَةً ثم قـال واللهِ لا اخَذْتُ منها حَبَّةً واحِدَةً خُذْها وانصَرِفْ ثم أنْشَدَ

الكامل

والصاحِبُ المَتْبوعُ يَقْبُحُ أنْ يُرَى مُتَتَبِّعًا ما فى يَدَى أتْباعِهِ

ولم يَزَلْ أمْرُه فى الوزارة الثانيةِ جارِيًا على السَدادِ حتى كان آخِرُ مُدّتهِ فطَلَبَ مِنَ الخليفةِ الاذْنَ لـه فى الحَجّ فأذِنَ له فتجهّز تجهُّزًا لم يُرَ مِثْلُه ثم عَبَرَ الى الجانِب الغَرْبِيّ من مدينةِ السَلَمِ ليتوجّهَ الى الحِلّةِ والكوفةِ ومنهما الى مكةَ وبين يَدَيْه جميعُ اربابِ الدولـةِ فلَقِيَهُ رجُلٌ عند مَحَلّةِ هناك تُعْرَفُ بقَطُفْتا فقـال يـا مولانا مظلومٌ مظلومٌ وناوَلَـهُ قِصّةً فتناوَلَها الوزيرُ منه فوَثَبَ عليه وَثْبَـةً عالِيَةً وضَرَبَهُ بسِكّينٍ فى تَرْقُوَتهِ ووَثَبَ عليـه آخَرُ من الجانبِ الآخَرِ فضَرَبَهُ فى خاصِرَتهِ ووَثَبَ آخَرُ وبيَدهِ سِكّينٌ مسلولةٌ فلم يَصِلْ اليه وتكاثَرَ الناسُ على الثلاثــةِ فقَتَلوهم ثم مات الوزيرُ وصُلّيَ عليه ودُفِنَ فى تُرْبَتِهم، وقيلَ ان الثلاثةَ الذين قتلوه كانوا من الباطنيةِ مِن جَبَـلِ السُمّاقِ، وحكَى بعضُ اهلِ قَطُفْتا قـال دخلْتُ قبْـلَ قتْـلِ الوزيرِ بساعَتَيْنِ الى مَسْجِدٍ هُناكَ فرايتُ به ثلاثةَ رِجالٍ وقد قدّموا واحدًا منهم الى المِحْرابِ وانـامُوهُ ثم صَلَّى الرَجُلانِ الاخَرانِ عليـه صَلاةَ المَيّتِ ثم قام ونـام آخَرُ وصَلّى الاخَرانِ عليه حتى صَلّى كلُّ واحدٍ منهم على الآخَرِ وانا اراهم وهم لا يَرَوْنى فعَجِبْتُ مما فعَلُوا ثم لما قُتِلَ الوزيرُ وقُتِلَ الثلاثةُ تامّلْتُ وُجُوهَهم فاذا هُمْ هُمْ، وزارةُ ظَهيرِ الدينَ ابى بَكْرٍ منصورِ بنِ ابى القَسِمِ نَصرِ بن العَطّارِ كان تاجرًا

فى ابتداء امره ثم مازج المتصرفين ونفق على المستضىء فاستوزره وكان ثقيل الوطأة على الرعية وكانت العامة تبغضه فبقى الى ان مات المستضىء وولى الناصر وهو آخر وزراء المستضىء انقضت ايام المستضىء ووزرايه ۞

ثم ملك بعده ابنه الامام الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضىء بامر الله بويع بالخلافة فى سنة خمس وسبعين وخمس مية كان الناصر من افاضل الخلفاء واعيانهم بصيرا بالامور مجربا سايسا مهيبا مقداما عارفا شجاعا متنايدا حاد الخاطر والنادرة متوقد الذكاء والفطنة بليغا غير مدافع عن فضيلة علم ولا نادرة فهم يفاوض العلماء مفاوضة خبير ويمارس الامور السلطانية ممارسة بصير وكان يرى رأى الامامية طالت مدته وصفا له الملك واحب مباشرة احوال الرعية بنفسه حتى كان يتمشى فى الليل فى دروب بغداذ ليعرف اخبار الرعية وما يدور بينهم وكان كل احد من ارباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره بحيث كانه يطلع عليه فى داره وكثرت جواسيسه واصحاب اخباره عند السلاطين وفى اطراف البلاد وله فى مثل هذه قصص غريبة وصنف كتبا وسمع الحديث النبوى صلوات الله على صاحبه واسمعه ولبس لباس الفتوة والبسه وتفتى له خلق كثيرون من شرق الارض وغربها ورمى بالبندق ورمى

له ناسٌ كثيرون وكان بَاقِعَةَ زمانه ورَجُلَ عَصْرِه فى ايامه انْقَرَضَتْ دولةُ آلِ سَلْجُوقٍ بالكُلِّيَّة وكان للناصرِ مِن المبارِّ والوُقُوفِ ما يَفُوتُ الحَصْرَ وبَنَى مِن دُورِ الضيافاتِ والمساجِدِ والرُبْطِ مـا يَتجاوَزُ حَدَّ الكَثْرَة وكانَ مَعَ ذلك يُبَخَّلُ وكان وَقْتُه مَصْرُوفًا الى تَدْبيرِ امورِ المملكة والى التولِيَةِ والعَزْلِ والمُصَادَرَة وتحصيل الاموالِ، يُقالُ عنه انَّهُ مَلَأَ بِرْكَةً من الذَهَبِ فرآهـا يومًا وقد بَقِىَ يَعُوزُها حتى تَمْتَلِئَ وتَفِيضَ شىءٌ يَسيرٌ فقـال تُرَى اَعِيشُ حتى اَمْلأَها فمـاتَ قَبْلَ ذلك ويُقـال انَّ المستَنْصِرَ شاهَدَ هذه البِرْكَةَ فقال تُرَى اَعِيشُ حتى اُفْنِيَهَا وكذلك فعَلَ، مات الناصرِ فى سنة اثنتين وعشرين وستمية ۞

شرح حال الوزارة فى ايامه لما بُويِعَ الناصرُ بالخِلافة اَقَرَّ ابْنَ العَطّارِ وزيرَ ابيه على قاعدَتِـهِ ايامًا يَسيرةً ثم نَكَبَهُ وقَبَضَ عليه وحَبَسَهُ فى بـاطِنِ دارِ الخلافة ثم اُخْرِجَ بعد ايـامٍ مَيِّتًا فسُلِّمَ الى اُخْتِه لتُجَهِّزَهُ وتَدْفِنَهُ فغَسَّلَتْـهُ واخْرَجَتْه فى تابُوتٍ على راسِ حَمّالٍ لتَدْفِنَهُ فغَمَزَ بـه بعضُ الناسِ فرَجَمُوه فرَمَى الحَمّالُ بالتابُوتِ وهَرَبَ فاخَذَه العَوَامُّ واخرَجُوهُ من التابوتِ ومَثَّلُوا بـه وشَدُّوا فى رِجْلِه حَبْلًا وفى ذَكَرِه سَحَبُوه ووَضَعُوا فى يَدِه خَشَبَةً ولَطَخُوها بالعَذِرَة ونادَوا به يا مولانا ظهيرَ الدين وَقِّعْ لنا، ومِن طَرِيفِ ما وَقَعَ فى ذلك أنَّ بعضَ الاتراكِ عَمَرَ حَمّامًا وجَعَلَ مَجْراتَهُ تَجُوزُ على دارِ بعضِ الجيرانِ فتاَذَّى

ذلك الجارُ بتلك المجراةِ فشكا ذلك الى الوزير فـزبَرَه ولم ياخُـذْ بيَدِهِ وقال لـه إن لم تَسْكُتْ وإلّا جَعَلْتُ راسَك فى المجراةِ فيقال إنَّ ابنَ العَطّارِ لما سَحَبَهُ العوامُّ ومثّلوا به اجْتازوا بـه على بـاب الحَمّامِ المذكورِ فاتَّفَقَ انـه وَقَعَ فى المجراة فسَحَبُوه فيها خَطَواتٍ فتعجّبَ الناسُ من ذلك، وزارة جلالِ الدينَ ابى المُظَفَّرِ عُبَيْدِ اللـه كانَ فى ابتداء أَمْرِهِ احدَ الشُهودِ المُعَدَّلينَ ثم تَقَلَّبَتْ به الاحوالُ حتى بَلَغَ الوزارةَ وارْسَلَهُ الناصرُ صُحْبَـةَ عَسْكَرٍ كَثيفٍ الى مُحارَبَـةِ السلطانِ طُغْرُلَ بن أَرْسَلانَ بنِ طُغْرُلَ السلجوقىِّ فالتقيا فكانت الغَلَبَةُ لعسكرِ السلطانِ وانهزَمَ عسكرُ الخليفةِ وثَبَتَ الوزيرُ فـأُسِرَ ومكَثَ مُدَّةً فى الأَسْرِ ثم أُطْلِقَ فوَصَلَ الى بغدادَ مُتَخَفِّيًا ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ بعد ذلك، وزارة معزِ الدين سعيدِ بن علىّ بن حديـدَةَ الأَنْصارىّ كان رجُلًا فاضلا متصوِّنًا موسِرًا كثيرَ المالِ، رُوِىَ ان نَقيبَ البصرةِ ابا جَعْفَرٍ محمدَ بنَ ابى طالبٍ الشاعرَ أَصْعَـدَ الى بغداد متظلّمًا الى هذا الوزيرِ مِن ناظرِ البصرة وانشَدَهُ قصيدةً من جُمْلَتِها الكامل

وقبايـلُ الانصـارِ غَيْـرُ قليلـةٍ
لكنْ بَنُـو غُنْمٍ هُمُ الأَخْيـارُ
مِنْهم ابو أَيُّوبَ حَـلَّ مُحَمَّدٌ
فى دارِهِ واخـتـارَهُ الـمُخْـتـارُ

أَنا مِنْهُ فى النَسَبِ الصَرِيحِ وأَنْتَ مِن
ذلكَ القَبِيـلِ فَلِى بذاكَ جِـوارُ
ولقد نَزَلْتُ عليكَ مِثْـلَ نُزُولِـهِ
فى دارِ جَـدِّكَ والنَزِيـلُ يُجـارُ
فعَـلامَ أُظْلَمُ والنـبىُّ محمـدٌ
أُنْمَـى اليـه وقومُـكَ الأَنْصـارُ

قالوا فلما سَمِعَها الوزيرُ رَقَّ لـه وبَكَى وخلَعَ عليه ووَصَلَـهُ وقَضَى حوايجَهُ وأَنْصَفَهُ مِن ناظِرِ البَصْرة وعَزَلَهُ ومات الوزيرُ المذكور معزولا فى سنـة ستّ عَشْرَةَ وستمية، وزارة مويدِ الدينِ ابى المظفَّرِ محمد ابن احْمَدَ بن القَصّابِ هو أَعْجَمىُّ الأَصْـلِ كان أَبُوهُ يَبِيعُ اللَحْمَ على راسِ دَرْبِ البَصْرِيِّينَ ببغدادَ ونَشَأَ هو مشتغِـلًا بالعُلُومِ والآداب وبَرَعَ فى عُلومِ المتَصَرِّفين كالحِساب ومعرفـةِ الكُرُوث والمساحات والمُقاسَمات ثم تبصَّرَ باسباب الوزارة وكانت نَفْسُه قويَّةً وهِمَّتُهُ عاليَةً قاد العساكِرَ وفَتَحَ الفُتُوحَ وجمَعَ بين رياسَتَىِ السَيْفِ والقَلَمِ ومَضَى الى بلادِ خُوزستان وفَتَحَها وقَرَّرَ أُمُورَها وقواعِدَها ثم مَضَى الى بلادِ العَجَمِ صُحْبَتَـهُ العسـاكِرُ فملَكَ اكثرَها ثم ادْرَكَهُ أَجَلُه فمات هُناكَ، وزارة السيدِ نصيرِ الـدين ناصرِ بن مَهْدِى العَلَوِي الرازى للناصرِ هو مـازندرانىُّ المَوْلِدِ والأَصْلِ رازىُّ المَنْشَأِ بغدادىُّ التَدْبيرِ

والوفاة كان من كُفاة الرجال وفضلايهم واعيانهم وذوى المِيزة منهم اشتغل بالآداب فى صِباه فحصّل منهـا طرفًا صالحًا ثم تبصّر بامور الدواوين ففاق فيها كان فى ابتداء امره ينوب عن النقيب عزّ الدين المُرتَضى القمّى نقيب بلاد العجم كلّها ومنه استفاد قوانين الرياسة وكان عز الدين النقيب من اماجد العالم وعظماء السادات فلما قُتل النقيب عز الدين قتله علاء الدين خوارزمشاه هرب ولده النقيب شرف الدين محمد وقصد مدينة السلام مستجيرا بالخليفة الناصر وصحبته نايبه نصير الدين بن مهدىّ وكان من عُقلاء الرجال فاختبره الناصر فرآه عاقلا لبيبا سديدا فصار يستشيره به سرًّا فيما يتعلّق بملوك الاطراف فوجد عنده خبرة تامّة باحوال سلاطين العجم ومعرفةً بامورهم وقواعدهم واخلاق كل واحد منهم فكان الناصر كلما استشار به فى شىء من ذلك يجده مصيبًا عين الصواب فاستخلصه لنفسه ورتّبه اوّلاً نقيب الطالبيّين ثم فوّض اليه امور الوزارة فمكث فيها مدّةً تجرى اموره على اتمّ سداد وكان كريما وصولا عالى الهمّة شريف النفس حدث عنه انه كان يومًا جالسًا فى دست الوزارة وفى يده قطعة عود كبيرة فراى الوزير بعض الصدور الحاضرين وهو يُلحّ بالنظر اليها فقال له تُعجبك هذه فدعا له فوهبه اياها وقام الرجل ليخرج فلما بعد عن مجلس

الوزير استدعاه بسُرْعَة وقال له تُرِيدُ أن تَفْضَحَنا وتُصَدِّقَ المَثَلَ فينا بَخْرَهُ عُرْيانَ ثم أمَرَ فخُلِعَ عليه ودَفَعَ اليه تَخْتَ ثِياب وقال له تبخر في هذه الثِياب ؛ ومَدَحَهُ الأَبْهَرِيُّ الشاعِرُ الأَعْجَمِيُّ بقصيدة مشهورة فى العَجَمِ من جُمْلَةِ مَدْحِها

وزير مشرق ومَغْرِب نصير ملّت ودين

كه با درايت عاليش تا أبد مَنْصُور

صرير كِلْك تو در كَشْف مشكلات امور

كه همر جو نَغْمَهٔ داوُد دَرْ اداء زبور

وارسَلَها الابهرىُّ صُحْبَةَ بَعْضِ التُجّارِ مع بعض القُفولِ وقال للتاجِرِ أَوْصِلْها الى الوزير وانْ قدرْتَ ان لا تُعْلِمَهُ مَن قايِلُها فافْعَلْ فلما عُرِضَتِ القصيدةُ على الوزير استَحْسَنَها وطَلَبَ التاجِرَ ودَفَعَ اليه ألْفَ دينارٍ ذَهَبًا وقال هذه تُسَلِّمها الى الابهرىّ ولا تُعْلِمْه ممّن هِيَ " وقَبَضَ الناصِرُ عليه كارِهًا لامورٍ اقتَضَتْ ذلك وكان القَبْضُ عليه فى سنةِ اربَعٍ وستمئةٍ ونُقِلَ الى دارٍ فى دارِ الخلافةِ فاقامَ بها تَحْتَ الاستظهارِ على حالةِ الاكرامِ والمُراعاةِ الى أن مات تحت الاستظهارِ فى سنة سَبْعَ عشرةَ وستمئةٍ ؛ وزارة مويدِ الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن بَرْز القُمّىّ للناصِرِ ؛ هو قُمّى الاصْلِ والمَوْلِدِ بَغْدادِىّ المنشَأ والوفاة ينتسِبُ الى المِقْدادِ بنِ الاسْوَدِ الكَنْدِىّ كان رحمهُ اللهُ بصيرا بامورِ

المُلكِ خبيرا بادواتِ الرِياسةِ عالمًا بالقوانين عارفا باصطلاح الدواوينِ خبيرا بالحساب رَيّانَ مِن فُنُونِ الأَدَبِ حافِظًا لمحاسنِ الاشعارِ راويا لطرايفِ الاخبارِ وكانَ جَلْدًا على مُمارسةِ الامورِ الديوانيةِ مُلازِمًا لها من الغُدْوَةِ الى العَشِيَّةِ وكان فى ابتداء امْرِه قــد تعَلَّقَ بخِدْمَــةِ سَلاطينِ العَجَمِ وكان يَلُوذُ ببَعْضِ وزراء العَجَمِ باصفهانَ فى حال صِباهُ ولم يَبْلُغ العِشْرِينَ من عُمْرِهِ وكان ذلك الوزيرُ قد ضَجِرَ مِن الكُتّاب الذِينَ بين يديه ونَسَبَهُم الى انهم يُخالِفُونَ تَقَدُّماته فَابْعَدَهم عنه واستَكْتَبَ القُمّى ظَنًّا منه انه لمُجَرَّدِ حَدَاثَةِ سنِّه لا يُقْدِمُ على مخالَفةِ ما يُشيرُ به فمكَثَ القُمّىُّ يكتُب بين يَدَيْه مُدّةً ففى بَعْضِ الايامِ اُحْضِرَت بين يَدَى الوزيرِ جُمْلَةٌ من الثياب النَسيجِ بَعْضُها صَحيحٌ وبَعْضُهــا مقطوعٌ فاَحْضَرَ القُمّىَّ بين يَدَيْــهِ ليُثْبِتَ عَدَدَهــا ويَحْمِلها الى الخِزانةِ وكان الوزيرُ يُورِدُ عليه كَذَى وكَذَى ثوبًــا صِحَاحًا فيَكْتُب القُمّىُّ كذى وكذى ثوبًا وما يَكْتُبُ لفْظَةَ صحاح فقال له الوزيرُ لِمَ لا تَكْتُبُ كما اقولُ لكَ فقال يــا مولانــا لا حاجَــةَ الى ذِكرِ الصِحاحِ فــانى اذا وَصَلْتُ الى ذِكرِ ثَوبٍ مَقْطوعٍ ذكَرْتُ تحْتَهُ انه مقطوعٌ فتخصيصُ المقطوع بــالذكرِ يَدُلُّ على أَنَّ ما لم يوصَف بالقَطْعِ صحيحٌ فقال الوزيرُ لا بَل اكتُب كما أَقولُ فراجَعَهُ القُمّىُ فحَرِدَ الوزيرُ لذلك وارتفعَ صوتُهُ والتفتَ الى الحاضِرِينَ

وقال انا عزلتُ الكُتّابَ الكبارَ الذين كانوا عندى لأجْلِ مُخالفتهم ولجاجهم فيما اقولُ واستكتبتُ هذا الصبىَّ ظنًّا منّى انه لحداثة سنّه لا يكونُ عنده من التجرُّؤ والمخالفة ما عندهم فاذا هو أشدُّ مخالفةً من اوليك فخرج بعضُ خدم السلطانِ من بَيْنِ يَدَيْه وكان جالسا قريبًا من مجلسِ الوزيرِ وسأل عن كثرةِ الصياحِ وحَرَدِ الوزيرُ فعرَّف الخادمُ صورةَ ما جرى بين الوزير والقُمّيّ فدخلَ وحكى للسلطانِ ما قيلَ فقال له اخْرُجْ وقُلْ للوزيرِ الحقّ ما اعْتَمَدَهُ الصبىُّ الكاتبُ فنبُلَ القُمّىُّ فى عيون الناسِ وعَلَتْ منزلتُه وانِسَ القُمّىُّ بهذا الخادمِ وصار الخادمُ يستشيرُهُ ويسكُنُ اليه ويانَسُ به فاتّفقَ انَّ السلطانَ عيَّنَ على هذا الخادمِ وعلى رَجُلٍ آخَرَ ليتوجَّهَا فى رسالةٍ الى ديوان الخليفةِ فالتمسَ الخادمُ اَن يكونَ القُمّىّ صُحْبَتَهُ فأرسلَ صُحْبَتَهُ فتوجَّهوا الى بغداد وحضرَ الخادمُ ورفيقُهُ عند الوزيرِ ابنِ القصّابِ فشافَهُوهُ بالرسالةِ وسمعوا الجوابَ وكان جوابًا غيرَ مُطابِقٍ للرسالةِ ولكنه كان نوعًا مِنَ المُغالَطَةِ فقنعَ الخادمُ ورفيقهُ بذلك الجوابِ وما تنبَّهوا على فسادِهِ وخرجوا فرجَعَ القُمّىُّ ووقفَ بين يدَى الوزيرِ وحادَثَهُ سِرًّا وقال له يا مولانا الجَوابُ غيرُ مُطابِقٍ لما انهاهُ المماليكُ فقال له الوزيرُ صدقْتَ ولكن دَعْهم على غباوتِهم ولا تُفطِّنْهم الى ذلك فقال السمع والطاعة ثم انّ ابنَ القصّابِ كتبَ الى الخليفة

يقول له انه قد وَصَلَ صُحْبَةَ خادمِ السلطان فلان شابٌّ قُمّيٌّ قد جَرَى من تنَبُّهِهِ كَيْتَ وكَيْتَ ومثلُ هذا يجبُ ان يُصْطَنع ويُحْسَنَ اليه ويُسْتَخْدَمَ فكتبَ الخليفةُ اليه يأمُره بأنْ لا يُمكِّنَهُ من التوَجُّهِ معهم فعُمِلَ له حُجَّةٌ وقُطِعَ عنهم فتوجَّهُوا واقامَ القُمّيُّ ببغدادَ فعُيِّنَ عليه فى كتابَةِ الانْشاء فمكَثَ على ذلك مدةً ثم تَوَلَّى الوزارةَ وتمكَّنَ فى الدولةِ تمكّنًا لم يتمكّنْ مِثْلَهُ أحَدٌ من امْثالِهِ وكان أوْحَدَ زمانِهِ فى كل شىء حَسَنٍ كثيرَ البرِّ والخيرِ والصَدَقاتِ حدثَ عنه مملوكه بدرُ الدين آيازُ قال طَلَبَ ليلةً من الليالى حَلاوَةَ النباتِ فعُمِلَ فى الحالِ منها صُحُونٌ كثيرةٌ واُحْضِرَت بين يديه فى ذلك الليل فقال لى يا اياز تَقْدِرُ تَدَّخِرُ هذه الحَلاوةَ لى مُوَفَّرَةً الى يومِ القيامةِ فقلتُ يا مولانا وكيف يكونُ ذلك وهل يُمكِن هذا قال نَعَمْ تَمْضِى فى هذه الساعةِ الى مَشْهَدِ موسَى والجوادِ عليهما السلامِ تَضَعُ هذه الاَصْحُنَ قُدّامَ أيْتامِ العَلَوِيِّينَ فانّها تُدَّخَرُ لى مُوَفَّرَةً الى يَوْمِ القيامَةِ قالَ اياز فقلتُ السَمعُ والطاعَةُ ومَضَيْتُ وكان نِصْفَ الليل الى المَشْهَدِ وفَتَحْتُ الابوابَ وأنْبَهْتُ الصِبْيانَ الأيْتامَ ووَضَعْتُ الاَصْحُنَ بين يَدَيْهِم ورَجَعْتُ" وما زال القُمّيُّ على سَدادٍ من امرِه تَوَلَّى الوزارةَ للناصرِ ثم للظاهرِ ثم للمستَنْصِرِ حتى قَبَضَ عليه المستَنْصِرُ وحبَسَهُ فى باطِنِ دار الخِلافةِ مُدَّةً فمرِضَ واُخْرِجَ مريضًا

فمات رحمه الله فى سنة تسع وعشرين وستمية انقضت ايام الناصر لدين الله ووزرايه ✿

ثم ملك بعده ولده ابو نصر محمد الظاهر بامر الله بن الناصر لدين الله بويع فى سنة اثنتين وعشرين وستمية لم تطل ايامه ولم يجز فيها ما يسطر سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد موسى والجواد عليهما السلام فشرع الظاهر فى عمارتها فمات ولم تفرغ فتممها المستنصر وايضا فان الظاهر هو الذى عمل هذا الجسر الحديد الموجود الآن ببغداد ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدايح ووصفوا الجسر فيها فممن نظم فى ذلك شعرا موفق الدين القسم ابن ابى الحديد كاتب الانشاء وهو قوله — المتقارب

امام يحرم ذل السوال ويعمل بالكرم الواجب
أقام طريقا على دجلة لذى القصد منه وللذاهب
فعارض جسرا على جانب بجسر جديد على جانب
كسطرين فى كاغد ابيض أجادهما قلم الكاتب
كمخنقتى عنبر ضمتا بياض الترايب من كاعب
كصفين من ابل أصبحا وقوفا على جدد لاحب

ومات الظاهر فى سنة ثلاث وعشرين وستمية شرح حال الوزارة فى ايامه اقر القمى وزير ابيه على وزارته ولم يستوزر غيره ✿

ثم ملك بعده ولده ابو جعفر المنصور المستنصر بالله بويع بالخلافة فى سنة ثلاث وعشرين وستمية، كان المستَنْصِرُ شَهْمًا جَوادًا يُبارِى الريحَ كَرَمًا وَجُودًا وكانت هِباتُه وعطاياه أَشْهَرَ مِن أَن يُدَلَّ عليها واعظمَ من ان تُحْصَى ولَوْ قيل انه لم يَكُنْ فى خلفاء بنى العباس مِثْلُه لصَدَقَ القايلُ وله الآثارُ الجليلةُ منها وهى أَعْظَمُها المستَنْصِرِيَّةُ وهى أَعْظَمُ مِن أَنْ تُوصَفَ وشُهْرَتُها تُغْنِى عَنْ وَصْفِها ومِنها خان حَرْبَى وقَنْطَرَتُها وخان نهر سابُس باعمالِ واسِطَ وخان الخرنيبى وغير ذلك مِنَ المساجِدِ والرُبْطِ ودُور الضيافاتِ وكان المستنصر يَقُولُ انى أَخافُ انَّ اللهَ لا يُثِيبُنِى على ما أَهَبُهُ وأُعْطِيه لانَّ اللهَ تعالى يقول لَنْ تَنالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحِبُّونَ وانا واللهِ لا فَرْقَ عندى بين التُرابِ والذَهَبِ، كانت ايامُه طَيِّبَةً والدنيا فى زمانه ساكِنَةً والخَيْراتُ دارَّةً والاعمالُ عامِرَةً وفى ايامِه فُتِحَت اِرْبِل أَرْسَلَ المستَنْصِرُ اليها اِقْبالاً الشرابِيَّ وصُحْبَتَهُ عارِضُ الجيوشِ وذلك عند وَفاةِ صاحِبِها مُظَفَّرِ الدين بن زَيْنِ الدين على كُوجَكَ، ومات المستنصِرُ فى سنة اربعين وستمية، شرح حالِ الوزارة فى ايامه لما بُويِعَ بالخلافة أَقَرَّ القُمِّىَّ وزيرَ ابيه وجَدِّه على وزارتِه سَنَواتٍ ثم قَبَضَ عليه وجَرَى له ما تَقَدَّمَ شَرْحُهُ، وزارة نصير الدينِ ابى الازهرِ احمد ابن محمد بن الناقِدِ ثم استوزرَ المستنصِرُ بعد القُمِّيِّ ابا الأَزْهَرِ

احمدَ بنَ الناقدِ كان فى ابتداء امْرِهِ وَكيلاً للمستنصِرِ فمكثَ مُدّةً فى الوكالَـةِ ثم انتقلَ منها الى أُسْتاذيّةِ الدارِ ثم منها الى الوزارةِ فنهَضَ بأعْبايها نُهوضًا حَسَنًا وقام بضَبْطِ المملكةِ قيامًـا مَرْضِيًّا وكان عَظيمَ الامانةِ قويَّ السِياسَـةِ شديدَ الهَيْبَـةِ على المتَصرِّفين حَاسِمًا لموادِّ الاطماعِ والفسادِ قيـل انـه هُجِىَ ببيتَيْن فلما سَمِعَهما استَحْسَنَهُمَا وَهُمَا

البسيط

وَزِيرُنـا زاهِدٌ والناسُ قد زَهِدُوا
فيه فكلٌّ عن اللذاتِ مُنْكَمِشُ
ايامُهُ مِثْـلُ شَهْرِ الصَوْمِ خاليـةٌ
من المَعاصِى وفيها الجُوعُ والعَطَشُ

وما زالت السعادَةُ تَخْدِمُهُ الى آخِرِ عُمْرِهِ فمن جُمْلَةِ سعادَتِهِ وهو من الاتّفاقاتِ العَجيبَةِ ما حُدِّثَ عنه وهو انه قَبْلَ الوزارةِ عَمِلَ فى بَعْضِ الأَعْيادِ سُنْبُوسَجًا كثيرًا وأَحَبَّ أَنْ يُداعِبَ بَعْضَ اصحابِـهِ فأمَرَ ان يُحْشَى سُبْعُونَ سُنْبُوسَجَةً بحَبِّ قُطْنٍ ونُخالةٍ وتُجْعَـلَ مُفْرَدَةً وعمـلَ سَنْبُوسَجًا كثيرًا جارِىَ العادَةِ ورَكِبَ الى دار الخليفةِ فَطُلِبَ منـه عَمَلُ شَىْءٍ مِنَ السَنْبُوسَج فذكَرَ انَّ عنده شيـئًا مَفْرُوغًـا منه وامَرَ خادِمًا له باحضارِ ما عندهم من السنبوسج فمَضَى الخـادمُ عن غيرِ معرفةٍ بذلك المَحْشُوِّ بحَبِّ القُطْنِ ومَزَجَ الجَميعَ ووَضَعَهُ فى الأَطْباقِ

لِيَحْمِلَهُ الى دار الخليفة فجاء الجَوَارِى والخَدَم وقالوا أُعْطونـا حِصّتَنا مِن هذا فاخَذُوا منه مية سنبُوسجة وحَمَلَ الخادمُ الأَطْباقَ بما فيها الى دارِ الخليفة فلما حُمِلَ السَنْبُوسَجُ وصار بدارِ الخليفةِ ورَجَعَ ابنُ الناقِدِ الى دارِهِ سال عن السنبوسج المحشوّ بحَبّ القُطْنِ فقالوا لـه ما عَرَفْنا بشىء من ذلك وفُلانٌ الخادِمُ جاء ومَزَجَ الجميعَ واخَذَهُ ومَضَى فلم يَشُكَّ انـه هالِكٌ وكادت تَسْقُطُ قُوّتُهُ خوفًا وخَجلًا فقال اما تَخَلَّفَ منه شَىْءٌ قَطُّ قالوا قد اقْتَطَعَ الجوارِى والخَدَمُ منه نُحُوَ مِيَةِ سنبوسجةٍ فقال احْضِرُوها فأُحْضِرَت وفُتِحَت بين يديـه فوُجِدَ السَبْعُون سَنْبُوسَجَةً المحشُوّة بحَبّ القُطْنِ قد حَصَلَتْ بايْدِى الجَوارى والخَدَم فى جُمْلَةِ مـا اَخَذُوه لأَنْفُسِهم لم تَشِذَّ منهـا واحِدَةٌ الى دارِ الخليفة ومـاتَ نصيرُ الدين فى سَنَـةِ اثنتين واربعين وستميةٍ فى خلافةِ المستَعْصِمِ انقضت ايامُ المستنصِرِ ووزرايه ۞

ثم ملك بعده ولده ابو احمد عبد الله المستعصم باللهِ بُويِعَ له بالخِلافةِ فى سنـةِ اربعين وستميةٍ هو آخِرُ الخلفاء كان المستَعْصِمُ رَجلًا خَيّرًا متدَيِّنًا لَيِّنَ الجانبِ سَهْلَ العريكةِ عفيفَ اللسانِ والفَرْجِ حَمَلَ كتابَ اللهِ تعالى وكَتَبَ خَطًّا مَلِيحًا وكان سَهْلَ الاخلاقِ وكان خَفيفَ الوَطْأةِ الا انه كان مُسْتَضْعَفَ الراىِ ضعيفَ البَطْشِ قليلَ الخِبْرَةِ بامورِ المملكةِ مطموعًا فيـه غيرَ مَهيبٍ فى النفوسِ ولا

مُطّلع على حقايقِ الامورِ وكان زَمَانُهُ يَنْقَضِى اكثَرُهُ بسِماع الاغانى والتَفَرُّج على المَسَاخِرَة وفى بَعْضِ الأَوْقـاتِ يجلِس بخزانة الكُتُب جُلُوسًا لَيْسَ فيه كَبيرُ فايدة وكان أَصْحابُه مُسْتَوْلِينَ عليه وكُلُّهم جُهَّالٌ مِن أَراذِلِ العَوَامِّ الّا وزيرَهُ مُؤَيَّدَ الدين محمد بن العَلْقَمِىّ فانه كان من أَعْيانِ الناسِ وعُقلاء الرجال وكان مَكْفُوفَ اليَدِ مَرْدُودَ القَوْلِ يَتَرَقَّبُ العَزْلَ والقَبْضَ صَبَاحَ مَسَاءَ، وكانت عادَةُ الخلفاء اكثرهم أَن يَحْبِسُوا اولادَهم واقاربَهم وبذلك جَرَت سُنَّتُهُم الى آخرِ ايام المستنصر فلما ولى المستَعْصِمُ اطلَقَ اولادَه الثلاثَةَ ولم يَحْبِسْهُم، وهم الاميرُ الكبيرُ ابو العباس احْمَدُ والعامَّـةُ تُسَمّيه ابـا بَكْرٍ وليس بصحيح وانما سَمَّوهُ بذلك لانه لمـا نُهِبَ الكَرْخُ نُسِبَ الامْرُ فى ذلك اليـه وقيـل انه هو الذى اشـارَ بذلك، والاميرُ الاوسَطُ وهو أَبُو الفَضايِـلِ عَبْدُ الرَحْمَنِ كان شَهْمًـا خَرَجَ الى بَيْنَ يَـدَى السلطانِ هولاكُو ووَقَعَ كلامُهُ بموضِعِ الاستحسانِ فى الحَضْرَةِ السلطانية، والاميرُ الأَصْغَرُ ابو المَنَـاقِبِ، حدثنى صَفِىُّ الدينِ عَبْدُ المُؤمِنِ بنُ فاخِرٍ الأُرْمَوِىُّ وكانَ قد صارَ فى آخِرِ ايامِ المستَعْصِمِ مُقَرَّبًا عِنْدَهُ ومن خواصِّه وكان قد استجَدَّ فى آخِرِ ايامه خِزانَةَ كُتُب ونَقَـلَ اليها من نفـايِسِ الكُتُبِ وسلَّمَ مَفاتيحَها الى عَبْدِ المُؤمِنِ فصـارَ عَبْدُ المومن يَجْلِسُ ببابِ الخِزانةِ يَنْسَخُ لَهُ مـا يُرِيدُ واذا خَطَرَ للخليفة

الجُلوسُ في خِزانةِ الكُتُبِ جاء اليها وعَدَلَ عَنْ الخِزانـةِ الأُولى التي كانت مُسَلَّمَةً الى الشيخ صدرِ الدين عليّ بن النيّارِ قال أعني عبدَ المُومِنِ كُنْتُ مَرَّةً جالسًا في حُجْرةٍ صَغيرةٍ وانا أنْسَخُ وهُناكَ مَرْتَبَةٌ برَسْمِ الخليفةِ اذا جاء الى هُناكَ جَلَسَ عليهـا وقد بُسِطَتْ عليها مِلْحَفَةٌ لتُرَدَّ عنهـا الغُبارُ فجاء خُوَيْدِمٌ صَغيرٌ ونـامَ قَرِيبًـا مِنَ المَرْتَبَةِ المذكورةِ واسْتَغْرَقَ في النَوْمِ فتَقَلَّبَ حتى تَلَفَّفَ في تلك المِلْحَفَةِ المبسوطةِ على المرتبةِ ثم تَقَلَّبَ حـتى صـارت رِجْـلاه على المَسْنَدِ قـال وانـا مشغولٌ بالنَسْخ فاحْسَسْتُ بوَطْءٍ في الدِهْليزِ فنَظَرْتُ فاذا هو الخليفةُ وهو يَسْتدعيني بالاشارةِ وبتَخَفُّفِ وَطْأَةٍ فقُمْتُ اليه مُنزعجًا وقَبَّلْتُ الأرضَ فقـال لى هذا الخُوَيْدِمُ الذى قد نـامَ حتى تَلَفَّفَ في هذه المِلْحَفَةِ وصارت رجلاه على المَسْنَدِ مَتَى هَجَمْتَ عليه حتى يَسْتَيْقِظَ ويَعْلَمَ انى قد شاهدتُـهُ على هذه الحالِ يَنْفَطِرُ مَرارتُهُ مِنَ الخَوْفِ فأيْقِظْهُ أنْتَ برِفْقٍ فانّي سأخْرُجُ الى البُسْتانِ ثم أَعُودُ قال وخرجَ الخليفةُ فدَخَلْتُ الى الخُوَيْدِمِ وايْقظتُهُ فانتبهَ ثم أصْلَحْنا المرتبةَ ثم دخلَ الخليفةُ وحدثني بعضُ اهلِ بغدادَ قـال حُدِّثْتُ أنَّ الشيخ صَدْرَ الدين بن النَيّار شيخَ الخليفةِ قال دَخَلْتُ مَرَّةً الى خِزانةِ الكُتُبِ على عادَتي وفى كُمّي مِنْديلٌ فيه رِقاعٌ كثيرةٌ لجماعـةٍ من اربابِ الحوائجِ فطَرَحْتُ المِنْديلَ وفيه الرِقاعُ في مَوْضِعٍ

ثم قُمْتُ لبعض شاني فلما عُدْتُ الى الخزانة بَعْدَ ساعة حَلَلْتُ الرِقاعَ مِن المِنْديل حتى أتامَّلَها وأُقَدِّمَ منها المُهِمَّ فرايتُها جميعَها وعليها توقيعُ الخليفة بالاجابَة الى جميع ما فيها فعَلِمْتُ انّ الخليفةَ قد جاء الى الخزانة عند قيامى فراى المِنْديلَ وفيه الرِقاعُ ففَتَحَها ووَقَّعَ على جميعِها، والمستَعْصِمُ هو آخِرُ خُلفاء الدولة العباسيّة ببغداذ ولم يَجْرِ فى ايام المستعصِم شىء يُوثِرُ سِوَى نَهْبِ الكَرْخِ وبيسَ الأَثَرُ ذلك، وفى آخِرِ ايامه قَوِيَتِ الاراجيفُ بوصول عسكرِ المُغُولِ صُحْبَةَ السلطانِ هولاكو فلم يُحَرِّكْ ذلك منه عَزْمًا ولا نَبَّهَ مِنْهُ هِمَّةً ولا أَحْدَثَ عِنْدَهُ هَمًّا وكان كلما سُمِعَ عَنِ السلطانِ من الاِحْتِياط والاِسْتِعْداد شَىْء ظَهَرَ مِنَ الخليفة نَقيضُته مِن التَفْرِيطِ والاِهْمالِ ولم يَكُنْ يَتَصَوَّرُ حقيقةَ الحالِ فى ذلك ولا يَعْرِفُ هذه الدولةَ يَسَّرَ اللهُ اِحْسانَها وأَعْلَى شانها حَقَّ المعرفة، وكان وزيره مؤيّدُ الدين بن العَلْقَمِىّ يَعْرِف حقيقةَ الحالِ فى ذلك ويُكاتِبُهُ بالتحذير والتنبيه ويُشِيرُ عليه بالتَيَقُّظِ والاحتياطِ والاستعدادِ وهو لا يَزْدادُ الا غفولا وكان خَواصُّهُ يُوهِمُونَهُ انه ليس فى هذا كبيرُ خَطَرٍ ولا هُناكَ مَحْذُورٌ وانَّ الوزيرَ انما يُعَظِّمُ هذا لِيَنْفُقَ سُوقُهُ ولِتَبْرُزَ اليه الاموالُ لِيُجَنِّدَ بها العَساكِرَ فيَقْتَطِعَ منها لنَفْسِهِ، ومـا زالت غَفْلَةُ الخليفةِ تَنْمِى ويَقْظَةُ الجانِبِ الآخَرِ تتضاعَفُ حتى وصَلَ العسكرُ

السلطانى الى همذان واقام بها مُدَيْدَةً ثم تواترت الرُسُلُ السلطانيّةُ الى الديوانِ المستعصميّ فوقع التعيينُ من ديوانِ الخليفةِ على ولدِ أُسْتاذِ الدارِ وهو شَرَفُ الدينِ عبدُ الله بن الجَوْزِيّ فبَعَثَ رَسولًا الى خدمةِ الدركاه السلطانيةِ بهمذانَ فلما وَصَلَ وسمِعَ جوابُه عُلِمَ انه جوابُ مُغالَطَةٍ ومُدافَعَةٍ فحينئذ وقع الشروعُ فى قَصْدِ بغدانَ وبَثِّ العساكرِ اليها فتوجّهَ عَسْكَرٌ كثيفٌ مِن المُغُولِ والمقَدَّمُ عليهم باجُو الى تكْرِيتَ ليَعْبُرُوا من هُنـاكَ الى الجانبِ الغَرْبىّ ويَقْصِدُونَ بغدانَ من غَرْبِيّها ويَقْصِدُها العَسْكَرُ السلطانىُّ مِن شَرْقِيّها فلما عَبَرَ عَسْكَرُ باجُو من تَكْرِيتَ وانْحَدَرَ الى اَعْمالِ بغدانَ اَجْفَـلَ الناسُ مِن دُجَيْـلَ والاسحاقىِّ ونَهرِ مَلِكٍ ونهرِ عيسَى ودخلوا الى المَدِينَـةِ بنسائِهم واولادِهم حتى كانَ الرَجُلُ اَوِ المَرْأةُ يَقْذِفُ بنَفْسِهِ فى الماء وكان المَلّاحُ اذا عَبَرَ اَحَدًا فى سَفِينَةٍ مِن جانبٍ الى جانبٍ ياخُذُ اُجْرَتَهُ سِوارًا من ذَهَبٍ او طِرازًا مِنْ زَرْكَشٍ او عِدّةً من الدنـانيرِ فلما وَصَلَ العَسْكَرُ السلطانىُّ الى دُجَيْلَ وهو يَزِيدُ على ثلاثينَ اَلْفَ فارِسٍ خَرَجَ اليه عسكَرُ الخليفـةِ صُحْبَـةَ مُقَدَّمِ الجُيوشِ مُجاهِدِ الدينِ ايبكَ الدويدارِ وكان عسكرًا فى غايَـةِ القِلّةِ فـالتَقَوْا بالجانب الغَرْبىّ من بغدانَ قريبًا من البَلَدِ فكانَتِ الغَلَبَةُ فى اَوّلِ الاَمْرِ لعَسْكَرِ الخليفـةِ ثم كانت الكَرّةُ للعسكرِ السلطانىّ فـاباذوهم قَتْلًا واَسْرًا واعانَهم على

ذلك نَهْرٌ فَنَحُوه فى طُولِ الليل فكَثُرَت الوُحُولُ فى طريقِ المُنْهَزِمين فلم يَنْجُ منهم الّا من رَمَى نَفْسَهُ فى الماء او من دَخَلَ البَرِيَّةَ ومَضَى على وَجْهِهِ الى الشامِ ونَجا الدويدارُ فى جميعةٍ من عَسْكرِه ووصَلَ الى بغدادَ وساقَ بـاحُو حتى دَخَلَ البَلَدَ من جانبِهِ الغَرْبِيّ ووَقَفَ بعساكِرِه مُحاذِىَ التاجِ وحاسَت عَساكِرُه خِلالَ الديـارِ واقـامَ مُحاذِىَ التاجِ اياماً وأمّا حالُ العَسْكرِ السلطانىّ فانه فى يوم الخميس رابِعَ محرّمٍ من سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسين وستمئةٍ ثارت غَبَرَةٌ عظيمةٌ شَرْقِىّ بغدادَ على دَرْبِ بَعْقُوبَا بحَيْثُ عَمَّتِ البَلَدَ فانْزَعَجَ الناسُ من ذلك وصَعِدوا الى اعالى السُطوحِ والمنايرِ يَتَشَوَّفُونَ فانكَشَفَتِ الغَبَرَةُ عن عَساكرِ السلطانِ وخيولِهِ ولفيفِهِ وكُرَاعِهِ وقد طَبَّقَ وَجْهَ الأَرْضِ واحاطَ ببغدادَ من جميعِ جِهـاتِها ثم شَرَعوا فى استعمالِ اسبابِ الحِصارِ وشَرَعَ العَسْكرُ الخليفتىّ فى المُدافَعَةِ والمُقاوَمَـةِ الى يومِ تاسعَ عِشْرِى محرّم فلم يَشْعُرِ الناسُ الّا ورايات المُغُولِ ظاهِرَةٌ على سُورِ بغدادَ من بُرْجٍ يُسَمَّى بُرْجَ العَجَمِىّ من ناحِيَةِ بابٍ من ابواب بغدادَ يقال له باب كَلْواذى وكان هذا البُرْجُ أَقْصَرَ ابراجِ السُورِ وتَقَحَّمَ العَسْكرُ السلطانىُّ هُجُومـاً ودُخُولاً فجَرَى من القَتْلِ الذَريعِ والنَهْبِ العظيمِ والتَمْثيلِ البَليغِ ما يَعْظُمُ سماعُه جُمْلَةً فما الظَنُّ بتفاصيلِه وكان ما كان مما لَسْتُ أَذْكُرُه فظُنَّ ظَنّاً ولا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ

وامر السلطانُ بخُروج الخليفة وولدِه ونسآيِه اليه فخرجُوا فحضرَ الخليفةُ بين يَدَى الدَركاه فيقالُ انه عُوتِبَ ووُبِّخ بما معناهُ نِسْبَةُ العَجْزِ والتفْرِيطِ والغُفولِ اليه ثم أُوصِلَ الى اليَاسَا ووَلَدَاه الاكبر والاوسط وامّا بناتُه فأُسِرْنَ ثم استُشْهِدَ المُستَعْصِمُ فى رابع صَفَر سنةَ ستٍ وخمسين وستميّة

شرح حال الوزارة فى ايامِهِ لما بُويعَ بالخلافة اَقرَّ وَزيرَ ابيه وهو نَصيرُ الدين اَحْمَدُ بنُ الناقِدِ على وزارته الى ان تُوُفّى فلما توفّى استوزر مويَّدَ الدين محمد بن العلقمىّ وزارة مويد الدين ابى طالب محمد بن احمد بن العلقمى هو اَسَدىٌّ اَصْلُهُمْ من النيْلِ وقيلَ لجَدّهِ العَلْقَمِىّ لانه حَفَرَ النَهْرَ المُسَمّى بالعَلْقَمىّ وهو الذى برَزَ الامرُ الشَرِيفُ السلطانىُّ بحَفْرِه وسُمِّى القازانى اشتغَلَ فى صباه بالادب ففاقَ فيه وكَتَبَ خَطًّا مليحًا وترسَّل تَرَسُّلًا فصيحًا وضَبَطَ ضَبْطًا صحيحًا وكانَ رَجُلًا فاضلًا كاملًا لبيبًا كريمًا وَقُورًا مُحِبًّا للرِياسَة كثيرَ التجَمُّل رَيِيسًا مُتَمَسّكا بقوانينِ الرياسة خبيرًا بادواتِ السياسة لبيقَ الاعطافِ بآلاتِ الوزارة وكان يُحِبُّ اَهْلَ الادَبِ ويُقَرِّبُ اَهْلَ العلْمِ اقْتَنَى كُتُبًا كثيرةً نفيسةً حَدَّثَنِى وَلَدُهُ شرفُ الدين ابو القسمِ علىٌّ رحمه اللهُ قال اشتملَتْ خِزانةُ والدِى على عشرة آلف مُجَلّد من نفايسِ الكُتُبِ وصَنّفَ الناسُ له الكُتُبَ فممنْ صَنّفَ له الصَغانىُّ

اللُغَوِىُّ صَنَّفَ له العُبَابَ وهو كِتابٌ عظيمٌ كبيرٌ فى لُغَةِ العَرَبِ وصَنَّفَ لـه عزُّ الدين عبدُ الحَميدِ بن ابى الحديد كتابَ شَرْحِ نَهْجِ البَلاغَةِ يشتَمِلُ على عشرين مُجَلَّدًا فاثابَهُما واحْسَنَ جايزَتَهُما وكان مُمَدَّحًا مدَحَهُ الشعراء وانْتَجَعَهُ الفضلاء فَمِمَّنْ مدَحَهُ كمال الدين بنُ البُوقِىّ بقصيدة من جُمْلَتِها السريع

مُؤَيَّدُ الدينِ أَبُو طـالِبٍ مُحَمَّدُ بنُ العَلْقَمِىِّ الوَزِيرْ

وهذا بيتٌ حَسَنٌ جَمَعَ فيه بين لَقَبِهِ وكُنْيَتِه واسمِه واسمِ ابيه وصَنْعَتِهِ، وكان مؤيَّدُ الدين الوزيرُ عفيفـًا عن اموال الديوان واموالِ الرعيَّةِ متنزِّهًا مترفِّعًا، قيلَ انَّ بَدْرَ الدينِ صاحِبَ المَوْصِلِ أَهْدَى اليه هَدِيَّةً تَشْتَمِلُ على كُتُبٍ وثِيابٍ ولَطَايِفَ قيمتُها عَشرَةُ أَلْفِ دينارٍ فلما وَصَلَتْ الى الوزير حَمَلَها الى خِدْمَةِ الخليفة وقـال انَّ صاحِبَ المَوْصِلِ قد أَهْدَى لى هذا واستَحْيَيْتُ منـه أن أَرُدَّهُ اليه وقد حَمَلْتُه وانـا أَسْأَلُ قَبُولَهُ فقبِلَ ثم انـه أَهْدَى الى بَدْرِ الدين عِوَضَ هَدِيَّتِهِ شيًّا من لَطايِفَ بَغْدادَ قيمتُه اثنا عَشَرَ أَلْفَ دينارٍ والتَمَسَ منه أن لا يُهْدِى اليه شَيْـًّا بَعْدَ ذلك، وكان خواصُّ الخليفةِ جَميعُهم يَكْرَهُونَهُ ويَحْسُدُونه وكان الخليفةُ يَعْتَقِدُ فيه ويُحِبُّهُ وكَثَّرُوا عليه عنده فكَفَّ يَدَهُ عن أكْثَرِ الامورِ ونَسَبَهُ الناسُ الى انـه خامَرَ وليسَ ذلك بصحيحٍ ومن أَقْوَى الأَدِلَّـةِ على

عَدَمِ مُخَامَرَتِهِ سَلَامَتُهُ فى هذه الدولــة فإنّ السلطانَ هولاكو لما
فتح بغدادَ وقتل الخليفةَ سَلَّمَ البَلَدَ الى الوزيرِ واحْسَنَ اليه وحكّمَهُ
فلو كان قد خامَرَ على الخليفــةِ لَمَا وقَعَ الوُثُوقُ اليــه حدثنى
كمالُ الــدين احمَدُ بنُ الضَّحَّاكِ وهو ابنُ أُخْتِ الوزيرِ مُؤيّدِ
الدين بنِ العَلْقَمِىّ قال لما نزلَ السلطانُ هولاكو على بغداد ارسَلَ
يَطْلُبُ ان يَخْرُجَ الوزيرُ اليه قال فبعَثَ الخليفةُ فطلَبَ الوزير فحضَرَ
عنده وانا معه فقال له الخليفة قد أنْفَذَ السلطانُ يَطْلُبكَ وينبغى
ان تَخْرُجَ اليه فجزِعَ الوزيرُ من ذلك وقال يا مولانا اذا خَرَجْتُ
فمَنْ يُدَبِّرُ البَلَدَ ومن يتَوَلّى المَهَامَّ فقال له الخليفةُ لا بُدَّ ان تَخْرُجَ
قــال فقال السَمْعُ والطاعةُ ثم مَضَى الى دارِهِ وتَهَيَّأَ للخُرُوجِ فلمــا
حضَرَ بين يَدَى السلطان وسَمِعَ كلامَهُ وَقع بِمَوْقِعِ الاستِحْسَانِ وكان
الذى تَوَلّى ترْبِيَتَــهُ فى الحَضْرَةِ السلطانيّــةِ الوزيرُ السَعيدُ نَصيرُ
الدينِ محمد الطُوسىّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ فلما فُتِحَتْ بَغْدَادُ سُلِّمَتْ
اليــه والى عَلِىّ بهادُرَ الشِحْنة فمكثَ الوزيرُ شُهُورًا ثم مَرِضَ
وماتَ رحِمَهُ اللــهُ فى جُمَدَى الأُولَى سنــةَ سِتٍّ وخمسين وستّمِيَّةَ ۞
انْقَضَتْ دَوْلَةُ بنى العَبَّاسِ ووُزَرَآئِهِمْ وبذلك انقضَى الكتاب

والحمدُ لله وَحْدَه وصلوتُــه على سيدنا محمد النبىّ
وآله الطَيِّبِينَ الطــاهرينَ وسلامُــه ۞

schen Wesen alle nicht die Marken ihres Gebietes überschreiten können, sondern je nach ihren Lebensbedingungen sich bewegen müssen innerhalb ihres Kreises, ohne Vorwurf, dass sie eines vollendeteren Organismus entbehrten: so ist auch um die Völker eine Geistessphäre gezogen, in die sie beschränkt sind, und innerhalb deren ihre Entwicklung fortschreitet, und nicht weiter.

Wenn also die Geschichtschreibung unserer Zeit und des klassischen Alterthums eine höhere Stufe einnimt, so liegt der Grund für diese und andere geistige Erscheinungen darin, dass überhaupt der Geist der Indogermanen dem der Semiten überlegen ist. Das, worin sich der Geist der Indogermanen namentlich bekundet, ist nicht sowol die Tiefe der Auffassung des Einzelnen oder die Originalität der Gedanken, als die Fähigkeit, das Einzelne unter allgemeine Gesichtspunkte zu fassen und den Kern einer Sache über deren mannichfache Zubehörigkeiten nicht zu übersehen. Es ist die Beweglichkeit des Sinnes, das sich Heimischfühlen in allen Gebieten, auch den entlegensten, geistiger Thätigkeit, die universelle Begabung dieses Stammes, die ihn eingebürgert hat in allen Zonen, auf allen Gebieten, und ihn in den sichtbaren Erscheinungen dieser Welt, in den übersinnlichen Mächten des Lebens, in dem Geheimniss seines eigenen Wesens, in den Wegen des göttlichen Rathschlusses, Plan, Zusammenhang, Nothwendigkeit begreifen lässt.

Beschränkter ist der Kreis, in welchem die Semiten sich bewegen. Nicht die ganze Erde ist ihre Heimat, nur ein kleinerer Raum derselben ist ihr eigen; nicht auf den grenzenlosen Gebieten des Geistes tummeln sie sich, nur ein geringer Theil derselben geniesst ihrer Pflege; und die Welt und ihr Lauf, der Geist und sein Wirken sind in ihren Augen nur wandelbare, nicht ewige Mächte. Aber Eines zeichnet sie aus, vor allen Indogermanen; es ist die reinere Gotteserkenntniss, die in ihnen, zu verschiedenen Zeiten, hervorgebrochen ist und die geistig bedeutenderen Völker mit neuen Keimen befruchtet hat — um dann freilich immer wieder — und auf wie lange! — einem starren Formalismus und einer gedankenlosen Apathie Platz zu machen!

Druck der Königl. Universitäts-Buchdruckerei von F. W. Kunike in Greifswald.

Epilog.

Böte dieser Bogen nicht noch ein leeres Blatt, so würde das Folgende hier nicht Platz gefunden haben: so aber mag es die Einleitung eines Werkes schliessen, dessen Studium vorzugsweise Stoff zu diesen Betrachtungen gegeben hat.

Wollte Jemand in Kürze angeben, welcher Geist die Arabischen Geschichtschreiber bei Abfassung ihrer Werke leite, so könnte er es nicht treffender thun als mit den Worten eines Dichters, die als Motto allen ihren Geschichtswerken vorgesetzt werden können:

لَيْسَ بِإِنْسَانٍ وَلَا عَالِمٍ مَنْ لَمْ يَعِ ٱلتَّأْرِيخَ فِي صَدْرِهِ

وَمَنْ دَرَى أَخْبَارَ مَنْ قَدْ مَضَى أَضَافَ أَعْمَارًا إِلَى عُمْرِهِ

Der ist kein Mensch, noch gar ein gelehrter Mann,
Wer die Geschichtsdaten nicht auswendig kann;
Doch wer von der Vorzeit kann Kunde geben,
Fügt neues Leben zum eigenen Leben.

Wir haben oben (S. XXXV f.) kurz von der Geschichtschreibung der Araber gesprochen, und dem Ibn etthiqthaqā einen hervorragenden Platz als Geschichtschreiber eingeräumt: ihn aber freizusprechen von allen Mängeln, sei es in Auffassung, sei es in Darstellung geschichtlicher Verhältnisse, sind wir keineswegs gemeint, und es passt, bei allen Vorzügen, die er hat, auch auf ihn das obige Motto.

Indess mag die Arabische Geschichtschreibung auch nur mangelhaft den Anforderungen entsprechen, die wir an dieselbe zu stellen berechtigt sind; gebe sie immerhin nur eine Silhouette der Vergangenheit, und keine Photographie — wir müssen dennoch eingestehen, dass sie, so weit die Fähigkeit des Arabischen Geistes nach dieser Seite überhaupt ging, ihre Aufgabe in ihrem Bereiche gelöst und die Grenzen erreicht habe, zu denen ihr zu gelangen möglich war. Jede Nation trägt ihr eigenes Maass in sich allein; und wie die organi-

Wesīre: 1) 'Adhud eddīn abulfarağ mohammed ben abulfotūh 'abdallah 367, 1—369, 17.
2) Dhahīr eddīn abu bekr manssūr ben abulqasim nassr ben el'atthār 369, 18—370, 3.

575—622. 34. **Ennāssir lidīnillah** abul'abbās ahmed, sein Sohn. 370, 5—371, 9.

Wesīre: 1) Ibn el'atthār 371, 10—372, 5 (cf. 369, 18).
2) Ğelāl eddīn abulmodhaffar obeidallah 372, 5-10.
3) Mo'iss eddīn sa'īd ben 'alī ben hadīde elanssārī († 616) 372, 11—373, 8.
4) Moajjed eddīn abulmodhaffar mohammed b. ahmed ben elqasssāb 373, 9—16.
5) Essajjid Nassīr eddīn nāssir ben mehdī, der Alide, († 617), 373, 17—375, 14.
6) Moajjed eddīn mohammed ben mohammed ben 'abdelkerīm bars elqommī († 629) 375, 15—379, 1.

622—623. 35. **Eddhāhir biamrillah** abu nassr mohammed, sein Sohn. 379, 3—17.

Wesīr: Elqommi 379, 18 (cf. 375, 15).

623—640. 36. **Elmostanssir billah** abu ğa'far elmanssūr, sein Sohn. 380, 1—15.

Wesīre: 1) Elqommī 380, 16 (cf. 379, 18).
2) Nassīr eddīn abulashar mohammed ben mohammed ben ennāqid († 642) 380, 17—382, 12.

640—656. 37. **Elmosta'ssim billah** abū ahmed 'abdallah, sein Sohn. 382, 13—388, 1 ff.

Wesīre: 1) Nassīr eddīn ahmed ben ennāqid 388, 6. 7 (cf. 380, 17).
2) Moajjed eddīn abu thālib mohammed ben ahmed ben el'alqamī († 656) 388, 8—390, 15.

Wesīre: 1) Abulqasim 'alī ben fachr eddaula ben ḡehīr
347, 2—4.
2) Abulma'ālī hibetallāh ben mohammed ben elmotthalib 347, 4—348, 7.

29. **Elmostarschid billah** abu manssūr elfadhl, sein Sohn. 512—
348, 11—353, 18. 529.

Wesīre: 1) Abu 'alī elhasan ben alī ben ssadaqa († 522) 351, 4—352, 14.
2) Esscherīf abulqasim 'alī ben thirād der *Seinebite* 352, 15—353, 13. 349, 3.
3) Abu nassr ahmed († 544) 353, 15—354, 1.
4) Anūscherwān ben chālid ben mohammed elqāschānī († 532) 354, 2—355, 10.

30. **Errāschid billah** abu ḡa'far manssūr, sein Sohn († 532). 529—
355, 16—356, 13. 530.

Wesīr: Ḡelāl eddīn aburridhā mohammed ben ssadaqa († 556) 356, 15—357, 1.

31. **Elmoqtafī liamrillah** abu abdallah mohammed, Sohn 530—
des Elmostadhhir. 357, 3—14. 555.

Wesīre: 1) Esscherīf abulqasim alī ben thirād 357, 16—358, 14 (cf. 352, 15).
2) Nidhām eddīn abu nassr elmodhaffar ben 'alī ben mohammed ben ḡehīr 358, 14—17.
3) Mu'taman eddaula abulqasim alī ben ssadaqa 358, 18—359, 8.
4) 'Aun eddīn abulmodhaffar jahjā ben hobeire († 560) 359, 8—363, 14.

32. **Elmostanḡid billah** abulmodhaffar jūsuf, sein Sohn. 555—
363, 16—364, 7. 566.

Wesīre: 1) Ibn hobeire 364, 8 (cf. 359, 8).
2) Mohammed ben jahjā, dessen Sohn, 364, 10—13.
3) Scheref eddīn abu ḡa'far mohammed ben elbaladī 365, 1—366, 13.

33. **Elmostadhī biamrillah** abu mohammed elhasan, sein 566—
Sohn. 366, 14—17. 575.

3) Abu 'abdallah elberīdī 332, 18—333, 6.

4) Abu isḥaq moḥammed ben ibrahīm eliskāfī 333, 7—13.

5) Abu ǧa'far elkarchī 333, 13 (cf. 329, 14).

6) Elberīdī 333, 14—334, 7 (cf. 332, 18).

7) Abulabbās aḥmed ben obeidallah elissfahānī 334, 8—10.

8) Abulḥosein 'alī ben abu 'alī moḥammed ben moqla 334, 11. 12.

333—334. 22. **Elmostakfī** abulqasim 'abdallah, Sohn des Elmoktafī. († 338) 334, 14—335, 13.

Wesīr: Essāmarrī abulfaraǧ moḥammed ben 'alī 335, 14. Die Bujiden besetzen das Wesīrat.

334—363. 23. **Elmothī' lillah** abulqasim elfadhl, Sohn des Elmoqtadir. († 364) 336, 7—13.

363—381. 24. **Etthāï' liamrillah** elkerīm abu bekr, sein Sohn. 336, 14—337, 3.

381—422. 25. **Elqādir** abulabbās aḥmed, Sohn des Isḥāq ben elmoqtadir 336, 5—10.

422—467. 26. **Elqāïm biamrillah** abu ǧa'far 'abdallah, sein Sohn. 337, 12. 339, 8.

Wesīre: 1) 'Alī ben elḥosein ben aḥmed ben moḥammed ben 'omar ben elmoslime 341, 6—342, 5.

2) Fachr eddaula abu nassr moḥammed ben moḥammed ben ǧehīr († 483), 339, 10—341, 6.

447—590. Herrschaft der **Selǧuqen** 337, 15—339, 8 (cf. 38, 14). Character 337, 16. Ihr Anfang 338, 1. Ihr Ende 339, 7.

467—487. 27. **Elmoqtadī biamrillah** abulqasim abdallah, Sohn des *Eddachīre ben Elqāïm*. 342, 7—343, 4.

Wesīre: 1) Fachr eddaula 343, 5 (cf. 339, 10).

2) 'Amīd eddaula moḥammed, dess. Sohn, 343, 7—18.

3) Abu schoǧā' dhehīr eddīn moḥammed ben elḥosein elhamadānī († 513) 344, 14—346, 4.

487—512. 28. **Elmostadhhir billah** abul'abbās aḥmed, sein Sohn. 346, 6—18.

12) Elhosein ben elqasim ben obeidallah ben soleimān ben wahb 322, 7—323, 12. 320—322.

13) Abulfadhl ğa'far ben elforāt 322, 13. 14.

Herrschaft der **Fathimiden** in Elmaghrib 308, 4—311, 4. Character der Herrschaft 308, 8 ff. Ihr Anfang durch Elmehdi billah 308, 17—309, 11. Ihr Ende 309, 14—310, 6. Ssalāh eddīn 310, 10 ff. 296—567.

19. **Elqāhir** abu manssūr mohammed ben elmo'tadhid, sein Bruder. 323, 16—324, 12. 320—322.

Wesīre: 1) Ibn moqla 324, 13 (cf. 318, 3).

2) Mohammed ben elqasim ben obeidallah b. soleimān ben wahb 324, 14—16.

Herrschaft der **Bujiden** 324, 18—328, 4 (cf. 38, 14). Herkunft 325, 1. Ihr Anfang durch 'Imād eddaula 325, 4 ff. Ihr Ende 327, 18—328, 4. 321—441.

20. **Errādhi billah** abul'abbās mohammed, Sohn des Elmoqtadir. 328, 5—329, 3. 322—329.

Wesīre: 1) Abu 'alī ben moqla 329, 4—6 (cf 324, 13).

2) Abderrahmān ben 'īsā ben dāwud ben elğerrāh 329, 7—14.

3) Abu ğa'far mohammed ben elqasim elkarchī, 329, 14—330, 4.

4) Soleimān ben elhasan ben machlad 330, 4—15. *Ibn rāïq* unbeschränkt: von jetzt an ist es mit dem Chalifate eigentlich aus 330, 12—15.

5) Abulfath elfadhl ben ğa'far ben elforāt 330, 18—331, 18.

6) Soleimān ben elhasan ben machlad 331, 18 (cf. 330, 4).

21. **Elmottaqī lillah** abu ishāq ibrahīm, Sohn des Elmoqtadir (†350) 332, 3—14. 329—333.

Wesīre: 1) Soleimān ben elhasan ben machlad 332, 15 (cf. 331, 18).

2) Abulchair ahmed ben mohammed ben meimūn 332, 16—18.

2) Elhasan ben machlad 297, 16—298, 12.
3) Soleimān ben wahb 298, 2 (cf. 292, 6).
4) Abu ssaqr ismā'īl ben bulbul 298, 14—300, 15.
5) *Ahmed ben ssālih ben schīrsād* elqothrobbolī († 266) 300, 17—301, 5.
6) Obeidallah ben soleimān ben wahb († 288) 301, 6—302, 7. 303, 4.

279—289. 16. **Elmo'tadhid** abulabbās ahmed, Sohn des Elmowaffaq. 302, 9—303, 3.
Wesīre: 1) Obeidallah ben soleimān ben wahb 303, 4. (cf. 301, 6).
2) Elqasim b. 'obeidallah b soleimān 303, 8. 304, 1.

289—295. 17. **Elmoktafī billah** abū mohammed 'alī, sein Sohn. 304, 2—9.
Wesīre: 1) Elqasim ben obeidallah 304, 12 (cf. 303, 8).
2) El'abbās ben elhasan 304, 14—305, 6.

295—320. 18. **Elmoqtadir billah** abulfahdl ǧa'far, Sohn des Elmo'tadhid. 305, 8—308, 4. 311, 5—11.
Abdallah **ben elmo'tass**, der Eintagschalīfe 311, 5—7.
Wesīre: 1. El'abbās ben elhasan 311, 13 (cf. 304, 14).
2) Ibn elforāt Abulhasan 'alī († 312) 311, 15—313, 12.
3) Elchāqānī Abu 'alī mohammed ben obeidallah ben jahjā ben chāqān 313, 13—314, 13.
4) 'Alī ben 'īsā ben elǧerrāh 314, 13—315, 10. 322, 1
5) Hāmid ben el'abbās 315, 11—316, 16.
6) Ibn elforāt 316, 16 (cf. 311, 15).
7) Abulqasim obeidallah ben mohammed ben obeidallah ben jahjā ben chāqān († 312) 316, 17—317, 1.
8) Abul'abbās ahmed ben obeidallah ben ahmed ben elchassīb 317, 2—318, 2.
9) Abu 'alī mohammed ben 'alī ben moqla 318, 3—321, 9. 323, 6. 324, 5 ff.
10) Abulqasim soleimān ben elhasan ben machlad 321, 11—322, 2.
11) Abulqasim obeidallah ben mohammed elkalūdsānī 322, 2—6.

8. **Elmo'tassim** abu ishāq mohammed, sein Bruder. 274, 10— 218—
278, 5 ff. 227.

Wesīre: 1) Elfadhl ben merwān 278, 13—279, 5.

2) Ahmed ben 'ammār ben sādī 279, 6—280, 3.

3) Moh. ben 'abdelmelik essejjāt 280, 4—281, 18.

9. Harūn **elwātsiq**, sein Sohn 282, 2—6. 227—

Wesīr: Moh. ben 'abdelmelik essejjāt 282, 8 (cf. 280, 4). 233.

10. Ga'far **elmotawakkil**, sein Bruder. 282, 11—283, 4. 233—

Wesīre: 1) Moh. ben abdelmelik essejjat (cf. 282,8.) 283,6. 247.

1b) Abulwesīr (ohne den Titel Wesīr) 283, 8.

2) Abu ğa'far mohammed ben elfahdl 283, 10.

3) 'Obeidallah ben jahjā ben chāqān 283,14—284,8.

11. Mohammed **elmontassir**, sein Sohn. 284, 9—285, 3. 247—

Wesīr: Ahmed ben elchassīb 285, 4—13. 248.

12. **Elmosta'īn** ahmed ben mohammed, Enkel Elmo'tassim's. 248—
285, 14—287, 16. 252.

Wesīre: 1) Ahmed ben elchassīb 287, 17 (cf. 285, 13).

2) Abu ssālih 'abdallah ben mohammed b. jesdād
287, 18—288, 5.

Dann hat Elmosta'īn Secretäre, nicht Wesīre. 288, 6. 7.

13. **Elmo'tass** billah abu 'abdallah mohammed, Sohn des 252—
Elmotawakkil. 288, 10—289, 10. 255.

Wesīre: 1) Eliskāfī (Abulfadhl ğa'far ben mohammed) 289,
11—15.

2) Abu mūsā 'īsā b. ferruchān schāh 289, 15—290,5.

3) (Abu ğa'far ahmed ben isrā'īl) Elanbāri 290, 5—12.

4) Eliskāfī 290, 14 (cf. 289, 11.).

14. **Elmohtadī billah** abu abdallah mohammed, Sohn des 255—
Elwātsiq. 291, 1—292, 3. 256.

Wesīre: 1) Eliskāfī 292, 5 (cf. 290, 14).

2) *Abu ejjūb* soleimān b. wahb *b. sa'īd* 292, 6—296, 1.

15. **Elmo'tamid 'alāllah** abulabbās ahmed, Sohn des Elmo- 256—
tawakkil. 296, 3—297, 9. Der eigentliche Regent war sein 279.
Bruder Elmowaffaq 297, 10. 11. 300, 15. 16.

Wesīre: 1) Abulhasan 'obeidallah ben jahjā ben chāqān 297,
12—17 (cf. 283, 14).

2) Abulǧahm (oder auch 'Abderrahmān). 184, 2. vergiftet 184, 4.

3) Chālid ben barmek 184, 7—186, 9.

136—158. 2. Abu ǧa'far **elmanssūr**, sein Bruder. 186, 12—206, 11 ff.

Wesīre (207, 1—4): 1) Chalid ben barmek 186, 9.

2) *Abu ejjūb elmūrijānī* 207, 4—208, 17.

3) *Abulfadhl errabī' ben jūnis* († 170.) 209, 6—212, 1.

158—169. 3. Abu 'abdallah mohammed **elmehdī**, sein Sohn. 212, 13—214, 18. 229, 11.

Wesīre (215, 6. 7): 1) Abu 'obeidallah mo'āwije ben jesār († 170.) 215, 7—218, 8.

2) Abu 'abdallah ja'qūb ben dāwūd († 186.) 218, 12—222, 12.

3) Elfeidh ben abu ssālih († 173) 222, 13—224, 17.

169—170. 4. Mūsā **elhādī**, sein Sohn. 224, 18—228, 11. 236, 3. 4.

Wesīre: 1) Errabī' ben jūnis 228, 18 (cf. 209, 6).

2) Ibrahīm ben dekwān 229, 2—14.

170—193. 5. Harūn **erraschīd**, sein Bruder. 229, 17—234, 11.

Wesīre: 1) Jahjā ben chālid 234, 13 ff.

Die Barmekiden 234, 16—253, 9.

2) Elfadhl ben errabī' 253, 9—17.

193—198. 6. **Elemīn** mohammed ben sobeide, sein Sohn. 254, 1—259, 1.

Wesīr: Elfadhl ben errabī' 259, 2.

198—218. 7. **Elmamūn** 'abdallah, sein Bruder. 259, 4—264, 15.

Wesīre (265, 1—3): Elfahdl ben sahl dsū errijāsatein († 202.) 265, 4—266, 16.

2) Elhasan ben sahl, dessen Bruder († 286). 266, 17—268, 16.

3) Ahmed ben abū chālid der Schielende († 210). 268, 17—270, 7.

4) Ahmed ben jūsuf ben elqasim 270, 8—271, 18.

5) Abū 'abbād tsābit ben jahjā ben jesār 272, 1—273, 2.

6) Abu 'abdallah mohammed ben jesdād ben soweid 273, 2—274, 9.

getödtet, 156, 13 ff. — 158, 9. Die Emissäre der Abbäsiden in den östlichen Ländern 158, 9. Sieg über die Türken in Mäweräannahar 158, 11.

11. **Elwelīd**, Sohn des Jesīd, 158, 12. Hischām will ihn von der 125—
Nachfolge ausschliessen, 158, 16. Character 158, 12—15. 159, 126.
17. Wegen anstössigen Lebenswandel ermordet 159, 16.

12. **Jesīd**, Sohn des Elwelīd ben abdelmelik 160, 5. hiess auch 126.
الناقص 160, 6. 155, 11. 12. Seine Rede nach der Huldigung 160, 8 ff. Die Omajjaden fangen an zu sinken, Emissäre der Abbäsiden 161, 7. 8.

13. **Ibrahīm**, sein Bruder, 161, 10. schwach. Nach 70 Tagen abge- 126.
setzt von Merwān ben mohammed 161, 15 ff.

14. **Merwān**, Sohn des *Mohammed ben merwān*, 161, 18; hiess 126—
auch الجعدى und الحمار 161, 1. 2. Aufstand des 'Abdallah b. 132.
mo'āwije b. abdallah ben ğa'far b. abu thālib, 162, 6. *Abu moslim* tödtet ihn, 163, 2; ist Emissär der Abbāsiden, 163, 7. 164, 8 ff. Merwān im Nachtheil 171, 15 ff. durch Abdallah ben 'alī 172, 18. 173, 2—174, 11. Seine Flucht nach der Schlacht beim *Essāb* 173, 5. 174, 12 ff. Sein Ende 175, 1—8. 162, 4.

Allgemeines über die Abbāsiden, 163, 5 — 167, 18. 176, 2 — 177, 10. *Abu moslim*, 163, 8 ff. Anfang ihrer Herrschaft 168, 1 — 175, 13. Mohammed ben 'alī, 168, 11. Abu hāschim 'abdallah, dessen Sohn, 168, 15. Der Imām Ibrahīm, 169, 8. 171, 1. 172, 3. Emissäre, 169, 9. Die einzelnen Provinzen 169, 9—15. Die schwarze Fahne 169, 15. Abu moslim's Wirken 169, 18 ff. Essaffāh und Elmanssūr 172, 4. Jenem von Abū moslim gehuldigt 172, 14.

III. Herrschaft der Abbäsiden 176, 1 — 390. 132—
(cf. 35, 2. 37, 8 ff. 164, 13.) 656.

1. **Essaffāh** (Vollständig: Abul'abbās 'abdallah ben mohammed ben 132—
'ali ben 'abdallah ben el'abbās ben 'abdelmotthalib.) 177, 11. 136.
Wesīre: Im Allgemeinen über Wesīr 179, 13—181, 2.
1) Hafss ben soleimān *abū selmā*, genannt الخلال
181, 3 ff. getödtet 183, 5. 13—17.

theidigt 143, 2. — Das Heer kehrt auf die Nachricht seines Todes um. Er stirbt, nach einer Regierung von $3^1/_2$ Jahren. 143, 2. 138, 5.

64. 3. **Mo'āwije,** Sohn Jesīd's 143, 3. Jung, schwach. Stirbt, vielleicht vergiftet, nach 40 Tagen. 143, 4—9.

64— 4. **Merwān,** Sohn *Elhakem's* 143, 10. Die Regentenwahl schwankt
65. Anfangs. Schon bejahrt 143, 16. Hiess auch: Sohn des Verbannten 143, 17 und Sohn der Esserqā 144, 4. Verheirathet mit Omm chālid, Gattin des Jesīd 144, 7. Aufstand der Kufaner 144, 17. Ihr Anführer Soleimān ben ssurad 145, 6. — Elmochtār ben 'obeid fordert auf, dem Mohammed Sohn 'Alī's zu huldigen 145, 7: er fällt durch Moss'ab 146, 4. — Merwān nicht allgemein anerkannt 145, 10—14. Er stirbt 146, 5, von seiner Frau erstickt 144, 12, nach einer Regierung von etwas über 9 Monate 144, 14.

65— 5. **'Abdelmelik,** Sohn Merwān's, 146, 6. Character 146, 7 ff.
86. 149, 1. Elhaǧǧāǧ ben jūsuf 146, 11. Moss'ab getödtet 146, 12. 147, 18—148, 14. und 'Abdallah ben essobeir 146, 11. 147, 5—147, 16. Entlässt seine Frau 'Ātike 148, 6. 156, 5. Kenner der Dichter 149, 11. Sein Tod 150, 6 ff. 151, 8. Seine Söhne Elwelīd und Hischām 150, 12. 15. Sein Bruder 'Abdel'asīs 150, 18—151, 8.

86— 6. **Elwelīd,** Sohn des 'Abdelmelik 151, 9. Character 151, 9 ff.
96. Baut die Hauptmoschee von Dimaschq und Elmedīna und die Moschee Elaqssā 151, 10 und sonstige Gebäude, 13—15. Andalusien, Kāschghar, Indien erobert 151, 13. Ungebildet 152, 2—10.

96— 7. **Soleimān,** sein Bruder, 152, 11. Character 152, 12. 14. 151,
99. 16. Gebildet 152, 5. Den Weibern ergeben 151, 16. Stirbt 153, 2. Will eigentlich einen seiner Söhne zum Nachfolger 153, 10.

99— 8. **Omar ben abdel'asīs,** Enkel des Merwān, 153, 9. 13. Cha-
101. racter 154, 1. 151, 17. 18. 154, 3. 9. Von den Dichtern gelobt, 154, 12. Sein Tod, 155, 13.

101— 9. **Jesīd,** Sohn des Abdelmelik 155, 15. Leichtsinnig: seine Ge-
105. liebten Habbābe und Sellāme 155, 16. Stirbt 156, 8.

105— 10. **Hischām,** sein Bruder, 156, 9. Abu hāschim 'abdallah b. mo-
125. hammed wird vergiftet 168, 17 ff. Seid ben 'alī ben elhosein

4. **Ali ben abu thâlib** wird Chalife 103, 7. Verdacht, dass er an 35—
'Otsmân's Tode Schuld sei 104, 4. 6. 105, 4. Essobeir, Thalha 40.
und 'Âïsche gegen ihn 104, 2 ff. Kameelschlacht 107. Alî siegt 107, 3. 'Âïsche nach Elbassra geschickt, geht dann nach Mekka und Elmedîna 107, 15. 108, 3. 7—109, 2. Mo'âwije ben abû sofjân soll huldigen 109, 5. Beräth sich mit 'Amr ben el'âss 109, 15. Zusammentreffen des Mo'âwije und 'Ali in Ssiffîn 110, 6 ff. Die Schiedsrichter 'Amr ben el'âss und Abu mûsa 111, 14. Die Entscheidung in Daumet elĝandel durch 'Amr, 'Alî abgesetzt 112, 10—114, 7. Treffen bei Ennahruwân 116, 5. 'Alî in Elkûfe 116, 1 ff. 'Alî's Tod durch Ibn molĝam 121, 5 ff.—123, 14. — Ursache des Mordes 123, 16. Seine Verdienste um die Abbâsiden 263, 12—15. 'Âïsche überlebt ihn 124, 17. Elhasan, sein Sohn, nach des Vaters Tode gehuldigt, dankt alsbald ab 125, 3, und geht nach Elmedîna.

II. Herrschaft der Omajjaden, S. 125—175. 40—
(cf. 34, 16. 168, 8.) 132.

1. **Mo'âwije,** *Abu sofjân* 125, 6. Seine Mutter *Hind* 125, 13— 40—
126, 16. Beiname: Sohn der Leberfresserin 126, 1. Tüchtiger 60.
Regent: 129, 8. 130, 17. 131, 8. 136, 8—137, 9. Sein Character 126, 16 ff. 127, 13. 131, 8. 'Amr ben el'âss und sein Verhältniss zu ihm: 128, 10. 12 ff. — 129, 8. Seine Verordnungen 129, 10. Einrichtung der Post 129, 14., des Dîwân elchâtem 130, 6, der erst mitten unter den Abbâsiden abkam. Sein Stiefbruder Sijâd 133, 1—134, 17. 135, 16—18. Dessen Character 136, 2. Er stirbt und vermahnt seinen Sohn Jesîd 136, 5 ff.

2. **Jesîd,** sein Sohn 137, 10. Sein frivoler Character ib. ff. Tödtet 60—
den Elhosein, Sohn 'Alî's, am Tage 'Âschûrâ 138, 9—141, 2. 64.
(Sein Vetter Moslim ben 'aqîl 139, 11—17. Die Kufaner 139, 9 ff. Elwelîd ben 'otba 139, 1. Ibn sijâd schickt ein Heer gegen Elhosein; er kämpft und fällt 140, 9—16).
Aufstand und Plünderung Elmedîna's durch Moslim ben 'oqba (erhält den Beinamen *mosrif* 142, 11) 141, 5—142, 11. Schickt ein Heer gegen Mekka 142, 12, das Abdallah ben essobeir ver-

dallah aus Baghdād. Er war geboren 519 (=1125), und starb 584 (=1188). Ibn Chall. No. 691.

Heiss-beiss: p. 355. Vollständig: Abulfewāris schihāb eddīn sa'd ben mohammed. Er starb 574 (=1179). Ein seiner reinen Sprache wegen besonders geschätzter Dichter, der oft citirt wird. Ibn Chall. p. 286.

Abū ǵa'far mohammed ben abū thālib: p. 372. Er lebte um 610 (=1213), und war Polizeidirector von Elbassra.

Mowaffaq eddīn elqasim ben abulhadīd: p. 379. Geheimsecretär, um 620 (=1223).

Kemāl eddīn haidara ben 'obeidallah elbūqī elhoseini: p. 87. 389. Lebt um 650 (=1252). War Lobdichter des Bedr eddīn lūlū. Er war aus Mosul gebürtig.

Elkebūsch: p. 21. Aus Baghdād gebürtig. Lebt um 670 (=1271).

II. Inhaltsübersicht
des zweiten Theiles des Werkes, S. 88—390.

12—40. I. Herrschaft der 4 ersten Chalifen, 88—124. (cf. 33, 14.)

12—13. 1. **Abu bekr** 89, 1. Moseileme und Siǵāh 90, 14. Eroberung Syriens 91, 17. Chālid ben elwelīd Feldherr 91, 14. Plan gegen Persien 94, 12 ff. Stirbt 92, 4. 117, 7—12.

13—23. 2. **'Omar ben elchatthāb** 92, 5. Dimaschq erobert 92, 16. Abu 'obeide ben elǵerrāh Feldherr 92, 6. Eroberung Persiens 93, 1. Sa'd ben abu waqqāss gegen Rustum 94, 2. 96, 9. Schlacht bei Elqādisijje 94, 9. 99, 6 f.; bei Ǧalūlā 99, 10. Gründung der Stadt Elkūfe 100, 4. Jesdeǵird getödtet 100, 17. Einrichtung der Kanzleien 101, 4. Stirbt durch Abū lūlūa 117, 13 ff.

23—35. 3. **Otsmān ben affān's** Regierung nicht besonders behandelt 103, 6. Die Regentenwahl bei Omar's Tode 118, 2 ff. Otsmān gewählt 119, 2. Sein Character 119. 'Alī's und Elhasan's Verdienste um ihn 120, 1. 7. Hausschlacht 121, 4. Getödtet 120, 9—16. Sein Begräbniss 120, 18 f.

Mihjār: p. 80. Sein vollständiger Name: Abulhasan mihjār b. mersaweih der Deilemite. Er starb 428 (= 1036), ein ziemlich oft angeführter Dichter. Früher Magier, bekehrte er sich zum Islām durch seinen Lehrer, den Scherīf Erridhā abulhasan den Mūsawiten. Elbācharsi in seiner Sammlung Domjat elqassr thut seiner rühmend Erwähnung. Ibn Chall. ed. Wüstenf. Nr. 765.

Elbācharsi: p. 86. Vollständig heisst er: Abulhasan 'ali ben elhasan, aus Bāchars bei Nīsābūr. Er wurde 467 (= 1075) ermordet. Ein in Vers und Prosa ausgezeichneter Schriftsteller: er stand später der Kanzelei der Sendschreiben vor. Am bekanntesten durch seine Gedichtsammlung Domjat elqassr, eine Fortsetzung der Jetīme des Ettseālibī. Ibn Chall. p. 501.

Ibn elhabbārijje: p. 343. 354. Vollständiger: Abū ja'lā mohammed ben ssālih der Scherif. Er starb 504 (= 1110). Ibn Chall.

Elharīrī: p. 17. Vollständig: Abū mohammed elqāsim ben 'alī. Er starb 516 (= 1122), 70 Jahre alt, in Elbassra. Als Verfasser der Maqāmen, Dichter und Grammatiker vielgefeiert. Ibn Challikān p. 586 f. — Die ebenfalls p. 17 angeführten Badī'ischen Maqāmen rühren von seinem Vorbilde in dieser Gattung, Abulfadhl ahmed ben elhosein elhamadāni, genannt Badī' essemān (cf. Ibn Chall. p. 56 u. Jetīme IV, Cap. 5). Der auf p. 344 angeführte „Sohn" des Elharīrī ist, glaube ich, nicht richtig: er ist vielmehr wol selbst gemeint, und dies steht aus Nachlässigkeit im Text, wie bei spätern Schriftstellern öfter. Dann ist dort, Zeile 9, auszusprechen صاحِبُ. —

Emīn eddaula ben ettelmīds: p. 68. Arzt des Sultans Mas'ūd ben mohammed des Selǧūqen, lebt um 530 (= 1136).

Elarraǧānī: p. 354. Vollständig: Abū bekr ahmed ben mohammed, mit dem Beinamen Nāssih eddīn. Er starb 544 (= 1149), 64 Jahre alt. Ein fruchtbarer, angesehener, vielcitirter Dichter. — Ibn Chall. p. 69 f.

Sadīd eddaula ben elanbārī: p. 352. Secretär. Er starb 549 (= 1154), 74 Jahre alt.

Ibn etteāwīdsī: p. 367. Vollständig: Abulfath mohammed ben 'obei-

Werk „Buch der Gesänge“, Kitābelaghānī, an dem er 50 Jahre gearbeitet hatte. — Sein Leben ist oft beschrieben: statt anderer Belege verweise ich auf Kosegarten, liber cantilenarum, I, p. 194 ff.

Abu firās: p. 233. 261. Vollständig: Elhārits ben abul'alā der Hamdānide, Vetter des Emīr's Seif eddaula. Seine Klagelieder von Konstantinopel aus, wo er längere Zeit gefangen sass, sind besonders berühmt (S. meine Poesie etc. der Araber, S. 44). Er starb im J. 357 (=968), 36 Jahre alt. Ibn Chall. p. 186. Ettseālibi's Jetīme I, 3. Capitel. — Sein Diwān enthält etwa 3000 Verse.

Mohammed ben hāni: p. 165. Seine Kunje ist: Abulhasan, auch Abulqasim. Er heisst Elmaghrebī, weil er im „Westen“ geboren war, und Elandalusī, weil er Spanier war, nämlich aus Sevilla. Er starb, 36 Jahre alt, im J. 362 (=973). Zeitgenosse des Elmotenebbi stand er als Dichter in der Meinung des Arabischen Abendlandes eben so hoch da, wie jener im Morgenlande. Sein Diwān, ungefähr 4000 Verse, enthält meist längere Qassīden. — Obiger Vers ist aus einem Lobgedicht auf seinen Gönner, den General Ḡauhar, zum Abschied bei seinem Auszug nach Aegypten. — Ibn Challikān, und Diwān des Dichters. — Er ist zu unterscheiden von Abu nowās: beide heissen Ibn hānī.

Esssābī: p. 77. Heisst vollständig: Abū ishāq ibrahīm b. hilāl aus Harrān. Er starb 384 (=994), 70 Jahre alt. Ein vielgerühmter, oft citirter Dichter, auch besonders durch seine Sendschreiben ausgezeichnet. Er war Sabäer und wollte auch trotz des Versprechens des 'Īss eddaula, ihn zum Wesīr zu machen, wenn er Moslim würde, nicht den Islām annehmen. Ibn Chall. p. 17. Ettseālibi's Jetīme II, 3. Capit. Seine Liebeslieder, Weinlieder, und Beschreibungen stehen in besonderem Ansehen, doch zeichnen sich auch seine Lobgedichte, sein Selbstlob, seine Spott- und Klagelieder und seine Gelegenheitsgedichte aus.

Esscherīf erridhā: p. 155. 308. Sein eigentlicher Name war Abulhasan Mohammed. Er starb 406 (=1015), 47 Jahre alt. Ein sehr häufig citirter Dichter. Ettseālibi's Jetīme fol. 251[a] (langer Artikel über ihn. Buch II, Cap. 10). Ibn Chall. p. 742.

thauk, den er verhöhnt hatte, liess ihn umbringen. Ibn Chall. 258. Kitābelaghānī.

Ibn errūmī: p. 8. 82. 287. 299. 300. Sein vollständiger Name: Abulhasan 'alī b. el'abbās b. ǧoreih, gewöhnlich genannt Ibn errūmī. Er starb 283 (=896), etwa 60 Jahre alt, nach Einigen jedoch 284 oder 276. Er war ein fruchtbarer Dichter, ausgezeichnet besonders im Liebeslied, Lob- und Spottgedichten, und in Beschreibungen. Ibn eletsīr unter dem J. 283; Tarīch Baghdād p. 140 (Cod. Paris.), und Ibn Challikān p. 487 ff.

Ibn elmo'tass: p. 303. Vollständig: Abulabbās 'abdallah. Er starb, noch nicht 50 Jahre alt, im J. 296 (=908). Dieser eintägige (und deshalb nicht mitgerechnete) Chalīfe (s. p. 311, 5 ff.) nimmt als Dichter und Gelehrter einen bedeutenden Rang ein. — Ibn Chall. p. 363.

'Obeidallah ben 'abdallah ben thāhir: p. 322. Stirbt 300 (=913), 77 Jahre alt. — Ibn Chall. p. 382.

Abulghaits elhosein ben manssūr elhallāǧ: p. 306. 307. Getödtet 309 (=922). Vgl. auch den Artikel bei Ibn Chall. p. 216.

Ǧahdha: p. 323. Sein vollständiger Name: Abulhasan ahmed ben ǧa'far elbarmekī. Er starb zu Wāsith, etwa 100 Jahre alt, im J. 326 (=937). — Ibn Chall. p. 59.

Koschāǧim: p. 176. Sein ganzer Name: Abulfath Mahmūd ben elhosein. Er starb um 350 (=961). Er ist besonders seiner Beschreibungen wegen bekannt und oft citirt.

Ibn elfadhl: p. 340. Er lebte um 350 (=961).

Elmotenebbi: p. 5. 10. 13. 52. Vollständig: Abutthajjib ahmed ben elhosein. Einer der am öftesten citirten Dichter, dessen Lebensbeschreibungen sehr zahlreich sind. Er starb nach vielbewegtem Leben (im J. 359, nach dem Tarīch Baghdād, was aber nicht richtig ist, vielmehr) im J. 354, etwas über 50 Jahre alt. Ibn Chall. p. 51 ff. Tarīch Baghd. Ettseālibi's Jetīme I, 2. und 5. Capitel (s. Dieterici, Mutanabbi und Seif eddaula), u. s. w.

Abulfaraǧ elissfahānī: p. 334. Vollständig: Ali ben elhosein. Er starb 356 (=967), 72 Jahre alt. Als Dichter und Gelehrter vielgerühmt, am bekanntesten durch sein litteraturgeschichtliches

er 208 (=823). Seine Gedichte sind zum Theil verloren gegangen, weil einst sein Râwî (der seine Gedichte vortrug), auf ihn erzürnt, ihm sein Gedichtbuch wegriss und ins Wasser warf; erhalten haben sich meist nur Lobgedichte, in sofern sie in den Händen der Besungenen befindlich, und einige kleinere Lieder, die die Leute in El'irâq auswendig wussten. — Ibn Challikân hat keinen besonderen Artikel über ihn. — Kitâbelaghânî.

Elghâlibi: p. 272. Lebt um 210 (=825).

Abul'atâhijje: p. 215. 230. Hiess vollständig: Abu ishâq ismâ'îl ben elqasim. Er war in Elkûfe gross geworden, wo er eine Zeit lang Sackträger, dann Thonwaarenverkäufer war, wohnte dann in Baghdâd in grossem Wohlstande, stand in Verkehr mit den Ausgezeichnetsten seiner Zeitgenossen, wie Abû nowâs, Wâlibe ben elhobâb, Moslim b. elwelîd, und war einer der vorzüglichsten und angesehensten Dichter. Früher weltlichen Dingen ergeben hatte er Lob-, Liebes- und Spottlieder gemacht; später ward er fromm und dichtete Buss- und Entsagungslieder und Mahnworte und Sprüche, wie er selbst sagt, in mehr als 20,000 Versen. Er starb 213 (=828), über 80 Jahre alt. — Kitâbelagh.; Tarîch Baghdâd. — Ibn Ch. p. 104.

Abu temmâm: p. 276. Vollständig: Habîb ben aus Etthâî. Er starb 231 (=845). Als Dichter einer der ausgezeichnetsten seiner Zeit, bekannter aber als Sammler der Elhamâsa (p. 17). Sein Leben oft beschrieben. Ibn Chall. p. 177. Vgl. Freytag's Hamasa, Lat. Uebers. I, p. I.

Di'bil: p. 23. 272. Abu 'alî mohammed di'bil ben 'alî der Chosâ'ite. Er starb 246 (=860), fast 100 Jahre alt. Er war besonders Satiriker, und stand bei Elmamûn in grosser Gunst, den er ebensowenig wie die Wesîre und sonstigen Grossen, von denen er Wohlthaten empfangen, mit seinem Spott verschonte. Er war mit dem Dichter Moslim ben elwelîd befreundet, aber sie entzweiten sich später gänzlich. Nach dem Urtheile des Elbohtorî übertraf er denselben. Elmo'tassim hasste ihn und wollte ihn tödten lassen, er entfloh aber nach Elgebel. Mâlik ben

Vor die Fronte der Schwadron hin, schwarz und starr, wie unbelebt,
Gleich als wäre sie ein Rock nur, der aus Ross und Speer gewebt.
Wie der Zeit in ew'gem Wechsel Nichts auf Erden sich entzieht,
So verfällt ihm, wen er freundlich, und wer feindlich ihn ansieht.
Lebewohl, o Welt, auf ewig, wann nicht ihr mehr, Barmek's Spross,
Früh noch spät hienieden wandelt, und das Grab auf Euch sich schloss!
Heller strahlt, durch Jahjā's Walten, nun der Ordnung rechte Bahn,
Und es darf vor keinem Lande Furcht sich meinem Herrn mehr nahn.

Schaden wird es dem Gedicht nicht, dass von Ḡarwal es nicht rührt,
Dass es von Soheir und Ka'b nicht und Sijād den Namen führt:
Nimm es hin als eine Edle, von des Dichters Hand gereicht,
Die, so schwer auch Bande drücken, dir verbunden gern sich neigt;
Ein Gedicht in rechtem Maasse, nach Chalīl und nach Qothrob,
Wie es mir bei Fürsten einbringt reichen Lohn und schönes Lob.

Moslim ben elwelīd: p. 265. Seine Kunje war: Abulwelīd, sein Laqab: صريع الغوانى den Frauen erliegend. Er war mit Di'bil befreundet, der seine Meisterschaft anerkannte: sie brachen aber mit einander, weil dieser sich von ihm beleidigt glaubte. Mit Abū nowās lebte er auf gespanntem Fuss: wenn der Eine in einer Gesellschaft war, blieb der Andere fort. Einst aber kamen sie denn doch zusammen, recitirten sich gegenseitig von ihren Gedichten, und schieden mit Achtung von einander. — Er ist der grösste Dichter nach mir, sagte Abū nowās. Er ist der grösste Dichter, dann komme ich, sagte Moslim. — Er hat sich in vielen Poesiegattungen versucht, und besonders werden seine Trinklieder gerühmt: er komme darin dem Abū nowās nahe. Die Zartheit und Neuheit seiner Ideen wird an ihm gelobt: Abu temmām habe sich vielfach nach ihm gerichtet. Er stand bei Jesīd ben mesīd, einem angesehenen und reichen Manne und Dichterfreund, in besonderer Gunst, zerfiel aber später mit ihm; ebenso bei dem Wesīr Elfadhl b. sahl: dieser bekleidete ihn mit dem Posten eines Bagatellrichters und Postmeisters in Ḡergān: dort starb

XLVIII

Uebersetzung.

Unglücksstätte! Einsturz drohend wankt das Zelt, auf dir gebaut —
Ich bin schuldlos: denn in Liebe blieb ich stets dir treu und traut.
Wenn der Wolke Guss dort strömet und die Winde wirbelnd wehn —
O verzeih! nicht ich gab preis dich, nein nicht mein ist das Vergehn!
Listen sinn' ich, keine find' ich, abzuwehren dir das Leid:
Und was geb' ich, wenn So'ād mich drob befragt, ihr zum Bescheid?
Ist dein Vorhof, einst so fröhlich, einsam jetzt in tiefem Schmerz —
Schoss doch mir, vom Schicksalsbogen, tief den Pfeil die Zeit ins Herz!
Tauschtest du für deine Güte nichts als Harm und Weh dir ein,
War mein Tausch für Schlafeslabsal Unruh nur und Leidenspein.

Traun! ich sattle mir ein Reitthier, hochgebaut und rasch im Gang,
Das sich selbst zur Eile spornet, nicht bedarf des Führers Sang,
Schnell wie Wind, so lang er wehet, doch, sobald er stürmend braust,
Seinen ambossart'gen Kopf rührt und den Hals, und blitzschnell saust.
Ha, wie fliegen in der Wüste Stein' auf Steine, Knall auf Fall,
Und wie stürzt es sich ins Thalbett, gleich des Frātes Wogenschwall!

Doch wozu denn dies Beeifern, mich zu nahen dem Emir? —
Dass er mir vom Halse schaffe all das kriechende Gethier!
Er, ein Jüngling — nicht die Weinlust schlucket seiner Güter Kern,
Aber Wohlthat, unablässig, spendet gern er nah und fern.
Andre schenken, aber karger, und es trifft ihn drob ihr Neid,
Dass er Edles thut und mehr noch immerdar zu thun bereit.
Zu der Pforte seines Hauses siehst du Schaaren ziehn in Hast
Und so rührig, wie die Beine von Ameis' und Heuschreck fast.
Manches Mal, da wird ein Armer plötzlich dort ein reicher Mann,
Manchmal wird ein stolzer Nacken mit der Sichel abgethan.
Und durch seiner Wohlthat Fülle wird Ma'add so reich beschert,
Weit vor Himjar, dass es auswärts und daheim nichts mehr entbehrt.
Wenn wie erster Schein des Frühroths der ist, den das Glück anlacht,
Sind wir Glanz bei Wetterleuchten oder in Gewitternacht.
Umgeschnallt den scharfen Degen, schleppend an dem Bandelier,
Tritt Elfadhl, der Sohn des Jahjā, Chālid's Enkel, der Emir,

وَإِنْ كُنْتَ قد بُدِّلْتَ بُؤْسًا بِنِعْمَةٍ فَقَدْ بُدِّلَتْ عَيْنِي قَذًى بِرُقَادِ

سَأَرْحَلُ مِنْ قُودِ المَطَايَا شِمِلَّةً مُسَخَّرَةً لا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي

مَعَ الرِّيحِ ما هَبَّتْ فَإِنْ هِيَ أَعْصَفَتْ نَهُوزٌ بِرَأْسٍ كَالْعَلَاةِ وَهَادِي

فَكَمْ حَطَمَتْ مِنْ جَنْدَلٍ بِمَفَازَةٍ وخاضَتْ كَتَيَّارِ الفُرَاتِ بِوَادِي

وَمَا ذَاكَ فِي جَنْبِ الأَمِيرِ وَزَوْرِهِ لِيَعْدِلَ مِنْ عَيْشِي مَذَبَّ قُرَادِ

فَتًى لا تَلُوكُ الخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلٰكِنْ أَيَادٍ عُوَّدٌ وَبَوَادِي

رَأَيْتُ لِفَضْلٍ فى السَّمَاحَةِ هِمَّةً أَطَالَتْ بِرَغْمٍ غَيْظَ كُلِّ جَوَادِ

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمُ رِجْلًا دَبًا وَجَرَادِ

فَيَوْمًا لِإِلْحَاقِ الفَقِيرِ بِذِى الغِنَى وَيَوْمًا رِقَابٌ بُوكِرَتْ بِحَصَادِ

فَأَغْنَتْ أَيَادِيهِ مَعَدًّا وَأَشْرَفَتْ عَلَى حِمْيَرٍ فى دَارِهَا وَمُرَادِ

وَكُنَّا إِذَا مَا ٱلْحَائِنُ الجَدِّ غَرَّهُ سَنَا بَرْقِ غَاوٍ او ضَجِيجُ رُعَادِ

تَرَدَّى لَهُ الفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَاضِي الظُّبَا يَزْهَاهُ طُولُ نِجَادِ

أَمَامَ خَمِيسٍ أُرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَنًى وَجِيَادِ

فَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يُسْقَى بِهِ وَيُعَادِي

سَلَامٌ على الدُّنْيَا اذا ما فُقِدْتُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي

بِتَدْبِيرِ يَحْيَى أَشْرَقَتْ سُبُلُ الهُدَى وَآمَنَ رَبِّي خَوْفَ كُلِّ بِلَادِ

فَمَا ضَرَّهَا أَلَّا تَكُونَ لِجَرْوَلٍ وَلَا لِزُهَيْرٍ وَٱبْنِهِ وَزِيَادِ

فَدُونَكَهَا يَا فَضْلُ مِنِّي كَرِيمَةً ثَنَتْ لَكَ عِطْفًا بَعْدَ عِزِّ قِيَادِ

خَلِيلِيَّةٌ فى وَزْنِهَا قُطْرُبِيَّةٌ نَظَائِرُهَا عِنْدَ المُلُوكِ عَتَادِي

erklärt wird. Er war sehr menschenfeindlich und bissig. Ibn Ch. p. 130. Kitābelagh.

Abulhaul: p. 240. Er lebt um 170 (=786). Den eigentlichen Namen des Dichters kann ich jetzt nicht ausfindig machen.

Abulaswad elhammāni: p. 223. Lebt um 170 (=786).

Merwān b. abū hafssa: p. 240. Sein Vater hiess 'Otsmān. Er war bei den Abbāsiden sehr beliebt, erhielt von ihnen fast für jeden Vers seiner Lobgedichte 1000 Dirhems, wurde sehr wohlhabend dadurch, war aber überaus geizig. Er starb 181 (= 797), nachdem er die letzten 17 Jahre seines Lebens am Chalifenhofe zugebracht hatte. Seine Kunje war Abussimth. — Kitābelaghāni. Ibn Chall. ed. Wüstenf. Nr. 726.

Abū nowās: p. 23. 235. 253. 267. Sein vollständiger Name: Abū 'alī elhasan b. hānī, genannt Abu nowās, auch ziemlich oft: elhakamī. Er starb 195 oder 196 (=811), etwa 50 Jahre alt. Kitābelagh. Ibn Chall. p. 199 ff. Er war im Weinliede, auch im Liebesliede, ausgezeichnet, und gilt, zumal in diesen Beziehungen, als der grösste Dichter seiner Zeit. Da ich eine grössere Arbeit über ihn zu veröffentlichen gedenke, die nicht bloss sein interessantes Leben darstellen, sondern auch seine sämmtlichen Gedichte enthalten wird, so lasse ich hier alles Weitere bei Seite, und gebe nur das p. 235 mit einem Verse citirte Gedicht auf Elfadhl ben jahjā, das bisweilen als nur 18 Verse enthaltend, in der Berliner und Wiener Handschrift des Abū nowās aber mit 23 Versen, aufgeführt wird. Ibn reschīq, in seinem Buche El'omde, tadelt den Dichter, des Gedichtanfanges wegen, als ungeschliffen. Man vergleiche meine Poesie etc. der Araber, S. 77.

قال ابو نواس — الطويل

أَرَبْعَ البِلَى إِنَّ الخُشُوعَ لَبادٍ عَلَيْكَ وَإِنِّي لم أَخُنْكَ وِدادِي

فَمَعْذِرَةً مِنِّي عَلَيْكَ بِأَنْ تُرِي رَهِينَةَ أَرْواحٍ وَصَوْبِ غَوادِي

ولا أَدْرَؤُ الضَرّاء عَنْكَ بِحِيلَةٍ فما أَنَا فِيهَا قايِلٌ لِسُعادِ

فَإِنْ كُنْتَ مَهْجُورَ الفِنَا لَبِمَا رَمَتْ يَدُ الدَهْرِ عَنْ قَوْسِ المَنُونِ فُؤادِي

يَـا ٱبْنَ عَمِّ النَّبِيِّ انت ضِيَاءٌ ٱسْتَبَنَّا بِــكَ اليَقِينَ الجَلِيَّا
بَطَنَ البُغْضُ فى القَدِيمِ وَأَضْحَى ثَــابِتًـا فِي قُلُوبِهِمْ مَطْوِيًّـا

Abulabbās antwortete sofort darauf: (البسيط)

أَحْيَى الضَّغَايِنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ يَبِيدَ وِلِــلْآبَــاءِ أَبْنَــاءُ

und liess die anwesenden Omajjaden umbringen.

Die auf S. 178, 5 ff. folgenden Verse werden gleichfalls dem Sodeif zugeschrieben, nebst folgenden dahin gehörigen: nach Vers 1:

بِــالصُّدورِ المُقَدَّمِين قَدِيمًــا والرُّؤوسِ القَمَــاقِمِ الرواسِى
يَــا امين المُطَهَّرِين من الذ مِّ ويا راسَ مُنْتَهِى كلِ راسِ
أَنْتَ مَهْدِىُّ هاشِمٍ وهُداهــا كَمْ أُناسٍ رَجَوك بَعْدَ إِيَاسِ

In Vers 4 ist für كَجِّ besser zu lesen كَحَزِّ. —

Nach Vers 4:

أَقْصِهِمْ أَيُّهَا الخليفةُ وَٱحْسِمْ عَنْكَ بالسَّيْفِ شَأْفَةَ الأَرْجاسِ

Nach Vers 8:

نِعْمَ عَبْدُ الهِرَاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا أَمَدٌ مِنْ حبايِــلِ الإِفْلَاسِ

Ibn hobeibāt: p. 208, 17. Aus Elkūfa gebürtig, lebt um 150 (=767).

Besschār: p. 219. Vollständig: Abu me'āds besschār ben bord. Ein fruchtbarer, vielcitirter Dichter, der für seinen ihm vielfach schuldgegebenen Unglauben todtgeprügelt wurde, im J. 167 (=783), in einem Alter von mehr als 90 Jahren. Er war von Jugend auf blind und sehr hässlich. Er gehört zu den Beidlebigen (المحضرمون) der beiden Dynastien, Omajjaden und Abbāsiden, empfing von beiden kostbare Geschenke, und war schon unter jenen seiner Lob- und Spottgedichte wegen berühmt, wie er denn auch schon von seinem 10. Jahre an Gedichte gemacht hatte. Sein Laqab ist: المُرَعَّث, welches Wort hier verschieden

Abū 'alī elhasan b. 'alī ben ssadaqa: p. 352. Er stirbt 522 (= 1128).

'Aun eddīn abulmodhaffar jahjā ben hobeire: p. 363. Er stirbt 560 (= 1165).

'Iss eddīn Mohammed ben jahjā b. hobeire: p. 364. Lebt um 560 (= 1165).

Die übrigen angeführten Dichter:

Imruolqais: p. 47. Er gilt als der grösste der vorislämischen Dichter. (S. meine Poesie der Arab. S. 10). Die angeführten Verse stehen in der Ausgabe von Mac G. de Slane I. Ged. v. 52. 53.

Ennābigha: p. 59. Dies ist der vorislāmische Dichter, mit dem Beinamen *Eddsobjāni* (zu unterscheiden von Ennābigha *elǵa'dī*): er zählt zu den grössten Dichtern des Arab. Alterthums: s. meine Poesie etc. p. 11. 12. Diese Verse stehen im 1. Gedichte seines Diwāns, v. 24. 25.

Kotsajjir 'assa: p. 148. 154. Heisst vollständig: Abu ssachr kotsajjir ben abderrahmān. Er starb im J. 105 (= 723). Wegen seiner Liebe zu 'Assa wurde ihm der Name derselben hinzugesetzt. Er war ein gefeierter Dichter, obgleich nicht in demselben Range mit Elferesdaq, Ǵerīr und Elachthal, seinen Zeitgenossen. Ibn Chall. p. 605. Kitābelagh. — Vgl. in meinem Buche Chalef elahmar p. 431.

Elferesdaq: p. 140. Vollständig: Abu firās hammām. Zeitgenosse und Nebenbuhler des Ǵerīr und Elachthal. Er starb im J. 110 (= 728), etwa 100 Jahre alt. Kitābelagh.

Elhamāsī: p. 76. Der in der Hamāse angeführte Dichter ist: Rabī'a ben 'āmir ben anīf eddārimī, mit dem Beinamen Miskīn. Zeitgenosse und verfeindet mit Elferesdaq. Kitābelagh. Die Verse stehen in der Hamāse p. 498.

Sodeif: p. 177. Sein Vater Meimūn heirathete eine Magd aus Chosā'a, die ihm den Sodeif gebar. Er gehörte zu den Hiǵāsischen Dichtern und hat nur einige Gedichte gemacht. Er lebte um 130 (= 747) unter den Omajjaden und auch noch unter den Abbāsiden. — Zu den angeführten Versen gehören noch folgende 2 (das Gedicht ist übrigens sonst noch länger):

und glaube, dass eine solche Uebersicht von besonderem Nutzen und Interesse auch für diejenigen sein wird, die sich nicht mit der Sprache, sondern nur mit der Geschichte beschäftigen. Zuvor werde ich jedoch die angeführten Dichter kurz besprechen, besonders deshalb, weil litteraturgeschichtliche Bücher oder Handschriften nicht Allen zur Hand sind; ich werde auch hier die chronologische Folge innehalten, dabei jedoch die Paar Chalīfen und Wesīre, die als Dichter angeführt sind, zusammenstellen.

I. Die angeführten Dichter.

Chalifen, von denen Verse angeführt sind:

Essaffāh: p. 179.
Jesīd, p. 137.
Elwelīd ben jesīd: p. 159.
Elmehdī: p. 213.
(Amr, Vertrauter Elmehdī's: p. 212.)

Wesīre, von denen Verse angeführt sind:

Ahmed ben jūsuf ben elqasim: p. 271. Lebt um 210 (=825).
Abu abdallah mohammed ben jesdād ben soweid: p. 274. Lebt um 210 (=825).
Mohammed ben abdelmelik essejjāt: p. 281. Getödtet von Elmotawakkil um 240 (=854).
Abū ejjūb soleimān ben wahb: p. 294. 295. Lebt um 256 (=870).
Elhasan ben sahl: p. 268. Er stirbt 286 (=899).
Abū 'alī mohammed ben 'alī ben moqla: p. 319. 320. 331. Getödtet um 325 (=937) von Errādhi billah. Besonders bekannt als Schönschreiber. (Sein Leben p. 318—321). In der Jetīme sind einige Verse von ihm aufgeführt, fol 245[a].
'Amīd eddaula mohammed (ben mohammed) ben ğehīr: p. 343. Er lebte um 460 (=1068).
Abū schogā' dhahīr eddīn mohammed ben elhosein elhamadāni: p. 345. Stirbt 513 (=1119).

Er muss ferner verschwiegen sein und sein Geheimniss nicht an eine Menge mittheilen. Er kann es Einem anvertrauen: denn kommt es aus, so weiss er von wem; er theile es aber nicht einer grossen Anzahl mit; oder hat er ja das Bedürfniss danach, so vertraue er es jedem einzeln an, das ist besser. Nachdenken und Abwarten ist bei Angebereien und Verleumdungen durchaus nöthig, wenn man nicht Schaden davon haben will. Ob ein mächtiger aber ungerechter König, oder ein schwacher aber gerechter Fürst besser sei, streiten Manche: man kann aber für jenes anführen, dass bei ihm die Unterthanen, vor andern Feinden geschützt, nur von Einem Böses zu leiden haben, während sie im andern Falle den Unbilden Aller, ausser des Einen, preisgegeben seien. Es ist besser, dass die Unterthanen den König, als dass der König die Unterthanen fürchte.

Einen Feind, und sei er auch winzig, darf er nicht gering achten, und die ihm Nahestehenden müssen dessen Bedeutung nicht zu klein darstellen. — Nicht dem ersten besten Einfall soll er sich hingeben, sondern abzuwarten ist weise: denn guter Rath kommt über Nacht. „Plötzlicher Einfall ist nur flackerndes Feuer, reife Ueberlegung aber ein Feuer, das gar kocht.“ Unverständig ist, sich auf etwas einzulassen, aus dem man schwer herauskommen kann; lieber gar nicht darauf eingehen!

Besonders wichtig für den König ist die Wahl der Gesandten: denn wie der Bote, so der Herr; der Gesandte muss klug und zuverlässig und treu und unbestechlich sein. Was ihn endlich besonders ziert, ist das Austheilen von Wohlthaten an die Vornehmsten seiner Unterthanen: sie werden ihm dadurch zugethan, und es ist gleichsam, als gehörten sie mit zu seinem Gefolge und bildeten zusammen nur eine Familie.

Dann beginnt der zweite Theil des Werkes, die specielle Geschichte enthaltend. Ich habe nicht die Absicht, denselben im Auszuge zu geben oder zu erläutern; so nützlich dies in mancher Beziehung sein möchte, würde es doch den Umfang dieses Buches zu sehr erweitern; ich will vielmehr nur ein Inhaltsverzeichniss desselben geben, allerdings nicht in alphabetischer, sondern in chronologischer Form,

Gegen seine Feinde muss der König freundlich sein: er thue ihnen wohl, so gewinnt er sie, beharren sie jedoch auf ihrer Gesinnung gegen ihn, so steht ihm dann Gott bei. Es gibt aber zweierlei Feinde: solche die du beleidigst und solche die dich beleidigen. Vor jenen nimm dich in Acht, vor diesen fürchte dich nicht sonderlich. Man kann von den Feinden oft mehr Nutzen haben, als von den Freunden: diese beschönigen oft Fehler und bestärken sie, jene aber machen auf dieselben aufmerksam und nöthigen, ihnen abzuhelfen.

Auf Nichts pflegen die Könige erpichter zu sein, als auf Jagdlust. Sie bietet allerdings manche Vortheile: sie härtet ab, macht gewandt in kriegerischen Uebungen, man lernt die Natur der Pferde genauer kennen, sie hilft zur Verdauung und fördert die Gesundheit, auch schmeckt kein Fleisch besser als Jagdfleisch, und es fallen dabei allerlei hübsche Erlebnisse vor. —

Vor einem Könige darf man sich nicht auf Beschreibung von Essen und Trinken und Schilderung der Weiber einlassen: das ist Zeichen der Gemeinheit. Die Leitung der Regierung ist schwieriger als die Regierung selbst, wie die Leitung des Dienstes schwerer ist als der Dienst selbst. Aber ob auch das Regieren drückt, muss der Herrscher doch geduldig sein. Um für vortrefflich zu gelten, muss er fähig für Kenntnisse sein, richtige Urtheilsgabe besitzen, Wissen von dem, was in der Welt passirt, sich angeignet haben, den Feinden zu schmeicheln wissen, sein Geheimniss verbergen können, von den Verständigen seinen Verstand bereichern, in schwierigen Fällen klar, und bei entgegengesetzten Meinungen planvoll sein. Auf Besonnenheit ruht das Staatsgebäude: so muss der Ernst den Scherz beherrschen, die Einsicht die Leidenschaft bezwingen, und darf der Herrscher nicht ohne Erwägung, nach blossem Wohlgefallen, von Zorn verblendet, handeln. Er muss seine Augen auf sich selbst richten und sich selbst erforschen, damit die Menschen nicht besser, als er selbst, seine Fehler erkennen; auch muss er die Unterthanen durch sein Beispiel veredeln zu guter Gesittung und sie im Handeln und Denken zu sich emporziehen; auch muss er Vorbedacht üben und nicht warten, bis die Nothwendigkeit ihn zu etwas zwingt. Die Herrschaft besteht durch Besonnenheit und Ernst, sie hört auf, sobald man spasst.

Schlägen auskommen kann. Das Richtige hier zu treffen, dazu gehört freilich feiner Tact. Er muss besonders Anstand nehmen, Jemand zu tödten: denn er kann nicht wieder in's Leben zurückrufen; er stelle sich vor der Reue sicher, die erfolgen würde; wenn er jedoch nicht umhin kann zu tödten, so geschehe dies kurzweg, ohne absonderliche Todesart, und ohne dass er sich an der Hinrichtung weide. Er darf nicht glauben, dass er sich den Schein der Characterstärke, Entschiedenheit, kräftiger Regierung gibt, wenn er mit dem Befehl zu Hinrichtungen leicht bei der Hand ist; er bedenke sich wohl, ehe er diesen Schritt thut: aber er vergesse auch nicht, dass es besser ist, Einen zu tödten als hernach fünf, und fünf, als hernach hundert. Ebenso gut aber, und insofern er dabei sich vor Reue sichert, sogar besser ist, statt zu tödten, die Leute in tiefe Keller zu werfen. Ueberhaupt muss der König auf die Art der Strafen besonders aufmerksam sein, und mit dem Feuertode strafen darf er nicht: das steht bloss Gott zu.

Unleidlich muss es ihm sein, die Zeit mit Lüsten und Leichtsinn zu vertändeln: denn das stürzt ihn in Unglück und schwächt seine Macht. Versprechungen darf er nicht brechen, und muss Gutes ebenso wie Böses vergelten, damit man auf ihn hoffe und ihn fürchte. Auf das Gepränge der Herrschaft, auf Schätze und Kleinodien darf er sich nichts einbilden: denn das sind „Schnurrpfeifereien“ ohne Wesenheit, auf die kein Vortrefflicher Acht gibt. Auch Ahnenstolz geziemt sich nicht: nur auf die Vorzüge, die er sich selbst erworben, auf die Eigenschaften, die er an sich vervollkommnet, auf die Bildung, die er sich angeeignet, auf die Mittel, die er sich verschafft hat, darf er stolz sein.

Fünferlei gibt es zu regieren: den Wohnplatz, den Flecken, die Stadt, das Heer, das Reich. Wer das eine davon gut regieren kann, braucht darum auch das andere nicht gut regieren zu können: manche Könige sind tüchtige Regenten, ohne doch ihr eigenes Haus regieren zu können. Das Schwert und die Feder sind die Werkzeuge der Regierung, jenes schirmt gegen äussere Feinde, diese dient zur Ordnung der inneren Angelegenheiten; welches von beiden aber vortrefflicher sei, darüber lässt sich streiten; jedenfalls ist Tapferkeit die Herrin des Reichs.

Zu seinen Pflichten gehört: durch Tapferkeit die Hauptstadt zu beschützen und die Sicherheit des Reiches im Innern und gegen äussere Feinde zu wahren; Milde und Duldsamkeit auch gegen Böse zu üben; Gerechtigkeit gegen Hohe und Niedere, Dankbarkeit gegen Gott für seine Bevorzugung und Gebet zu ihm, etwa in dieser Weise:

O Gott, ich begebe mich gegen dich meiner Macht und Stärke, und flüchte mich in den Bereich deiner Macht und Stärke. Ich preise dich, dass du mich hervorgerufen aus dem Nichts, und bevorzugt hast vor den Meisten des Volkes, und in meine Hand die Zügel deiner Geschöpfe gelegt, und mich zu deinem Stellvertreter gesetzt hast über deine Erde. O Gott, so fasse meine Hand in Drangsalen, und decke mir auf das Wesen der Dinge, und fördere mich zu dem, was dir lieb ist, und hüte mich vor Fehltritten, und nimm nicht von mir die Decke deiner Wohlthat, und beschirme mich vor den Schlägen des Unglücks, und wehre mir ab die List der Neider und die Schadenfreude der Gegner, und gnade mir in allen meinen Handlungen, und breite über mich deine Flügel von allen Seiten!

Er muss ferner die Besten seines Volkes ehren und auszeichnen, darf aber nie seiner Würde durch Verkehr mit Gemeinen und dummen Menschen vergeben, denn das untergräbt seine Achtung, während jenes sie hebt: er muss hohem Ziele nachstreben, den Regierungsgeschäften ergeben, und nicht dem Vergnügen und dem Wohlleben; ehrenvoller Tod ist schöner als unrühmliches Leben. Er muss ferner seine Leute richtig zu wählen wissen, und darf der Liebe nicht zu stark fröhnen, noch gar Weiber in ernsten Dingen zu Rathe ziehen, es sei denn, dass er grade das Entgegengesetzte thun wolle.

Für jede Art Unterthanen gehört eine Art Regierung: die Vortrefflichsten werden durch edles Wesen und sanfte Zurechtweisung, die Mittelmässigen durch Anspornen und Einschüchtern, die Gemeinen durch Einschüchterung und Zwang regiert. Der König steht zu den Unterthanen, wie der Arzt zum Kranken; dieser richtet die Arzenei nach dem Temperament ein: so muss auch der König nicht drohen, wo die Stirn zu runzeln genügt, nicht einkerkern, wo Drohen ausreicht, nicht schlagen, wo Gefängniss bessert, nicht tödten, wo er mit

kann; Herrschertalent: es hindert Blutvergiessen und hält den Schatz beisammen, schützt die Angehörigen, hält das Böse fern und rottet die Bösen aus; ferner Worthalten: das gibt Vertrauen und beschwichtigt die Geister; endlich Aufmerksamkeit auch in kleineren und tiefer liegenden Dingen, und Vergeltung je nach Verdienst.

Dies sind 10 Haupteigenschaften. Der König muss aber ferner nicht auf seiner Meinung bestehen, sondern um Rath fragen und Rath befolgen von denen, die ihm nahe stehen und an denen er Einsicht bemerkt; er darf nicht glauben, er stehe dafür zu hoch; ja es heisst: besser ist es, dass man sich Rathes erhole und fehle, als dass man das Rechte thue auf seine eigene Faust. Der König muss einen zuverlässigen Rathgeber haben.

Dem Könige steht Manches zu, was den Unterthanen abgeht. Mag er etwas, so mögen es die Leute auch; hasst er etwas, so hassen sie es auch; steht sein Sinn wonach, so begehren auch sie danach, sei es wirklich, sei es zum Schein, um sich ihm angenehm zu machen. Zu seinen Vorrechten gehört ferner, dass der Umgang mit ihm stolz und hochmüthig macht, und dass seine Ungnade ebenso niederdrückt, wie seine Gnade emporhebt.

Zu den Eigenschaften, die er nicht haben muss, gehört Zürnen: er kann ja seinen Willen durchsetzen; Lügen: wenn er etwas nicht will, kann Keiner ihn zwingen; Geizen: er braucht die Armuth weniger fürchten, als irgend Einer; Barschheit: er kann ja die Schlechtigkeit bestrafen; Schwören in der Rede: wenn Einer schwört, so oft er etwas sagt, so hapert es irgendwo mit ihm, und da soll ihm der Schwur aushelfen; Jähzorn: er würde Reue fühlen, wenn dieselbe nicht mehr nützt; Aengstlichkeit, Ueberdruss, Missmuth.

Der König hat ferner Rechte und Pflichten seinen Unterthanen gegenüber.

Zu seinen Rechten gehört der Gehorsam des Volkes: auf ihm beruht das Gedeihen des Staates, die Wohlfahrt des Einzelnen, die Handhabung der Gerechtigkeit; dass man ihn und die Seinen hochhalte, ihm aufrichtig rathe, ihn nicht verleumde: denn selbst wenn die Fürsten schlecht handeln, so sind sie bloss ein Werkzeug, womit Gott sich rächt: darum muss man Gottes Rache nicht mit Entrüstung, sondern in Demuth hinnehmen.

gespannt hat. Ich denke, es wird nicht unzweckmässig sein, diesen Abschnitt (mit Beiseitelassung der Beispiele) im Auszuge wiederzugeben.

Es kommt hier darauf an zu zeigen, welche Eigenschaft und Bildung ein Regent haben müsse, um seine Unterthanen und sein Reich gut zu regieren und einen löblichen Wandel zu führen.

Ein trefflicher König muss gewisse Eigenschaften haben, und gewisse nicht. Zu den Eigenschaften, die er haben muss, gehört der Verstand: er ist die Wurzel aller übrigen; ferner Gerechtigkeit: sie ist die Quelle des Wohlstandes und bessert die Menschen; ein ungläubiger aber gerechter Fürst ist besser, als ein gläubiger aber ungerechter. Dann Gelehrsamkeit: sie ist die Frucht des Verstandes, gibt Einsicht in das Für und Wider einer Sache, behütet vor Fehlgriffen, und ziert in den Augen von Hoch und Niedrig. Freilich ist darunter aber nicht verstanden, dass sich der König schwierige Fragen ausdenken und in entlegene Wissensgebiete sich versenken solle, noch dass er darin den eigentlichen Gelehrten gleichstehen müsse. Man kann sehr gelehrt sein, ohne sich doch selbst beherrschen zu können; man kann aber auch Laie im Wissen sein, und doch Urtheil und Geschmack und Freude daran haben. Die Wissenschaften sind bei verschiedenen Völkern verschieden gepflegt: die Perserkönige gaben viel auf Sprüche, letztwillige Verordnungen, Schöngeisterei, Geschichte, Mathematik; die Chalifen auf Sprachkenntniss, Poesie und Geschichte; die Mongolen auf exacte Wissenschaften und Astrologie. — Dahin gehört ferner die Gottesfurcht, die Wurzel alles Guten und der Schlüssel alles Segens; dann Versöhnlichkeit: sie gewinnt Zuneigung und bessert; nicht aber, wie Einige behaupten, Barschheit: denn die stösst ab und entfremdet, und doch kann der König nichts erreichen als mit herzlicher Zuneigung seiner Unterthanen, und würde sich nur sein Leben verbittern, ja seine Herrschaft wie sein Leben gefährden; denn die Menschen sind von Glas: geht man nicht sacht damit um, so zerbricht's. Ferner der Edelsinn: er gewinnt die Herzen, erzielt sich guten Rath und macht die Hohen zu Dienern; der Respect: er hält die Ordnung aufrecht und hindert, dass die Unterthanen sich zu viel herausnehmen, obgleich darin leicht zu weit gegangen werden

er hasst und verachtet, er liebt und ehrt, je nach Verdienst, er tritt mit seinem Urtheil vor uns, er legt seine Kritik da an, wo ihm Wahres und Falsches Hand in Hand entgegenkommen, er unterscheidet im Ganzen zwischen Wichtigem und Unwichtigem, er achtet nicht der Scheide der Jahre um die Erzählung zu unterbrechen, sondern stellt im Zusammenhange das Zusammengehörige dar, und kehrt sich nur an die grösseren Abschnitte des Regierungswechsels. Einförmig und langweilig sind die meisten Arabischen Geschichtswerke: ihre abgerissenen Einzelnheiten ermüden und erdrücken, und hindern den Ueberblick über das Ganze zu gewinnen; er dagegen ist überall anziehend und spannend, weil er die Einzelnheiten zu einem Gesammtgemälde verarbeitet, das weder durch Ueberladung das Auge ermüdet noch durch zu kurze Behandlung leer lässt. Von einem Vorwurfe kann ich ihn dagegen nicht freisprechen, nämlich den, dass er die Begebenheiten nicht gleichmässig darstellt, sondern sich theils in anmuthiger Ausführlichkeit gefällt, theils blosse Andeutungen gibt. Für die 28 Jahre der 4 ersten Chalifen verwendet er 37 Seiten, für die 92 Jahre der Omajjaden 51, für die 524 Jahre der Abbâsiden nur 215 Seiten, und von diesen verwendet er über 100 Seiten auf die ersten 100 Jahre, so dass für deren letzte 424 Jahre kaum mehr als 100 Seiten übrig bleiben — ein Uebelstand, den man nicht wegreden kann und der, zusammengestellt mit seiner oftmaligen Bemerkung oder stillen Andeutung, es sei nichts besonderes Erwähnenswerthes vorgefallen, in Zeiten, da eben Alles im Fallen begriffen war — zeigt, dass selbst ihm die wahre Aufgabe des Geschichtschreibers nicht klar geworden sei.

Den philosophischen Standpunkt, den der Verfasser einnimmt, lernen wir sofort in dem ersten Theile kennen, den wir kurzweg Regentenspiegel nennen könnten. Es ist ein interessanter, durch viele Beispiele aus der Geschichte verlebendigter Abschnitt, in dem der Verfasser die Summe seiner politischen Grundsätze niedergelegt hat, speciell freilich zu dem Zwecke geschrieben, um dem Fürsten, dem er das Buch gewidmet, das Ideal eines Herrschers vorzuführen. Dieser Theil hat in mancher Hinsicht Aehnlichkeit mit der Einleitung des Ibn *chaldûn*: wiewol dieser seinen Rahmen viel weiter

Niemand abstreiten *). So wenig umfangreich das Buch ist, gibt es doch eine Menge schätzbarer Notizen, die man sonstwo nicht findet und an deren Zuverlässigkeit man nicht zweifeln kann. Von besonderem Interesse ist die Aufführung der einzelnen Wesīre des jedesmaligen Chalifen: eine Zusammenstellung, die für das Verständniss ihrer Zeit von grossem Werth ist.

Der Eindruck, den man bei der Lesung seines Werkes sofort erhält, ist ganz verschieden von demjenigen, den man von den meisten anderen Arabischen Geschichtswerken mitnimmt. Aus ihm weht uns ein philosophischer Geist an, der das Einzelne in seinem Gesammtverhältniss zu erfassen strebt, und der sich in Gruppirung und Charakterisirung ganzer Zeiträume gefällt, während wir bei der Mehrzahl der übrigen nur Einzelnheiten, und deshalb Unvollständiges, nur Notizen, aber bei denen das Gesammtbild fehlt, erhalten. Sie leiten uns mühsam an der Hand der Jahre durch die Ereignisse, reissen den Faden ab, um ihn nachher wieder aufzunehmen, führen Einzelnheiten genau an, und erwähnen sorgfältig ihre Gewährsmänner — aber es scheint bei ihnen, als ob der Zusammenhang den Begebenheiten mangle, und die Kritiklosigkeit, mit der sie Wahres und Falsches zu einander gesellen, weil sie Alles, was sie über eine Person ober Thatsache wissen, vorbringen wollen, und die starre Objectivität, mit der sie interesselos und kalt den Ereignissen zusehen, macht das Lesen ihrer geschichtlichen Werke nicht eben angenehm. Anders dagegen bei Ibn etthiqthaqā, der in der Geschichte allerdings eine „Lehrerin des Lebens" sieht, und an den Thatsachen, die er vorführt, an den Personen, die er schildert, ein warnendes oder erhebendes Beispiel aufzustellen vorhat. Er ist mit ganzem Gemüth bei den Begebenheiten, die er beschreibt, er versetzt sich in die Zeiten, die ihn grade beschäftigen,

*) Er verweist öfter auf etwas, das er später besprechen werde, oder schon besprochen habe: er ist darin sehr sorgfältig, und es kommt nirgends vor, dass er dergleichen unterlassen hätte. Ein geringfügiges Versehen ist, dass er S. 336, 10 den Chalifen Elmothī' billāh الطايع nennt. Irrthum ist es aber, dass er den Chalifen Errādhi billāh S. 328, 6 Sohn des Elmo'tadhid und Bruder des Elqāhir nennt: er ist, wie er ihn auch selbst S. 332 nennt, Sohn des Elmoqtadir und Neffe des Elqāhir.

in Wort und Werk: denn er ist der Walter aller Wohlthat und der Spender jeder guten Gabe!

So weit die Einleitung.

Der Verfasser spricht also, wie wir sehen, die Grundsätze, die ihn leiten sollen, bestimmt aus: es sind Wahrheit und Klarheit, die ihm als Aufgabe des Geschichtschreibers vorschweben, und das aufrichtige Streben, in beiden Beziehungen die Aufgabe zu lösen, lässt sich nirgends in seinem Werke verkennen. Klar und anmuthig fliesst überall seine Sprache, dunkle Redensarten, schwülstige Einkleidung des Sinnes vermeidet er überall, und, was sich von sehr wenigen Arabischen Geschichtschreibern behaupten lässt, wird von ihm Jeder leicht einräumen: dass er die Gabe hübscher Darstellung und die Kunst, die Aufmerksamkeit seiner Leser zu fesseln, im hohen Grade besitze. Minder Wichtiges kürzend oder bei Seite lassend, Zustände und Personen durch eingestreute Anekdoten und kurze Bemerkungen schildernd oder bei bedeutenderen Anlässen ausführlicher darstellend, durch eingewebte Verse angenehme Abwechselung bietend, reisst er unwillkürlich den Leser mit sich fort, und gibt, bei in Ganzem knapper Darstellung, ein besseres Bild der Zeit als sich aus manchem weitschichtigen Werke gewinnen lässt. Auch seiner Wahrheitsliebe kann man keinen Makel anhängen. Für die Aliden freilich begeistert und im Lichte dieser Begeisterung eine Menge Thatsachen anders beurtheilend, als eine grosse Anzahl anderer Schriftsteller seines Volkes, ist doch auch das nicht zu übersehen, dass sein Urtheil in mancher Beziehung, und namentlich von einem theologischen Standpunct, sich entschuldigen, wenn nicht gar rechtfertigen lässt. Wenn er gefehlt hat in Auffassung von Zeitverhältnissen und in Würdigung von Persönlichkeiten, so hat er es im guten Glauben und im Streben, das Rechte zu erkennen und die Wahrheit zu sagen, gethan. Und dass er überall nicht ins Gelag hinein schreibt, sondern mit Bedacht und Sorgfalt nach den besten Quellen gearbeitet, dass er auf kleinem Raume eine Menge wichtiger und interessanter Thatsachen zusammengedrängt, dass er, wo man die Benutzung früherer Schriftsteller controliren kann, wie die des Ibn eletsîr, zuverlässig berichtet, wird ihm

als in diesem Buch steht — wie dürfte er also den geringsten Theil davon auslassen. Wenn man dies Buch gerecht beurtheilt, so ist es nützlicher als die Hamāsa, welche die Kinder auswendig zu lernen angehalten werden. Denn aus der Hamāsa gewinnt man nur den Antrieb zur Tapferkeit und Gastlichkeit und etwas weniges von Bildung und Vertrautheit mit der poetischen Manier. Aus diesem Buche aber gewinnt man, ausser dem Erwähnten, auch die Grundsätze der Regierung und die Mittel der Herrschaft. In ihm ist also enthalten, was in der Hamāsa steht, nicht aber umgekehrt. Es kräftigt aber auch ferner den Verstand, schärft den Geist, erleuchtet die Einsicht, und was die Feile dem Stahl, ist dieses Buch dem Verstande. Es ist aber auch nützlicher als die Maqāmāt, die so vielen Beifall haben: aus denen man zwar vortrefflichen Stil, aber auch allerlei Kniffe und Ränke lernen kann, die hochfliegendes Streben schwächen: so dass sie also, was sie von einer Seite her nützen, von der andern schaden. Deshalb wenden sich auch Manche zu dem Werke Nehğ elbelāghe (Strasse der Beredsamkeit), woraus sich Sprüche, Mahnungen, Anreden, Frömmigkeit, Tapferkeit, Entsagung, Hoheit der Bestrebung, Wohlredenheit und Beredtsamkeit lernen lässt. Andere wenden sich zu dem Buche des El'otbī, das betitelt ist: Eljemīnī, einem beredten Werke, dessen Verfasser, wenn nicht grade ein Zauberer, doch ein trefflicher Schriftsteller ist, und von dem die Perser eifrige Enthusiasten sind.

Vielleicht aber sagt man: „er hat schon übergenug sein Buch beschrieben, und seinen Ränzel vollgepackt nach Belieben“, und: „ein Jeder ist vernarrt in sein Kind und sein Lied“; wer denn Zweifel hegt, der betrachte die Bücher dieser Gattung: vielleicht wird er alsdann unter ihnen keines finden, das in dem angegebenen Sinne mehr enthielte, als dies Werk.

Von Gottes des Höchsten Huld aber erbitte ich, er wolle diesem Buche zweierlei nicht versagen: das eine betrifft mich und ist dies, dass es Ihm (dem es gewidmet ist) willkommen sein möge und ich mich seiner nicht zu schämen brauche; das andere aber geht Ihn an, und ist dies, dass er es Ihm nicht möge unerspriesslich sein lassen

und nicht haben müsse, und welche Rechte und Pflichten ihm oblägen. In dem zweiten Theile spreche er über jedes der grösseren islämischen Reiche einzeln: zuerst von der Herrschaft der 4 ersten Nachfolger des Propheten, dann von den Omajjaden, dann von den Abbäsiden, und dazwischen, in kurzem Abrisse, von den Bûjiden, Selgûqen und Fäthimiden. Herrschaft für Herrschaft gebe er eine allgemeine Charakteristik derselben, wie er sie aus dem Studium der Geschichte gewonnen, spreche von ihrem Anfang und Ende, und von dem Interessantesten, was sich mit ihnen begeben, und gehe dann einzeln ihre Fürsten und die Begebenheiten ihrer Regierung durch. Hinter jedem Chalifen werde er dessen Wesīre einzeln aufführen und was aus deren Leben ihm besonders merkwürdig scheine, erwähnen, er werde auch, wo es ihm zweckmässig scheine, eine Stelle aus dem Qorān oder der Ueberlieferung oder aus Dichtern, bisweilen auch eine Anekdote, einflechten, und in dieser Weise bis zu Ende der Abbäsiden-Herrschaft fortfahren.

An zweierlei habe ich mich dabei gebunden, fährt er fort: erstens, dass ich mich nur auf die Seite des Rechtes stelle und nicht anders als mit Unparteilichkeit rede, und dass ich den Sultan der Vorliebe absetze, und mich der Oberhoheit des Vaterlandes und der Heimat entziehe, und mich als fremd und ausserhalb ihnen stehend ansehe; und zweitens, dass ich die Gedanken deutlich ausdrücke, wie es sich für das Verständniss passt, damit ein Jeder Nutzen davon habe, und dass ich mich hüte vor gesuchten Ausdrücken, mit denen man seine Wohlredenheit und Redefertigkeit an den Tag zu legen sucht. Dergleichen Bücher, wie der Qānūn (Kanon) des Ibn Sīnā brächten ihrer Dunkelheit wegen nicht vielen Nutzen. Dies Buch dagegen, heisst es weiter, braucht, wer das Volk regieren und seine Angelegenheiten leiten will. Und wenn die Leute gerecht gegen dasselbe sind, so werden sie es ihre Kinder auswendig lernen lassen, und sie anhalten, sich die Gedanken desselben anzueignen, nachdem sie dies zuvor auch selbst gethan. Hat doch der Kleine es nicht mehr nöthig als der Grosse, und der mächtige König nicht mehr als der kleine Fürst, und die Regierungsbeamten nicht mehr als die Gebildeten. Denn wer sich den Königen gesellen, mit ihnen verkehren und plaudern will, bedarf mehr

Bibliothek Leuten in die Hände fiel, denen der politische Standpunct des Verfassers durchaus missfällig war, und die daher das Werk, zu kostbar freilich, um es zu vernichten, für sich in engem Gewahrsam hielten. Es könnte sich das Buch, ohne dass also Abschrift davon genommen worden, in einer Familie vererbt haben und absichtlich weiter Keinem zur Kenntniss gebracht worden sein, und dann später, als die Entbildung in jenen Gegenden immer mehr um sich griff, in der sicheren Haft irgend einer der fürstlichen Bibliotheken dort, die zu durchforschen es an Lust und Kenntnissen gebrach, unbeachtet vergessen sein. Ich sage mit Absicht, einer Bibliothek: denn das Buch ist bis auf das erste Blatt und an einer Stelle in der Mitte wohl erhalten, und kann daher nicht unter Schutt und Trödel und Spinngewebe die Stürme der Jahrhunderte überdauert haben. So würde sich auch erklären, weshalb das Werk nirgends erwähnt und von demselben weiter keine Abschrift genommen worden ist.

Gehen wir nun zur Betrachtung des Werkes selbst über! Dasselbe besteht aus der Einleitung S. 3—18, dem allgemeinen Theil S. 19—88, und dem speciellen Theil S. 88—390. In der Einleitung sagt er, dass auf Besseres die den Fürsten nahe Stehenden ihr Augenmerk nicht richten können als auf die Wissenschaft, über deren Trefflichkeit kein Zweifel sein dürfe und von der es in der Ueberlieferung heisse: die Engel breiten ihre Flügel über den, der die Wissenschaft sucht. Einen besseren Genossen als ein Buch gebe es nicht, denn es sei nie falsch oder verdrossen, und verrathe nimmer ein Geheimniss. Der erhabenste Platz in der Welt sei auf feurigem Ross, und der trauteste Geselle auf Erden ein Buch. Wissen schmücke die Könige mehr als die Unterthanen, und wenn der König weise sei, so sei der Weise König. Aber was den Fürsten am meisten zu wissen gezieme, das sei die Kenntniss der Geschichte, damit sie Einsicht in den Lauf der Welt und in die Führung der Geschäfte erhielten. — Dann erzählt er seine Reise nach Tebrīs, den Aufenthalt in Mosul, die Abfassung des Buches, und kommt dann auf den Plan zu sprechen, den er im ersten und zweiten Theile desselben befolgen werde. Im ersten werde er von den Regierungsgrundsätzen sprechen: wodurch sich der König von den Unterthanen unterscheiden, welche Eigenschaften er haben

tung stützt —: es war das eben Sitte der damaligen Zeit. Wie, wenn er den Beinamen Fachr eddīn getragen, und deshalb sein Werk Elfachrī genannt hätte? Wollte er doch nicht dem Prinzen ein Denkmal setzen, sondern sich selbst ein Andenken bei demselben sichern, (S. 14, 5), und legte deshalb in diesem Werke seine geschichtliche Ansicht, seine politischen Grundsätze, als Richtschnur für den Fürsten (S. 18, 18) nieder! Mit Recht konnte er daher dies sein eigenstes Werk das Fachritische nennen: er durfte sicher sein, subjectiv ausgeprägt wie es war, dass man des Verfassers dabei gedenken werde.

Für alle Zeit gedenken werde — das mochte der Verfasser hoffen; denn nützlicher sei es als die Hamāsa und die Maqāmāt, und als viele andere dunkel geschriebene Werke, die in Jedermanns Hand seien (S. 17 ff.). Und dennoch — habent sua fata libelli! das Buch ist spurlos dahin gegangen, der Name des Verfassers wie verschollen, seine Hoffnung auf Unsterblichkeit ihm Jahrhunderte lang getäuscht.

Woher rührt dies? Ich kann diese Frage nur mit einer Vermuthung beantworten, die mir allerdings ziemlich gewiss zu sein scheint. Auf der Rückseite des letzten Blattes im Manuscript ist von mehreren Händen bemerkt, es sei im J. 822 und 824 (= 1421) gelesen. Die Voraussetzung also, dass die dem Prinzen überreichte Abschrift des Werkes in den stürmischen Zeiten, die folgten, mit dessen Bibliothek vernichtet sei, ohne weiter bekannt geworden zu sein, und dass die uns bekannte einzige Handschrift desselben das eigene Exemplar des Verfassers sei, ist nicht gerechtfertigt. Diese Handschrift vielmehr ist das sauber für den Fürsten abgeschriebene, von der Hand des Verfassers selbst durchcorrigirte Exemplar; er hat es, wie er selbst sagt (s. oben S. XV) in der Zeit seines Aufenthaltes in Mosul abschreiben lassen, natürlich doch nur für den Fürsten. Die Urschrift also ist verloren, die Abschrift aber erhalten*), und durch die Hände mehrerer Leser gegangen, die ihre Bemerkungen hineingeschrieben haben. Sehr möglich nun, dass diese Abschrift aus der fürstlichen

*) Dass wir die Abschrift, und nicht das Original, in der Handschrift vor uns haben, beweist sich schon einfach dadurch, dass daselbst fol. 214a oben $1\frac{1}{2}$ Zeilen stehen, die schon 213b unten vorgekommen sind. Ich habe dieselben im Text natürlich ohne Weiteres fortgelassen.

schaft besonders befriedigt sei, S. 385, 12. Mit dieser Dynastie lasse sich keine vergleichen: weder die Omajjaden, noch die Abbâsiden, deren Unterthanen nie überall gehorcht, unter denen vielmehr stets Schwäche, Zwiespalt, Unordnung obgewaltet, noch die Fâthimiden oder Selǧûqen kämen ihnen im Entferntesten gleich (S. 167, 4. 31. 33. 38, 3.). Allerdings ist dies Lob nicht ungegründet: sie waren Gönner gelehrter Männer und Freunde praktischer Wissenschaft, die für das gesellige und besonders staatliche Leben von Belang sein konnte (S. 22, 9—11); und sein Urtheil ist nicht etwa blosse Lobhudelei, die feige genug ist, dem jedesmaligen Sieger Weihrauch zu streuen. Allein hauptsächlich ist doch wol auch hier der obige Standpunct bestimmend: waren die Aliden einmal um die Herrschaft betrogen — nun, so gefiel ihm die Mongolenregierung besser als die früheren, da dieselbe den Aliden zugethan war — Hulâgû z. B. liess Pfeile nach Baghdâd schiessen, auf denen stand: „die Qâdhis, Gelehrten, Scheiche, **Aliden**, Kaufleute und Alle, welche gegen uns nicht die Waffen ergriffen haben, sollen Pardon erhalten", Râschid eddîn I, 282 — und da er in ihnen die Schicksalsrächer seiner Ahnen sah.

Diesen politischen und verwandtschaftlichen Standpunct also immer festhaltend, schrieb Mohammed ben 'ali Ibn etthiqthaqâ, aus der Fülle geschichtlicher Kenntnisse und dem Schatz eigener Erlebnisse und selbständigen Urtheils, sein Geschichtswerk, dem er den Titel **Elfachrî** gab, und dessen Inhalt und Form wir alsbald genauer ins Auge fassen werden. Dieser Titel ist, nach der Meinung des H. Reinaud (s. den Artikel des H. Beauvois), dem Buche deshalb gegeben, weil es jenem Fürsten von Mosul, 'Isâ ben ibrahîm, gewidmet war, der den Beinamen **Fachr** elmillet wa eddîn führte S. 7, 12. Diese Vermuthung ist wahrscheinlich genug: es wäre dann hier ein ähnlicher Fall, wie mit El'otbî, der sein Werk dem **Jemîn** eddaula Mohammed ben sebuktekîn widmete und dasselbe **Eljeminî** nannte (S. 18, 2). Möglich wäre aber auch, dass der Titel Elfachrî auf den Verfasser selbst ginge. Dass dieser nämlich, (ähnlich wie sein Vater 'Alî den Zunamen Tâǧeddîn führte), auch selbst einen ähnlichen gehabt habe, ist ganz gewiss — nach H. Reinaud würde sein Zuname Ssafî eddîn sein: ich weiss aber nicht, worauf sich derselbe bei dieser Behaup-

auch an einem anderen Orte) gelebt, wo und wann und wie er gestorben, ist gänzlich unbekannt.

Wir müssen jetzt noch einmal auf die Parteistellung, die er in seinem ganzen Werke einnimmt, zurückkommen. Einerseits versäumt er es nie, so oft sich eine Gelegenheit darbietet, Ali und seine Nachkommen im besten Lichte darzustellen, sie überall als die Trefflichsten, mit schnödester Ungerechtigkeit behandelten, zu bezeichnen und ihrem Namen fast immer eine Segensformel anzuhängen. Mögen es nur verwandtschaftliche Gründe sein, die ihn bestimmten, oder war es politische Ueberzeugung von der den Aliden widerfahrenen Unbilde — er mochte die Dynastien nicht, durch die seine Vorfahren von der Herrschaft verdrängt waren, er hasste insbesondere die Chalifen, durch die Ali betrogen, und zumal den Jesīd, durch den Elhosein ums Leben kam, und dem er daher ein Gott-verdamm-ihn! nachschleudert: dies sei das Schmählichste gewesen, das im Islām passirt, schmählicher als das, was dem Alī widerfahren, S. 138, 9 ff. Diese Einseitigkeit und Parteilichkeit hat schon einen alten Leser verdrossen, der sich deshalb nicht hat entbrechen können, hinten in dem Buche seine Meinung dahin abzugeben, der Verfasser müsse ein Ketzer sein (S. die Stelle bei de Sacy angeführt, Chrest. I, p. 33).

Andererseits bekundet er in dem Buche überall unverholen, dass er durch die weitere Ausdehnung und Befestigung der Mongolenherr-

2) S. 375, 5—8:

Ha, der Schāh, vom Wein schwer, was will er? aufstehn.
Und aus ewiger Trunkenheit, was will er? aufstehn.
Der Schāh trunken und die Welt verheert und der Feind hinten und vorn —
Es ist klar, mitten aus diesem, was will er? aufstehn.

1) S. 55, 8—11:

O Wesīr von Ost und West, Beistand der Religion und des Glaubens,
Dem sein erhabenes Wissen auf immer beisteht,
Das Kritzeln deines Griffels in Enthüllung schwieriger Dinge
Klingt ganz wie wenn Dāwud Psalmen spielt.

Ich habe in dem Text der obigen Verse das ذ gelassen (in خواهذ und پیذا) und nicht mit د vertauscht, weil dies zur Eigenthümlichkeit des Verfassers gehört, der auch immer بغذاذ und همذان spricht.

namentlich unter seiner Herrschaft galt Tebrīs als die Hauptstadt des Mongolenreiches und erfreute sich der besonderen Gunst des Monarchen, der es mit einer Mauer einfassen und mit prachtvollen Gebäuden zieren liess und sich dort ein prächtiges Mausoleum erbaute. Dort war überhaupt ein Sammelplatz der Aliden, und wo hätte unser Verfasser, der die Erinnerung an Ali und seine Nachkommen so überaus theuer hegte, lieber verweilen mögen, als dort mitten unter Anverwandten, unter dem Schatten königlicher Gnade? Ich glaube also, dass er in Tebrīs seinen Wohnsitz hatte und dort in sorgenfreier Musse den Wissenschaften lebte. Dass er als Sohn eines reichen und gebildeten Mannes die übliche, ja wahrscheinlich eine sorgfältige Schulbildung erhalten, lässt sich aus dem Werke selbst schliessen: überall zeigt er sich als einen gebildeten, kenntnissreichen Mann, der den Werth der Wissenschaft zu schätzen weiss, weil er selbst tief in dieselbe gedrungen ist; dass er dann später in seiner unabhängigen Stellung — von einem Amte, das er bekleidet hätte, ist nirgends eine Spur — sich mit geschichtlichen und schönwissenschaftlichen Studien und Poesie anhaltend und erfolgreich beschäftigt, dafür legt nicht bloss das oftmalige Citiren von Dichtern, von Sprüchen weiser Männer, S. 70,6. 81,3. 17. 73,18. 71,17. 83,10 etc. und von Geschichtschreibern, wie Ibn eletsīr 254,4. 310,13. 84,17 und Schehrjār ben rustum 325,13 und von der Ueberlieferung und dem Qorān, z. B. 28,4. 29,12. 27,2. 40,5. 72,18 Zeugniss ab; dafür spricht nicht bloss, was er in der Vorrede S. 16,7 ff. sagt: sondern das wird durch die Art und Weise der Darstellung und durch die dem Werke zu Grunde liegenden Studien vom Anfang bis zum Ende bewiesen. Er war nicht bloss Kenner der Arabischen Sprache und Litteratur und, wie sein Werk zeigt, gewandter Schriftsteller, sogar auch Dichter S. 61,11. 77,11, sondern er verstand auch das Persische, wie aus den Persischen Versen S. 55 und 375 und aus einigen Persischen Ausdrücken, wie دست, دستور, مرازبة, erhellt*). — Wie lange er in Tebrīs oder

*) Für die bloss der Arabischen Sprache Beflissenen dürfte es nicht überflüssig sein, die Uebersetzung der Persischen Verse zu geben, die hier angeführt sind. Also

zu können; und ebenso geht es mir mit dem Emīr **Fachr eddīn Boghdī ben qaschtumr**, der ihm eine Jagdgeschichte von seinem Grossvater erzählt, S. 68, 11; und auch die Jagdgeschichte von Sultan Abaqā, die ihm ein *gebildeter* Mann aus Baghdād mittheilt, S. 65, 16, gibt nicht näheren Aufschluss.

Dass er zu anderen Persönlichkeiten, als den erwähnten, Beziehungen gehabt habe, wird in seinem Werke nicht gesagt: mit Sicherheit steht also nur fest, dass er vor 680 geboren, und wahrscheinlich ist, dass er damals etwa 20 Jahre alt, und um 660 geboren worden. Ihn älter zu halten, scheint misslich: er würde dann von der letzten Chalifenzeit oder doch von Hulagū persönlicher zu erzählen wissen, als er es thut. Diese Zeit aber liegt, nach seiner Darstellung, ihm noch fern: er kennt ältere Personen von damals, aber erst an Abaqā's Regierung und die spätere Zeit knüpfen sich seine eigenen Erinnerungen.

Wo und wie er seine Jugend verlebt habe, lässt sich nach seinem Werke durchaus nicht bestimmen. Er kennt, offenbar aus eigener Anschauung, Elbassra S. 107, 11 f., wo die Leute „bis heute" viel auf Thalha halten; er ist in Baghdād gewesen S. 276, 1. 379, 7, und kennt in dessen Nähe ein Kloster, das „heutzutage" دير الروم dair errūm heisst (und östlich von Baghdād liegt), S. 190, 8; er hat sich, wie es scheint, in Irbil aufgehalten, das „jetzt" ein kümmerlicher Ort ist, S. 38, 3.; er kennt das Städtchen Eddūr, das „jetzt" Dūr elwesīr heisst (im District Doǵeil) S. 359, 10; er war in Issfāhān, wo man ihm das Grab des Erräschid gezeigt haben wird S. 356, 13; er ist nach Merāgha im J. 698 gekommen, und hat sich daselbst das Grab des Elmostarschid besehen, S. 350, 14. und war ohne Zweifel auch in Enneǵef bei Elkūfe, um seine Andacht dort zu verrichten, „wo jetzt das Grab Ali's ist" S. 123, 15. Aber wann er an diesen Orten gewesen, ob in seiner Jugend, ob im Mannesalter, lässt sich (bis auf den Aufenthalt in Merāgha) nicht bestimmen. Dass er im J. 701 nach Mosul kam, sahen wir: er wollte eigentlich nur durchreisen, sein längerer Aufenthalt war zufällig; so ist es denn gewiss, dass er seinen Wohnsitz daselbst nicht hatte. Von wo er kam, lässt sich nicht sagen: sein Ziel aber war Tebrīs, S. 7, 5. Damals regierte Ghasān-chān (694—703), und

Schluss. Er erwähnt noch S. 21,5 den 'Iss eddīn 'abdel'asīs ben ǵa'far aus Nīsābūr, dessen wir schon beiläufig gedachten; als Altersgenosse des 'Athā mulk mag er um dieselbe Zeit mit diesem gestorben sein, also um 680 bis 685: als er schrieb, war derselbe schon todt, wie das hinzugefügte رحمه الله Gott hab ihn selig anzeigt. Unser Verfasser wird damals etwa 20 Jahre alt gewesen sein, wie wir schon oben bei 'Alā eddīn von ihm annahmen. Er sagt ferner S. 97,11, dass Felek eddīn mohammed ben īdemir (der sonst auch أيتمور genannt wird) ihm eine Geschichte erzählt habe. Dieser war bei dem Hauptkampfe gegen die Mongolen im J. 656 mit ausgezogen, war aber damals vielleicht noch ein junger Mann, und kann in seinem Alter dem jungen Mohammed ben 'alī die Geschichte mitgetheilt haben. Und ebenso ist es mit dem Nassr elmellīsī, der, bei Eroberung Baghdāds noch sehr jung, im Dienste des Chalifen stand und dann in den des Hulagū übertrat: dieser erzählt ihm S. 167,9 von der damaligen Zeit, ist aber gerade damals im Dienste des regierenden Sultans, von dem S. 39,5 f. das Jahr 698 angegeben ist, wird also unserem Verfasser erst um diese Zeit dies mitgetheilt haben; und dafür spricht auch, dass er von der Eroberung Baghdāds als weit zurückliegend spricht und hinzufügt: ich war damals noch sehr jung, das ist lange her! —

Er erwähnt ferner S. 45,11 als Zeitgenossen, aber schon gestorben, den Ǵemāl eddīn alī ben mohammed, wodurch man aber nichts weiter erfährt, als dass er in seinem Benehmen sehr vorsichtig gewesen: er lässt sich nämlich einen Brief wieder schicken. Diese Behutsamkeit, bei der es Einem unwillkürlich vorkommt, als wenn sich der Verfasser überall von Feinden umgarnt sähe, zeigt sich auch sonst bei ihm: wie er z. B. S. 74,7 eine Geschichte von dem Chalifen Ennāssir erzählt, „die man hier wol zu erzählen keinen Anstand nehmen braucht“. Er erwähnt auch, S. 39, 11 ff., den Ǵemāl eddīn abdallah ben el'āqūlī, Professor an der Moschee Elmostanssirijje in Baghdād, der ihm etwas mittheilt, das ihm im J. 698 begegnet war: vielleicht sind beide dieselbe Person.

Auch von dem Prinzen Imām eddīn Jahjā ben eliftichārī, der ihm eine Geschichte aus Qaswīn erzählt S. 36,12, weiss ich nichts, um dadurch das Geburtsjahr des Verfassers etwas näher bestimmen

Vater unseres Schriftstellers zukomme. Andererseits aber liegt es zu Tage, dass ein so farbloser Name, wie ihn unser Verfasser tragen würde, nämlich Mohammed ben 'alī, allein nicht ausreichte, ihn von 1000 anderen Gleichnamigen zu unterscheiden. Es wäre daher sehr wohl möglich — zumal in dieser späten Zeit — dass man ihn Mohammed ben 'alī ben etthiqthaqā genannt hätte und dass dann dieser auffälligste Name auch auf ihn übertragen wäre. Jedenfalls scheint es mir erlaubt, ihn kurzweg als Mohammed ben etthiqthaqā oder auch bloss als Ibn etthiqthaqā zu citiren. So heisst z. B. der 2te Wesīr des Elmost'assim in der Regel Ibn el'alqamī, eigentlich aber Mohammed ben ahmed ben ... el'alqamī: letzteres war der Beiname seines Grossvaters.

Ueber seinen Vater Tāǧ eddīn gibt noch eine Stelle in Wassāf's Geschichte Auskunft, an deren Zuverlässigkeit wir nicht zweifeln, da Wassāf, ein Zeitgenosse unseres Verfassers, über diese Verhältnisse wohl unterrichtet sein konnte. Derselbe erzählt, I, p. 117, wie Schems eddīn (Bruder des 'Alā eddīn 'athā mulk) sich um den Aufbau des verödeten Baghdāds verdient gemacht, und dass er bei Enneǧef (bei Elkūfe) mit vielen Kosten einen Kanal habe graben lassen, um das weit und breit wüstgelegte Land zu bewässern und in fruchtbaren Stand zu setzen. Mit dieser Urbarmachung des Landes nun und Bewässerung desselben aus dem Frāt, habe er den Tāǧ eddīn 'Alī, Sohn des Eddolfendī*), einen unter seinen Zeitgenossen hervorragenden Mann, betraut und dieser habe eine Beschreibung des grossen Unternehmens hinterlassen.

Durch diese Stelle, in der ganz gewiss von demselben Tāǧ eddīn 'Alī die Rede, von dem die vorhin besprochene Stelle handelt, wird der oben S. XX vorkommende Ausdruck: „Chef der Frāt-Ländereien" deutlich: er stand damals eben jenen Kanalarbeiten vor.

So viel steht also fest, der Verfasser unseres Werkes muss vor 680 geboren sein, und die persönlichen Beziehungen, die von ihm noch in Kürze erwähnt werden, gestatten über sein Alter gar keinen

*) sollte es vielleicht Erräwendi heissen? Die Verwechselung von الراوندى und الدلفندى wäre leicht genug.

ger Weise — wir werden später davon sprechen — immer und immer wieder auf die Trefflichkeit 'Alīs und seiner Nachkommen zu reden kommt? Ihn oder vielmehr seinen Vater *Ibn thebāthebā* zu nennen, darin lag nichts auffälliges nichts lächerliches: das war Thatsache; dies Wort aber etwas zu verdrehen, und ihm in der That einen anderen Sinn zu geben, dem Anschein nach aber noch die Vorfahrenbeziehung zu belassen, das höhnte und neckte, ähnlich wie wenn die Spötter des Kladderadatsch mit dem Schnabelweit und Junker Rechberger ihr Wesen treiben. Diese Verdrehung wurde noch um so spöttischer, als sie an ein Zungenleiden oder auch eine Angewöhnung erinnern mochte, die ihn hinderten, das b gehörig rein auszusprechen, und veranlassten, statt dessen ein k oder q zu brauchen. Ich habe irgend wo in einer Arabischen Handschrift die Bemerkung gelesen (die ich mir angemerkt, jetzt aber leider nicht finden kann), dass das b bisweilen mit einem k oder q in der Aussprache verwechselt werde: eine übrigens ähnliche, wenn auch nicht so durchgehende Erscheinung, wie im Griechischen der Wechsel z. B. von π und κ. — Nehmen wir also diesen Fall an, so gewinnt der Spottname *Ibn etthiqthaqā* an Interesse; er deutet noch auf thebāthebā hin, er persiflirt das Prahlen mit dieser Abstammung, er spottet einer Angewöhnung oder auch eines örtlichen Fehlers, und mag allerdings mit auf das patzige Auftreten des Mannes hinweisen. Die zunächst gebildete Form war ثقطقا: indess gab die Analogie mit anderen Spottnamen an die Hand, nicht einen längeren, wie in 2 Theile zerfallenden, sondern einen mehr einheitlichen, nach der gewöhnlichen Weise der 4 buchstabigen gebildeten Namen (so dass der 2te Radical vocallos sei) zu wählen. Das ā hinten musste in Anklang zu thebāthebā bleiben: das i (in Etthiqthaqā) ist meiner Meinung nach, weil es ein Spottname, besser an seinem Platz, als wenn wir Etthaqthaqā sprechen.

An der Richtigkeit dieser Deutung des Namens zweifle ich meinerseits nicht*): mag man indess denselben verstehen, wie man wolle, so viel, glaube ich, steht fest, dass dieser Beiname zunächst nur dem

*) Am nächsten läge freilich ابن الطَّقْطَقِى Ibn etthaqthaqī: ich bezweifle aber, dass es solch *Gentilitium* gibt.

ohne weiteres, zumal auf kurzem Titel des Buches, als Sohn 'Alîs, Sohnes d. h. Nachkommen des Thebâthebâ, zu bezeichnen.

Aus dieser Stelle ersehen wir, dass der Beiname Ibn etthiqthaqâ schon dem Vater, und nicht erst dem Sohne, gegeben worden. Der- gleichen |nun vererbt sich schwerlich; denn es heften sich solche Spottnamen am leichtesten an eine besonders hervorragende, viel im Verkehr mit Menschen stehende, Person, die in ihrem Aeussern oder in ihrem Benehmen diese oder jene Sonderbarkeit hat, nicht aber an einen still dahin lebenden Privatmann. Ein solcher aber war, wie ich glaube, unser Schriftsteller, und ich zweifle daher nicht, dass das auf dem Titel stehende Ibn etthiqthaqâ ebenso wie in dem oben angeführten Text allein auf seinen Vater geht.

Die Einsicht in die Bedeutung solcher Spottnamen ist äusserst interessant; wir gewinnen damit immer ein Stückchen Sittengeschichte: sie ist aber zugleich sehr schwierig, oft sehr misslich. Was nun diesen Namen betrifft, so scheint auf den ersten Blick etwas Onomatopoetisches darin zu stecken, ähnlich wie bei Wörtern unserer Sprachen (wie Klippklapp, bric-à-brac) durch diesen Klingklang das Auf und Ab, Hin und Her, die Unterbrechung einer stetigen Richtung, das in Stückefallen u. dergl. bezeichnet wird. Da das Verbum طقطق vom Pferde gesagt wird: es stampft mit dem Fusse den Boden, und طقطقة das Aufklopfen (auch das Gequacke der Frösche) bedeutet — dies alles offenbar Sprachmalerei, ebenso wie in dem Worte حَبَطْقَطِق desselben Sinnes — so könnte in ابن الطقطقى etwa der Sinn liegen: Einer mit so aufstampfendem Gange: als wenn Jemand bei uns, seines Ganges wegen, den Beinamen der Aufpatzer, oder *Patzig*, oder auch den Spitznamen *Quackelhans* erhielte.

Ich glaube jedoch, dass die Erklärung des Wortes ganz wo anders zu suchen sei. Dass unser Verfasser, und wahrscheinlich auch sein Vater, unter ihren Vorfahren auf die *Thebâthebâs* besonderes Gewicht legten, haben wir oben gesehen: dass sie dieselben viel im Munde geführt haben, ja zu viel, um nicht den Anstrich der Lächerlichkeit zu erhalten — wäre dies anzunehmen ungereimt, zumal wenn man bedenkt, wie unser Schriftsteller in allerdings Manchem anstössi-

wecken, der starr dreln sieht, so oft man ihn aufweckt? Es ist, als ob du ein kleines Kind in der Wiege wärst, das um so fester schläft, so oft man es schüttelt. — Das Schreiben des Intendanten wurde dabei gelegt und an seinen Bruder ('Athā mulk) geschickt. Da traf er ('Athā mulk) seine Maassregeln und fasste den Entschluss, einer Anzahl Leute aufzutragen, ihn (den Intendanten) Nachts zu überfallen und zu tödten. Dies thaten sie und flohen nach einem Orte, den sie für ein Asyl hielten und nach dem ihnen der Kanzleidirector aufgetragen hatte sich zu begeben. Darauf brach der Director ('Athā mulk) sofort nach jenem Orte hin auf, packte diese Leute und liess sie tödten, und bemächtigte sich der Gelder und Grundstücke und Schätze des Intendanten. — Der Intendant Tāǧ eddīn hinterliess Nachkommen.

Diese Stelle ist für unsern Zweck äusserst wichtig. Sie zeigt, dass Tāǧ eddīn noch unter *Abaqā* getödtet sei, dass also seine Nachkommen vor dessen Todesjahr 681 geboren sein müssen, und sie lässt keinen Zweifel, dass dieser Tāǧ eddīn 'Alī der Vater unseres Verfassers ist. Dazu stimmt die vorhin im Allgemeinen ermittelte Zeit seiner Geburt; es stimmt ferner die obige Angabe, er (Mohammed) sei der Sohn des Alī; ausserdem spricht der Standpunct, den er überall zu den Aliden in seinem Buche einnimmt, dafür, dass er in nahen Beziehungen zu ihnen gestanden, und die obige Angabe „ben thebāthebā" macht es gewiss, dass er ihrer Familie angehörte, wie es von diesem Tāǧ eddīn ja auch feststeht; endlich der sonderbare Zuname Ibn elthiqthaqā macht es ganz zweifellos, dass hier dieselben Personen gemeint sind. Man könnte noch einwerfen, dass Alī hier der Sohn des *Ramadhān*, dagegen oben Sohn des *Thebāthebā* heisse; dieser Einwand hebt sich jedoch sehr leicht durch die Bemerkung, dass da, wo unberühmte Vorfahren sind und wo es darauf ankommt, die Familienangehörigkeit hervorzuheben — und das thut unser Verfasser überall — nach dem Namen des Vaters und etwa noch des Grossvaters lange Reihen von Vorfahren übersprungen werden, bis zu demjenigen zurück, der überall bekannt ist. Nun waren aber die Thebāthebās, als Nachkommen 'Alīs und auch sonst, als hervorragende Persönlichkeiten, z. B. auch als Dichter, überall gekannt: es lag also nahe genug, sich

d. h. zu ihren gehört auch der Oberintendant Tāǧ eddīn 'Alī ben mohammed ben ramadhān, der bereits erwähnt, den man gewöhnlich Ibn etthiqthaqā nennt. Ihm stand das Schicksal bei, dass er von Geld und Gut und liegenden Gründen so viel erwarb, dass man es fast nicht zählen kann. Zu seinen sonderbaren Lebensfügungen gehört, dass er im Anfange seiner Laufbahn auf den Staatsdomänen eine grosse Menge Korn säete — er war damals Chef der Frāt (= Eufrat)-Ländereien — und den Ertrag daraus in einem Hause, das er gebaut hatte, aber das noch nicht ganz fertig war, unterbrachte, und dass, als er mit der Regierung(skanzlei) abgerechnet, ihm ein bedeutender Ueberschuss des Ertrages verblieb. Nun trat damals grade eine starke Theuerung ein, und der Intendant setzte beim Verkauf des Getreides den Marktpreis fest: so verkaufte er (sein Korn) für Geld, für Hausrath, für Grundstücke, und man sagte sprichwörtlich von der Theurung, sie sei die des Ibn etthiqthaqā: man bezog sie auf ihn, weil ausser seinem Korn nichts gehandelt wurde. In einer Wand jenes Hauses hatte man ein Loch gemacht: da fand man die Getreidevorräthe stehen und die Körner davon herumgestreut. Er machte sich schnell daran, dies zuzudecken, konnte es jedoch nicht; indess war das Getreide bald verkauft und es hörte, wie in dergleichen Fällen, bald damit auf. — Sein Ansehen stieg immermehr, so dass er an den Sultan Abaqā, Hulāgū's Sohn, schrieb, er möge den Kanzleidirector Athā mulk absetzen. Da nahm er ein Stück Papier und schrieb*) darauf: Wie oft soll ich an dir das Auge eines Schlafenden auf-

*) Wer schreibt? Der Text sagt dies nicht deutlich. Allein, da dies ein Warnzettel ist „Nimm dich vor Ihm in Acht, ich habe dich schon so oft gewarnt, sieh hier im Beifolgenden, was er selbst schreibt!" und da der Bedrohte 'Athā mulk ist, so kann nicht dieser der Schreiber des Briefchens sein. Da der Brief aber, wie es sofort heisst, an seinen Bruder geschickt wird, d. h. doch offenbar an den bei dem Sultan verleumdeten 'Athā mulk, so kann als Schreiber und Absender desselben nur sein Bruder Schems eddīn, welcher Minister war und auch Kanzleidirector hiess, gemeint sein: diesem konnte ja auch, seiner nahen Stellung zum Sultan wegen, leicht genug der Brief in die Hände kommen, und er konnte über die Gesinnung des Tāǧ eddīn zu seinem Bruder 'Athā mulk sehr füglich unterrichtet sein, da er denselben, wie wir sehen werden, kennen gelernt und in seinem Dienste verwendet hatte.

له انه زَرَعَ فى مَبادى أَحْوالِه زراعــةً كثيرةً فى أَمْلاكِ الديوان وهو اذذاك صَدْرُ البِلاد الفُراتيّة وأَحْرَزَ ما تَحَصَّلَ له مِنَ الغَلّات فى دارٍ له قد كان بَناها ولم يُتِمَّها وفَصَلَ حِسابُهُ مع الديوانِ وقد بقِى لَهُ بقيّةٌ صالحةٌ من الغَلّات فأصابَ الناسَ قَحطٌ شَديدٌ وسَعَرَ النقيبُ تاجُ الدِين فى بَيْع الغَلّات فباعَ بالأَمْوال ثم بالأَعْراضِ ثم بالأَمْلاكِ وكان يُضْرَبُ المَثَلُ بذلكَ الغَلاء فيُقال غَلاء ابنِ الطِقْطَقى نُسِبَ اليه لم يَكُنْ عند أَحَدٍ شَىْءٌ يُباعُ سِواهُ وكان قد نُقِبَ فى بَعْضِ حِيطانِ تلكَ الدارِ فوُجِدَ الغلاتُ قايمةً والحَبُّ يَنْتَثِرُ مِنْهَا فعاجَلَ فى تَغْطِيَتِهـا فلم يَقْدِرْ ونَفِدَتْ بَعْدَ بَيْع قليلٍ كما هو عادَةُ أَمْثـالِهَا وتَرَقَّى أَمْرُهُ الَى أَنْ كَتَبَ الى السُلْطانِ أَبْغا بن هُولاكو فى عَزْلِ صاحِبِ الدِيوانِ عَطا مُلْك فأخَذَ قِرْطاسًا وكَتَبَ فيه كَمْ لِى أُنَبِّهُ مِنْكَ مُقْلَةَ نايمٍ يُبْدِى ثُباتًا كُلَّما نَبَّهْتَهُ فكَأَنَّكَ الطِفْلُ الصَغيرُ بمَهْدِهِ يزدادُ نَوْمًا كلما حَرَّكْتَهُ وجُعِلَ كِتابُ النَقيبِ فيه وَأُرْسِلَ الَى أَخيه فاستَعَدَّ صاحِبُ الدِيوانِ وتَقَرَّرَ أَمْرُهُ عِنْدَهُ عَلَى أَنْ أَمَرَ جَماعَةً بالفَتْكِ بـه لَيْلًا ففَتَكُوا به وهَرَبُوا الَى مَوْضِعٍ ظَنُّوهُ مَأْمَنًا أَمَرَهُم بالمَصيرِ الَيْهِ صاحبُ الديوان فَخَرَجَ صاحبُ الديوان مِنْ ساعَتِهِ الى ذَلكَ الموضع فقَبَضَ على أُولَيِكَ الجَماعَةِ وأَمَرَ بِهِمْ فقُتِلُوا واستَوْلَى عَلَى أَمْوالِ النَقيبِ وأَمْلاكِهِ وذَخايِرِهِ وللنَقيبِ تاجِ الدِينِ عَقِبٌ ✿

als habe er selbst Gelegenheit gehabt, seine bedeutende Einsicht und seinen Scharfblick kennen zu lernen.

Möglich wäre dies sehr wohl gewesen. Nehmen wir an, er sei bei Abfassung seines Werkes 40 Jahre alt gewesen (und jünger dürfen wir ihn kaum halten), also etwa 660 geboren, so hätte er wohl in dem Alter von 18—20 Jahren mit dem 'Alā eddīn irgend wie in Berührung kommen können. Dieser verwaltete nämlich seit 669 Baghdād und Umgegend als Intendant (Wassāf I, p. 197), wurde späterhin des Einverständnisses mit den Moslimen, der Erpressungen und des Unterschleifes angeklagt, von Abaqā eingekerkert, und sein Vermögen wurde confiscirt (ib. 195 ff. Abulf. V, 60); von dessen Nachfolger Ahmed wurde er aber wieder rehabilitirt, starb jedoch bald nachher (Abulfedā gibt das J. 680 an, dies kann jedoch nicht richtig sein, da nach demselben Schriftsteller Abaqā erst 681 stirbt. Sein Tod wird also 1 oder 2 Jahre später zu setzen sein).

Er war ferner bekannt mit Scheref eddīn abulqasim 'alī, Sohn des Wesīrs *Ibn el'alqami*, der ihm von der Bibliothek seines Vaters erzählt, S. 388, 16; und gleichfalls mit dessen Vetter, *Kemāl eddīn ahmed ben eddhahhāk*, dem Schwestersohn des Ibn el'alqamī, S. 390, der ihm in Bezug auf die Eroberung Baghdāds etwas erzählt, was er selbst miterlebt. Mit beiden Männern, die älter als er zu sein scheinen, kann er füglich um das Jahr 680, vielleicht aber auch später, bekannt gewesen sein.

Ist nun nach dem Vorstehenden einigermassen wahrscheinlich, dass er um 660 herum geboren, so wird dies durch das folgende Zeugniss wenigstens in soweit bekräftigt, als aus demselben folgt, dass er vor 680 geboren sein muss.

In der Pariser Handschrift 636 alten Bestandes, in der die Nachkommen 'Alī's behandelt werden, findet sich folgende Stelle:

مِنْهُمْ نقيبُ النُّقَبآء تاجُ الدينِ عَلِىُّ بْنُ محمد بن رَمَضانَ المذكورُ
يُعْرَفُ بِآبْنِ الطِقْطَقَى ساعَدَتْهُ الأَقْدارُ حَتّى حَصَّلَ من الأَمْوالِ
والعَقارِ والضِياع مَا لَا يَكادُ يُحْصَى ومِنْ غرايبِ الاِتِّفاقات التى حَصَلَتْ

dem Persischen Geschichtschreiber Wassāf I, p. 84, dass er in Gelehrsamkeit ein zweiter Pythagoras, in den Genealogien sehr bewandert, und (p 117) grosser Kenner der Poesie gewesen sei; dass er ferner, als Musikkundiger die Hörer mit seinem Spiel entzückt, und dass Scheref eddīn harūn, Sohn des Schems eddīn und Neffe des 'Alā eddīn 'athā mulk bei ihm Unterricht in der Musik gehabt habe (p. 84. 108. 121), und dass er zu Harūn sowol als dessen Bruder Behā eddīn in besonders trautem Verhältniss gestanden (p. 129): endlich, dass er von Hūlāgū für sich und seine Kinder eine jährliche Pension von 10,000 Dinaren erhalten habe (p. 84). — Die Bekanntschaft mit diesem Manne dürfen wir schwerlich über 680 hinaussetzen; derselbe wird auch dem Knaben nicht dergleichen erzählt haben, sondern wahrscheinlich doch dem Erwachsenen; geben wir daher unserem Verfasser damals ein Alter von 16—20 Jahren, so würde er um 660 herum geboren sein.

Er hat ferner den Kanzleidirector in Baghdād 'Alā eddīn 'athā mulk ben mohammed elḡoweinī gekannt. Er erwähnt — ausser dessen zweimal angeführtem Werke جهان كشى S. 130, 1. 66, 4 — an zwei Stellen seiner in einer Weise, die schliessen lässt, er habe ihn selbst noch gekannt. Zuerst, S. 21, 9 ff., sagt er: dass 'Iss eddīn 'abdel'asīs ben ḡa'far ein ungelehrter Mann, war sogar dem Alā eddīn entgangen; und worüber ich mich mehr wundern soll, fährt er fort, weiss ich nicht: ob darüber, dass er es nicht gemerkt, obgleich er doch lange Jahre in den verschiedensten Lebenslagen mit ihm verkehrt, oder etc. — Dann heisst es S. 209, 13 ff.: Man hat mir erzählt, 'Alā eddīn pflege sich für verwandt mit Elfadhl ben errabī' auszugeben; mich wundert, wie er dazu gekommen, da er doch klug, trefflich, in der Geschichte wohlbewandert war; er spricht dann über die niedrige Herkunft des Elfadhl und schliesst: gibt es wol eine gemeinere Verwandtschaft als diese? aber auffälliger als seine Ansicht über diesen Punct ist noch dies, dass seine Excellenz sich nicht an Jemand, der dies Verhältniss kennt und ihn hätte aufmerksam machen können, gewendet hat. — Zielt er damit auf sich selbst oder nicht — jedenfalls, scheint mir, spricht er in solchen Ausdrücken von ihm,

lehrte aber entschuldigte seine Rede damit, dass des Sultans Ansehen gross und seine Macht imponirend war: deshalb wagte ich nicht, vor ihm anders als die Wahrheit zu reden.

Nichts desto weniger kann diese Stelle nicht auf ihn selbst gehen, sondern es sind hier die Worte, die der Gelehrte gesprochen, geradezu angeführt. Dies Gespräch nämlich fand gleich nach der Eroberung Baghdād's, also im Jahre 656, Statt; es liegt auf der Hand, dass der Chān nicht einen jungen Mann um Rath gefragt haben wird, sondern einen älteren, im Rufe der Gelehrsamkeit und Weisheit wohlbefestigten, also wenigstens 40jährigen, wahrscheinlich aber bejahrteren Mann. Nun liegt zwischen damals und der Zeit, in welcher der Verfasser schrieb, ein Zeitraum von 45 Jahren: er wäre damals also ungefähr 90 Jahre alt gewesen und gegen dies Alter spricht entschieden schon die ganze Schreibweise des Verfassers. Und dies nicht bloss, sondern er würde dann, etwa 610 oder 616 geboren, als Zeitgenosse der beiden letzten Chalifen Manches selbst erlebt haben, und eigene Erinnerungen aus jener Zeit aufzeichnen — was er nirgends thut. Um endlich allen Zweifel abzuschneiden, so lesen wir bei Rāschid eddīn, dem Persischen Geschichtschreiber der Mongolen, im ersten Bande S. 262, diese selbe Geschichte, die daselbst als zwischen Hulagu und dem gelehrten Choğa Nāssir eddīn mohammed aus Thûs vorgefallen erzählt wird. Ich trage also kein Bedenken, auch bei unserem Verfasser diesen Nāssir eddīn unter dem „Gelehrten“ zu verstehen — und wir sind also genöthigt, uns für Bestimmung des Alters unseres Schriftstellers nach anderen Anhaltspuncten umzusehen.

Unter seinen Bekannten führt er den Ssafī eddīn ’abdelmūmin ben fāchir aus der Stadt Urmijje an. Dieser erzählt ihm S. 65, 8 eine Jagdgeschichte, die er von einem Bekannten hat und die unter dem letzten Chalifen vorgefallen. Er erzählt ihm ferner, S. 383, 14, einen menschenfreundlichen Zug desselben Chalifen, von dem er selbst Augenzeuge gewesen. Er war in der letzten Zeit, also etwa 654, zu Elmosta’ssim in ein nahes Verhältniss getreten, und von diesem zum Bibliothekar seiner neu angelegten Bibliothek gemacht, in welcher er für denselben Bücher abschrieb. Er wird damals also wol ein Mann von etwa 30 oder 40 Jahren gewesen sein. Wir erfahren ferner aus

noch einmal durchgesehen und an manchen Stellen kleine Zusätze und Verbesserungen angebracht hat, ohne Zweifel, der Hand des Verfassers selbst: فرغ من تاليفه واستنساخه مؤلّفه فى مدة اولها جمادى الاخر من سنة احدى وسبع مية وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة بالموصل الحدباء وهذا خطّ يده تجاوز الله عنه zu Ende mit der Abfassung und dem Abschreiben-lassen des Werkes kam der Verfasser in der Zeit vom 2ten Ḡomādā des Jahres 701 bis zum 5ten Schawwāl selbigen Jahres in Mosul, und dies ist seine eigene Handschrift, Gott sei ihm gnädig.

Wir dürfen daher als ausgemacht ansehen, dass er jene Reise im Anfang des Jahres 1302 p. Chr. unternahm und dies Werk in der Zeit vom Februar bis 4. Juni verfasste. Dijārbekr und somit Mosul stand damals unter der Botmässigkeit des Ghasān-chān, der im J. 703 (= 1303) starb. Wenn also im J. 701 'Isā ben Ibrahīm über Mosul herrschte, so ist klar, dass derselbe von diesem oder seinen Vorgängern daselbst eingesetzt worden und in Abhängigkeit von diesen regierte. Der Verfasser erwähnt seiner, ausser in der Vorrede, in der er seine Weisheit, seinen Edelmuth, seine Kenntnisse und seine Bildung aufs Höchste rühmt, nur noch einmal, S. 88, 13, jedoch ohne ihn namhaft zu machen: und sonst habe ich über ihn auch keine Notiz gefunden.

Genau zu bestimmen, wie alt der Verfasser damals war, ist nicht möglich. Man könnte allerdings versucht sein, nach der Erzählung S. 166, 14 ff., in dem Gelehrten, den Hulagu nach der Eroberung Baghdād's um Auskunft bittet, ob es wahr sei, dass wenn der Chalife getödtet würde, sich die Weltordnung auflösen, die Sonne verstecken, der Regen verhalten, die Vegetation aufhören werde, ihn selbst zu vermuthen. Denn nachdem der Gelehrte dem Mongolenchān geantwortet: „Ali sei besser gewesen als dieser Chalife, und doch sei, als er getödtet worden, nichts von jenen Befürchtungen passirt; so sei auch Elhosein getödtet und die Vorfahren dieses Chalifen umgebracht, und die Sonne habe sich doch nicht versteckt und der Regen sei nicht ausgeblieben“ — heisst es: Als Hulagū dies vernommen, hörte die Befürchtung, die sich seiner bemächtigt hatte, auf; der Ge-

Zunamen, und welchen, gehabt habe, werden wir alsbald sehen: ich gehe nun zur Darstellung seines Lebens über und bemerke, dass der kurze Artikel des H. Beauvois zu dem, was de Sacy l. l. gibt, keinen neuen Beitrag liefert, als den, dass er anführt, derselbe habe unter seinen Vorfahren den Ibrahîm thebâthebâ gehabt, der eine Rolle in den Bürgerkriegen des 3ten Jahrhunderts der Higre spielte. —

Es war auf einer Reise, die der Verfasser dieses Buches unternommen, um sich nach Tebrîs zu begeben, dass er nach Elmaussil (Mosul) kam und der eingetretenen Kälte wegen dort einige Zeit zu verweilen beschloss (S. 7, 5). Der damalige Regent der Stadt, 'Isâ ben Ibrahîm, Freund der Wissenschaft und der Gelehrten, hörte von seiner Ankunft (S. 13, 12), zog ihn in seinen näheren Umgang und überhäufte ihn mit Ehren und Geschenken. Um nun auch seinerseits ihm dankbar zu sein und „damit er ihm ein Erinnerungszeichen lasse, bei dem er an ihn denke, wenn er fern sei“, (S. 14, 4. 5.) schrieb er das vorliegende Buch „Ueber die den Sultanen nothwendige Bildung und über die islâmischen Dynastien“, in dem ersten Theile desselben (S. 19—88) seine politischen Grundsätze vortragend, in dem andern Theile (S. 88—390) die Geschichte des Chalifates und der hauptsächlichsten davon abgezweigten Reiche von Anfang bis zu Ende erzählend.

Es würde uns unmöglich sein, genau die Zeit anzugeben, wann er dies Werk geschrieben, käme uns nicht am Ende desselben eine Bemerkung zu Hülfe, an deren Zuverlässigkeit wir nicht zweifeln können. An sich ist soviel klar, dass er nach dem Sturze des Chalifates, also nach 656 (= 1258), geschrieben haben müsse; ferner dass er unter der Mongolenherrschaft lebte, deren Vortrefflichkeit er an vielen Stellen rühmt (z. B. S. 31, 2. 33, 3. 38, 3. 167, 4), und nach dem Tode des Sultans Abaqâ schrieb (S. 75, 12). Da nun dieser im Anfang des Jahres 681 (= 1282) starb (Abulf. V, 62), der in Bezug auf Abaqâ erzählte Umstand aber — nämlich die Ahndung von dessen Tode — von einem Zeitgenossen erzählt wird, so kann er nicht sehr lange nach diesem Jahre geschrieben haben. Dazu stimmt denn auch die Bemerkung am Ende des Werkes, die von anderer Hand als der ganze Text geschrieben ist, nämlich von derselben, welche das Werk

Werk bespricht; und nach ihm findet sich in der Biographie universelle (Michaud) ein Artikel darüber, unterzeichnet J—n (ohne Zweifel Jourdain): Fakhr-eddyn-Razy, und in dem Dictionnaire biogr. (Didot) ein Artikel von H. E. Beauvois: Fakhr eddīn (le faux). Von diesen Beiden gibt der Erstere in Kürze das, was schon de Sacy hat; der andere dagegen stützt sich in einer kurzen Notiz auf das, was H. Reinaud, mit seiner bekannten Gefälligkeit, ihm mitgetheilt hat und gibt, nach dessen Forschungen, den vollständigen Namen des Verfassers, der bisher, wie schon gesagt, verschollen war.

Das Titelblatt der Pariser Handschrift (der einzig bekannten des Werkes) No. 895 alten Bestandes, auf dessen umstehender Seite der Text beginnt, ist ziemlich stark beschädigt: es ist daher schon früher ein Blatt über den Titel geklebt, damit die andere Seite sich besser erhalte. Dadurch ist der Titel des Buches fast verdeckt worden, und das Werk hat von späterer Hand den Titel bekommen: كتاب تاريخ الدول للفخر الرازى, wonach in dem alten Handschriftenverzeichniss als Verfasser Fakhr razi angegeben ist. Dass dies nicht der bekannte Philosoph Rāzi d. h. Fakhr eddīn errāsī († 606) sei, liegt zu Tage. S. de Sacy nun nennt den Verfasser Fakhr eddīn — und unter diesem Namen wird er daher in den obigen Artikeln besprochen —, und fügt hinzu, dass er durch das übergeklebte Papier hindurch folgende Züge الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية لـ........ بن على ابن المعروف بابن تجاوز الله عنه deutlich lese, und in der ersten Lücke محمد in der zweiten طباطبا zu lesen glaube. Danach würde der Name des Verfassers also Mohammed ben 'alī ben thebāthebā sein. Die dritte Lücke zu entziffern, ist ihm nicht geglückt, erst der sorgfältigen Untersuchung Reinaud's ist es gelungen, in derselben den Namen (Ibn) „elthactaki“ zu lesen.

Auch ich habe das Titelblatt genau untersucht, und herausgebracht, dass vor dem Namen محمد ziemlich lang gezogen تاليف Abfassung, Werk steht, und dass in der letzten Lücke die Züge الطعطعى ohne diakritische Punkte gesetzt sind. Ohne Zweifel ist Reinand's Lesung mit Qāf richtig: ich glaube aber nicht, dass seine Aussprache elthactaki recht sei, sondern halte dafür, dass etthiqthaqā zu sprechen sei.

Was dieser Beiname bedeute, und ob der Schriftsteller noch einen

wenigen Arabischen Schriftstellern eigen ist; sondern es hat ein merkwürdiger Unstern über ihm und seinem Buche gestanden und sein Andenken in völlige Vergessenheit gebracht, ja wir begegnen hier vielleicht dem merkwürdigen Falle, dass das Werk und der Name des Verfassers absichlich todtgeschwiegen sind. Ich werde darauf zurückkommen, nachdem ich über sein Leben, soweit es mir möglich ist, Auskunft gegeben habe.

Allerdings ist es misslich, von den Lebensverhältnissen eines Mannes zu sprechen, der nirgends erwähnt ist, dessen Werk seinen Landsleuten unbekannt scheint, und der nur beiläufig etwas erwähnt, was seine persönlichen Verhältnisse betrifft. Auch so kann man freilich ein Leben sich zusammen denken, wie er es geführt haben könnte. Allein diesen Weg will ich denn doch vermeiden, und mich da nicht auf Einzelnheiten seines Lebens einlassen, wo man sich, nach dem vorliegenden kargen Stoff, eingestehen muss, dass man zwar eine Thatsache erfahre, aber eine solche, aus der man besonnener Weise gar Nichts schliessen kann. Der Verfasser (um ein Beispiel zu geben) ist an verschiedenen Orten gewesen: das wissen wir; er war in Ispâhân, er war in Merâgha: zu ergrübeln, was er daselbst unternommen oder ausgeführt habe, mag geistreich scheinen, ist aber thöricht, wo in der That Alles vermuthet, Nichts gewusst werden kann. Ich werde mich daher beschränken, im Grossen und Ganzen sein Leben vorzuführen, mich auf das stützend, was er selbst sagt und was — freilich nicht in Bezug auf ihn selbst — sich etwa bei Anderen findet, und werde da, wo ich Vermuthungen vorbringe, mich so auf Thatsachen stützen, dass jene als Folgerungen dieser erscheinen.

Was von seinen Lebensumständen zunächst feststeht, und wovon wir ausgehen müssen, ist das, was er in der Einleitung und am Ende des Werkes sagt: und insofern bin ich nicht der Erste, der über das Leben des Verfassers spricht: dies ist vielmehr de Sacy, der in seiner Arabischen Chrestomathie einige Abschnitte des Werkes veröffentlicht hat*), und in den Anmerkungen I, p. 30 ff. den Verfasser und dessen

*) Andere Abschnitte sind im Text oder in Uebersetzung mitgetheilt von Freytag, Chrest. Arab. 1834, p. 84 ff., von Jourdain, Fundgruben des Orients, V. Cherbonneau, Journal asiat. 1846. 1847.

Einleitung.

Ueber den Verfasser der vorliegenden Geschichte der islāmischen Reiche findet sich bei keinem orientalischen Schriftsteller die mindeste Notiz, und was wir über seine eigenen Verhältnisse wissen, erfahren wir einzig aus gelegentlichen Bemerkungen und Anekdoten, die hier und da in seinem Werke selbst angebracht sind. Vergebens suchen wir seinen Namen und kurze Auskunft über seine Lebensumstände in den grösseren Geschichtswerken, in denen doch sonst bei den Todesjahren der Schriftsteller wenigstens eine kurze Bemerkung über ihr Leben gegeben zu werden pflegt; auch in den allgemeinen Litteraturwerken, und in den specielleren, die alle Gelehrten und Schriftsteller eines bestimmten Jahrhunderts besprechen (z. B. in dem Werke des El'asqalāni, das betitelt ist Eddurar elkāmine, die verborgenen Perlen, und die Gelehrten etc. des 8ten Jahrhunderts der Higre ausführlich behandelt), wird seiner nicht Erwähnung gethan: und als wäre es damit noch nicht genug, ist sogar der Titel seines Buches nirgends, selbst nicht bei Hagi Chalfa, angeführt.

Dies rührt nicht etwa daher, weil sein Werk zu unbedeutend wäre: es ist im Gegentheil, nach dem Urtheile Aller, die es kennen zu lernen Gelegenheit hatten, eine wichtige historische Quelle und eines der interessantesten Werke, welche die Arabische Litteratur überhaupt aufzuweisen hat; auch nicht daher, dass der Verfasser als Schriftsteller einen zu untergeordneten Rang einnähme: er besitzt vielmehr bei aller Einfachheit, deren er sich absichtlich befleissigt, eine Gewandtheit des Ausdrucks und eine Kunst der Darstellung, wie sie

besonders auch deshalb nicht, weil ich dies ohnehin in meiner Litteraturgeschichte, an der ich arbeite, sein muss, und hier eine vorläufige Notiz genügt. Ich habe überall bei den Versen das Metrum angegeben, weil mir dies von Nutzen zu sein scheint, obgleich es weder in dieser Handschrift noch sonst in dieser Weise üblich ist.

Vielleicht würde es wünschenswerth gewesen sein, sprachliche und sachliche Bemerkungen dem Ganzen hinzuzufügen: es würde alsdann aber eine Menge Arabischen Textes zu geben nothwendig gewesen sein und der Umfang des Buches sich über Gebühr erweitert haben: ich erspare mir daher auf später, eine Sammlung Arabischer Geschichtsauszüge als Anhang zu diesem Buche zu geben.

Statt ein alphabetisches Register über die in dem Werke erwähnten Personen und Oerter hinzuzufügen, gebe ich ein kurzes Inhaltsverzeichniss, das mir bei Büchern dieser Art zweckmässiger erscheint: es ist zugleich Register und Geschichtstabelle.

Und somit empfehle ich dies Werk den Freunden Arabischer Sprache und Litteratur angelegentlichst.

Greifswald den 1. November 1859.

W. Ahlwardt.

Bei einer ziemlichen Anzahl von Stellen ist am Rande kurz bemerkt, wovon der Text handelt, z.B. 19,17 مطلب مطلب نطق الثور. 96,17: الفرق بين العادل الكافر والجاير المسلم مطلب سبب ظهور بنى. 171, Mitte: بانطاق اليه وكذب الرائى العباس. 130,1 in Bezug auf ’Alā eddīn als Verfasser des Ǧihān kuschāj: رحم الله مولف هذا الكتاب فهمنا من عبارته هذه منوط بشىء من فوقه ما فهمنا فافهم انت الآخر. 40, oben, von anderer Hand: اقول انا ان كان تركه فى محل مرتفع لا يلتزم التخفيف امّا رعاية المصحف فلا كلام فيه واما السلطان فكذلك لكن رعايته انما يكون يامره كانّ سلطانا من السلاطين امر لبعض اخصّايه ان يستقبلوا لقادم يجب رعايته فالمصحف الشريف كذلك وانما قُرّاءهُ كاخصايه ولا يلتزم تخفيف الامر بامر الرعاية لغيره فليتامل

Da diese Bemerkungen aber unwesentlich sind, und in keinem nothwendigen Zusammenhange mit dem Text stehen, habe ich sie fortgelassen.

Die angeführten Verse sind grösstentheils ohne den Namen des Dichters gesetzt: einige davon sind oft von Andern citirt, z.B. S. 10,18 von Hātim etthāi (cf. Hamāsa 747); 12,6 von Ibn errūmi; 13,3 von Besschār ben bord; bei andern würde ich, wenn ich es für erspriesslich gehalten hätte, mir die Mühe der Ermittelung des Dichters gemacht haben: mir schien aber nichts darauf anzukommen.

An einigen Stellen wird der Geschichtschreiber Ibn eletsīr erwähnt: S. 84,17. 254,4. 310,13. Davon steht p. 84, 17 bei Ibn eletsīr (ed. Tornberg) XI, p. 28,5 ifr., und 310, 13 ibid. p. 242, mit geringen Abweichungen.

Die namentlich angeführten Dichter werde ich in der Einleitung kurz besprechen: ausführlicher sein wollte ich

Zu S. 124, 17 steht am Rande:

حاشا عايشة رضى الله عنها ان تقول مثل ذلك

S. 26, 14, nach den Versen, ist folgende Stelle nicht in den Text gekommen:

وقد مدح بعض الشعراء الحقد ولم يُسْمَع بمن مدح الحقد غير هذا فقال الطويل

وما الحِقْدُ الّا تَوْأَمُ الشُّكْرِ فى الفَتَى
وبَعْضُ السَّجايَا يَنْتَسِبْنَ الى بَعْضِ
فحَيْثُ تَرَى حِقْدًا على ذى إساءةٍ
فثَمَّ تَرَى شُكْرًا على سالِفِ القَرْضِ
اذا الأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ ما أَنْتَ زارِعٌ
مِنَ البَذْرِ فيها فَهْىَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

Es ist nicht Versehen, dass sie fortgelassen sind, sondern Absicht, weil sie in der Handschrift wie unten auf der Seite hinzugefügt stehen, und in der That der Zusammenhang nicht gestört wird, wenn die Stelle fehlt. (Alsdann bezieht sich nämlich هذا in Zeile 14 auf Seite 24, 11 u. ff.). Indess können die Verse auch ganz füglich dem Text einverleibt werden, wo alsdann هذا auf den Inhalt der Verse geht.

Es stehen ausserdem am Rande hier und da einige Wörter erklärt, Bemerkungen, die theils von der Hand des Abschreibers, theils der des Verfassers herrühren und natürlich nicht in den Text aufgenommen werden konnten. So wird zu S. 8, 3 يبى erklärt durch معناها ما يزل. 109, 9. (333, 16) تب X durch تمر X. 116, 7 اجفل durch هرب مسرعا. 199, 1 حزازات durch جراحات. 83, 16 هدنة durch صلاح u. سكون. 120, 1 صقع durch محل ملبج. 316, 11 دست durch صدر. Vgl. 351, 15. 353, 7. 368, 2.

Seite 27, 15 stehen nach القصع noch einige Wörter, die an dem unten beschädigten Blatte abgerissen sind, etwa $\frac{3}{4}$ Zeile: deutlich ist noch ورفع السنا, also ohne Zweifel السناجق; und die letzten Worte scheinen zu sein: ووشى الزرائى (oder auch الزرابيل): da aber für die dazwischen stehenden (2) Worte ähnlichen Sinnes gar kein Anhalt gegeben war, wollte ich unnützer Vermuthung nicht Raum geben.

Seite 155, 11 ist ein kleines Loch, das so verbessert ist in der Handschrift: دير مران: dies ist falsch, es muss دير سمعان heissen, wie ich in den Text gesetzt habe.

Seite 266, 12 habe ich die Zahl hinzugefügt, da hier eine Lücke im Text gelassen.

Ich habe ausserdem ein Paar Stellen nicht aufgenommen, die am Rande standen.

Seite 238, 12 vor فقال (die Worte könnten bei der Abschrift ausgelassen sein): وتحققت القصة فاذا هو من يوم حدثنى فى معنى الدعوة قد ارسل واشترى الاملاك المجاورة لى وعمرها دارا حسنة ونقل اليها من كل شىء وانا لا اعلم وكنت ارى العمارة فاحسبها لبعض الجيران،

Zu Seite 155, 7 steht die Note am Rande: ارسل بعض عمّال عمر بن عبد العزيز يقول له ان مدينتنا قد خربت فان راى امير المومنين ان يقطع لنا مالا لنرمها به فكتب اليه قد فهمنا كتابك فاذا انت قرات كتابنا فرمها بالعدل ونق طرقها من الظلم،

Zu Seite 272 stehen am Rande die Verse:

قول دعبل يهجو المامون — الكامل

إِنِّى مِنَ القومِ الَّذِينَ سُيوفُهُمْ قَتَلَتْ أَخاكَ وشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ

سادوا بذِكْرِكَ بَعْدَ طول خُمُولِهِ واستَنْقَذُوكَ من الحَضِيضِ الأَوْهَدِ

Diese Verse kommen schon p. 23, 14 vor. Statt دعبل steht in der Note عباد, was bloss verschrieben ist.

302,12 مملكتمه für مملكته. 302,14 الرعيته für رعيته.
315,6 السطلان — السلطان.

Als Druckfehler ist dagegen die auf dem Arabischen Titelblatt stehende Zahl ١٨٥٨ nicht anzusehen: denn dies Werk wurde im vorigen Jahre zu drucken angefangen.

Ich habe mir mit dem Text ausserdem ein Paar Freiheiten erlaubt, über die ich hier Rechenschaft ablegen muss.

Das erste Blatt der Handschrift ist ziemlich stark beschädigt, daher die fol. 1 verso stehenden Worte des Textes nicht alle vorhanden oder leserlich. Statt nun im Drucke Lücken oder Unleserlichkeiten wieder zu geben, hielt ich es für gerathener, den Text zu ergänzen. Es fehlen in der Handschrift nämlich und von mir hinzugesetzt sind die Worte: S. 2, Zeile 4: احمده على انه, wovon das ا im Anfange und etwa das نه am Ende sichtbar. Zeile 5: مملوكا لعظمته (in der Handschrift مَمْلُو....ظمته). Daselbst: الغيب غير مستور (Hdschrift: ال.........ر). Zeile 6: والوف بفيض جوده (Hdschr.: و.........ده). Zeile 7: النذير العقاب و (Hdschr. fehlt). Zeile 9: على الاجسام (fehlt). Zeile 10: اختصاصا بافضل (fehlt, nur im Anfang steht ا). Zeile 11: من اهدى و (fehlt). Zeile 12: جلاد محمدا النبى (fehlt: vielleicht würde statt النبى besser stehen: رسول الله). Zeile 13: والتاكيدات الجلاليه وآله الطيّبين واصحابه الصالحين الذين كانوا (fehlt: die letzte Zeile der Handschrift ist eingerissen gewesen, und dann beim Bekleben der Rückseite gerade abgeschnitten worden).

Seite 5, 18 ist die Handschrift etwas beschädigt, und hineincorrigirt علما. Da das ~ sicher der Handschrift angehört, habe ich es in das richtige رآه verbessert.

die mir von besonderer Wichtigkeit an einer Stelle schienen, hinzugesetzt, und hätte dies überall gethan, wenn mich nicht die Rücksicht, dies Buch möchte mit Anfängern (wenn auch gerade nicht im ersten Anfang) gelesen werden, davon abgehalten hätte: für diese nun sollten die fehlenden Vocalzeichen ein Anlass sein, ihre Aufmerksamkeit um so straffer zu spannen und das Maass ihrer Kenntnisse zu prüfen.

In sofern sind auch die, freilich nicht beabsichtigten, Druckfehler ein guter Prüfstein, und ich überlasse es dem Scharfblicke der weniger geübten Leser (denn der Kundige liest leichter darüber hin) einige im Druck verschobene oder bei der Correctur übersehene falsche Vokale zu rectificiren, oder hie und da einen übersehenen Consonanten mit dem ähnlichen richtigen [ث und ت (77,6), ص und ض (211,18. 254,6), ز und ر (233, 11. 249, 17), ف und ق (266, 3), ع uud غ (297, 11), ه und ة, ح und ج (366, 4)] zu vertauschen. Als absichtlich belassen bitte ich باجو 386, 6. 8. und باحو 387, 4 anzusehen: die Aussprache schwankt bei diesem ausländischen Worte, und bei Abulfeda IV p. 552, 3 und Note f steht sogar باخو. — Auch habe ich طريف (und nicht ظريف) absichtlich gesetzt: es kommt oft vor und ist in dem Sinne von Anekdote gebraucht. — Die gröberen Druckfehler, die ich leider übersehen habe, sind folgende:

p. 139, 15	ائى	für	الى.	145, 2	القلوم	für	القدوم.
149, 6	المدية	—	المدينة.	153, 2	المرآة	—	المرآة.
160, 14	بأى	—	بانى.	164, 17	فتاخــروا	—	فتناخسروا.
198, 16	بيغا	—	بليغا.	205, 4	ثب	—	ثمر.
209, 6	يوسف	—	يونس.	214, 9	أسقاطهم	—	اسقاطهم.
223, 3	مندكمر	—	عندكمر.	226, 1	بنيئة	—	بنية.
226, 2	أطعمر	—	واطعمر.	261, 11	علية	—	علية.

Und ein dritter Grund kommt noch hinzu: nämlich dass sie als Werk der Arabischen Litteratur einen ganz besonders ehrenvollen Platz verdient. Ich wüsste in derselben kein Werk, von dem ich sagen könnte, es sei mit grösserer Anmuth geschrieben. Bei Lesung der Maqāmen (ich meine nicht bloss die des Elharīrī) kann wenigstens ich mich des Gedankens nicht erwehren, ob es dem Schriftsteller nicht so ergehen werde wie dem Seiltänzer, der bei seinen Capriolen fehltritt und sich das Genick bricht? Man staunt über seine Geschicklichkeit, aber man bleibt unbefriedigt, wenn die Kunst sich zur völligen Unnatur entbildet. Auch die Lesung der rhetorischen Werke, wie der Briefe des Ibn 'abbād, des Sahr elbelāghe des Ettsealibī u. s. w., kann auf die Dauer nicht behagen: es ist darin ein so süssliches und fades Getändel, ohne alle markige Kraft, ein Geistreicheln und Ohrenschmeicheln, unausstehlich! Und die geschichtlichen Werke, achtungswerth fast immer, ihrer Sorgfalt und Genauigkeit wegen, sind doch hinsichtlich des Stils — das wird uns Deutsche nicht befremden — nicht immer musterhaft, vielmehr oft ohne Saft und Kraft. Der Verfasser des vorliegenden Werkes dagegen macht eine rühmliche Ausnahme: mit grösster Einfachheit schreibend, klar und bündig, ohne Gaukelkünste der Rhetorik, nicht auf Stelzen gehend noch auf Krücken hängend, weiss er den Leser zu fesseln, und am Ende seiner Darstellung angelangt, ist man nicht froh, endlich „ausgerungen" zu haben.

Was die Herausgabe des Werkes anbetrifft, so habe ich mich der Pariser Handschrift 895, alten Bestandes, bedient, und nur dieser, weil — aus Gründen, die in der Einleitung besprochen werden sollen — es keine andere gibt. Dieselbe ist schön geschrieben, stark vocalisirt und im Ganzen sehr gut erhalten. Ich habe hier und da Vocale,

Vorwort.

Wer sich mit der Sprache und Litteratur der Araber vertraut machen will, kann der Kenntniss der geschichtlichen Verhältnisse dieses Volkes nicht entrathen. Seit der Herausgabe des grossen Geschichtswerkes des Abulfedā ist aber keine vollständige Arabische Geschichte, die bis zum Ende des Chalifates ginge, erschienen: es sind einzelne Abschnitte derselben, und zum Theil sehr werthvoll, veröffentlicht: aber es macht sich der Mangel eines Gesammtgeschichtswerkes auf diesem Gebiet um so fühlbarer, je seltener und theurer das Werk des Abulfedā ist.

Schon aus diesem Grunde würde sich die Herausgabe der vorliegenden Arabischen Geschichte der Islāmischen Reiche vom Anfang bis zum Ende des Chalifates rechtfertigen. Obzwar auf geringen Umfang beschränkt, gibt dieselbe doch eine Uebersicht des Aufblühens und Verfalles jener Reiche, und müsste, schon als geschichtlicher Leitfaden, jedem Studirenden der Arabischen Sprache willkommen sein. Sie ist jedoch mehr als ein blosses Compendium, das in Kürze bekannte Thatsachen wiedergibt: sie kann vielmehr, durch eine Menge eigenthümlicher Notizen, neben den ausführlichen Werken, einen Platz als geschichtliche Quelle beanspruchen: und das ist ein zweiter Grund, der ihre Herausgabe rechtfertigt.

BIBLIOTHECA
[illegible]ENSIS.

Elfachri.

Geschichte
der islamischen Reiche
vom Anfang bis zum Ende des Chalifates

von

Ibn etthiqthaqa.

Arabisch.

Herausgegeben nach der Pariser Handschrift

von

W. Ahlwardt,
Privatdocent an der Universität Greifswald.

Gotha.
Verlag von F. A. Perthes.
1860.

61 – D.

<36618952340010

<36618952340010

Bayer. Staatsbibliothek

A. or. 1101

Ibn Ellhigthaya